

جواهر التلخيص

عَلَى لُكُورَانِي الْعَافِي

المجلد الثالث

سيرة الإمام الحسن عليه السلام وتسلط بني أمية ومواجهة أهل البيت عليهم السلام لخططهم

الطبعة الأولى - ١٤٢٦



جَوَاهِرُ التَّالِيحِ

بقلم

عَلَيْهِ لَكَوْنِ اِنِّي الْعَامِلِي

المجلد الثالث

سيرة الإمام الحسن عليه السلام وتسلط بني أمية ومواجهة أهل البيت عليهم السلام لخطيئتهم

الناشر: دار الهدى

الطبعة الثانية ١٤٢٨

جواهر التاريخ - المجلد الثالث

المؤلف: علي الكوراني العالمي

الناشر: درالهدى

الطبعة الثانية ١٤٢٨

المطبعة: ظهور

العدد: ٣٠٠٠ مجلد

الشابك: ٩٧٨-٩٦٤-٤٩٧-٠٥٠-٤

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضلُ الصلاة وأتمُّ السلام على سيدنا ونبينا
محمد وآله الطيبين الطاهرين

هذا هو المجلد الثالث من (جواهر التاريخ) وهو يتضمن تاريخ مرحلة انهيار
الأمّة في أيدي بني أمية ، مرحلة خلافة الإمام الحسن عليه السلام واضطراره الى التنازل
عن الحكم لمعاوية ، وإعلان معاوية انتهاء الحكم الإسلامي وقيام الأمباطورية
الأموية ، كما يتضمن عرضاً لنشاط الإمام الحسن وأئمة أهل البيت عليهم السلام في
مواجهة خطط معاوية وبني أمية المعادية للإسلام !

وقد أفضنا في دراسة شروط الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية ، وفي
نشاط الإمام عليه السلام في العشر سنوات التي عاشها بعد الصلح ، خاصة مقاومته لخطط
معاوية الثقافة والسياسية ، وفصلنا أحداث شهادته عليه السلام ، وبحثنا بمناسبة منعهم
دفنه عند جده المصطفى صلى الله عليه وآله الملكية الشرعية للحجرة النبوية الشريفة ، وأثبتنا
أنه صلى الله عليه وآله دفن في بيته ولم يدفن في بيت عائشة كما زعموا .

ثم بحثنا فعاليات معاوية بعد قتله للإمام الحسن عليه السلام لأخذ البيعة ليزيد واختراعه
له غزوة القسطنطينية ليعطيه صفة مجاهد ، كما اخترع لنفسه غزوة قبرص !

وبما أن منهجنا أن لا نتوسع فيما كثرت فيه الكتابة ، فقد اكتفينا بعرض الهوية الشخصية والسياسية ليزيد ، ونقاط عن جرائمه الكبرى في فاجعة كربلاء ، ووقعة الحرة في المدينة ، وضربه الكعبة بالمنجنيق بالأحجار وقنابل النفط !

واكتفينا من سيرة الإمام الحسين عليه السلام بمواقفه مع معاوية ، وتأثير شهادته عليه السلام في ضمير الأمة ومسارها ، وتأثيرها في سقوط الحكم الأموي ، وأرخنا لظاهرة معاوية بن يزيد الذي أعلن تشيعه ، وعمل لنقل الخلافة الى الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام فقتله بنو أمية .

وبعد الحديث عن سقوط الدولة الأموية الأولى وانتهاء آل أبي سفيان ، استعرضنا قيام الدولة الأموية الثانية بقيادة مروان وأولاده ، وكيف واجه الإمام زين العابدين عليه السلام خططهم التحريفية ، ومنها تبنيهم للإسرائيليات وبنائهم مسجد الصخرة في القدس بناء أفخم من بناء المسجد الحرام ، ونقلهم حج المسلمين اليه بدل الكعبة !



في الختام ، نذكر القارئ المحترم بأن مصادر هذا البحث هي كتب برنامج مكتبة أهل البيت عليه السلام الذي توفقنا لإعداده ، وهو في متناول الجميع ويشمل ألوف المصادر ، وبرامج إسلامية ومصادر أخرى ذكرناها في محالها ، وذكرنا أحياناً المجلد والصفحة لأكثر من طبعة . والله ولي التوفيق والمثوبة .

كتبه: علي الكوراني العاملي

قم المشرفة ، منتصف ربيع الثاني ١٤٢٦

الفصل الأول

خلافة الإمام الحسن عليه السلام وانهايار الأمة !

بيعة المهاجرين والأنصار للإمام الحسن عليه السلام

بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام أفاقت الأمة على خسارتها التي لاتعوّض ، ووجدت نفسها تحتضن بحبات قلوبها بقية عترة نبيها ﷺ الحسن والحسين عليهما السلام ، فبادرت الى بيعة الإمام الحسن عليه السلام كبير السبطين ، والإمام بنص جده وأبيه عليهما السلام . قال الطبري في تاريخه: ١٢١/٤: (ذكر بيعة الحسن بن علي . وفي هذه السنة أعني سنة أربعين بويع للحسن بن علي بالخلافة ، وقيل إن أول من بايعه قيس بن سعد قال له: أبسط يدك أبايعك على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه وقاتل المحلين فقال له الحسن: على كتاب الله وسنة نبيه فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط ، فبايعه وسكت ، وبايعه الناس). انتهى.

وقال اليعقوبي: ٢١٤/٢: (واجتمع الناس فبايعوا الحسن بن علي ، وخرج الحسن بن علي إلى المسجد الجامع فخطب خطبة له طويلة ، ودعا بعبد الرحمن بن ملجم فقال عبد الرحمن: ما الذي أمرك به أبوك ؟ قال: أمرني ألا أقتل غير قاتله وأن أشبع بطنك وأنعم وطاءك ، فإن عاش اقتص أو عفى ، وإن مات ألحقنك به . فقال ابن ملجم: إن كان أبوك ليقول الحق ويقضي به في حال الغضب والرضى ، فضربه الحسن بالسيف فالتقاه بيده فندرت ، وقتله).

وفي مقاتل الطالبين/٣٢: (خطب الحسن بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام فقال: (قد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون بعمل . لقد كان يجاهد مع رسول الله ﷺ فيقيه بنفسه ، ولقد كان يوجهه برايته فيكنفه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه . ولقد توفي في الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم والتي توفي فيها يوشع بن نون ، وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه أراد أن يبتاع بها

خادماً لأهله . ثم خففته العبرة فبكى وبكى الناس معه . ثم قال:

أيها الناس ، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد رسول الله ﷺ ، أنا ابن البشير ، أنا ابن النذير ، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير ، أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، والذين افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول: وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ، فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت .

فلما انتهى إلى هذا الموضع من الخطبة قام عبد الله بن العباس بين يديه ، فدعا الناس إلى بيعته فاستجابوا وقالوا: ما أحبه إلينا وأحقه بالخلافة ! فبايعوه ، ثم نزل من المنبر) . (وشرح النهج: ٣٠/١٦ ، ونهج السعادة: ٥٠٧/٨)

أقول: عقيدتنا نحن الشيعة أن إمامة أئمة العترة النبوية ﷺ إنما هي بالنص لا بالبيعة ، فالبيعة اعترافٌ بحق فرضه الله ورسوله ﷺ وليست إنشاءً لهذا الحق ، نعم تجب البيعة إذا طلبها النبي ﷺ أو الإمام المعصوم ﷺ .

والمقطوعة المتقدمة فقرة من أول خطبة خطبها الإمام الحسن بعد شهادة أمير المؤمنين ﷺ ، وقد نصَّ المحدثون والمؤرخون كما رأيت في يعقوبي على أنها طويلة ، لكن الرواة لم ينقلوها منها إلا قليلاً ، كعادتهم في أكثر الخطب والأحاديث الصريحة التي تبين مقام أهل البيت ﷺ وظلامتهم ! حيث كانوا وما زالوا يخافون غضب بني أمية وأتباعهم إن رووها ! (قال عمر بن ثابت: كنت أختلف إلى أبي إسحاق السبيعي أسأله عن الخطبة التي خطب بها الحسن بن علي عقيب وفاة أبيه ولا يحدثني بها ، فدخلت إليه في يوم شاتٍ وهو في الشمس وعليه برنسة فكانه غول ، فقال لي من أنت ؟ فأخبرته فبكى وقال: كيف أبوك وكيف أهلك؟ قلت: صالحون ، قال: في أي شيء تتردد منذ سنة؟ قلت: في خطبة

الحسن بن علي بعد وفاة أبيه فقال: حدثني هبيرة بن مريم قال: خطب الحسن... (شرح النهج: ٣٠/١٦). ولكن تعب ابن ثابت ذهب سدى! فلم يزد له السبيعي على ما تقدم منها ، لأنه يخاف أن يتهم بالرفض !!

وتدل الفقرات التي وصلت إلينا على أن الإمام الحسن عليه السلام في خطبته مكانة أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام ، وكشف جانباً من مؤامرة قبائل قريش عليهم ، وحذر من الفتنة الأموية على الإسلام ، ودعا المسلمين مجدداً إلى جهادهم ، مؤكداً خط أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وجهوده لإعادة العهد النبوي .

ويظهر أن شهادة أمير المؤمنين عليه السلام وخطبة الإمام الحسن عليه السلام كان لهما تأثير عميق على المسلمين وأن كانت بيعتهم له كانت بالإجماع: راجع من مصادرها: شرح إحقاق الحق: ٤١٦/٤، و: ٣٤٨/١٩، و: ١١٨/٢٤، و: ١٨/٣٣، والدر النظيم: ٥٠٧، والبحار: ٢١/٤٤، وبشارة المصطفى: ٣٦٩ . ورواها من مصادر السنة بنحو ما تقدم: الطبراني في الأوسط: ٨٧/٣، والحاكم: ١٧٢/٣، ونبايح المودة: ٧٤/١، و: ٣٠٣/٣، وشرح النهج: ٣٠/١٦، كما روت عامة مصادرهم الفقرة الأولى منها، كالطبراني في الكبير: ٨٠/٣، وابن سعد في الطبقات: ٣٨/٣، وابن خنبل في مسنده: ١٩٩/١، و٥٤٨، وفضائل الصحابة: ٥٤٨/١، والسناني في السنن الكبرى: ١١٢/٥، وأبو يعلى في مسنده: ١٦٩/٦، وابن حبان في صحيحه: ٤٥/٩).

أهداف الإمام الحسن عليه السلام من خلافته

الإمام الحسن عليه السلام على بصيرة من ربه ، كان يرى أن الأمة آخذة في الإنهيار بين يدي أبيه عليه السلام وقد ظهرت بوادر استسلامها لموجة بني أمية ! لكنه أراد أن يستغل مدة خلافته القصيرة ، وبالأحرى ما تبقى لخلافة أبيه عليه السلام ، لتحقيق هدفين: الأول ، تركيز مشروع أبيه لإعادة العهد النبوي بكل ما يمكنه من قول وفعل .

والثاني ، تقليل خسائر الإنهيار وخسائر الصلح المفروض عليه إلى أقل حد ممكن ، وضمان ما يمكن ضمانه من مصلحة الإسلام والأمة ، مع علمه أن معاوية

لايفي لأحد بعهد ولا ذمة ! فقد أنزل الله فيه وفي أسلافه: لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا
وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَعَدُونَ . (التوبة: ١٠) .

الإمام الحسن عليه السلام يؤكد الحجة على معاوية والأمة

بدأ الإمام الحسن عليه السلام بدعوة الأمة الى القيام بواجبها في جهاد عدوها ، وأخذَ
بترتيب عماله في المناطق التي تخضع لسلطته ، وأرسل رسالة الى معاوية يُثبت
فيها حقه ، ويؤكد عليه الحجة ويدعوه الى البيعة والطاعة .

(كتب الحسن إلى معاوية مع حرب بن عبد الله الأزدي: من الحسن بن علي أمير
المؤمنين) إلى معاوية بن أبي سفيان ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا
إله إلا هو . أما بعد فإن الله جل جلاله بعث محمداً رحمة للعالمين ومنة
للمؤمنين وكافة للناس أجمعين لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ،
فبلغ رسالات الله ، وقام بأمر الله حتى توفاه الله غير مقصر ولا وان ، وبعد أن أظهر الله
به الحق ومحق به الشرك ، وخص به قريشاً خاصة فقال له: وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ،
فلما توفي تنازعت سلطانه العرب فقالت قريش: نحن قبيلته وأسرته وأوليأؤه ولا
يحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد وحقه ، فرأت العرب أن القول ما قالت قريش
وأن الحجة في ذلك لهم على من نازعهم أمر محمد ، فأنعمت لهم وسلمت إليهم .
ثم حاجبنا نحن قريشاً بمثل ما حاجبت به العرب ، فلم تنصفنا قريش إنصاف
العرب لها ، إنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالإنتصاف والإحتجاج ، فلما صرنا
أهل بيت محمد عليه السلام وأوليأؤه إلى محاجتهم ، وطلب النصف منهم باعدونا واستولوا
بالاجماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا ، فالموعد الله وهو الولي النصير .

ولقد كنا تعجبنا لتوئب المتوئبين علينا في حقنا وسلطان نبينا وإن كانوا ذوي
فضيلة وسابقة في الإسلام ، وأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد

المنافقون والأحزاب في ذلك مغمزاً يثلمونه به ، أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من إفساده ! فالقوم فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله لا بفضل في الدين معروف ، ولا أثر في الإسلام محمود ، وأنت ابن حزب من الأحزاب وابن أعدى قريش لرسول الله ﷺ ولكتابه ! والله حسيك فسترد فتعلم لمن عقبى الدار وبالله لتلقين عن قليل ربك ثم ليجزينك بما قدمت يداك وما الله بظلام للعبيد .

إن علماً لما مضى لسبيله رحمة الله عليه يوم قبض ويوم منَّ الله عليه بالإسلام ويوم يبعث حياً ولاني المسلمون الأمر بعده ، فأسأل الله ألا يؤتينا في الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا به في الآخرة مما عنده من كرامة ، وإنما حملني على الكتاب إليك الإعذار فيما بيني وبين الله عز وجل في أمرك ، ولك في ذلك إن فعلته الحظ الجسيم والصلاح للمسلمين، فدع التماذي في الباطل وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي ، فإنك تعلم أنني أحق بهذا الأمر منك عند الله وعند كل أبواب حفيظ ومن له قلب منيب. واتق الله ودع البغي واحقن دماء المسلمين فوالله ما لك خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقية به وادخل في السلم والطاعة ولا تنازع الأمر أهله ومن هو أحق به منك ، ليطفئ الله النائرة بذلك ويجمع الكلمة ويصلح ذات البين ، وإن أنت أبيت إلا التماذي في غيك سرت إليك بالمسلمين فجاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين). (مقاتل الطالبيين/٣٦) . وقد وضعنا كلمة (أمير المؤمنين) بين قوسين، لأنه عندنا لقب خاص من الله تعالى بعلي عليه السلام دون غيره حتى الأئمة الطاهرين المعصومين عليهم السلام ، فلا يمكن أن يستعمله الإمام الحسن عليه السلام لنفسه أو لغير صاحبه .

معاوية يتحرك بجيشه نحو العراق

تعددت الرسائل بين الإمام عليه السلام ومعاوية وكان آخر جواب من معاوية أنه رفض الاستجابة لطلبه وقال للرسولين: جندب بن عبد الله الأزدي ، والحرث بن سويد التميمي: (إرجعا فليس بيني وبينكم إلا السيف) ! (شرح النهج: ١٣/٤) وأخذ يجمع ما يستطيع من جيش للتحرك نحو العراق لتنفيذ مشروعه الذي كان يعدُّ له من زمن علي عليه السلام وهو أن يفرض الصلح على الإمام الحسن عليه السلام أو يقتله أو يأخذه أسيراً ! فقد جاءته بشارات الأشعث عن بعض رؤساء القبائل وقادة الجيش الذين اشتراهم له الأشعث ! (قال جندب: فلما أتيت الحسن بكتاب معاوية قلت له: إن الرجل سائرٌ إليك ، فابدأه بالمسير حتى تقاتله في أرضه وبلاده وعمله ، فأما أن تقدّر أنه ينقاد لك فلا والله حتى يرى منا أعظم من يوم صفين ! ولما وصل كتاب الحسن إلى معاوية قرأه ثم كتب إلى عماله على النواحي بنسخة واحدة: من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان ومن قبله من المسلمين. سلام عليكم ، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، فالحمد لله الذي كفاكم مؤنة عدوكم وقتل خليفتم ، إن الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعلي بن أبي طالب رجلاً من عباده فاغاله فقتله ، فترك أصحابه متفرقين مختلفين ، وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم ، فأقبلوا إليّ حين يأتيكم كتابي هذا بجهدكم وجندكم وحسن عدتكم ، فقد أصبتم بحمد الله الثار وبلغتم الأمل ، وأهلك الله أهل البغي والعدوان ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ! فاجتمعت العساكر إلى معاوية ، وروي أنهم بلغوا ستين ألفاً ، فسار بها قاصداً إلى

الإمام الحسن عليه السلام يحرك في الأمة ثُمالة شعلتها

(وبلغ الحسن خبره ومسيره نحوه وأنه قد بلغ جسر منبج فتحرك عند ذلك ، وبعث حجر بن عدي فأمر العمال والناس بالتهيؤ للمسير ، ونادى المنادي: الصلاة جامعة ! فأقبل الناس يثوبون ويجمعون ، وقال الحسن: إذا رضيت جماعة الناس فأعلمني ، وجاءه سعيد بن قيس الهمداني فقال له: أخرج فخرج الحسن عليه السلام، وصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال:

أما بعد ، فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرهاً ، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: إصبروا إن الله مع الصابرين ، فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون . بلغني أن معاوية بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرك لذلك ، أخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة حتى ننظر وتنظروا ونرى وتروا . قال: وإنه في كلامه ليتخوف خذلان الناس له قال فسكتوا فما تكلم منهم أحد ، ولا أجابه بحرف . فلما رأى ذلك عدي بن حاتم قام فقال: أنا ابن حاتم ! سبحان الله ما أقبح هذا المقام ! ألا تجيئون إمامكم وابن بنت نبيكم؟! أين خطباء مضر أين المسلمون ؟ أين الخواضون من أهل المصر الذين ألتستهم كالمخاريق في الدعة فإذا جد الجد فرواغون كالثعالب ! أما تخافون مقت الله وعيبيها وعارها ؟! ثم استقبل الحسن بوجهه فقال: أصاب الله بك المرشد وجنبك المكاره ، ووفقك لما يحمد وردده وصدده . قد سمعنا مقاتلك وانهينا إلى أمرك وسمعنا لك وأطعناك فيما قلت وما رأيت ، وهذا وجهي إلى معسكري فمن أحب أن يوافيني فليواف ! ثم مضى لوجهه فخرج من المسجد ودابته بالباب فركبها ومضى إلى النخيلة ، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه .

وكان عدي بن حاتم أول الناس عسكرياً !

وقام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، ومعقل بن قيس الرياحي ، وزباد بن صعصعة التيمي ، فأنبوا الناس ولاموهم وحرضوهم ، وكلموا الحسن عليه السلام بمثل كلام عدي بن حاتم في الإجابة والقبول ، فقال لهم الحسن عليه السلام:

صدقتم رحمكم الله ! ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء والقبول والمودة الصحيحة فجزاكم الله خيراً . ثم نزل . وخرج الناس فعسكروا ونشطوا للخروج ، وخرج الحسن إلى العسكر ، واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وأمره باستحثاث الناس وإشخاصهم إليه فجعل يستحثهم ويستخرجهم حتى يلتئم العسكر . وسار الحسن في عسكر عظيم وعدة حسنة ، حتى نزل دير عبد الرحمن فأقام به ثلاثاً حتى اجتمع الناس ، ثم دعا عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب فقال له: يا ابن عم ، إني باعث إليك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب وقراء مصر ، الرجل منهم يزيد الكتيبة ، فسر بهم وألن لهم جانبك وابسط لهم وجهك وافرش لهم جناحك وأدّهم من مجلسك ، فإنهم بقية ثقات أمير المؤمنين عليه السلام ، وسر بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفرات ثم تصير إلى مسكن ، ثم امض حتى تستقبل بهم معاوية ، فإن أنت لقيته فاحبسه حتى آتيك فإني على أترك وشيكاً وليكن خبرك عندي كل يوم ، وشاور هذين يعني قيس بن سعد وسعيد بن قيس . وإذا لقيت معاوية فلا تقااله حتى يقااتلك فإن فعل فقاتله ، وإن أصبت فقيس بن سعد على الناس ، وإن أصيب قيس بن سعد فسعيد بن قيس على الناس . فسار عبيد الله حتى انتهى إلى شينور حتى خرج إلى شاهي ، ثم لزم الفرات والفلوجة حتى أتى مسكن). (مقاتل الطالبين/٤٠ .

ومسكن من الدجيل قرب سامراء - معجم البلدان: ١٢٧/٥).

الإمام الحسن عليه السلام بين المعادلة الإسلامية والجاهلية

بعد أن تراجع المسلمون عن الجهاد مع أمير المؤمنين عليه السلام تخاذلاً وحباً للحياة ! ونجح معاوية في سياسة تخذيلهم وشراء شخصيات مؤثرة منهم ، وغاراته على مناطق العراق والحجاز واليمن.. وصل تفكير معاوية الى غزو العراق وإجبار أمير المؤمنين عليه السلام على الصلح ، أو قتله بواسطة عملائه المباشرين كجماعة الأشعث ، أو غير المباشرين كالخوارج !

في هذا الجو كانت شهادة أمير المؤمنين وبيعة الإمام الحسن عليه السلام ، وكانت المعادلة عنده واضحةً فإما أن يستعمل أساليب معاوية غير المشروعة لإقامة دولة دنيوية تعادي القيم الإسلامية والإنسانية ، وإما أن يواصل مشروع أبيه في إعادة العهد النبوي ، ويحافظ على ما حققه من نصر ، ويكون الثمن خضوعه لموجة بني أمية المتفاقمة ، وانسحابه مع أهل بيته من المسرح السياسي لمصلحة معاوية ! وطبيعي أن يختار الإمام الحسن عليه السلام هذا الخيار ، مهما كان صعباً ومؤلماً !

فهو من جهة ، الإمام المعصوم من ربه ، كأبيه وأخيه وأمه فاطمة الزهراء عليها السلام . وهو من جهة ، شريك أبيه في قناعاته وسياسته وحربه وسلمه ، وهو أحد أركان العترة النبوية الطاهرة عليهم السلام التي تحملت مؤامرة قريش وهجومها على بيتهم ليحرقوه عليهم ، فصبروا من أجل الإسلام ، وتنفيذ وصية جدهم الحبيب ﷺ .

وهو مع كل هذا ، يعلم ما أخبر الله تعالى رسوله ﷺ بأنه سيجري على هذه الأمة بعد رسولها ﷺ والثمن الباهظ الذي يجب على أهل البيت عليهم السلام أن يدفعوه ، فقد أخبرهم بذلك جدهم الحبيب ﷺ ، وأعدّهم لما يجب أن يفعلوه !

إن بين جنبي الإمام الحسن روح جده ﷺ ، الروح الشامخة التي تأبى الضيم..

لكن عبوديته لله تعالى أشد عمقاً ورسوخاً وشموخاً ! والدين في فهمه النبوي ليس إعمال الرأي مهما بدا صائباً ومفيداً ، بل طاعة أمر الرب ونهيه ، مهما كان صعباً ! فقد قال جده المصطفى ﷺ لأبيه المرتضى عليه السلام: (وتجاهد أمتي كل من خالف القرآن ، ممن يعمل في الدين بالرأي ، ولارأي في الدين ، إنما هو أمر من الرب ونهي) . (الإحتجاج: ٢٩٠/١) . وها هو الإمام الحسن بعد شهادة أبيه عليه السلام يواجه مرحلة امتحانه في طاعة ربه عز وجل فينجح ، ويتحمل لأجل الإسلام آلام الخضوع لطاغية زمانه ، فيكون الإمام الممتحن بانهيار أمة جده في عهده ، وخضوعها لابن أبي سفيان ! فهذه هي الرؤيا التي أراها الله لجده المصطفى ﷺ وهو على منبره ، أراه قادة أمته قروداً ينزون على منبره ! وأنزل عليه قوله تعالى: وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمُلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا. (الإسراء: ٦٠)

الإمام الحسن عليه السلام يمتحن جمهوره

ذكر المؤرخون والمحدثون هذه الخطبة للإمام الحسن عليه السلام ولم يحددوا وقتها ، ويبدو أنها كانت في الكوفة قبل حركته بجيشه الى المدائن .

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٢٦٩/٣: (وفي مجتني ابن دريد: قام الحسن بعد موت أبيه فقال: والله ما ثننا عن أهل الشام شك ولا ندم ، وإنما كنا نقاتلهم بالسلامة والصبر ، فشيتت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع ! وكتم في متدبكم إلى صفين دينكم أمام دنياكم ، فأصبحتم ودنياكم أمام دينكم ! ألا وإننا لكم كما كنا ولستم لنا كما كنتم . ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون عليه ، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره ، فأما الباقي فخاذل ، وأما الباقي فتائر ! ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة ، فإن أردتم الموت رددنا عليه ، وإن أردتم الحياة قبلناه) .

ونحوه في نزهة الناظر للحلواني/ ٧٧ ، وفيه: (فإن أردتم الموت رددناه إليه ، وحاكمناه إلى الله، وإن أردتم الحياة قبلناه، وأخذنا بالرضا. فناداه القوم: البقية البقية) !
ورواه في تاريخ دمشق: ٢٦٨/١٣ ، وفيه: (فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله جل وعز بظبا السيوف ، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا ، فناداه القوم من كل جانب: البقية البقية). (ونحوه في أسد الغابة: ١٣/٢ والكامل: ٢٧٢/٣ ، وابن حمدون: ١٣٦٩، ونهاية الإرب: ٤٣٩٩. وفي ابن خلدون: ٢ ق ١٨٧/٢: كرواية الذهبي).

الإمام الحسن عليه السلام يمتحن جيشه !

كان الإمام الحسن عليه السلام كأبيه علي وأخيه الحسين عليهما السلام يعرفون حالة الأمة في الكوفة جيداً ، لذلك لا بدءاً من ردّ كل الروايات التي تدعي أن أحداً منهم عليهما السلام انخدع بكلام أهل الكوفة ووعودهم ! فهم ذوا علم رباني ومنهج مسدد من ربهم وقد يستوجب منهجهم مماشاة الناس أحياناً ، أو كشفهم بعض الأحيان .
كيف ؟ والإمام الحسن عليه السلام يرى الخيانات من حوله ، وتزايد نفوذ عملاء معاوية في عاصمته ونشاط الأشعث في شراء ذمم رؤساء القبائل وقادة الجيش !
ثم رأى حالة قادة جيشه ، ومنهم ابن عمه المقرب إليه عبيدالله بن العباس !
وقد صرح الإمام الحسن عليه السلام برأيه في أهل الكوفة مراراً قبل الصلح وبعده ، ووبخهم كما وبخهم أبوه عليه السلام فقال: (والله ما سلمتُ الأمر إليه إلا أنني لم أجد أنصاراً ، ولو وجدتُ أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه ، ولكنني عرفت أهل الكوفة وبلوتهم ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً ، إنهم لا وفاء لهم ولا ذمة في قول ولا فعل ، إنهم لمختلفون ويقولون لنا إن قلوبهم معنا وإن سيوفهم لمشهورة علينا !) . (الاحتجاج: ١٢/٢).

وقال ﷺ: (أرى والله أن معاوية خيرٌ لي من هؤلاء الذين يزعمون أنهم لي شيعة ! ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقتلي وأخذوا مالي ! والله لئن أخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وأمن به في أهلي خيرٌ من أن يقتلوني فتضجع أهل بيتي وأهلي ! والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه مسلماً ! والله لئن أسالته وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير أو يمنّ عليّ فيكون سبّاً على بني هاشم آخر الدهر لمعاوية، لا يزال يمنُّ بها وعقبه على الحيّ منا والميت). (الإحتجاج: ١٠٢).

وفي الخرائج: ٥٧٤/٢: (لما مات عليٌّ جاء الناس إلى الحسن بن عليٍّ فقالوا له: أنت خليفة أبيك ووصيه ونحن السامعون المطيعون لك فمرنا بأمرك . قال ﷺ: كذبتم ! والله ما وفيتم لمن كان خيراً مني فكيف تفون لي؟! وكيف أطمئن إليكم وأثق بكم ؟! إن كنتم صادقين فموعد ما بيني وبينكم معسكر المدائن فوافوني هناك . فركب وركب معه من أراد الخروج ، وتخلف عنه خلق كثير لم يفوا بما قالوه وبما وعده ، وغروه كما غروا أمير المؤمنين ﷺ من قبله !

وأورد رواية أخرى جاء فيها قوله ﷺ: قد غررتموني كما غررتم من كان قبلي ، مع أي إمام تقاتلون بعدي؟! مع الكافر الظالم الذي لم يؤمن بالله ولا برسوله قط ، ولا أظهر الإسلام هو ولا بنو أمية إلا قرّاً من السيف؟! ولو لم يبق لبني أمية إلا عجزٌ درداء لبغت دين الله عوجاً ! وهكذا قال رسول الله ﷺ).

وفي طريقه الى مكان التجمع الموعود في المدائن ، قام الإمام ﷺ بامتحان جيشه ليكشف المطيعين له من الكاذبين ، ويثبت للناس والتاريخ حقيقة الذين استجابوا لدعوته في الظاهر ، وتحركوا معه لقتال معاوية !

ففي مقاتل الطالبين/٤٠: (وأخذ الحسن ﷺ على حمّام عمر (اسم قرية) حتى أتى دير كعب ثم بكر فزل ساباط دون القنطرة ، فلما أصبح نادى في الناس: الصلاة

جامعة ، فاجتمعوا فصعد المنبر فخطبهم فقال: الحمد لله كلما حمده حامد ،
وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد ، وأشهد أن محمداً رسول الله ،
أرسله بالحق واتممه على الوحي ، ﷺ. أما بعد ، فوالله إنني لأرجو أن أكون قد
أصبحت بحمد الله ومنتته وأنا أنصح خلقه لخلقه ، وما أصبحت محتملاً على
مسلم ضغينة ، ولا مريداً له بسوء ولا غائلة . ألا وإن ما تكرهون في الجماعة
خير لكم مما تحبون في الفرقة ، ألا وإنني ناظرٌ لكم خيراً من نظركم لأنفسكم
فلا تخالفوا أمري ولا تردوا عليّ رأيي . غفر الله لي ولكم ، وأرشدني وإياكم لما
فيه محبته ورضاه ، إن شاء الله ! ثم نزل .

قال فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا: ما ترونه يريد بما قال؟ قالوا: نظنه
يريد أن يصالح معاوية ويكل الأمر إليه ، كفر والله الرجل ! ثم شدوا على فسطاطه
فانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته ، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن
جعال الأزدي فنزع مطرفه عن عاتقه ! فبقي جالساً متقلداً سيفاً بغير رداء ! فدعا
بفرسه فركبه وأحلق به طوائف من خاصته وشيعته ومنعوا منه من أراده ، ولاموه
وضعّفوه لما تكلم به فقال: أدعوا إليّ ربيعة وهمدان فدعّوا له فأطافوا به ودفَعوا
الناس عنه ، ومعهم شوبٌ من غيرهم فلما مر في مظلم ساباط قام إليه رجل من
بني أسد ، ثم من بني نصر بن قعين يقال له جراح بن سنان وبيده مغول (سيف دقيق
يستعمل للإغتيال) فأخذ بلبجام فرسه وقال: الله أكبر يا حسن ! أشرك أبوك ثم أشركت
أنت ! وطعنه بالمغول فوقعت في فخذه فشقته حتى بلغت أرييته ! وسقط
الحسن عليه السلام إلى الأرض بعد أن ضرب الذي طعنه بسيف كان بيده واعتنقه فخرّاً
جميعاً إلى الأرض ، فوثب عبد الله بن الأخطل الطائي ونزع المغول من يد جراح
بن سنان فحضره به وأكب ظييان بن عماره عليه فقطع أنفه ، ثم أخذاه إلى الأجر

فشدخا رأسه ووجهه حتى قتله . وحُمل الحسن عليه السلام على سرير إلى المدائن وبها سعيد بن مسعود الثقفي والياً عليها من قبله وقد كان علي عليه السلام وولاه المدائن فأقره الحسن عليه السلام عليها فأقام عنده يعالج نفسه). (ونحوه في المناقب: ١٨٧/٣).

أقول: هذه صورة عن انهيار الأمة مع إمامها الحسن عليه السلام فلا هم أهل حرب ولا أهل صلح ، ولا أهل طاعة لإمامهم ، ولا خارجون عليه صراحة !

وقد يتصور البعض أن خطبته عليه السلام لم تكن في محلها ، لكنها ضرورية نظراً لذلك الظرف ونوعيات الناس في جيشه عليه السلام ، لأن ظهور حقيقتهم السلبية هنا أفضل من أن تظهر عندما يشتبك الإمام مع طليعة جيش معاوية ، التي وصلت الى مواجهة مقدمة جيشه على بعد نحو خمسين كيلو متراً ! فقد كانت مقدمته بقيادة قيس بن سعد في مسكن وهي من الدجيل ، والمكان الذي خطب وامتنحن جيشه فيه هو مظلم ساباط قرب المدائن ! أما معاوية فكان في بقية جيشه في جسر منبج قرب حلب على مسافة خمسة أيام أو ستة من المدائن !

قال المفيد رحمته الله في الإرشاد: ١١/٢: (فلما أصبح عليه السلام أراد أن يمتحن أصحابه ويستبرئ أحوالهم في الطاعة له لتمييز بذلك أوليائه من أعدائه ، ويكون على بصيرة في لقاء معاوية وأهل الشام ، فأمر أن ينادي في الناس بالصلاة جامعة فاجتمعوا فصعد المنبر فخطبهم فقال... وحُمل الحسن عليه السلام على سرير إلى المدائن فأُنزل به على سعد بن مسعود الثقفي ، وكان عامل أمير المؤمنين عليه السلام بها فأقره الحسن عليه السلام على ذلك ، واشتغل بنفسه يعالج جرحه).

ونسجل هنا ملاحظات:

الملاحظة الأولى: في حركة الجيش ومكان المعركة

أن حركة جيش الإمام الحسن عليه السلام تأخرت حتى تحرك معاوية من داخل الشام

فبعد أن وصل معاوية الى جسر منبج قرب حلب ، وجه الإمام أربعة آلاف بقيادة الكندي وأمرهم أن يربطوا في الأنبار ، أي الفلوجة داخل العراق في طريق جيش معاوية القادم من الشام ، فخان قائدهم الكندي وفرَّ الى معاوية ، وتفرق أكثر جيشه ! ثم أرسل أربعة آلاف بقيادة المرادي ، فخان المرادي واشتراه معاوية أيضاً وتفرق أكثر جيشه !

ثم تحرك الإمام عليه السلام وأرسل من الطريق عبيد الله بن العباس وقيس بن سعد في اثني عشر ألفاً هم شرطة الخميس ، فعسكروا في مسكن قرب الأنبار ، ففر عبيد الله الى معاوية ! وثبت قيس بن سعد وقاد الجيش: (وأصبح الناس ينتظرون عبيد الله أن يخرج فيصلي بهم فلم يخرج حتى أصبحوا فطلبوه فلم يجدوه ! فصلى بهم قيس بن سعد بن عبادة ثم خطبهم فثبتهم وذكر عبيد الله فنال منه ، ثم أمرهم بالصبر والنهوض إلى العدو فأجابوه بالطاعة وقالوا له: إنهم بنا إلى عدونا على اسم الله فنزل فنهض بهم). (الخرائج: ٢/٥٧٤).

وفي تهذيب الكمال: ٢٤٥/٦: (وجه إلى الشام عبيد الله بن العباس ومعه قيس بن سعد فسار فيهم قيس حتى نزل مسكن والأنبار وناحيتهما ، وسار الحسن حتى نزل المدائن ، وأقبل معاوية في أهل الشام يريد الحسن حتى نزل جسر منبج).

ومعناه أنَّ الإمام الحسن عليه السلام اتخذ معسكراً بمن معه في المدائن ، حيث واعد المتحسين بالسنتهم للحرب ، وبعث مقدمة جيشه الى مسكن قرب سامراء .

وأن معاوية اتخذ معسكراً عند جسر منبج قرب حلب ، وبعث مقدمته بقيادة بسر بن أبي أرطاة وهو أخبث قاداته فوصلوا الى مسكن ، وعسكروا مقابل جيش قيس واشتبكوا معه مناوشة . ففي تاريخ ابن عساکر: ١٤٩/٥٩: (وقدم بسر بن أبي أرطاة إليهم ، فكانت بينهم مشاورة ولم يكن قتل ولا جراح ، ثم تجاوزوا).

ومعنى هذا أن تخاذل أهل الكوفة سبب نقل مكان المعركة الى داخل العراق ، بعد أن كانت حرب صفين في الرقة داخل سورية . وأن الجيشين اللذين أرسلهما الإمام الى الأنبار أي الفلوجة قد تفككا بهروب قائديهما ، بل تذكر بعض الروايات أن الذين ثبتوا مع قيس من الإثني عشر ألفاً كانوا أربعة آلاف فقط !

قال البلاذري في أنساب الأشراف/٧٤٠: (وقام بأمر الناس بعد عبيد الله ، قيس بن سعد وقال في عبيد الله قولاً قبيحاً وذكر أخاه وما كان بينه وبين علي ، ونسب عبيد الله إلى الخيانة والغدر والضعف والجبن ، فبايع قيساً أربعة آلاف على الموت . وظن معاوية أن مصير عبيد الله قد كسر الحسن فأمر بسر بن أبي أرتاة، وكان على مقدمته وناساً معه فصاحوا بالناس من جوانب العسكر فوافوهم وهم على تعبته ، فخرجوا إليهم فضاربوهم ، واجتمع إلى بسر خلق فهزمهم قيس وأصحابه ، وجاءهم بسر من الغد في الدُّهم فاقتتلوا ، فكشف (غلب) بسرأ وأصحابه وقتل بين الفريقين قتلى) .

الملاحظة الثانية: شخصية قيس بن سعد بن عباد

كان قيس بن سعد بن عباد كأبيه سعد زعيم الخزرج وعامة الأنصار ، أوفياء لموقفهم ضد خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، وشاركوا مع علي عليه السلام بفعلالية في حرب الجمل وصفين ، ولم يشارك منهم مع معاوية إلا شخصان !

وكان موقفهم من الخلافة أنه يجب تنفيذ وصية النبي ﷺ بخلافة عترته عليه السلام لكن لما اتفقت قبائل قريش على أخذ الخلافة وإبعاد العترة ، قال سعد بن عباد نحن أولى بها من قريش التي كذبت النبي ﷺ وحاربتة ! وأرادوا بيعه سعد فجاءهم أبو بكر وعمر الى سقيفة بني ساعدة وفرضوا عليهم بيعه أبي بكر ، فاعترض سعد بشدة ، لكنه كان مريضاً فاستطاعوا بمساعدة منافسيه من الأوس أن

يعزلوه ، ثم نفاه عمر الى حوران ، وقتل بها ، فقالت الخلافة قتله الجن !
فسعد وابنه قيس مع العترة النبوية في مقابل قريش الى حد ، فهم شيعة بالمعنى العام ، وليسوا شيعة كعمار وسلمان والمقداد وحذيفة والأشتر ومحمد بن أبي بكر ، وعشرات المعتقدين بأن إمامة أمير المؤمنين عليه السلام والعترة فريضة إلهية سواء أطاعت الأمة أم عصت .

ولذلك نجد أن قيساً خالف أمير المؤمنين عليه السلام مع أنه كان والياً له على مصر ، فقد أمره عليه السلام أن يناجز عملاء معاوية وكانوا معسكراً بقيادة والي مصر السابق معاوية بن حديج السكوني ، فلم يطعه قيس بحجة أنهم ضمنوا له عدم الخروج عليه ، واعتزلوا في قرية قرب الإسكندرية ، وكتب له إن لم تعجبه سياسته أن يبعث والياً غيره ، فعزله أمير المؤمنين عليه السلام وولى محمد بن أبي بكر رضي الله عنه ! ولا بد أن قيساً عرف صحة رأي الإمام عليه السلام عندما تفاقم أمر ابن حديج ومهد لدخول جيش معاوية بقيادة ابن العاص ، فأخذوا مصر وقتلوا محمد بن أبي بكر بوحشية ! وفي نفس الوقت كان موقف قيس مع الإمام الحسن عليه السلام مشرفاً ، فقد ثبت أمام إغراء معاوية الى آخر مرحلة ، وجرت بينهم مراسلات وانتهت بلهجة شديدة جداً ، حتى (اضطر) معاوية أن يزور رسالة ويقرأها على جيشه ، زعم فيها أن قيساً أرسلها اليه ، وأنه قبل الصلح وبايعه وأنه ترحم على عثمان ! وقد تقدم في تزويرات معاوية ! والصحيح أن قيساً لم يقبل الصلح حتى أرسل له معاوية رضي الله عنه مقترناً ليشتري فيه ما شاء ، كالذي أرسله الى الإمام الحسن عليه السلام .

قال الطبري في تاريخه: ١٢٥/٤: (واشترط الحسن لنفسه ثم بايع معاوية ، وأمرت شرطة الخميس قيس بن سعد على أنفسهم وتعاهدوا هو وهم على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة علي ولعن كان اتبعه ، على أموالهم ودمائهم وما أصابوا في

الفتنة ، فخلص معاوية حين فرغ من عبد الله بن عباس والحسن إلى مكابدة رجل هو أهمُّ الناس عنده مكابدةً ومعه أربعون ألفاً(!) وقد نزل معاوية بهم وعمره وأهل الشام ، وأرسل معاوية إلى قيس بن سعد يذكره الله ويقول: على طاعة من تقاتل وقد بايعني الذي أعطيته طاعتك؟! فأبى قيس أن يلين له حتى أرسل إليه معاوية بسجلاً قد ختم عليه في أسفله ، فقال: أكتب في هذا السجل ما شئت فهو لك ! قال عمرو لمعاوية: لاتعطه هذا وقاتله ! فقال معاوية: على رسلك فإننا لا نخلص إلى قتل هؤلاء حتى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام ، فما خير العيش بعد ذلك؟! وإني والله لا أقاتله أبداً حتى لا أجد من قتاله بدأ . فلما بعث إليه معاوية بذلك السجل اشترط قيس فيه له ولشيعته عليّ الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال ، ولم يسأل معاوية في سجله ذلك مალأ ، وأعطاه معاوية ما سأل ، فدخل قيس ومن معه في طاعته). انتهى.

أقول: الصحيح أن جيش قيس كان اثني عشر ألفاً لا أربعين ألفاً ، بل ورد أن الذين ثبتوا معه وجددوا له البيعة منهم أربعة آلاف ، ويظهر أنهم طليعة الأربعين ألفاً الذين بايعوا أمير المؤمنين عليه السلام قبل شهادته على حرب معاوية حتى الموت . أما بيعته لمعاوية فكانت في الكوفة بأمر الإمام الحسن عليه السلام وحضوره .

وأضاف الطبري: ١٢٥/٤: (وكانوا يعدون دهاة الناس حين ثارت الفتنة خمسة رهط ، فقالوا ذوو رأى العرب ومكيدتهم: معاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وقيس بن سعد ، ومن المهاجرين عبد الله بن بديل الخزاعي ، وكان قيس وابن بديل مع علي عليه السلام وكان المغيرة بن شعبة وعمرو مع معاوية ، إلا أن المغيرة كان معتزلاً بالطائف حتى حكم الحكمان).

وفي مقاتل الطالبين/٤٧: (ولما تم الصلح بين الحسن ومعاوية أرسل إلى قيس

بن سعد بن عبادة يدعوه إلى البيعة ، فأتى به وكان رجلاً طويلاً يركب الفرس المشرف ورجلاه تخطان في الأرض وما في وجهه طاقة شعر ، وكان يسمى خِصْيَ الأنصار فلما أرادوا أن يدخلوه إليه قال: إني قد حلفت أن لا ألقاه إلا بيني وبينه الرمح أو السيف ! فأمر معاوية برمح أو سيف فوضع بينه وبينه ، ليبرِّ يمينه) !

الملاحظة الثالثة: لاختيار شرعياً للإمام عليه السلام إلا التنازل عن الحكم

إن موقف الإمام الحسن عليه السلام هو غاية ما يمكن فعله مع أمة صارت بين يدي إمامها كالتراب ، واستسلمت لطامعٍ فاغرٍ فاه ، تعلم أنه منافق ، وأنه وأباه ألدُّ أعداء نبيها وعترته عليهم السلام ! لقد تعب رؤساؤها فتخلوا عن العمل بالدوافع الدينية ، بل تخلوا عن أي حساب لمستقبلهم ، وصاروا يتحركون بدوافع مادية آنية فقط ! قال زيد بن وهب الجهني: (لما طعن الحسن بن علي عليه السلام بالمدائن أتيته وهو متوجع فقلت: ما ترى يا بن رسول الله فإن الناس متحIRON؟ فقال: أرى والله أن معاوية خير لي من هؤلاء ، يزعمون أنهم لي شيعة ، ابتغوا قلتي وانتهبوا قلتي ، وأخذوا مالي ، والله لئن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي ، وأومن به في أهلي ، خير من أن يقتلونني فتضيع أهل بيتي وأهلي ، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه مسلماً ! والله لئن أسالمة وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير ، أو يمن علي فيكون سنة على بني هاشم آخر الدهر ، ومنة لمعاوية لايزال يمن بها وعقبه على الحي منا والميت ! قال قلت: تترك يا بن رسول الله شيعتك كالغنم ليس لها راع؟! قال: وما أصنع يا أبا جهينة إني والله أعلم بأمر قد أدى به إلي ثقاته: أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لي ذات يوم وقد رأيته فرحاً: يا حسن أنفرح كيف بك إذا رأيت أباك قتيلاً؟! كيف بك إذا وليَ هذا الأمر بنو أمية ، وأميرها الرحب البلعوم الواسع الإغفجاج ، يأكل ولا يشبع ، يموت وليس له في السماء ناصر

ولا في الأرض عافر ، ثم يستولي على غربها وشرقها ، يدين له العباد ويطول ملكه ، يستن بسنن أهل البدع الضلال ، ويميت الحق وسنة رسول الله ﷺ يقسم المال في أهل ولايته ، ويمنعه من هو أحق به ويذل في ملكه المؤمن ، ويقوى في سلطانه الفاسق ، ويجعل المال بين أنصاره دولاً ويتخذ عباد الله خولاً يدرس في سلطانه الحق ويظهر الباطل ويقتل من ناواه على الحق ويدين من والاه على الباطل ! فكذلك ، حتى يبعث الله رجلاً في آخر الزمان وكَلْبٍ من الدهر وجهل من الناس ، يؤيده الله بملائكنه ويعصم أنصاره وينصره بآياته ، ويظهره على أهل الأرض حتى يدينوا طوعاً وكرهاً ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ونوراً وبرهاناً ، يدين له عرض البلاد وطولها ، لا يبقى كافر إلا آمن به ، ولا صالح إلا صلح ، ويصطلح في ملكه السباع ، وتخرج الأرض نبتها وينزل السماء بركتها وتظهر له الكنوز ، يملك ما بين الخافقين أربعين عاماً ، فطوبى لمن أدرك أيامه وسمع كلامه). (الاحتجاج: ٢/٢٩٠، ومعجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام رقم ٦٩٢).

أقول: يدل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على أن الظلم في الأمة سيستمر بعد بني أمية حتى يظهر الإمام المهدي عليه السلام . وقوله: يحكم أربعين سنة ، كناية عن طول مدته فقد ثبت أنه عليه السلام يحكم بعدد سني أهل الكهف ، وأن دولتهم عليه السلام تمتد الى يوم القيامة ، وتكون نَفْلَةً نوعية في الحياة على الأرض ، فلا يعود اليها الظلم .

آخر مراحل انهيار الأمة في عهد الإمام الحسن عليه السلام

صار اليوم الذي أجبر فيه المنافقون أمير المؤمنين عليه السلام على قبول إيقاف الحرب في صفين بعد أن شارف على قطف النصر ، محطة بارزة في تاريخ الأمة فقد تجمع الخوارج وأحاطوا به وهددوه بالقتل إن لم يقبل بتحكيم الحكمين ،

أو بالأحرى وتسليمه الى معاوية ! فاضطر عليه السلام الى إجابتهم !
 ففي ذلك اليوم ظهر الخوارج الذين دفعهم الأشعث بن قيس ومعاوية فأجبروا
 أمير المؤمنين عليه السلام على قبول التحكيم، ثم أفاقوا وندموا وزعموا أنهم كفروا بذلك
 وأن أمير المؤمنين عليه السلام كفر مثلهم برضوخه لإصرارهم وتهديدتهم ! فعليه أن
 يعترف بأنه كفر ويتوب ويدخل في الإسلام ليقبلوه إماماً، وإلا قاتلوه !!
 كما ظهر الاتجاه الذي يميل الى معاوية بزعامة الأشعث بن قيس ، رئيس قبائل
 كندة ، والذي اعتمد عليه معاوية وأمدّه بالمال في صفين فاشترى من استطاع من
 رؤساء القبائل وقادة جيش علي عليه السلام ، وداهن الخوارج حتى عدّ منهم !
 وبذلك تمّ فرز جيش أمير المؤمنين عليه السلام الى شيعته المخلصين لإمامته ومشروعه
 وهم أقلية ، والحزب الأموي وهم الأكثرية ، ثم حزب الخوارج وهم أقلية أيضاً !
 وقد أظهرت حادثة التحكيم نفاد مخزون الأمة للعمل مع علي عليه السلام في مشروعه
 لإعادة العهد النبوي ، وأنه لم يبق معه إلا خاصة شيعته !
 ومع أنه عليه السلام انتصر على الخوارج بعد بضعة شهور من صفين ، في معركة سريعة
 حاسمة ، لكن تيارهم في الناس كان قوياً ! ثم جاءت شهادته عليه السلام بيد ابن ملجم
 الخارجي ثأراً لهزيمتهم في النهروان ، ودفعاً لوجودهم الاجتماعي ، كما جاءت
 الفرصة للحزب الأموي ليكسب أنصاراً جديداً ، ويتحول الى تيار ينشر الوعود في
 أهل العراق، ويمنهم بحياة في حكم معاوية أفضل من حياتهم عهد علي عليه السلام !

○ ○

في ذلك الظرف السياسي كانت بيعتهم للإمام الحسن عليه السلام بالخلافة لكونه سبط
 النبي صلى الله عليه وآله وابن أمير المؤمنين علي عليه السلام اللذين شهدا ونصاً على إمامته ، لكن
 الإمام الحسن عليه السلام كان يعرف ضعف الإيمان في الأمة ، وقوة التيارين اللذين

يعملان ضده ، خاصة التيار الأموي الذي يمتاز عن الخوارج بأن له بديلاً محدداً هو خلافة معاوية ، بينما الخوارج أكثر شجاعة وفتكاً ، وإن كان لا بديل عندهم ! ولعل الأشعث وحزبه أرسلوا في اليوم الذي بايعوا فيه الإمام الحسن عليه السلام ، الى معاوية يشجعونه على التوجه الى العراق ، ليساعدوه في السيطرة عليه !

قال المفيد رحمته الله في الإرشاد: ١٤/٢: (وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالطاعة له في السر ، واستحثوه على السير نحوهم ، وضمنوا له تسليم الحسن عليه السلام إليه عند دنوهم من عسكره ، أو الفتك به ، وبلغ الحسن ذلك !) . انتهى .

فأرسل اليهم معاوية يحثهم على أن يضربوا ضربتهم في أقرب فرصة ! قال الصدوق رحمته الله في علل الشرائع: ٢٢٠/١: (دس معاوية إلى عمرو بن حريث ، والأشعث بن قيس ، والي حجر بن الحजर ، وشبث بن ربعي ، دسيساً أفرد كل واحد منهم بعين من عيونه ، أنك إن قتلت الحسن بن علي فلك مائتا ألف درهم ، وجند من أجناد الشام ، وبنات من بناتي ! فبلغ الحسن عليه السلام ذلك فاستلأم ولبس درعاً وكفراً ، وكان يحترز ولا يتقدم للصلاة بهم إلا كذلك ، فرماه أحدهم في الصلاة بسهم فلم يثبت فيه لما عليه من اللأمة ، فلما صار في مظلم ساباط ضربه أحدهم بخنجر مسموم ، فعمل فيه الخنجر فأمر عليه السلام أن يعدل به إلى بطن جريحي (المدان) وعليها عم المختار بن أبي عبيد مسعود بن قيلة ، فقال المختار لعمه: تعال حتى نأخذ الحسن ونسلمه إلى معاوية فيجعل لنا العراق ، فبدر بذلك الشيعة من قول المختار لعمه ، فهموا بقتل المختار فتلفظ عمه لمسألة الشيعة بالعفو عن المختار ففعلوا ! فقال الحسن عليه السلام: ويلكم والله إن معاوية لا يفي لأحد منكم بما ضمنه في قلبي ! وإنني أظن أنني إن وضعت يدي في يده فأساله لم يتركني أدين بدين جدي عليه السلام وأنا أنظر أن أقدر أن أعبد الله وحدي ! ولكني كأني أنظر إلى

أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم يستسقونهم ويستطعمونهم بما جعله الله لهم فلا يسقون ولا يطعمون ! فبعداً وسحقاً لما كسبته أيديكم: وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ! فجعلوا يعتذرون بما لا عذر لهم فيه ، فكتب الحسن عليه السلام من فوره ذلك إلى معاوية: أما بعد ، فإن خَطْبِي انتهى إلى اليأس من حق أحبيه ، وباطل أميته وخَطْبُكَ خطبٌ من انتهى إلى مراده، وإنني أعتزل هذا الأمر وأخليه لك ، وإن كان تخليتي إياه شراً لك في معادك ، ولي شروط أشرطها لا تهظنك إن وفيت لي بها بمعهد ، ولا تخف إن غدرت- وكتب الشرط في كتاب آخر فيه يمينه بالوفاء وترك الغدر- وستندم يا معاوية كما ندم غيرك ممن نهض في الباطل أو قعد عن الحق ، حين لا ينفع الندم ، والسلام).

ثلاث محاولات لاغتيال الإمام الحسن عليه السلام في يوم واحد !

ذكرت المصادر محاولتين لاغتيال الإمام الحسن عليه السلام وهو في طريقه بجيشه إلى جهاد معاوية ، والثالثة كانت على شكل هجوم لنهب مركز قيادته !

فقد خطب عليه السلام ليمتحن جيشه قبل الصلاة ، فصاح الخوارج بشعارهم: لاحكم إلا لله.. أشرك الحسن كما أشرك أبوه ! وساعدهم حزب معاوية وحسبوا فرصة لقتل الإمام عليه السلام ، فزموه في أثناء صلاته بسهم فلم يعمل !

قال المفيد رحمته الله في الإرشاد: ١٤/٢: (ولبس درعاً وكفراًها غطاهما) وكان يحترز ولا يتقدم للصلاة بهم إلا كذلك ، فرماه أحدهم في الصلاة بسهم فلم يثبت فيه ، لما عليه من اللأمة (لباس الحرب). ومعناه أن أحدهم رماه بسهم وهو يصلي إماماً فأصاب الدرع التي تحت ثيابه ولم ينفذ إلى بدنه ، ففشلت محاولتهم !

ثم أشاعوا خبراً كاذباً بأن قيس بن سعد قائد مقدمة جيش الإمام عليه السلام قد اشتبك

مع جيش معاوية وقُتل ! ونادوا في الغوغاء أن يتفرقوا وحرّكهم فيهم غريزة الغارة والنهب والفرار من المعسكر فذهبوا ما تصل اليه أيديهم ، ووصلوا الى سراقق الإمام الحسن عليه السلام وكانوا غير مسلحين وأخذوا ينهاون الأمتعة ! فأمر الإمام عليه السلام بعدم مقاومتهم ! ولابد أنهم دسوا بينهم من يتحين الفرصة لقتل الإمام عليه السلام لكنهم رأوه متقلداً سيفه مراقباً ساكناً ، وقد أحاط به بعض شيعته !

وتركهم الإمام عليه السلام حتى أكملوا نهيبهم فأمر الإمام عليه السلام بالمسير ، فدبروا له كميناً في النفق المسقوف (مظلم ساباط) ! قال البلاذري في أنساب الأشراف/٣٣٨: (ثم سار الحسن فأتى دير كعب فبات به ، ثم سار حتى أتى ساباط المدائن فنزل دون جسرها مما يلي ناحية الكوفة ، فخطب الناس فقال: إني أرجو أن أكون أنصح خلف لخلقه، وما أنا محتمل على أحد ضغينة ولا حقداً ولا مريدٌ به غائلة ولا سوءاً . ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة ، ألا وإني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم ، فلا تخالفوا أمري ، ولا تردوا عليّ ، غفر الله لي ولكم . فنظر بعض الناس إلى بعض وقالوا: عزم والله على صلح معاوية وضعف وخار ، وشدوا على فسطاطه فدخلوه وانتزعوا مصلاه من تحته وانهبوا ثيابه ! ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي جعال الأزدي ، فنزع مطرفه عن عاتقه فبقى متقلداً سيفه (فدهش ثم رجع ذهنه) فركب فرسه وأطاف به الناس فبعضهم يعجزّزه ويضعّفه ، وبعضهم ينحّي أولئك عنه ويمنعهم منه !

وانطلق رجل من بني أسد بن خزيمة من بني نصر بن الهون بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد ، ويقال له الجرجاح بن سنان وكان يرى رأي الخوارج ، إلى مظلم ساباط فقعد فيه ينتظره ، فلما مرّ الحسن به دنا من دابته فأخذ بلجامها ، ثم أخرج مغولاً كان معه وقال: أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل !

وطعنه بالمغول في أصل فخذة فشق في فخذة شقاً كاد يصل إلى العظم ، وضرب الحسن وجهه ثم اعتنقا وخرّاً إلى الأرض ووثب عبد كلام بن الحمل الطائي وبعضهم يقول عبد الله بن الحصل فنزع المغول من يد الجراح ، وأخذ ظبيان بن عمارة التميمي بأنفه فقطعه ، وضرب يده إلى قطعة آجرة فشدخ بها وجهه ورأسه حتى مات). انتهى.

أقول: وقد وضعنا عبارة (فدهش ثم رجع ذهنه) بين قوسين ، لأن من يعرف الإمام الحسن عليه السلام لا يمكن أن يوافق عليها ، بل يعرف أنه عليه السلام تعمد السكوت ليسرقوا ما بدا لهم وحفظ نفسه منهم ، وقد يكون وضع حرساً قريباً منه ! ويدل الكمين الذي احتاجوا اليه لاغتياله أنه كان محروساً متيقظاً في موجة نهيم لسرادقه ، في تلك المنطقة التي أقام فيها ثلاثة أيام !

ويظهر أن محاولة اغتياله جرت في نفس اليوم الذي رموه فيه بسهم ، فكمن له الشقي الجراح بن سنان في السباط ، وهو نفق مسقف طويل .

قال الحموي في معجم البلدان: ١٥٢/٥: (مظلم: يقال له مظلم سباط مضاف إلى سباط التي قرب المدائن: موضع هناك ، ولا أدري لم سمي بذلك) . انتهى.

لكن الحموي لم يقرأ ما كتبه الطبري في تاريخه: ٨٠/٣ ، يصف جيش فتح العراق: (فكان أول من خاض المخاضة هاشم بن عتبة في رجله ... ثم ساروا حتى انتهوا إلى مظلم سباط ، فأشفق الناس أن يكون به كمين للعدو ، فتردد الناس وجنوا عنه ، فكان أول من دخله بجيشه هاشم بن عتبة ، فلما أجاز ألواح للناس بسيفه ، فعرف الناس أن ليس به شئ تخافونه ، فأجاز بهم خالد بن عرفة ، ثم لحق سعد بالناس حتى انتهوا إلى جلولاء وبها جماعة من الفرس ، فكانت وقعة جلولاء بها ، فهزم الله الفرس وأصاب المسلمون بها من الفئ أفضل مما أصابوا بالقادسية).

فـ(مظلم ساباط)بناء فوق الأرض ، وهو إسم فارسي معناه السباط المظلم فهم يقدمون الصفة على الموصوف ، وظلمته لطوله وعدم وجود نوافذ فيه وكان موجوداً في الفتح الإسلامي ، ولم يكن موجوداً في عصر الحموي في القرن السابع ، فبقي إسمه على مكانه . وقد كمن الشقي في آخر السباط على ظهر فرسه حتى إذا وصل الإمام عليه السلام حاذاه وشكه بالمغول ، وهو سيف دقيق لا يصلح للضرب بل يغرز المغتال غرزاً في بدن المغدور ! ولا بد أنه استهدف صدر الإمام عليه السلام أو بطنه ولكنه قاومه فوقعت الشكة في فخذه . بل تدل الرواية التالية على أن الإمام عليه السلام ضربه بالسيف (الخرائج:٥٧٤/٢) ثم منعه من الفرار وأمسكه بلحيته ولوى عنقه وأسقطه على الأرض على رأسه ، فتمسك به الشقي فسقطا عن فريسيهما معاً ! ففي تاريخ اليعقوبي:٢/٢١٥: (فركب الحسن فرساً له ومضى في مظلم ساباط ، وقد كمن الجراح بن سنان الأسدي ، فجرحه بمعول في فخذه ، وقبض على لحية الجراح ، ثم لواها فدق عنقه . وحمل الحسن إلى المدائن وقد نزف نزفاً شديداً). وفي كشف الغمة:٢/١٦٢: (وخرّاً جميعاً إلى الأرض ، فأكب عليه رجل من شيعة الحسن عليه السلام فقتله بمغوله ، وقُتل معه شخص آخر كان معه) . ونسجل هنا ملاحظات:

الملاحظة الأولى

قد يقال: لماذا أرسل الإمام الحسن عليه السلام عمدة شيعته المخلصين ، وهم شرطة الخميس مقدمة لجيشه ، وكان عددهم اثني عشر ألفاً وفيهم أبطال الإسلام وقادة الفتوح الكبرى ، وسار هو مع أخلاط الناس الذين يكثر فيهم الخوارج وعملاء معاوية ، ولم يشدد حراسته مع علمه بأن حياته مستهدفة؟ قال في تهذيب الكمال:٦/٢٤٥/ (فسار الحسن إلى أهل الشام ، وجعل على مقدمته قيس بن سعد في اثني

عشر ألفاً ، وكانوا يسمون شرطة الخميس).

والجواب: أنه كان المناسب للإمام الحسن عليه السلام أن يرسل فرقة قوية من جيشه لمواجهة تقدم معاوية ، ويبقى هو مدداً لهم يحث الناس على الإلتحاق به للجهاد ولذا بقي عشرة أيام في معسكر النخيلة .

على أن الفرق ليس كبيراً بين من رافقهم الإمام عليه السلام وبين شرطة الخميس ! فمعه قبائل ربيعة وهمدان وهم أكثر القبائل إخلاصاً له ، وقد دعاهم عندما لزم الأمر فكانوا حوله . قال الإربلي في كشف الغمة: ١٦٢/٢: (وشدوا على فسطاطه فانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته ! ثم شد عليه رجل يقال له عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدي فترع مطرفه عن عاتقه ، فبقي جالساً متقلداً السيف بغير رداء ! ثم دعا بفرسه فركبه وأحرق به طوائف من خاصته وشيعته ومنعوا منه من أراذه ، ودعا ربيعة وهمدان فأطافوا به ومنعوه ، فسار ومعه شوب من غيرهم . فلما مر في مظلم ساباط....) انتهى. هذا ، مضافاً الى أن غرض الإمام عليه السلام أن يكشف للأجيال حالة الأمة في عصره ، وغلبة غوغائها على قراراتها !

الملاحظة الثانية

يحتمل أن يكون الخوارج وراء محاولة اغتيال الإمام عليه السلام الأخيرة ، لكن المرجح أن يكون وراءها الحزب الأموي ، خاصة بعد أن أرسل معاوية الى عدد من رؤساء القبائل وقادة الجيش يحثهم على قتل الإمام عليه السلام ، وعين لهم جائزة مغرية على ذلك ! لذلك لا نظمن الى ما ذكره المؤرخون من أن الشقي الذي ضرب الإمام عليه السلام كان خارجياً ، وقد تتبع ت ترجمته فلم أجد ما يؤيد ذلك . وينبغي أن تعرف أن بني أمية ورواتهم دأبوا على تبرئة الخليفة الأموي وولاته ما استطاعوا ، وإلقاء مسؤولية جرائمهم على عاتق الخوارج ! وكذلك الأمر في الذي

رمى الإمام بسهم وتستر الرواة على اسمه ! وكذلك الذين نادوا في معسكر الإمام (قتل قيس بن سعد) ودعوا الناس الى التفرق والنهب ! فالمرجح أنهم أمويون !

الملاحظة الثالثة

ذكرت المصادر موقفاً خائناً للمختار الثقفي ، حيث اقترح على عمه سعد بن مسعود الثقفي وكان عامل الإمام الحسن عليه السلام على المدائن أن يسلم الإمام عليه السلام أسيراً الى معاوية ، ليجعله حاكماً للعراق كله أو يعطيه خراج منطقة منه ، فرفض عمه ذلك وفضح سر ابن أخيه ووبّخه ! قال البلاذري في أنساب الأشراف/٧٣٨: (فأشار عليه المختار أن يوثقه ويسير به إلى معاوية على أن يطعمه خراج جوخي سنة ، فأبى ذلك وقال للمختار: قبح الله رأيك أنا عامل أبيه وقد ائتمني وشرفني ! وهبني نسيت بلاء أبيه أن أنسى رسول الله صلى الله عليه وآله ولا أحفظه في ابن ابنته وحبيبه؟! ثم إن سعد بن مسعود أتى الحسن بطبيب وقام عليه حتى برئ وحوّله إلى أبيض المدائن). انتهى. وأبيض المدائن: قصر كسرى والمدائن عاصمته ، وما زالت بقية طاق كسرى الضخمة موجودة الى الآن .

وهذا العمل من المختار يدل على أنه كان رجلاً دنيوياً ولم يكن متديناً ولا شيعياً ! وقد يكون تشيع فيما بعد ، والمتيقن عندي أنه شيعي بالمعنى العام وأن الأئمة عليهم السلام لم يؤيدوا حركته بل أيدوا أخذه بثأر الإمام الحسين عليه السلام وحثوه على ذلك ، وقد ورد الترحم عليه عن الإمام الصادق عليه السلام فعسى الله أن يرحمه .

وينبغي الالتفات الى كثرة المكذوبات الأموية والزبيرية على المختار عليه السلام فقد تعمّدوا تشويه صورته ونسبوا اليه أنه ادعى الإمامة والنبوة ، ونشروا ذلك بين الناس وما زال يملأ مصادرهم ، ويتناقله رواثهم على أنه حقائق !

الملاحظة الرابعة

الظاهر أن الأحداث بدأت بخطبة الإمام الحسن عليه السلام ثم صلى بهم فرموه بسهم وهو يصلي ، ثم نادوا في معسكره ودعوا الناس الى التفرق والنهب ، ثم هدأهم وسار بهم فحاولوا اغتياله في السباط فحملوه على سرير الى المدائن حيث عالج ضربته ، وأدار المفاوضات مع معاوية حتى استكملها ، ثم رجع الى الكوفة ، وبعد أيام وصل معاوية الى الكوفة .

وقد خلط بعض الرواة والمؤرخين في تسلسل هذه الأحداث وأمكنتها ، فجعلها بعضهم كلها في المدائن... (راجع: الطبري: ١٢١/٤ ، والبر للذهبي: ٢٤/١ ، وسير أعلام النبلاء: ٣/ ١٤٥/ ، و٢٦٣ ، وتاريخ ابن عساكر: ٢٦٢/١٣ ، وتهذيب الكمال: ٢٤٤/٦ ، والكمال لابن الأثير: ٣٠٣/ ٢٧١ ، ومقاتل الطالبين: ٤١/ ، وتاريخ يعقوبي: ٢/ ٢١٥ ، وأنساب الأشراف: ٧٣٩ ، وكشف الغمة: ٢/ ١٦٢).

ما روي عن خيانة بعض قادة الجيش ورؤساء القبائل

في الخرائج والجرائح: ٥٧٤/٢: (ثم وجه إليه قائداً في أربعة آلاف ، وكان من كندة ، وأمره أن يعسكر بالأنبار ولا يحدث شيئاً حتى يأتيه أمره . فلما توجه (القائد الكندي) إلى الأنبار ونزل بها وعلم معاوية بذلك بعث إليه رسلاً ، وكتب إليه معهم: إنك إن أقبلت إلي وليتك بعض كور الشام أو الجزيرة غير منفس عليك . وأرسل إليه بخمسمائة ألف درهم ، فقبض الكندي المال وقلب على الحسن عليه السلام وصار إلى معاوية ، في مائتي رجل من خاصته وأهل بيته !

وبلغ الحسن عليه السلام فقام خطيباً وقال: هذا الكندي توجه إلى معاوية وغدر بي وبكم وقد أخبركم مرة بعد أخرى أنه لا وفاء لكم ، أنتم عبيد الدنيا ! وأنا موجةٌ رجلاً آخر مكانه وأنا أعلم أنه سيفعل بي وبكم ما فعل صاحبه...!

فبعث إليه رجلاً من مراد في أربعة آلاف ، وتقدم إليه بمشهد من الناس وتؤكد

عليه وأخبره أنه سيفدر كما غدر الكندي ، فحلف له بالآيمان التي لا تقوم لها الجبال أنه لا يفعل ! فقال الحسن عليه السلام: إنه سيفدر ! فلما توجه إلى الأنبار أرسل معاوية إليه رسلاً ، وكتب إليه بمثل ما كتب إلى صاحبه ، وبعث إليه بخمسمائة ألف درهم ومناه أي ولاية أحب من كور الشام أو الجزيرة ، فقلب على الحسن عليه السلام وأخذ طريقة إلى معاوية ولم يحفظ ما أخذ عليه من العهد... ! ثم كتب معاوية إلى الحسن عليه السلام: يا ابن عم لا تقطع الرحم الذي بيني وبينك فإن الناس قد غدروا بك وبأيك من قبلك فقالوا: إن خانك الرجلان وغدرا فإننا مناصحون لك ! ثم إن الحسن عليه السلام أخذ طريق النخيلة فعسكر عشرة أيام ، فلم يحضره إلا أربعة آلاف...). (فأما معاوية فإنه وافى (أي مقدمة جيشه بقيادة بسر بن أرطاة) حتى نزل قرية يقال لها الحلوبية بمسكن ، وأقبل عبيد الله بن عباس حتى نزل بإزائه ، فلما كان من غد وجه معاوية بخيله إليه فخرج إليهم عبيد الله فيمن معه ، فضربهم حتى ردهم إلى معسكرهم ، فلما كان الليل أرسل معاوية إلى عبيد الله بن عباس أن الحسن قد راسلني في الصلح وهو مسلم الأمر إليّ ، فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً وإلا دخلت وأنت تابع ، ولك إن أجبتني الآن أن أعطيك ألف ألف درهم أعجل لك في هذا الوقت نصفها ، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر ، فانسأل عبيد الله إليه ليلاً فدخل عسكر معاوية ، فوفى له بما وعده !

وأصبح الناس ينتظرون عبيد الله أن يخرج فيصلى بهم ، فلم يخرج حتى أصبحوا فطلبوه فلم يجدوه ! فصلى بهم قيس بن سعد بن عبادة ، ثم خطبهم فثبتهم وذكر عبيد الله فقال منه ، ثم أمرهم بالصبر والنهوض إلى العدو فأجابوه بالطاعة وقالوا له: إنهض بنا إلى عدونا على اسم الله فتزل فنهض بهم . وخرج إليه بسر بن أرطاة فصاح إلى أهل العراق: ويحكم ! هذا أميركم عندنا قد باع

وإمامكم الحسن قد صالح فعلاً تقتلون أنفسكم ! فقال لهم قيس بن سعد: اختاروا إحدى اثنتين ، إما القتال مع غير إمام وإما أن تبايعوا بيعة ضلال ، فقالوا: بل نقاتل بلا إمام ، فخرجوا فضربوا أهل الشام حتى ردوهم إلى مصافهم .

فكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعوه ويمنيه فكتب إليه قيس: لا والله لا تلقاني أبداً ، إلا بيني وبينك الرمح ! فكتب إليه معاوية حينئذ لما ينس منه: أما بعد فإنك يهودي ابن يهودي ، تشقي نفسك وتقتلها فيما ليس لك ، فإن ظهر أحب الفريقين إليك نبذك وغدرك وإن ظهر أبغضهم إليك ، نكل بك وقتلك ، وقد كان أبوك أوتر غير قوسه ورمى غير غرضه ، فأكثرَ الحزَّ وأخطأَ المفصل فخذله قومه وأدركه يومه ، فمات بحوران طريداً غريباً . والسلام .

فكتب إليه قيس بن سعد: أما بعد فإنما أنت وثن ابن وثن ، دخلت في الإسلام كرهاً وأقمت فيه فرقاً وخرجت منه طوعاً ، ولم يجعل الله لك فيه نصيباً ، لم يقدِّم إسلامك ولم يحدث نفاقك ، ولم تزل حرباً لله ولرسوله وحزباً من أحزاب المشركين ، وعدواً لله ولنبيه وللمؤمنين من عباده .

وذكرت أبي ، فلعمري ما أوتر إلا قوسه ولا رمى إلا غرضه ، فشغب عليه من لا يشق غباره ولا يبلغ كعبه ! وزعمت أني يهودي ابن يهودي ، وقد علمت وعلم الناس أني وأبي أعداء الدين الذي خرجت منه ، وأنصار الدين الذي دخلت فيه وصرت إليه . (والسلام). (شرح النهج: ٣٣/١٦ ومقاتل الطالبين/ ٤١ ، وأنساب الأشراف/ ٧٣٨).

أقول: حاول بعض المؤلفين الدفاع عن عبيد الله بن العباس ، والقول بأنه استقال من قيادة الجيش ولم يلتحق بمعاوية ، ولكن الظاهر يأباه وإطباق النصوص ! وكذلك الدفاع عن ذلك الجيل من أهل الكوفة بعمومه ، أمر غير ممكن !

وفي الوقت الذي كان الإمام الحسن عليه السلام في المدائن ، وكان يرأسل معاوية في شروط الصلح.. نقلوا أن عدداً من رؤساء القبائل ذهبوا الى معاوية في جسر منبج قرب حلب فبايعوه ! قال البلاذري وغيره: (وجعل وجوه أهل العراق يأتون معاوية فبايعونه ، فكان أول من أتاه خالد بن معمر فقال أبايك عن ربيعة كلها ففعل ! وبايعه عفاق بن شرحبيل بن رهم التيمي ، فلذلك يقول الشاعر:

فإنك لولا خالد لم تؤمّر معاوي أكرم خالد بن معمر

وبلغ ذلك الحسن فقال: يا أهل العراق ، أنتم الذين أكرهتم أبي على القتال والحكومة ثم اختلفتم عليه ، وقد أتاني أن أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية فبايعوه، فحسبي منكم لاتغروني في ديني ونفسي). (مقاتل الطالبين/٤٧ وأنساب الأشراف/٧٣٩) وقال الثقيفي في الغارات: ٧٩١/٢: (كانت راية ربيعة كوفيتها وبصريتها مع خالد بن معمر). وروى في الإصابة: ٢/٢٩٩، بيعته لمعاوية ، وفي تاريخ دمشق: ١٦/٢٠٥، أنه هو الذي غدر بالحسن بن علي وبايع معاوية... وقال في: ١٠/٣١١: (كان خالد ممن سعى على الحسن بن علي عليه السلام وقال لمعاوية أنا أكفيك ربيعة كلها ، وقام بأمرها فلما استقام أمره جفاه). انتهى.

لكن النعمان المغربي عدّه ممن التحق بمعاوية في عهد علي عليه السلام قال: (والتحق أيضاً بمعاوية خالد بن معمر في عامة بني سدوس لأمر نقمه على علي صلوات الله عليه ، ولقدرة ، وكثرة من جاء به إلى معاوية من قومه . وممن هرب عن علي صلوات الله عليه إلى معاوية من مثل هؤلاء كثير من وجوه العرب ورؤسائهم ، ومن أهل البأس والنجدة والرياسة في عشائهم ، لما اتصل عن معاوية من بذله الأموال ، وإفضاله على الرجال ، وإقطاعه القطائع مثل إطعامه عمرو بن العاص خراج مصر ، وإقطاعه ذا الكلاع ، وحبيب بن سلمة ، ويزيد بن حجة ، وغيرهم

ما أقطعهم وأنالهم إياه ، وعلموا ما عند علي عليه السلام من شدته على الخائن ، وقمعه الظالم ، وعدله بين الناس ، واسترجاعه ما أقطعه عثمان ، وفشى ذلك عنه ، وتفاوض أهل الطمع وقلة الورع فيه حتى قال خالد بن المعمر للعباس (العباء) بن الهيثم: إتق الله في عشيرتك وانظر في نفسك! ما تؤمل من رجل سألته أن يزيد في عطاء ابنه الحسن والحسين دريهمات لما رأيته من حالتهما فأبى عليّ ، وغضب من سؤالي إياه ذلك ! فكان ذلك مما تهياً به لمعاوية ما أراده ، وهو في ذلك مذموم غير مشكور بل مأثوم مأزور ، ومما امتحن الله به علياً عليه السلام وهو فيه محمود مشكور مثاب مأجور وفيما منع منه معذور ! على أن أكثر من نزع عن علي عليه السلام ولحق بمعاوية لم يكونوا جهلوا فضل علي عليه السلام ولا غيبي عنهم نقص معاوية ، ولكنهم إنما قصدوه للدنيا التي أرادوها وقصدوها). (شرح الأخبار: ٩٦/٢).

أقول: يظهر أن مشكلة ابن معمر ورؤساء القبائل كانت مساواة علي عليه السلام بين المسلمين ، فالتحق خالد بن معمر بمعاوية ، لكن قبيلته ربيعة لم تستجب له بل بقيت وفية لأهل البيت عليهم السلام فعندما تحركت الغوغاء للنهب في جسر ساباط قال الإمام الحسن عليه السلام: (أدع لي ربيعة وهمدان؟) (مقاتل الطالبين/ ٤٠).

وذكر الثقفى في الغارات: ٧٩١/٢، أن رئيس ربيعة هو الحضيض بن المنذر . ومعنى ذلك أن خالد بن معمر التحق بمعاوية في عهد علي عليه السلام فلم تطعه قبيلته والتفت حول رئيسها الشيعي الحازم ابن المنذر فرجع خالد إليها ، ثم التحق بمعاوية نضاً في عهد الإمام الحسن عليه السلام . كما أن ابن معمر كان يمدح علياً عليه السلام معاوية ولذلك قرر معاوية قتله !

بدان لليعقوبي ٤٦٧: (وولى معاوية خالد بن معمر السدوسي خراسان فسار دس إليه زياد سماً فمات ولم يصل إلى خراسان) !

وفي إكمال الكمال: ٢٧٠/٧: (فولاه أرمينية فوصل إلى نصيبين فيقال إنه احتيل له شربة سم فمات فقبره بها). انتهى. وزیاد لا یجرؤ على ذلك بدون أمر معاوية !
أما قبلته ربيعة فبقيت وفيه لرئيسها ابن المنذر الذي كان مميزاً بعقله حتى أن معاوية يحب أن يتشاور معه ، قال البلاذري في أنساب الأشراف/٧٤٤: (فكان حضيض بن المنذر الرقاشي أبو ساسان يقول: ماوفى معاوية للحسن بشئ مما جعل! قتل حجراً وأصحابه وبائع لابنه ولم يجعلها شوري ، وسمّ الحسن). انتهى.

وأما عفاق بن شرحبيل الذي عده البلاذري من وجوه العراق فقال: (وجعل وجوه أهل العراق يأتون معاوية فيبايعونه ، فكان أول من أتاه خالد بن معمر فقال أبايعك عن ربيعة كلها ففعل . وبايعه عفاق بن شرحبيل بن رهم التيمي) (أنساب الأشراف/٧٣٩) ، فهو من بني تيم وليس من بني تميم ولا رئيسهم ، بل رئيسهم يزيد بن حجية الذي سرق خراج الري في عهد علي عليه السلام وهرب الى معاوية ، فدعا عليه علي عليه السلام وتعصب له عفاق فضربه الناس وأنقذه منهم علي عليه السلام ووهبه لابن عم له! (أنساب الأشراف/٤٥٩). قال ابن حبان في ثقاته: ٢٩٨/٢: (فلما دخلت السنة التاسعة والثلاثون استعمل عليّ يزيد بن حجية التيمي على الري ثم كتب إليه بعد مدة أن أقدم فقدم على علي فقال له: أين ما غللت من مال الله ؟ قال: ما غللت ! فخفقه بالدرّة خفقات وحبسه في داره فلما كان في بعض الليالي قرّب يزيد البواب وماحلّه ، ولحق بالركة وأقام بها حتى أتاه إذن معاوية ! فلما بلغ علياً لحوقه معاوية قال: اللهم إن يزيد أذهب بمال المسلمين ولحق بالقوم الظالمين، اللهم فاكفنا مكره وكيده) .

وفي تاريخ دمشق: ١٤٧/٦٥: فقال: اللهم إن ابن حجية هرب بمال المسلمين وناصبنا مع القوم الظالمين ، اللهم أكفنا كيده واجزه جزاء الغادرين ، فأمن

القوم . فقال عفاق بن أبي رهم التيمي: ويلكم تؤمنون على ابن حجية ، سُلتَ أيديكم ! فوثب عليه عنق من الناس فضربوه ، فاستنقذه زياد بن خصفة التيمي) .
وفي شرح النهج: ٨٥/٤: (فقال: تربت أيديكم ، أعلى أشرافنا تدعون ! فقاموا إليه فضربوه حتى كاد يهلك ، وقام زياد بن خصفة وكان من شيعة علي فقال: دعوا لي ابن عمي فقال علي: دعوا للرجل ابن عمه ، فتركه الناس فأخذ زياد بيده فأخرجه من المسجد). انتهى.

فعفاق وابن حجية تيمان كانا مع معاوية من زمن علي عليه السلام !
فهذا يدل على أن رواياتهم عن خيانة رؤساء القبائل بهروبهم الى معاوية غير دقيقة ، بل دخلت فيها إشاعات معاوية ، والذي هرب بعض قادة الجيش فقط !
والصحيح ما رواه المفيد رحمته الله في الإرشاد: ١٤/٢: (وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالطاعة له في السر واستحثوه على السير نحوهم وضمنوا له تسليم الحسن عليه السلام إليه عند دنوهم من عسكره ، أو الفتك به ، وبلغ الحسن ذلك!....).

حكم أهل البيت عليهم السلام استثناءً من السياق الطبيعي للتاريخ !

يوجد قانون للتناسب بين حالة الأمة ونوع قيادتها ، وأن قيادة المجتمع ناتجة لمعادلة مركبة من مجموع الخير والشر والهدى والضلال الموجود في ذلك المجتمع . ولا ندرى كيف تتم حسابات هذه المعادلة .
أما قيادة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام فلها قانونها الخاص .

ويمكن الاستدلال لقانون التناسب المذكور بالحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (كما تكونوا يولى عليكم ، أو يؤم عليكم) ، وهذا الحديث وإن لم يصح سنده عند أحد كشف الخفاء: ١٤٦/١ و ١٢٦/٢) لكن مضمونه صحيح ، وهو قريب مما

ثبت عن علي عليه السلام: (لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم). (نهج البلاغة: ١٧٧/٣).

وفي الكافي: ٥٦/٥: عن الإمام الرضا عليه السلام: (لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم). انتهى.

وعليه ، فالأمة عندما نكثت بيعتها لعلي عليه السلام يوم الغدير ، وخالفت وصايا النبي صلى الله عليه وآله المتكررة بعلي وعترته أهل بيته عليه السلام لم تكن تستحق قيادة أفضل من زعامة قبائل قريش ! وقد استمرت هذه الحالة حتى طفح كيل الأمويين في عهد عثمان وكظأ الأمة ظلمهم والجوع ، فاتجهت جماهيرها الى أهل البيت النبوي هاتفة: لا نبائع إلا علياً ، مالها غيرك يا أبا الحسن ! وهذا يعني أن مضمون الخير في الأمة ارتفع الى مستوى استحققت به أن تطيع نبيها صلى الله عليه وآله ، فيقودها علي عليه السلام !

ومن المحتمل أن تكون حالتها تلك استثناء طلبه النبي صلى الله عليه وآله من ربه ، فقد أخبر علياً عليه السلام بأن الأمة ستغدر به بعده ، ثم يأتي يوم تطلب منه أن يتولى أمرها !

ومهما يكن ، فإننا نتعجب عندما نجد أن عامة الصحابة وأهل الحل والعقد في الأمة ، نعموا على ظلم عثمان وتسليطه بني أمية على رقاب المسلمين ، وطالبوه أن يعزل نفسه فلم يفعل ، فقتلوه وجاؤوا بعلي عليه السلام منقذاً لهم من تسلط بني أمية.. ثم لم يمض إلا وقت قصير من حكم علي حتى حنوا الى ظلم بني أمية وناصروا معاوية على علي عليه السلام مع أنهم شهدوا جميعاً بعدالة علي وظلم معاوية وبني أمية ! وقد بلغ من هوس رؤساء قبائلهم وقادة جيوشهم وشوقهم الى ظلم بني أمية أنهم أخذوا يعملون جدياً لقتل علي عليه السلام ثم لقتل الحسن عليه السلام ونجل علي وسبط النبي صلى الله عليه وآله أو أسره وتسليمه وتسليم الأمة الى معاوية !

فما معنى هذا التحول ضد بني أمية وقريش ، ثم هذه الرجوع السريع اليهم !؟

يمكن أن نقول بميزان المعادلات والقوى السياسية:

إن قريشاً وبني أمية كانوا متجذرين مادياً في أجهزة الدولة ، وكان لهم في البلاد المختلفة نفوذهم وصنائعهم وبعض الجمهور ، فاستطاعوا أن يعملوا ضد علي عليه السلام ويثبتوا عليه حملة مضادة ، ويستعيدوا الخلافة التي (صادرها) الصحابة منهم وأعطوها الى بني هاشم ، ويعيدوا الاعتبار للخليفة الأموي (المظلوم) عثمان ! نعم هذا صحيح ، ولكن عمق القضية هو قانون التناسب بين الأمة وقيادتها ، ومنطقة: أن الأمة أفاقت على غير عاداتها وصعدت نفعتها على عثمان وبني أمية ، كما أفاقت على وصية نبيها صلى الله عليه وسلم بكتاب الله وعترته عليه السلام ، فانتزعت الخلافة من عثمان وقدمتها على طبق الولاء لعلي عليه السلام ، لكنها لما رأت أن مشروع علي عليه السلام لإعادة العهد النبوي كلفها حرب الجمل ، ثم حرب صفين المهولة ، أعادت حسابها في صفين.. فرأت أن الأسهل عليها آتياً أن تصرف النظر عن الحكم النبوي الباهظ التكاليف ، وترضى بحكم قبلي أموي علماني ، وليكن ما يكون في المستقبل ، مما يحذرهما منه علي عليه السلام وأحذرهما منه النبي صلى الله عليه وسلم !

إن هذا القرار في لا وعي الأمة يعني انتهاء فترة الوعي واليقظة التي أطاحت بعثمان وجاءت بعلي عليه السلام ويعني أن الأمة عادت الى التفكير الآني دون المستقبلي والى التفكير بالمعادلة المادية ، والإعراض عن التفكير بمعادلة إسلامية !

وهذا يدل على أن استحقاقها لعلي عليه السلام انتهت مدته ! فيجب أن يُرفع من بينها ، ويبقى مشروعه محفوظاً مخزوناً في ذاكرتها ليوم ما ! ومعناه أن دور الإمام الحسن بعد أبيه عليه السلام ، في واقعه دور تسلّم وتسليم لما قرّره الأمة في صفين ! واقتضاه قانون التناسب الرباني بين المستوى الإيماني في الأمة ونوعية قيادتها .

كما يمكن وصف دور عليه السلام بأنه دور العمل لحفظ المخزون النبوي الذي حققه

والده ﷺ، وفتحُ به باب العودة للأمة اليه عندما تكظها مجدداً أنياب بني أمية !
 أما (يقظة) الخوارج وتحفزهم لقتال علي ومعاوية والناس أجمعين ! فهي
 أشبه بإفاقة المصروع ، لأن أذهانهم تشبه "موتور" سيارة يدور بالعكس ! فهم
 مقاتلون محترفون يريدون الحق والدين لكن بفهمهم العامي الخشن ، ويرفضون
 دولة معاوية القبلية العلمانية ، لكن من أجل إثبات ذاتهم بدلها ، وليس من أجل
 تحقيق العدالة الإسلامية حسب النص القرآني والحديث النبوي !
 وقد تقدم تحليل حالتهم في المجلد الأول .

مفاوضات الصلح بين المدائن وحلب !

استقر الإمام الحسن عليه السلام في المدائن (نحو ٥٠ كلم عن بغداد) يدأوي جرحه البليغ في فخذه ، وينتظر توافد الذين وعدوه بالحرب معه فواعدهم المدائن ، وأخذت الأخبار تأتية بانتهيار الأمة أمام الموجة الإعلامية والسياسية لبني أمية ، وأنه لم يصمد من جيشه إلا قيس بن سعد في بضعة آلاف مقاتل في منطقة الدجيل ، مقابل جيش معاوية بقيادة بسر بن أرطاة ! (وورد عليه كتاب قيس بن سعد رضي الله عنه.... فازدادت بصيرة الحسن عليه السلام بخذلان القوم له وفساد نيات المُحكِّمة فيه (الخوارج) بما أظهره له من السب والتكفير واستحلال دمه ونهب أمواله ، ولم يبق معه من يأمن غوائله إلاخاصةً من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وهم جماعة لا تقوم لأجناد الشام ، فكتب إليه معاوية في الهدنة والصلح ، وأنفذ إليه بكتب أصحابه الذين ضمنوا له فيها الفتك به وتسليمه إليه ! واشترط له على نفسه في إجابته إلى صلحه شروطاً كثيرة ، وعقد له عقوداً كان في الوفاء بها مصالح شاملة ، فلم يثق به الحسن عليه السلام وعلم احتياله بذلك واغتياله ، غير أنه لم يجد بداً من إجابته إلى ما التمس من ترك الحرب وإنفاذ الهدنة ، لما كان عليه أصحابه مما وصفناه من ضعف البصائر في حقه والفساد عليه والخلف منهم له ، وما انطوى كثير منهم عليه في استحلال دمه وتسليمه إلى خصمه ، وما كان في خذلان ابن عمه له ومصيره إلى عدوه وميل الجمهور منهم إلى العاجلة وزهدهم في الآجلة). (الإرشاد: ١٤/٢)

وفي سير أعلام النبلاء: ٢٧٧/٣: (ومن الإستيعاب لأبي عمرو قال: سار الحسن إلى معاوية وسار معاوية إليه ، وعلم أنه لا تغلب طائفة الأخرى حتى تذهب أكثرها ، فبعث إلى معاوية أنه يصير الأمر إليك بشرط أن لا تطلب أحداً بشئ كان في أيام

أبي ، فأجابه وكاد يطير فرحاً ، إلا أنه قال: أما عشرة أنفس فلا ، فراجعه الحسن فيهم فكتب إليه: إني قد آليت متى ظفرت بقيس بن سعد أن أقطع لسانه ويده . فقال: لا أباعك . فبعث إليه معاوية برق أبيض مختوم بخاتمه في أسفله وقال: أكتب ما شئت فيه وأنا التزمه ، فاصطلحا على ذلك .

واشترط عليه الحسن أن يكون له الأمر من بعده ، فالتزم ذلك كله معاوية . فقال له عمرو: إنه قد أنقلَّ حدهم وانكسرت شوكتهم ! قال: أما علمت أنه قد بايع علياً أربعون ألفاً على الموت ، فوالله لا يُقتلون حتى يقتل أعدادهم منا ، وما والله في العيش خير بعد ذلك). (وهو في الاستيعاب بهامش الإصابة: ٣٧٠/١) .

الفصل الثاني

شروط الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية

الزعيমান الأمويان الضامنان لتنفيذ معاوية لشروط للصلح

في تاريخ الطبري: ١٢٢/٤: (فلما انتهى كتاب الحسن بن علي إلى معاوية ، أرسل معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة ، فقدا المدائن وأعطيا الحسن ما أراد ، وصالحاه على أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف ، في أشياء اشترطها). انتهى.

أقول: أرسل معاوية هذين الزعيمين من بني أمية بطلب الإمام الحسن عليه السلام لأن الأعراف القبلية العربية تقضي أن يضمن وفاء الطرف بشروطه شخصيات من قبيلته . وعبد الرحمن بن سمرة ، من شخصيات بني أمية (الطبقات: ٣٦٦/٧) ومن موثقي رواة الخلافة.(ابن معين: ٤٧/١). وابن كريز ابن خال عثمان وقد ولاه البصرة وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وعزل عنها أبا موسى الأشعري ! (الطبري: ٣١٩/٣) ثم عزله علي عليه السلام عنها ثم ولاه معاوية عليها ، وكان معاوية يفتخر به فقال عند موته: (يرحم الله أبا عبد الرحمن ، بمن نفاخر وبمن نباهي؟!). (الطبقات: ٤٨/٥)

وهو جد أبان بن عثمان وعبد الملك بن مروان لأُميهما ، وابنته هند هي زوجة يزيد التي انتفضت عليه عندما أدخلوا عليه سبايا أهل البيت ورأس الحسين عليه السلام ! قال الطبري في تاريخه: ٣٥٦/٤: (ودخلوا على يزيد فوضعوا الرأس بين يديه وحدثوه الحديث ! قال: فسمعتُ دَوْرَ الحديث هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز وكانت تحت يزيد بن معاوية ، فتقنعت بثوبها وخرجت فقالت: يا أمير المؤمنين أُرأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله؟! قال: نعم ، فأعولي عليه وحُدِّي على ابن بنت رسول الله وصريحة قريش ، عجل عليه ابن زياد فقتله قتله الله ! ثم أذن

للناس فدخلوا والرأس بين يديه ، ومع يزيد قضيب فهو ينكت به في ثغره ! ثم قال: إن هذا وإيانا كما قال الحصين ابن الحمام المري:

يقلقنَ هاماً من رجالٍ أحبةٍ إلينا وهم كانوا أعقَّ وأظلماً

قال: فقال رجل من أصحاب رسول الله (ص) يقال له أبو برزة الأسلمي: أتنتكتُ بقضيبك في ثغر الحسين ! أما لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً لربما رأيت رسول الله (ص) يرشفه ! أما إنك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيحك ! ويجيء هذا يوم القيامة ومحمد شفيعه ! ثم قام فولى ! انتهى.

أقول: يناسب هنا أن نشير الى التناقض الأموي ليزيد كأبيه وجده ! فهو من جهة يقول لزوجه أقيمي المأتم على الحسين عليه السلام (فأعولي عليه وحُدِّي على ابن بنت رسول الله وصريحة قريش، عجل عليه ابن زياد فقتله قتله الله!) ومن جهة يعقد مجلساً للناس والرأس الشريف بين يديه ، ويشمت به وينكت على فمه بقضيب !

ومضافاً الى ضمان هذين الزعيمين الأمويين لمعاوية ليفي بالشروط ، فقد جعل الإمام الحسن عليه السلام عليه عهد الله وموائيقه المغلظة ! ومع كل ذلك بقي معاوية على وقاحته فقال بعد الصلح: كل ما شرطته للحسن فهو تحت قدمي !!

ففي مناقب آل أبي طالب: ١٩٥/٣: (وأنفذ الإمام الحسن عليه السلام) إلى معاوية عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، فتوثق منه لتأكيد الحجة أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، والأمر من بعده شورى ، وأن يترك سب علي ، وأن يؤمن شيعته ولا يتعرض لأحد منهم ، ويوصل إلى كل ذي حق حقه ، ويوفر عليه حقه كل سنة خمسون ألف درهم ، فعاهده على ذلك معاوية وحلف بالوفاء به . وشهد بذلك: عبد الرحمن بن الحارث ، وعمرو بن أبي سلمة ، و عبد الله بن عامر بن كريز ، وعبد الرحمن بن أبي سمرة ، وغيرهم). انتهى.

الزعماء الأربعة الذين أرسلهم الإمام الحسن عليه السلام

من الملفت أن الإمام الحسن عليه السلام أرسل الى معاوية عدة شخصيات للمفاوضة ، ولم يكن فيهم أحد من آل أبي طالب ! وقد يكون السبب أن الإمام عليه السلام لا يحتاج الى ضمان لتعهده ، لأن تنازله لمعاوية سوف يُعلن وينتهي الأمر ، أما معاوية فهو يحتاج الى ضمانات لتنفيذ مواد الإتفاق . لكن هذا لا يكفي لاستبعاد آل أبي طالب عن المفاوضات ، فكان الإمام عليه السلام يقول بذلك: إن هذا الصلح اضطرار لي أنا ، ولا دخل فيه لغيري حتى من أهل بيتي ! والشخصيات الذين أرسلهم هم:

الأول: عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، وأمه هند بنت أبي سفيان . فهو من فرع نوفل من بني هاشم وابن هند أخت معاوية ، في الأربعينات من عمره فقد ولد في عهد النبي ﷺ وتوفي سنة ٧٩ ، ووثقه علماء الرواة من الفريقين وعدوه من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام . (معجم رجال الحديث: ١١/١٦٤) وذكروا أنه سكن البصرة ، وأنه كان زعيماً محترماً فيها (الطبقات: ٥/٢٤) وأن أهلها اختاروه والياً في زمن ابن الزبير فأقره عليها ، ثم خرج الى عمان فمات بها . ووثقه العجلي: ٢/٢٥٥ ، والرازي: ٥/٣٠ ، وقال ابن حبان في مشاهير علماء الأمصار/ ١١٥: (عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي أبو إسحاق قتله السموم (الريح) سنة تسع وسبعين).

وقال ابن حجر في الإصابة: ٥/٨ (وقال يعقوب بن شيبة: كان ثقة ظاهر الصلاح وله رضا في العامة ، ولما مات يزيد بن معاوية وهرب عبد الله بن زياد عامله على العراقيين ، رضي أهل البصرة بعبد الله بن الحارث هذا . وذكر البغوي في ترجمته

أولي البصرة لابن الزبير وكانت وفاته بعمان سنة أربع وثمانين).

واختيار الإمام الحسن عليه السلام يدل على ارتضائه له ، وأنه مقبول عند خاله معاوية .

والثاني: عمر بن أبي سلمة ، قال في مستدركات علم رجال الحديث: ٧٣/٦: (عمر بن أبي سلمة المخزومي، ابن أم سلمة ، ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وولاه البحرين). وقال ابن حبان في المشاهير/٥٠: (عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله) كان مولده بأرض الحيشة في السنة الأولى من الهجرة وتوفي في إمارة عبد الملك بن مروان). (راجع أيضاً: وتاريخ ابن خياط/٢٥، والكبير للبخاري: ١٣٩/٦، والجرح والتعديل للرازي: ١٤٦/١، وسير اعلام النبلاء للذهبي: ٤٠٦/٣). واختيار الإمام الحسن له يدل على أنه مقبول عند الجميع وأنه محسوب في العرف العشائري من بني هاشم ، لأنه ربيبهم .

والثالث: عمرو بن سلمة الهمداني اليماني. قال ابن سعد في الطبقات: ١٧١/٦: (عمرو بن سلمة بن عميرة.. من همدان ، روى عن علي وعبد الله وكان شريفاً ، وهو الذي بعثه الحسن بن علي بن أبي طالب مع محمد بن الأشعث بن قيس في الصلح بينه وبين معاوية ، فأعجب معاوية ما رأى من جهر عمرو وفصاحته وجسمه ، فقال: أمضري أنت؟ قال لا: ثم قال:

إني لمن قوم بنى الله مجدهم على كل باد في الأنام وحاضر
أبوتنا آباء صدق نعى بهم إلى المجد آباء كرام العناصر
وأمائتنا أكرم بهنَّ عجائزاً ورثن العلا عن كابر بعد كابر
جناهن كافور ومسك وعنبر وليس ابن هند من جناة البغافرا

أنا امرؤ من همدان ، ثم أحد أرحب . وكان ثقة قليل الحديث) .

وقال الرازي في الجرح والتعديل: ٢٣٥/٦: (عمرو بن سلمة الهمداني وهو ابن

الفصل الثاني : شروط الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية..... ٥٣

سلمة بن الحارث الكوفي ، سمع سلمان بن ربيعة عن علي وروى عن ابن مسعود عن النبي (ص) سمعت أبي يقول ذلك . قال أبو محمد: روى عن عمرو بن سلمة ابنه يحيى وهو يحيى بن عمرو بن سلمة.(سمعت أبي يقول: أخطأ البخاري في عمرو بن سلمة حيث جمع بينهما وهذا جرمي وذاك همداني). انتهى.

ويقصد الرازي خطأ البخاري في تاريخه الكبير: ٣٣٧/٦ .

والرابع: محمد بن الأشعث بن قيس ، وأبوه الأشعث رأس النفاق في العراق وأخبت عدو لأمير المؤمنين عليه السلام وقد شرك في دمه ! وهلك بعد شهادة أمير المؤمنين بنحو أربعين يوماً ! وابنه محمد على كأبيه وقد شرك في دم الحسين عليه السلام فكان قائداً في كربلاء ! ولعل السبب الذي جعل الإمام الحسن عليه السلام يختاره ، أنه يريد إشعار الحزب الأموي بأنه شريك في المفاوضة !

نصوص عهد الصلح من أهم المصادر

رواية البلاذري

قال البلاذري في أنساب الأشراف/٧٤١: (ووجه معاوية إلى الحسن عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس فقال ابن عامر: إتق الله في دماء أمة محمد أن تسفكها لدنيا تصيبها وسلطان تناله ، لعل أن يكون متاعك به قليلاً ، إن معاوية قد لجّ ، فنشدتك الله أن تلجّ فيهلك الناس بينكما ، وهو يوليك الأمر من بعده ويعطيك كذا . وكلمه عبد الرحمن بن سمرة بمثل كلام عبد الله أو نحوه فقبل ذلك منهما وبعث معهما عمرو بن سلمة الهمداني ثم الأرحبي ، ومحمد بن الأشعث الكندي ليكتباً على معاوية الشرط ويعطياه الرضا . فكتب معاوية كتاباً نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب للحسن بن علي من معاوية بن أبي سفيان ، إني صالحتك على أن لك الأمر من بعدي ، ولك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد ، وأشد ما أخذه الله على أحد من خلقه من عهد وعقد ، لا أبغيك غائلة ولا مكروهاً ، وعلى أن أعطيك في كل سنة ألف ألف درهم من بيت المال، وعلى أن لك خراج فسا ودرأ مجرد ، تبعث إليهما عمالك وتصنع بهما ما بدا لك . شهد عبد الله بن عامر ، وعبد الله بن سلمة الهمداني ، وعبد الرحمن بن سمرة ، ومحمد بن الأشعث الكندي . وكتب في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين . فلما قرأ الحسن الكتاب قال: يطمعني معاوية في أمر لو أردت لم أسلمه إليه . ثم بعث الحسن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث

بن عبد المطلب ، وأمه هند بنت أبي سفيان فقال له: إئت خالك فقل له إن أُمّنت بالناس بايعتك ، فدفعت معاوية إليه صحيفة بيضاء قد ختم في أسفلها ، وقال: أكتب فيها ما شئت ، فكتب الحسن: بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما صالح عليه الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان ، صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين ، على أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين ، وعلى أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده ، وأن يكون الأمر شورى ، والناس آمنون حيث كانوا على أنفسهم وأموالهم وذرائعهم ، وعلى أن لا يبغي الحسن بن علي غائلة سرّاً ولا علانية ، ولا يخيف أحداً من أصحابه . شهد عبد الله بن الحارث . وعمر بن سلمة وردهما إلى معاوية ليشهد ويشهدا عليه).

رواية ابن الأعمش

وقال ابن الأعمش في كتاب الفتوح: ٢٩٠/٤: (ثم دعا الحسن بن علي بعبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم وهو ابن أخت معاوية ، فقال له: صر إلى معاوية فقل له عني: إنك إن أُمّنت الناس على أنفسهم وأموالهم وأولادهم ونسائهم بايعتك ، وإن لم تؤمنهم لم أباعك . قال: فقدم عبد الله بن نوفل بن الحارث على معاوية فخبّره بمقالة الحسن ، فقال له معاوية: سل ما أحببت ! فقال له: أمرني أن أشرط عليك شروطاً ، فقال معاوية: وما هذه الشروط ؟ فقال: إنه مسلم إليك هذا الأمر على أن له ولاية الأمر من بعدك ، وله في كل سنة خمسة آلاف ألف درهم من بيت المال ، وله خراج دارا بجرد من أرض فارس ، والناس كلهم آمنون بعضهم من بعض . فقال معاوية: قد فعلت ذلك . قال: فدعا معاوية بصحيفة بيضاء ، فوضع عليها طينة وختمها بخاتمه ، ثم قال: خذ هذه الصحيفة

فانطلق بها إلى الحسن ، وقل له فليكتب فيها ما شاء وأحب ويشهد أصحابه على ذلك ، وهذا خاتمي بإقراري . قال: فأخذ عبد الله بن نوفل الصحيفة ، وأقبل إلى الحسن ومعه نفر من أصحابه من أشراف قريش ، منهم عبد الله بن عامر بن كرز وعبد الرحمن بن سمرة ومن أشبههما من أهل الشام . قال: فدخلوا فسلموا على الحسن ثم قالوا: أبا محمد ! إن معاوية قد أجابك إلى جميع ما أجبته ، فاكتب الذي تحب . فقال الحسن: أما ولاية الأمر من بعده فما أنا بالراغب في ذلك ، ولو أردت هذا الأمر لم أسلمه إليه ، وأما المال فليس لمعاوية أن يشرط لي في المسلمين ، ولكن أكتب غير هذا . وهذا كتاب الصلح . قال: ثم دعا الحسن بن علي بكاتبه فكتب: هذا ما اصطلاح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، صالحه على أن يسلم إليه ولاية المؤمنين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ وسيرة الخلفاء الصالحين . وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد لأحد من بعده عهداً ، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين . وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله ، في شامهم وعراقهم و تهامهم وحجازهم . وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم . وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه ، وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء بما أعطى الله من نفسه . وعلى أنه لا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت النبي ﷺ غائلةً سراً وعلانية ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق . شهد على ذلك عبد الله بن نوفل بن الحارث وعمر بن أبي سلمة وفلان وفلان . ثم رد الحسن بن علي هذا الكتاب إلى معاوية مع رسل من قبله ليشهدوا عليه).

رواية ابن المطهر المقدسي

قال في البدء والتاريخ: ٢٣٦/٥: (فكتب إليه معاوية أما بعد فأنت أولى بهذا الأمر وأحق به لقربتك وكذا وكذا ، ولو علمت أنك أضبط له وأحوط على حريم هذه الأمة وأكيد للعدو لبابعتك ! فاسأل ما شئت . وبعث إليه بصحيفة بيضاء مختومة في أسفلها أن اكتب فيها ما شئت ! فكتب الحسن أموالاً وضياعاً ، وأماناً لشيعة علي ، وأشهد على ذلك شهوداً من الصحابة . وكتب في تسلم الأمر كتاباً على أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الماضين وأن لا يعهد بعده إلى أحد ويكون الأمر شورى وأصحاب علي آمنين حيثما كانوا).

رواية ابن حجر وابن طلحة الشافعي

وهي الرواية المشهورة بين الكتاب المعاصرين وهي في الصواعق لابن حجر الهيتمي: ٣٩٩/٢ ويتابع المودة: ٤٢٥/٢ والغدير: ٦/١١ وغيرها ، ونقل نصها من مطالب السؤل لابن طلحة: ٣٥٧.

(بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية أبي سفيان ، صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله محمد(ص) وسيرة الخلفاء الراشدين . وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد لأحد من بعده عهداً ، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين . وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله ، في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم . وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم ، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء بما أعطى الله من نفسه

وعلى أنه لا ينبغي للحسن بن علي، ولا لأخيه الحسين، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله (ص) غائلة سراً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق. شهد عليه بذلك الله وكفى بالله شهيداً، وفلان وفلان. والسلام).

رواية ابن شهر آشوب

في مناقب آل أبي طالب: ١٩٥/٣: (وأنفذ إلى معاوية عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب فتوثق منه لتأكيد الحجة أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه والأمر من بعده شوري، وأن يترك سب علي، وأن يؤمن شيعته ولا يتعرض لأحد منهم، ويوصل إلى كل ذي حق حقه، ويوفر عليه حقه كل سنة خمسون ألف درهم. فعاهده على ذلك معاوية وحلف بالوفاء به، وشهد بذلك عبد الرحمن بن الحارث، وعمرو بن أبي سلمة، وعبد الله بن عامر بن كريز، وعبد الرحمن بن أبي سمره، وغيرهم).

رواية هامش نهاية ابن كثير

قال محقق النهاية هامش: ١٨/٨: (صورة معاهدة الصلح التي وقعها الفريقان. وقد أخذناها من مصادرها حرفياً:

المادة الأولى: تسليم الأمر إلى معاوية، على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله [المدائني فيما رواه عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج: ٨/٤، وبسيرة الخلفاء الصالحين: فتح الباري فيما رواه ابن عقيل في النصائح الكافية/ ١٥٦ ط ١.

المادة الثانية: أن يكون الأمر للحسن من بعده. تاريخ الخلفاء للسيوطي/ ١٩٤ والإصابة/ ١٢ و١٣ الإمامة والسياسة/ ١٥٠ دائرة معارف وجدي: ٤٤٣/٣] وليس لمعاوية أن يعهد به إلى

أحد: المدائني فيما يرويه عنه ابن أبي الحديد: ٨/٤ والفصول المهمة وغيرهما .
المادة الثالثة: أن يترك سب أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة وأن لا يذكر علياً إلا بخير . الأصفهاني مقاتل الطالبين/٢٦ ، شرح النهج: ١٥/٤ وقال آخرون: إنه أجابه على أن لا يشتم علياً وهو يسمع ، وقال ابن الأثير: ثم لم يف به أيضاً .
المادة الرابعة: يسلم ما في بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف للحسن وله خراج دارأبجر. الطبري: ٩٢/٦ الإمامة والسياسة/٢٠٠ وفي الأخبار الطوال/٢١٨: أن يحمل لأخيه الحسين في كل عام ألفي ألف ويفضل بني هاشم في العطاء والصلات على بني عبد شمس .

المادة الخامسة: أن لا يأخذ أحداً من أهل العراق بإحنة ، وأن يؤمن الأسود والأحمر ويحتمل ما يكون من هفواتهم. الأخبار الطوال/٢١٨. وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وتهامهم وحجازهم . ابن الأعمش: ١٦٠/٤.

تصنيف لشروط عهد الصلح

الشرط الأول: أن يعمل معاوية بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ

جاء في النص المروي (بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما صالح عليه الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان: صالحه على أن يسلم إليه ولاية المسلمين ، على أن يعمل فيهم بكتاب الله ، وسنة رسول الله وسيرة الخلفاء الراشدين). (الغدیر: ٦/١).

ولا يمكن قبول ما زعمه بعض الرواة من أن الإمام الحسن عليه السلام شرط عليه العمل بسنة الشيخين أو سيرة الخلفاء الراشدين ، ويقصدون بهم أبا بكر وعمر وعثمان وعلي عليه السلام ، فإن علياً عليه السلام رفض الخلافة كلها عندما اشترط عليه عبد الرحمن بن عوف في الشورى التي رتبها عمر ، أن يعمل بسيرة الشيخين !

ومعناه أن والده الذي هو قدوته وأسوته ﷺ ترك كل الخلافة حتى لا يجعل سيرة أبي بكر وعمر جزءاً من الإسلام ، ولا يُدخل فيه ما ليس منه.. فكيف يشترط هو على معاوية أن يعمل بسيرتهما ويجعلها جزءاً من الدين ؟!

ففي تاريخ اليعقوبي: ١٦٢/٢: (فقال (عبد الرحمن بن عوف): لنا الله عليك إن وليت هذا الأمر أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر؟ فقال (علي عليه السلام): أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت . فخلا بعثمان فقال له: لنا الله عليك إن وليت هذا الأمر أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر؟ فقال: لكم أن أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر، ثم خلا بعلي فقال له مثل مقالته الأولى فأجابه مثل الجواب الأول ، ثم خلا بعثمان فقال له مثل

المقالة الأولى ، فأجابه مثل ما كان أجابه ، ثم خلا بعلي فقال له مثل المقالة الأولى ، فقال: إن كتاب الله وسنة نبيه لا يحتاج معهما إلى إجيري أحد ! أنت مجتهد أن تزوي هذا الأمر عني . فخلا بعثمان فأعاد عليه القول فأجابه بذلك الجواب ، وصفق على يده). انتهى.

ومعنى قول علي عليه السلام لعبد الرحمن: (أنت مجتهد أن تزوي هذا الأمر عني): أنك تعرف أنني لا يمكن أن أكرز سيرة الشيخين جزءاً من الإسلام ، فليس هدفك إلا أن تحصل مني على مبرر وتبعد الخلافة عني !

ومعنى قوله: (إن كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام لا يحتاج معهما إلى إجيري أحد !) أن الكتاب والسنة ليسا ناقصين حتى تكملهما باشتراط سنة أحد وسيرته ! والإجيري: (بكسر فتشديد: العادة ، وقيل همزتها بدل من الهاء . وقال ابن السكيت: ما زال ذلك إجيراه ، أي عادته). (تاج العروس: ٨٣) وفي الإمامة والسياسة: ١٢٥/١ ، أنه عليه السلام قال لرجل: (وما يدخل سنة أبي بكر وعمر مع كتاب الله وسنة نبيه !؟).

وفي مسند أحمد: ٧٥/١: (عن عاصم عن أبي وائل قال قلت لعبد الرحمن بن عوف: كيف بايعتم عثمان وتركتم علياً؟ قال: ما ذنبي قد بدأت بعلي فقلت أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبي بكر وعمر ، قال فقال: فيما استطعت . قال: ثم عرضتها على عثمان فقبلها). (ونحوه أسد الغابة: ٣٢/٤ ، وتاريخ دمشق: ٢٠٢/٣٩ ، والفصول للبحاص: ٥٥/٤ ، وغيرها . وفي فضائل أمير المؤمنين لابن عقدة / ٦٤ نحو ما في البعقوبي . وفي فتح الباري: ١٧٠/١٣: فلما أصبح عرض على علي فلم يوافق على بعض الشروط وعرض على عثمان فقبل). فكيف يعقل أن يتبنى الإمام الحسن عليه السلام سيرة أبي بكر وعمر ، ويجعلها شرطاً على معاوية ! أما سيرة عثمان فلا يمكن أن يشترطها معاوية لأنها كانت في رأي عامة المسلمين انحرافاً عن الإسلام ، ولهذا قتلوه !

وقد عمل معاوية وبنو أمية لإعادة الاعتبار الى عثمان وإلحاق سيرته بسيرة الشيخين ، ثم أطلق العباسيون صفة الخلفاء الراشدين على أبي بكر وعمر ، ثم وسعوها فيما بعد لغيرهما . وأما سيرة علي عليه السلام فكانت عدالتها وما زالت موضع إجماع المسلمين وإعجابهم ، لكن أنى لمعاوية أن يقبل شترطها أو يسير بها !

الشرط الثاني: أن لا يعهد معاوية بالخلافة بعده الى أحد

بل تكون بعده للحسن ، فإن حدث به حدثٌ فللحسن عليه السلام

قال ابن حجر في فتح الباري: ٥٥/١٣: (وذكر محمد بن قدامة في كتاب الخوارج بسند قوي إلى أبي بصرة ، أنه سمع الحسن بن علي يقول في خطبته عند معاوية: إني اشترطت على معاوية لنفسي الخلافة بعده . وأخرج يعقوب بن سفيان بسند صحيح إلى الزهري قال: كاتب الحسن بن علي معاوية واشترط لنفسه ، فوصلت الصحيفة لمعاوية ، وقد أرسل إلى الحسن يسأله الصلح ، ومع الرسول صحيفة بيضاء مختم على أسفلها ، وكتب إليه: أن اشترط ما شئت فهو لك ، فاشترط الحسن أضعاف ما كان سأل أولاً ، فلما التقيا وباعه الحسن سألته أن يعطيه ما اشترط في السجل الذي ختم معاوية في أسفله ، فتمسك معاوية إلا ما كان الحسن سألته أولاً ، واحتج بأنه أجاب سؤاله أول ما وقف عليه ، فاختلفا في ذلك ، فلم ينفذ للحسن من الشرطين شئ !

وأخرج ابن أبي خيثمة من طريق عبد الله بن شوذب قال: لما قتل علي سار الحسن بن علي في أهل العراق ومعاوية في أهل الشام فالتقوا ، فكره الحسن القتال وباع معاوية على أن يجعل العهد للحسن من بعده). (ونحوه في تاريخ دمشق: ٢٦١/١٣ ، والإستيعاب: ٣٨٦/١ ، ونهاية ابن كثير: ٤١/٨ ، وتهذيب التهذيب: ٢٥٩/٢ ، وتهذيب الكمال: ٢٤٤/٢ . وسير أعلام النبلاء: ٣٦٤/٣ ، واعتقاد أهل السنة: ١٤٥١/٨ ، والعبر: ٤٩/١ ، وغيرها .

٦٣ الفصل الثاني : شروط الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية.

وتقدم نقل شرط ولاية العهد للإمام الحسن عليه السلام في هامش النهاية: ١٦/٨ عن تاريخ الخلفاء للسيوطي/١٩٤، والإصابة: ١٢/٢ و١٣، والإمامة والسياسة/ ١٥٠، وفي طبعة: ١٨٣/١. وفيه: فاصطلح معه على أن لمعاوية الإمامة ما كان حياً، فإذا مات فالأمر للحسن).

ونقل ابن عبد البر إجماع العلماء على أن الصلح كان على شرط ولاية العهد للإمام الحسن عليه السلام، قال في الاستيعاب: ٣٨٧/١: (قال أبو عمر رضي الله عنه: هذا أصح ما قيل في تاريخ عام الجماعة، وعليه أكثر أهل هذه الصناعة من أهل السير والعلم بالخبر، وكل من قال إن الجماعة كانت سنة أربعين فقد وهم ولم يقل بعلم والله أعلم، ولم يختلفوا أن المغيرة حج عام أربعين على ما ذكر أبو معشر ولو كان الاجتماع على معاوية قبل ذلك لم يكن كذلك والله أعلم. ولا خلاف بين العلماء أن الحسن إنما سلم الخلافة لمعاوية حياته لا غير، ثم تكون له من بعده وعلى ذلك إنعقد بينهما ما انعقد في ذلك. ورأى الحسن ذلك خيراً من إراقة الدماء في طلبها وإن كان عند نفسه أحق بها). (وبيان الإرب: ٤٤٠١).

وفي ذخائر العقبى للطبري/١٣٩: (إلا أنه قال عشرة أنفس فلا يؤمنهم! فراجع الحسن فيهم فكتب إليه يقول إني قد آليت أنني متى ظفرت بقيس بن سعد أن أقطع لسانه ويده، فراجع الحسن إني لا أباعك أبداً، وأنت تطلب قيساً أو غيره بتبعة، قلتُ أو كثرت، فبعث إليه معاوية حينئذ برق أبيض قال: أكتب ما شئت فيه، فأنا التزمه! فاصطلحا على ذلك، واشترط عليه الحسن أن يكون له الأمر من بعده، فالتزم ذلك كله معاوية، واصطلحا على ذلك).

أما ابن عتبة في عمدة الطالب/٦٧، فقال: (وشرط عليه شروطاً إن هو أجابه إليها سلم إليه الأمر، منها أن له ولاية الأمر بعده، فإن حدث به حدث فللحسين).

وهو شرط ينسجم مع قبول معاوية بما يكتبه الإمام الحسن عليه السلام في الصحيفة

المختومة ، والإمام الحسن يعرف النص النبوي على إمامته وإمامة أخيه عليه السلام ، كما ينسجم مع اشتراط الإمام الحسن عليه السلام أن لا ينبغي معاوية (للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت) . كما في رواية ابن طلحة وابن حجر .
وفي الصواعق: ٣٩٩/٢: (وأن لا ينبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول الله ، غائلة ، سرّاً ولا جهراً) . انتهى .

أقول: بعد أن يرى الباحث إجماع المؤلف والمخالف على شرط أن الخلافة تكون بعد معاوية للإمام الحسن عليه السلام ، فلا بد له أن يحكم على روايتهم بأن الإمام الحسن عليه السلام لم يرد الخلافة ، أو أنه شرط أن تكون بعد معاوية شوري ولم يشرط أن تكون له ثم لأخيه عليه السلام ، بأنها من وضع أتباع الأمويين لتبريربيعة معاوية ليزيد ! نعم إن الإمام الحسن والحسين عليه السلام زاهدان في الحكم لأن الله أعطاهما منصب سيدي أهل الجنة الذي لا قيمة لجميع مناصب الأرض عنده ! لكنهما مسؤولان بنص جدهما وأبيهما عن أمتهم أن لاتقع في فتنة بني أمية الفاغرة فاهما كالغول !

الشرط الثالث: إعلان العفو العام ، خاصة لشيعه علي عليه السلام

(على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم ، وأن يؤمنَّ الأسود والأحمر ، وأن يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم ، وأن لا يُتَّبَعَ أحداً بما مضى ، وأن لا يأخذ أهل العراق بإحانة . وعلى أمان أصحاب علي عليه السلام حيث كانوا ، وأن لا ينال أحداً من شيعة علي عليه السلام بمكرهه ، وأن أصحاب علي عليه السلام وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم ، وأن لا يتعقب عليهم شيئاً ، ولا يتعرض لأحد منهم بسوء ويوصل إلى كل ذي حق حقه ، وعلى ما أصاب أصحاب علي عليه السلام حيث كانوا) . (مناقب يلى أبي طالب: ٣/١٩٥)

وإعلام الوري: ٤٠٣/١ ، وكشف الغمة: ١٣٨/٢ ، والصواعق المحرقة: ٣٩٩/٢ ، وغيرها .

الشرط الرابع: أن يترك سب أمير المؤمنين عليه السلام

وهذا الشرط يدل على أن معاوية كان ديدنه لعن علي عليه السلام ليستوفي به لعن النبي صلى الله عليه وآله الهاشمي لأبيه أبي سفيان وغيره من أئمة الكفر القرشي ! وقد ذكرت هذا الشرط مصادر الجمع ، ففي مناقب آل أبي طالب: ١٩٥/٣: (وأن يترك سب علي عليه السلام ، وأن يؤمن شيعته ولا يتعرض لأحد منهم ، ويوصل إلى كل ذي حق حقه ويوفر عليه حقه كل سنة خمسون ألف درهم ، فعاهده على ذلك معاوية وحلف بالوفاء به . وشهد بذلك عبد الرحمن بن الحارث ، وعمرو بن أبي سلمة ، وعبد الله بن عامر بن كرز ، وعبد الرحمن بن أبي سمره وغيرهم).

وفي الإرشاد للمفيد: ١٤/٢: (فتوثق عليه السلام لنفسه من معاوية لتأكيد الحججة عليه ، والإعذار فيما بينه وبينه عند الله عز وجل وعند كافة المسلمين ، واشترط عليه ترك سب أمير المؤمنين عليه السلام والعدول عن القنوت عليه في الصلوات ، وأن يؤمن شيعته ولا يتعرض لأحد منهم بسوء ، ويوصل إلى كل ذي حق منهم حقه . فأجابه معاوية إلى ذلك كله وعاهده عليه ، وحلف له بالوفاء به). (ونحوه إعلام الوري: ٤٠٣/١ ، وكشف الغمة: ١٦٤/٢ ، وإمتاع الأسماع: ٢٠٥/١٢ ، وأعيان الشيعة: ٥٦٩/١).

وقد أضاف رواة بني أمية الى هذا البند قولهم: (وهو يسمع) ! فجعلوا شرط الإمام الحسن عليه السلام على معاوية أن لا يسب علياً عليه السلام في حضوره فقط ، أما في غيابه فلا بأس ! وهو أمر غريب يريدون به تبرير فعل معاوية وتحليل سبه لعلي عليه السلام ، وتصوير الإمام الحسن عليه السلام ضعيفاً لاغيرة له على معصية الله تعالى بشتم أبيه عليه السلام ! قال ابن خلدون في تاريخه: ٢ ق ١٨٦/٢: (فكتب إلى معاوية يذكر له النزول عن الأمر على أن يعطيه ما في بيت المال بالكوفة ومبلغه خمسة آلاف ألف ، ويعطيه

خراج دارا بجرد من فارس ، وألا يشتم علياً وهو يسمع! انتهى. هذا مع أن ابن خلدون ذكر بعدها الصحيفة المختومة التي أرسلها معاوية ، الى الإمام الحسن عليه السلام وتعهده بتنفيذ أي شروط يكتبها فيها !

وفي إمتاع الأسماع للمقريزي: ٣٥٨/٥: (وكتب إلى معاوية أنه يصير الأمر إليه على أن يشترط ألا يطلب أحداً من أهل الحجاز والمدينة والعراق ، بشئ كان في أيام أبيه ، وكاد معاوية يطير فرحاً وبعث إليه برق أبيض وقال: أكتب ما شئت فيه وأنا ألتزمه ، فاصطلحا على ذلك واشترط عليه الحسن أن يكون له الأمر بعده وأن يعطيه ما في بيت مال الكوفة وهو خمسة آلاف ألف ، وخراج دارا بجرد من فارس ، وألا يُشتم عليٌّ (وهو يسمع) فالتزم شروطه كلها). انتهى.

وفي كامل ابن الأثير: ٤٠٥/٣: (وأن لا يشتم علياً ، فلم يجبه إلى الكف عن شتم علي فطلب أن لا يُشتم وهو يسمع فأجابه إلى ذلك ، ثم لم يف له به أيضاً). انتهى. والمتأمل يعرف أن تحريف هذا الشرط من عمل رواة بني أمية لتبرير لعن معاوية !

الشرط الخامس: أن لا يغتال الإمام الحسن أو الحسين عليهما السلام وألهما

(وعلى أن لا يغني للإمام الحسن ولا لأخيه الحسين عليهما السلام ، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله ، غائلة ، سرّاً ولا جهراً ، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق). انتهى. وقد تقدم فيما أوردناه من الغدير: ٦/١١ ، وينايع المودة: ٤٢٥/٢ ، وكشف الغمة: ١٩٣/٢ ، والنصائح الكافية: ١٤٩ ، وغيرها .

وهو يدل على أن تخوف العترة النبوية عليهم السلام من غدر معاوية ، كان في محله !

الشرط السادس: أربعة بنود مالية

١- التعويض على عوائل شهداء حرب الجمل وصفين بمبلغ مليون درهم: (وأن يفرق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل وأولاد من قتل معه عليه السلام في صفين ألف ألف درهم). (علل الشرائع: ٢١١/١).

٢- أن يفضل بني هاشم في العطاء والصلوات على بني عبد شمس، ويستثني ما في بيت مال الكوفة وهو خمسة ملايين ليكون تحت تصرف الإمام الحسن عليه السلام.

٣- وأن يعطي للإمام الحسن عليه السلام كل عام مليوني درهم ، ويجعل له خراج دار أبجرد ، وهي ولاية بفارس قرب الأهواز .

٤- أن لا يمنع عطاء أحد من شيعة علي عليه السلام وأن يكون عطاؤهم وافياً .

ويدل شرط تفضيل بني هاشم على بني أمية على أن الإمام الحسن عليه السلام أراد أن يثبت هذا الإمتياز للعترة النبوية الطاهرة على بني عبد شمس وقبائل قريش كلها ، لعله يكون رادعاً لمعاوية وبني أمية عما ينوونه لهم من تقتيل وتشريد ومطاردة ، وإفقار وتجويع ! وقد كان تفضيل بني هاشم أمراً متفقاً عليه عند قريش بحيث لم يستطع عمر بن الخطاب إلا أن يشبهه في ديوان الدولة والعطاء ، مع أنه وأبا بكر صادرا أوقاف النبي صلى الله عليه وآله ومزرعة فذك التي وهبها لها النبي صلى الله عليه وآله في حياته ! وحرما الزهراء عليها السلام من إرثها من أبيها صلى الله عليه وآله بحجة أن الأنبياء مستثنون من حكم التوريث !

الشرط السابع: أن لا يسميه أمير المؤمنين ولا يقيم عنده شهادة

نقل الصدوق رحمته الله في علل الشرائع: ٢١٠/١، نصاً مهماً عن شيخ البخاري ابن خزيمة الذي يسميه السنة إمام الأئمة ، يكشف موادَّ جديدة من كتاب الصلح بين الإمام

الحسن عليه السلام ومعاوية ، قال: (قال محمد بن علي مصنف هذا الكتاب: قد ذكر محمد بن بحر الشيباني رضي الله عنه في كتابه المعروف بكتاب (الفروق بين الأباطيل والحقوق) في معنى موادة الحسن بن علي بن أبي طالب لمعاوية ، فذكر سؤال سائل عن تفسير حديث يوسف بن مازن الراشي في هذا المعنى ، والجواب عنه ، وهو الذي رواه أبو بكر محمد بن الحسن بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري قال: حدثنا أبو طالب زيد بن أحزم قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا القاسم بن الفضل قال: حدثنا يوسف ابن مازن الراشي قال: بايع الحسن بن علي معاوية على أن لا يسميه أمير المؤمنين ولا يقيم عنده شهادة ، وعلى أن لا يتعقب على شيعة علي شيئاً ، وعلى أن يفرق في أولاد من قتل مع أبيه يوم الجمل وأولاد من قتل مع أبيه بصفين ألف ألف درهم ، وأن يجعل ذلك من خراج دار أجرد . قال: ما ألطف حيلة الحسن هذه في إسقاطه إياه عن إمرة المؤمنين ! قال يوسف: فسمعت القاسم بن محمية يقول: ما وفي معاوية للحسن بن علي بشئ عاهده عليه وإني قريت كتاب الحسن إلى معاوية يعدُّ عليه ذنوبه إليه وإلى شيعة علي ، فبدأ بذكر عبد الله بن يحيى الحضرمي ، ومن قتلهم معه . انتهى .

أقول: هذا النص مهم ، لأنه عن ابن خزيمة شيخ البخاري ، وهو يكشف عن أن الصلح مشروط بأن لا يعطي أي شرعية لمعاوية ، وهو ينسجم مع تصريحات الإمام الحسن وأهل البيت عليهم السلام في معاوية وبني أمية ، قبل الصلح وبعده ! ولعل وجود هذا الشرط وأمثاله كان السبب في عدم نشر معاوية لنص ما كتبه الإمام الحسن عليه السلام في الرق المختوم ، ولعل الإمام عليه السلام نشره ولم يصل إلينا ، فما أكثر ما لم يصل !!

ملاحظات على نصوص عهد الصلح

١- السبب في تفاوت الشروط وتعارضها

نقلت مصادر الحديث والتاريخ أخبار المفاوضات بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية ، بين المدائن ومنبج ، وفقرات متعددة من شروط الصلح الذي تمّ التوصل إليه ، واتفقت على أن معاوية أرسل الى الإمام الحسن عليه السلام سجلاً أو رقاً أبيض مختوماً ليكتب فيه ما يريد من شروط ، كما أرسل له زعيمين من بني أمية ليضمنا للإمام عليه السلام وفاء معاوية بهذه الشروط !

لكن أين صارت نسخة هذا الرق؟! لم تظهر نسخته لأن نشرها ليس من مصلحة معاوية كما سيأتي ، ولأنه توجد ثلاث وثائق على الأقل في عهد الصلح غير الرق فقد تقدم من البلاذري نص وثيقة كتبها معاوية ووقعها وأرسلها الى الإمام الحسن عليه السلام ، وثانية كتبها الإمام الحسن عليه السلام ووقعها ، وأرسلها الى معاوية ووقع عليها: (هذا كتاب للحسن بن علي من معاوية بن أبي سفيان ، إني صالحتك على أن لك الأمر من بعدي ، ولك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد ، وأشد ما أخذه الله على أحد من خلقه من عهد وعقد ، لا أبغيك غائلة ولا مكروهاً.... فكتب الحسن: بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما صالح عليه الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان ، صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين ، على أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين ، وعلى أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده.... الخ).

بل ذكرت النصوص وثيقة ثالثة كتبها الإمام الحسن عليه السلام ، أما المقدسي فقد نص على أن الصلح تضمن عهداً ثالثاً خاصاً بالخلافة ، قال: (وكتب في تسلم الأمر

كتاباً على أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الماضين ، وأن لا يعهد بعده إلى أحد ويكون الأمر شورى... الخ). ويدل قوله: (وكتب في تسلم الأمر كتاباً) على أن شروط تسليم الخلافة كانت مفصولةً عن الشروط الأخرى كتأمين قيس بن سعد ، والمالية الفعلية والسنوية التي شرطها الإمام عليه السلام ، أو كتبها له معاوية حسب الرواية . ولاشك أن نسخة الرق هي المرجع ، لأنها متأخرة عن النسخ الأخرى ، ويفترض أن تكون شاملة لكل ما تضمنته النسخ السابقة .

٢- النسخ المروية لا يمكن أن تكون نسخة الرق

وذلك لقرائن عديدة ، منها: أنها لا دياجة فيها ولا أسماء شهود كثيرة ، كما نرى في وثيقة الصلح في صفين ، التي وصل إلينا نصها ووصفها .
ومنها: أن الشروط المذكورة في أكثر النسخ تناقض الشروط التي روتها مصادر موثقة ، كشرط مستقبل الخلافة ، حيث ذكرت أن تكون بعد معاوية شورى بين المسلمين ، بينما ذكرت الروايات الموثقة أن معاوية قبل شرط أن لا يعهد بالخلافة إلى أحد بعده ، وأن تكون للإمام الحسن عليه السلام وزاد بعضها: فإن حدث به حادث فللإمام الحسين عليه السلام ، وهو شرط ينسجم مع قبول معاوية بما يكتبه الإمام الحسن عليه السلام في الصحيفة التي ختمها وبعثه إليه ، ومع إيمان الإمام الحسن عليه السلام بالنص النبوي على إمامته وإمامة أخيه بأنهما إمامان وسيدا شباب أهل الجنة عليه السلام ! ويؤيده شرط ينص أن لا يبغي معاوية غائلة للحسن والحسين عليه السلام ، مضافاً إلى أن الإمام الحسين عليه السلام مشمول بشرط عدم الإعتداء على حياة أهل البيت عامة عليه السلام ، فتخصيصه بالشرط يشير إلى ارتباط حياته بمستقبل الخلافة.. إلى غير ذلك من الشروط المنصوصة التي لم ترد في هذه النسخ ، أو وردت في بعضها فقط ، أو وردت بنص ضعيف في بعضها قوي في آخر.. الخ.

ومنها: أن نصوص هذه النسخ وشروطها متفاوتة فيما بينها كثيراً في الكم والكيف ، فلا بد أن تكون نسخاً متصورة من بعض الرواة ، أو نسخاً في مراحل المداولات ، وهي إن كان لها قيمة شرعية كاملة لأنها موقعة من معاوية ، لكنها ليست النسخة الأصلية والرق المختوم منه .

٣- لماذا لم ينشر معاوية نسخة عهد الصلح ؟

عندما نقارن بين وثيقتي صفين والمدائن ، نجد أن الوثيقتين تشتركان في الأهمية والزمان والأطراف تقريباً ، فلماذا رويوا نص الأولى بتفاصيل توجب الإطمئنان ، بينما كثر التشويش والتناقض في روايتهم لنص الثانية ؟!

والجواب الصحيح البسيط: أن معاوية وبني أمية أطلقوا لهم رواية نص الأولى لأنها بتصورهم لمصلحتهم ، بينما منعوا رواية الثانية لأنها ضدهم !

والرواة والمؤرخون الرسميون يحرصون على مصلحة معاوية وبني أمية حتى لو كانت ضد الواقع ، بل وضد الإسلام ، وسترى ما فعله البخاري نموذجاً !

لذا لا يصح أن نتوقع من معاوية أن يعترف أنني شرطت على نفسي أن تكون الخلافة بعدي للحسن ، وحلفت على ذلك أغلظ الأيمان ، وبعثت له ضامين من بني أمية ، ثم قتلتهم وجعلت الخلافة ملكاً عضوضاً إرثاً لولدي يزيد ؟!

وهل تريد منه أن يعترف بأنه شرط للحسن أن لا يسب علياً عليه السلام على المنابر وفي قنوت الصلاة وحلف عليه بأغلظ الأيمان وأشهد الشهود ، ثم خالف ذلك ليستوفي لعن النبي ﷺ لأبي سفيان في قنوت الصلاة ؟! وأنه حلف له وشرط له أن لا يضطهد شيعة علي عليه السلام ولا يسفك دماءهم ، ثم نكث ؟!

إن معاوية أحرص الناس على أن يخفي وثيقة الصلح لينسى الناس تعهدهاته خاصة تعهده تجاه مستقبل الخلافة وتجاه أهل بيت النبي ﷺ وشيعتهم، ووعوده

السخية لأهل العراق بالأمن والأمان والعفو والرفاهية !
 يكفي دليلاً على ذلك ما رواه الجميع من أن معاوية تعمد أن يتحدى أهل
 الكوفة والإمام الحسن عليه السلام عندما دخل الكوفة بجيشه ، فكشف نيته وأعلن غدره
 وأنه لن يفي بشئ ، وأن ما شرطه لهم فهو تحت قدمه !



٤- حاكم إيران من قبل الإمام الحسن عليه السلام يستفيد من شروط الصلح !

كان زياد بن أبيه والياً للإمام الحسن عليه السلام على فارس، وبعد الصلح طالبه معاوية بيت المال وهدده ، فاحتج عليه بالعفو العام عن شيعة علي عليه السلام الذي نصت عليه شروط الصلح بين معاوية والإمام الحسن عليه السلام ! قال الطبري: ١٢٨/٤ ، ونحوه اليعقوبي: ١٩٤/٢: (فبعث معاوية بسر بن أبي أرطاة إلى البصرة في رجب سنة ٤١ ، وزياد متحصن بفارس (في جبال آلبرز إيران) فكتب معاوية إلى زياد: إن في يدك مالاً من مال الله ، وقد وليت ولاية فأدِّ ما عندك من المال . فكتب إليه زياد: إنه لم يبق عندي شيء من المال ، وقد صرفت ما كان عندي في وجهه ، واستودعت بعضه قوماً لتأذلة إن نزلت ، وحملت ما فضل إلى أمير المؤمنين رحمة الله عليه . فكتب إليه معاوية: أن أقبل إليّ ننظر فيما وليت وجرى على يدك ، فإن استقام بنا أمر فهو ذاك وإلا رجعت إلى مأمك ، فلم يأته زياد ! فأخذ بسر بني زياد الأكابر منهم فحبسهم: عبد الرحمن وعبيد الله وعباداً ، وكتب إلى زياد: لتقدمنَّ على أمير المؤمنين ، أو لأقتلن بنيك !

فكتب إليه زياد: لست بارحاً من مكاني الذي أنا به ، حتى يحكم الله بيني وبين صاحبك ، فإن قتلت من في يدك من ولدي فالمصير إلى الله سبحانه ، ومن ورائنا وورائكم الحساب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . فهم يقتلهم فأثاه أبو بكر (أخ زياد لأمه) فقال: أخذت ولدي وولد أخي غلماناً بلا ذنب ، وقد صالح الحسن معاوية على أمان أصحاب علي حيث كانوا ! فليس لك على هؤلاء ولا على أبيهم سبيل ! قال: إن على أخيك أموالاً قد أخذها فامتنع من أداها ! قال: ما عليه شيء فاكفف عن بني أخي حتى آتيك بكتاب من معاوية بتخليتهم ، فأجله

أياماً قال له إن أتيتني بكتاب معاوية بتخليتهم وإلا قتلتهم ، أو يقبل زياد إلى أمير المؤمنين ! قال فأتى أبو بكر معاوية فكلّمه في زياد وبنيه وكتب معاوية إلى بسر بالكف عنه وتخليه سيّلتهم فخلاهم) ! انتهى.

وفي تاريخ الطبري: ١٢٩/٤: (كتب بسر إلى زياد لئن لم تقدم لأصلبن بنيك ! فكتب إليه: إن تفعل فأهل ذاك أنت ! إنما بعث بك ابن آكلة الأكباد ! فركب أبو بكر إلى معاوية فقال: يا معاوية إن الناس لم يعطوك بيعتهم على قتل الأطفال ! قال: وما ذاك يا أبا بكر ؟ قال: بسر يريد قتل أولاد زياد ! فكتب معاوية إلى بسر: أن خل من بيدك من ولد زياد...

عن الشعبي قال: كتب معاوية حين قُتل علي إلى زياد يتهدده فقام خطيباً فقال: العجب من ابن آكلة الأكباد وكهف النفاق ورئيس الأحزاب كتب إليّ يتهدّدني وبينه ابنا عم رسول الله(ص) يعني ابن عباس والحسن بن علي في تسعين ألفاً ، واضعي سيوفهم على عواتقهم لا ينتنون ! لئن خلص إليّ خلص إليّ ليجدني أحمر ضراباً ! فلم يزل زياد بفارس والياً حتى صالح الحسن ^{عليه السلام} معاوية وقدم معاوية الكوفة ، فتحصن زياد في القلعة التي يقال لها قلعة زياد). انتهى.

إلى آخر قصة زياد التي ختمت بعد سنوات بطاعته لمعاوية وتقريبه له حتى جعله أخاه ! ومعنى قول زياد(ليجدني أحمر ضراباً) أي فارسياً مقاتلاً ، وكان زياد يلكن بالعربية لأن لغته فارسية ، من أمه سمية .

بدعة معاوية في استلحاق زياد وجعله ابن أبي سفيان !

يناسب هنا أن نذكر خلاصة ما كتبه الحافظ محمد بن عقيل في كتابه القيم (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية/ ٨٠) (ومن موبقاته الشنيعة: استلحاقه زياد بن عبيد وجعله زياد بن أبي سفيان ! وهو أول استلحاق جاهلي عمل به في الإسلام علناً ، واستنكره الصحابة وأهل الدين ! أخرج البخاري في صحيحه... عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال: لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر.... وفي الصحيح عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص): من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً إلى يوم القيامة... فانظر إلى هذا الوعيد الشديد الذي لم يبال به معاوية ، ولم يكثر بما يترتب على ذلك الإستلحاق من اختلاط الأنساب ، وهتك الحرم! سعيًا وراء أغراض دنيوية سياسية. وقد ذكر المحدثون والمؤرخون أسباب هذا الإستلحاق ، ولندكر ملخص ما ذكره العلامة ابن الأثير قال: لما ولي علي الخلافة استعمل زياداً على فارس فضبطها وحمى قلاعها ، واتصل الخبر بمعاوية فسأه ذلك ، وكتب إلى زياد يتهدده ويعرض له بولادة أبي سفيان إياه ، فلما قرأ زياد كتابه قام في الناس وقال: العجب كل العجب من ابن آكلة الأكباد ورأس النفاق يخوفني بقصده إياي وبينه ابن عم رسول الله في المهاجرين والأنصار !

أما والله لو أذن لي في لقائه لوجدني أحمر مخشاً ضرباً بالسيف! وبلغ ذلك علياً فكتب إليه: إني وليتك ما وليتك وإني أراك له أهلاً ، وقد كانت من أبي سفيان فلتة من أمانى الباطل وكذب النفس ، لا توجب له ميراثاً ولا تحل له نسباً . وإن معاوية يأتي الإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم

احذر والسلام ! فلما قُتل علي وكان من أمر زياد ومصالحة معاوية ما كان ، رأى معاوية أن يستميل زياداً ويستصفي مودته باستلحاقه ، فاتفقا على ذلك وأحضر الناس وحضر من شهد لزياد ، وكان فيمن حضر خمار يقال له أبو مريم السلولي فقال له معاوية: بم تشهد يا أبا مريم؟ فقال: أنا أشهد أن أبا سفيان حضر عندي وطلب مني بغياً ، فقلت له: ليس عندي إلا سمية ، فقال اثنتي بها على قدرها ووضرها ، فأتيته بها فخلاً معها ، ثم خرجت من عنده وإن إسكتيها ليقطران منياً ، فقال له زياد: مهلاً أبا مريم إنما بعثت شاهداً ، ولم تبعث شاتماً !

فاستلحقه معاوية ! وكان استلحاقه أول ما ردت به أحكام الشريعة علانيةً ، فإن رسول الله (ص) قضى بالولد للفراش وللعاهر الحجر ، وقضى معاوية بعكس ذلك طبقاً لما كان العمل عليه قبل الإسلام . يقول الله تعالى: **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** (المائدة: ٥٠) وقد لام معاوية على هذه الفعلة الشنيعة أهل الدين والفضل ، وعيَّره أهل الشعر والنقد وكتب إليه ابن مفرغ الحميري .

ألا أبلغ معاوية بن صخر مغلفةً من الرجل اليماني
أنفضب أن يقال أبوك عفاً وترضى أن يقال أبوك زاني
فأشهد أن رَحِمَك من زياد كرحم الفيل من وُلد الأتان).

وكتب زياد إلى الإمام الحسن عليه السلام: (من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن علي... فكتب إليه الحسن عليه السلام: (من الحسن بن فاطمة بنت رسول الله (ص) إلى زياد بن سمية عبد بني ثقيف: قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر...)

فغضب زياد وأرسل الكتاب إلى معاوية يشكو إليه ! (تاريخ دمشق: ١٩٨/١٩، وشرح النهج: ١٩٣/١٦، والنصائح الكافية/ ٧٨، والإيضاح/ ٥٤٩، والقواعد الفقهية للبحرودي: ٢٤/٤).

أقول: زياد هذا يعرف بزياد ابن أبيه ، وابن عبيد ، وابن سمية ، وهي جارية

فارسية أهداها كسرى أو أحد دهاقين كسرى الى الطبيب الحارث بن كلدة لأنه عالجه ، فأتى بها الى الطائف فولدت له أبا بكره فلم يعترف به (تاريخ دمشق: ١٩/١٧٣) ! وقيل كان عنيماً فتزوجت غلاماً اسمه عبيد وفتحت محلاً للبغاء ، فهي أمة الحارث وزوجة عبيد ! وكان ابن كلدة خبيراً بالسموم وروي أنه عالج كسرى من السم . وقد استدعاه أبو بكر عندما بايعوه بالخلافة ليراقب طعامه من السم وكان لا يأكل إلا معه ، فقال له يوماً وهما يتغديان: إرفع يدك فإن الطعام مسموم وأموت أنا وأنت معاً بعد ثلاثة أيام وفي رواية بعد سنة ! فمات أبو بكر وطيبه ! لكن لم يفتح أحد ملف اغتيالهما ! (الطبقات: ١٩٨/٣ وتاريخ دمشق: ٤٠٩/٣٠ ، والإصابة: ٤/١٤٩ ، والرياض النضرة: ٢/٢٤٣ ، ومسائل الإمام أحمد: ٧٥ ، وتخريج الدلالات السمعية للخراعي: ٤٧ ، والصواعق: ١/٢٥٢ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ٦١) .

أما سبب استلحاق معاوية له وجعله أخاه ، فقد كان أبو سفيان رأى زياد بن سمية في المدينة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فأعجبه فادعى أنه ابنه لأنه زنى بأمه ! فأراد معاوية بعد ثلاثين سنة أن يثبت كلام أبيه ولو كان ضد قول النبي صلى الله عليه وسلم ! فاستلحق زياداً فأطاعه القضاة والرواة ! وصار إسم زياد عند بخاري: (زياد بن أبي سفيان رضي الله عنه) ! (بخاري: ١٨٣/٢ والمستدرک: ٤٤٢/٣) .

قال الشوكاني في نيل الأوطار: ١٩٤/٥: (وقد أجمع أهل العلم على تحريم نسبته إلى أبي سفيان ، وما وقع من أهل العلم في زمان بني أمية ، فإنما هو تقية !) . وفي الإستيعاب: ٥٢٦/٢: (لما ادعى معاوية زياداً دخل عليه بنو أمية وفيهم عبد الرحمن بن الحكم فقال له: يا معاوية لو لم تجد إلا الزنج لاستكثرت بهم علينا قلةً وذلةً ! فأقبل معاوية على مروان وقال: أخرج عنا هذا الخليع ! فقال مروان: والله إنه لخليع إنه ما يطاق...) انتهى .

يقصد أن معاوية يريد تكثير إخوته أولاد أبي سفيان ، في مقابل بني مروان !
وفي أعلام الزركلي: ٣/٣٠٥، أن عبد الرحمن هذا (كان حاضراً عند يزيد بن
معاوية لما جرى إليه برأس الحسين ورآه عبد الرحمن ، فبكى وقال من أبيات:
سُمِّيَ أُمسَى نسلها عدد الحصى وبنتُ رسول الله ليس لها نسل !
فشتمه يزيد وأسكته) !! انتهى.

وقد وقع استلحاق زياد سنة ٤٤ هجرية (تاريخ دمشق: ١٩/١٧٢) وفيه قصصٌ ونوادر !
وقد أبطل العباسيون نسب آل زياد في بني أمية وردوهم الى نسبهم الى عبيد
غلام ثقيف، وصدر بذلك مرسوم من حاكم البصرة (الطبري: ٦/٣٦٤. راجع أيضاً: الطبري:
٤/٢٣٥، وتاريخ دمشق: ٣٤/٣١٤، النهاية: ٨/١٠٣، لكن بخاري وأمثاله ظلوا مع معاوية كما تقدم !).
وقد اعترف معاوية لعائشة أنه إنما فعل ذلك تنفيذاً لرغبة أبي سفيان ! قال: (يا
أم المؤمنين... وأما زياد فإن أبي عهد إلي فيه). (شرح الأخبار: ٢/١٧٢).

وكان معاوية يعرف قول النبي ﷺ جيداً: الولد للفراس وللعاهر الحجر ! فعندما
ادعى نصر بن الحجاج أن عبدالله بن رباح مولى عبد الرحمن بن خالد ، أخوه
لقول أبيه إنه زنى بأمه ، فاختصموا ورفعوا أمرهم الى معاوية: (أعدَّ لهم معاوية
حجراً تحت بعض فرشه فألقاه إليهم ! فقالوا له: نُسُوْغُ لك ما فعلت في زياد
ولانسُوْغُ لنا ما فعلنا في صاحبنا؟! فقال: قضاء رسول الله خير لكم من قضاء
معاوية)!! (الطبري: ٦/٣٦٥، والفتح: ١٢/٣٣، وأبو يعلى: ١٣/٣٨٣، وتاريخ دمشق: ٣٧/٤٢٨، وغيرها) .

هذا، وقد استفاد زياد من بنود صلح معاوية مع الإمام الحسن (عليه السلام)، لكنه
ضعف أمام إغراء معاوية فصالحه واستلحقه معاوية بنسبه، وكان استلحاقه وبالأ
عليه ! فقد نفَّذ معاوية به سياساته الدموية وقتل بيده ألوفاً مؤلفة من خيار الأمة،
ثم لما رآه طمع أن يكون ولي عهده بدل يزيد لم يتردد في قتله ، كما تقدم !

الفصل الثالث

تسلط معاوية وعودة الإمام الحسن عليه السلام إلى مدينة جده صلى الله عليه وآله

الإمام الحسن عليه السلام يعود من المدائن الى الكوفة

تم توقيع عهد الصلح ، بعدما وافق معاوية على النقاط التي أرسلها له الإمام الحسن عليه السلام فوقع عليها ، ثم أرسل معاوية رقاً أبيض موقعاً مختوماً بخاتمه ، ليكتب فيه الإمام عليه السلام كل ما أراد ، فكتب ما أراد واحتفظ به .

(ولما أراد الحسن المسير من المدائن إلى الكوفة حين جاءه ابن عامر وابن سمرة بكتاب الصلح ، وقد أعطاه فيه معاوية ما أراد ، خطب فقال في خطبته: فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا). (أنساب الأشراف للبلاذري/٧٤٢).

(جمع الحسن بن علي رؤوس أصحابه في قصر المدائن فقال: يا أهل العراق ، لو لم تذهل نفسي عنكم إلا لثلاث خصال لذهلت: قتلكم أبي ، وطعنكم بغلتي ، وانتهابكم ثقلي ، أو قال: ردائي عن عاتقي ، وإنكم قد بايعتموني أن تسالموا من سالمتم وتحاربوا من حاربتم ، وإني قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا . قال ثم نزل فدخل القصر). (وأنساب الأشراف/٧٤٢ ، وتاريخ بغداد: ١٤٩/١ ، وتاريخ دمشق: ٢٧٠/١٣ ،

وفيه: دخل القصر وأغلق الباب دونهم ، والإصابة: ٦٥/٢ ، والمعرفة والتاريخ/٢٧٥٣ ، وغيرها).

ثم عاد الإمام الحسن عليه السلام من المدائن الى الكوفة ليسلم السلطة الى معاوية ، ثم ينسحب الى مدينة جده عليه السلام ويواجه مع العترة النبوية موجة الظلم الأموية .

الإمام الحسن عليه السلام يخطب في الكوفة قبل أن يغادرها الى المدينة

وصل الإمام الحسن عليه السلام الى الكوفة قبل معاوية بفترة ، وذكر ابن الأثير أنه

خطب في المسجد خطبته مؤثرة فبكى الحاضرون وخنوا! والخنين الشيع .
 ففي أسد الغابة: ١٤/٢: (ولما بايع الحسن معاوية خطب الناس قبل دخول معاوية
 الكوفة ، فقال: أيها الناس إنما نحن أمراؤكم وضيافانكم ، ونحن أهل بيت نبيكم
 الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، وكرر ذلك حتى ما بقي إلا من بكى
 حتى سُمع نسيجه) . ومثله في الكامل: ٢٧٣/٣ ، ونحوه في مجمع الزوائد: ١٧٢/٩ ،
 وفيه: (فما زال يومئذ يتكلم حتى ما ترى في المسجد إلا باكياً . رواه الطبراني
 ورجاله ثقات). (وهو في الطبراني الكبير: ٩٣/٣) .

وفي شواهد التنزيل: ٣٢/٢: (فما رأيت يوماً قط أكثر باكياً من يومئذ).
 وفي تفسير ابن كثير: ٤٩٥/٣ ، وتاريخ دمشق: ٢٦٩/١٣: (فما زال يقولها حتى ما
 بقي أحد من أهل المسجد إلا وهو يخنُ بكاء) وفي ٢٦٩/٩: (قال هلال: فما سمعت
 يوماً قط كان أكثر باكياً ومسترجعاً من يومئذ).

وفي بنايع المودة: ٤٢٣/٢: (وما بقي أحد في المجلس إلا وهو يبكي . وكان
 الحسن رضي الله عليه سيداً حليماً كريماً زاهداً ، ذا سكينه ووقار وذا حشمة ،
 وجواداً ممدوحاً). وفي تاريخ الطبري: ١٢٦/٤: (فجعل الناس يبكون . ثم تحملوا إلى
 المدينة). ومثله في الصواعق المحرقة: ٤١٠/٢ .

أقول: يظهر أن هذه الخطبة كانت في مسجد الكوفة ، بعد وصول معاوية
 وخطبته في النخيلة ! وأنها آخر خطبة للإمام عليه السلام لأهل الكوفة قبل أن يغادرها إلى
 المدينة ، كما تشير العبارة الأخيرة في تاريخ الطبري وغيره .



معاوية يدخل الكوفة فاتحاً فيثأر لفتح مكة !

وصف المحدثون والمؤرخون حالة معاوية عند موافقة الإمام الحسن عليه السلام على

الفصل الثالث : تسلط معاوية وعودة الإمام الحسن عليه السلام الى مدينة جده عليه السلام ٨٣

الصلح بأنه (كاد يطير فرحاً) ! (سير أعلام النبلاء: ٢٧٧/٣، وإمتاع الأسماع: ٣٥٨/٥ ، ونهاية الإرب: ٤٣٩٩) . وبهذه الحالة أسرع من قرب حلب يغدُ السير الى الكوفة ، فدخل معسكر النخيلة في أوائل جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين للهجرة. (الحاكم: ١٧٤/٣) وفي تاريخ دمشق: ٢٦٥/١٣: (أرسل الحسن بن علي عبد الله بن الحارث بن نوفل إلى معاوية حتى أخذ له ما سأل ، وأرسل معاوية عبد الله بن عامر بن كريز ، وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس ، فقدموا المدائن إلى الحسن فأعطياه ما سأل وما أراد ووثقا له ، فكتب إليه الحسن أن أقبل ، فأقبل من جسر منبج إلى مسكن في خمسة أيام وقد دخل يوم السادس ، فسلم إليه الحسن الأمر وبايعه ثم سارا جميعاً حتى قدما الكوفة فنزل الحسن القصر ، ونزل معاوية النخيلة فأتاه الحسن في عسكره غير مرة). (ورواه في تهذيب الكمال: ٢٤٥/٦) .

والصحيح أن الإمام الحسن عليه السلام عاد الى الكوفة أولاً ، ثم وصل اليها معاوية بمن جاء معه ، وانضم اليه جيشه الذي كان في مسكن أي الدجيل ، فاستقبله في معسكر النخيلة قرب الكوفة عملاؤه القدماء والجدد الذين اشتراهم له الأشعث ! ونزل في معسكر النخيلة ، ثم زاره الإمام عليه السلام في النخيلة ، ثم كان المجلس العام في مسجد الكوفة بمناسبة غلبة معاوية على رقاب المسلمين ! قال البلاذري في أنساب الأشراف/٧٤٢: (وشخص معاوية من مسكن إلى الكوفة فنزل بين النخيلة ودار الرزق ، معه قُصَّاص أهل الشام وقرأؤهم). انتهى.

معاوية يَتَهَتَّكُ ويكشف نواياه عند وصوله الكوفة !

ادعت عائشة وطلحة والزبير أنهم خرجوا على علي عليه السلام وقتلوه وسفكوا دماء المسلمين قربة الى الله تعالى ، وأنهم لا مطلب لهم من علي عليه السلام إلا أن يدفع إليهم

قتلة عثمان فيقتصوا منهم ! وكان جوابه ﷺ أن عليهم أن يفوا بيعته ويدخلوا فيما دخل فيه المسلمون ، ثم يطلب منه أولاد عثمان أولياء دم أبيهم القصاص من القتلة ، وحينئذ يقضي بينهم بالحق ،! وكانت هذه الحقيقة واضحة لعائشة !

ففي شرح النهج: ٥٤٨/٩: (خرج عثمان بن الحنيف (والي البصرة من قبل علي ﷺ) إلى طلحة والزبير في أصحابه فناشدهم الله والإسلام وأذكرهما بيعتهما علياً فقالا: نطلب بدم عثمان . فقال لهما: وما أنتما وذاك ؟! أين بنوه أين بنو عمه الذين هم أحق به منكم ؟! كلا والله ولكنكما حسدتماه حيث اجتمع الناس عليه وكنتما ترجوان هذا الأمر وتعملان له ، وهل كان أحد أشد على عثمان قولاً منكما ؟! فشتماه شتماً قبيحاً وذكرأ أمه) !

وقد كتب علي ﷺ عائشة وأرسل اليها من احتج عليها لكنها كانت مغترة بجيشها فأجابته: (قد جلَّ الأمر عن الخطاب يابن أبي طالب). (المناقب: ٣٣٨/٢، والكافّة في رد توبة الخاطئة للمفيد/ ٢٠).

ولم ينتصر أصحاب الجمل حتى تنكشف نواياهم على ألسنتهم كما حدث لمعاوية ! فقد ادعى معاوية مثلهم أنه إنما خرج على علي ﷺ طلباً بدم عثمان لأنه أموي فهو ولي دمه ، وقام بدعاية واسعة في الشام لذلك ، وأرسل قميص عثمان وبعض أصابع زوجته نائلة الى القرى والأرياف ، وأقام له مجالس العزاء والنوح ! قال الطبري في تاريخه: ٥٦١/٣: (وضع معاوية القميص على المنبر وكتب بالخبر إلى الأجناد ، وثاب إليه الناس وبكوا سنة ، وهو على المنبر والأصابع معلقة فيه ، وآلى الرجال من أهل الشام ألا يأتوا النساء ولا يمسهم الماء للغسل إلا من احتلام ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان ، ومن عرض دونهم بشئ أو تفنى أرواحهم ! فمكثوا حول القميص سنة والقميص يوضع كل يوم على المنبر

ويجلله أحياناً فيلبسه ، وعلق في أurdانه أصابع نائلة). انتهى.

وقال الذهبي في السير: ١٤٠/٣: (عن ابن شهاب قال: لما بلغ معاوية هزيمة يوم الجمل وظهور علي ، دعا أهل الشام للقتال معه على الشورى والطلب بدم عثمان فبايعوه على ذلك أميراً غير خليفة). وفي مصنف ابن أبي شيبة: ٢٥٠/٧: (عن أبي بردة قال قال معاوية: ما قاتلت علياً إلا في أمر عثمان). انتهى.

قال الدكتور حسن بن فرحان المالكي في كتابه نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي/ ٢٧٩: (كون معاوية هو ولي دم عثمان باطل ، فإن أبناء عثمان هم أولياء دم عثمان ، وكانوا شباباً بالغين خرجوا مع عائشة يوم الجمل ، فهم أولياء دمه وليس معاوية ! أما كونه كبير أسرة بني أمية فإن القبلية قد أبطلها الإسلام ! فقول الفقيهي فيه إقرار بشرعية العصبية القبلية على حساب الأحكام الشرعية ! وللأسف أن أكثر المؤرخين الإسلاميين اليوم إذا تحدثوا عن خلاف معاوية ، فإنهم يركزون على الجانب القبلي الجاهلي في تسويغ خروج معاوية ، وينسون الجانب الشرعي الإسلامي أو يتناسونه) ! انتهى.

إذا امتلأ القلب بالزيف فاض على اللسان !

فقد وصل معاوية إلى معسكر النخيلة بالكوفة ليلة الجمعة أو يومها ، وصلى بهم الجمعة ، وخطب خطبة مشحونة بالتحدي لأهل الكوفة والإذلال ، أعلن فيها أنه لم يقاتل علياً عليه السلام وأهل العراق من أجل عثمان ولا الإسلام ، وإنما لأجل أن يتسلط على المسلمين ويحكمهم ، وها هو وصل إلى هدفه رغم أنوفهم !

قال ابن أبي شيبة في مصنفه: ٢٥١/٧: (عن سعيد بن سويد قال: صلى بنا معاوية الجمعة بالنخيلة في الضحى ثم خطبنا فقال: ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا ، وقد أعرف أنكم تفعلون ذلك ، ولكن إنما قاتلتكم لأتأمر

عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون). (وابن عساكر في تاريخه: ١٥٠/٥٩، وابن
 كثير في النهاية: ١٤٠/٨، والذهبي في سير أعلام النبلاء: ١٤٦/٣، وقال في هامشه: أخرجه البخاري: ٥/
 ٢٢٤، ٢٢٥ في الصلح، و: ٥٢/١٣، ٥٧، وسيدكره المؤلف بتمامه في ٢٧٠/، ٢٧١).

قال المفيد رحمته الله في الإرشاد: ١٥/٢: (سار معاوية حتى نزل بالنخيلة، وكان ذلك يوم
 جمعة فصلى بالناس ضحى النهار فخطبهم وقال في خطبته: إني والله ما قاتلتكم
 لتصلوا ولا تصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، ولكني قاتلتكم
 لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون !! ألا وإني كنت منيت الحسن
 وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدمي لا أفي بشئ منها له)!!

وفي مقاتل الطالبين/٤٥: (كان عبد الرحمن بن شريك إذا حدث بذلك يقول:
 هذا والله هو التهتك! وفي الملاحم والفتن/١٠٨: (رغم أنفكم).

وفي تاريخ دمشق: ٣٨٠/٥٢: (إني والله ما قاتلتكم على الصوم والصلاة والزكاة
 وإني لأعلم أنكم تصومون وتصلون وتزكون ولكن قاتلتكم لأتأمر عليكم.....
 قوموا فبايعوا، فبايعه الناس فمر به شيخ فقال: أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه
 فقال: لا شرط لك، فقال: لا بيعة لك، فإنما خاف معاوية أن يفسد عليه الناس
 قال أجلس فتركه حتى إذا رأى أنه قد عقل، قال: أيها الشيخ لاخير في أمر لا
 يعمل فيه بكتاب الله وسنة نبيه، فبايع أيها الشيخ فبايعه). انتهى.

لا يفي بعهده للمسلمين لكن يفي للروم ويدفع لهم الجزية !

قال البلاذري في فتوح البلدان/١: ١٨٨/١: (حدثني هشام بن عمار قال: حدثنا الوليد
 بن مسلم، عن صفوان بن عمرو وسعيد بن عبد العزيز أن الروم صالحت معاوية
 على أن يؤدي إليهم مالا، وارتهن معاوية منهم رهنا فوضعهم ببيعك. ثم إن
 الروم غدرت فلم يستحل معاوية والمسلمون قتل من في أيديهم من رهنهم،

وخلوا سبيلهم وقالوا: وفاء بغدر ، خير من غدر بغدر . قال هشام: وهو قول العلماء الأوزاعي وغيره). انتهى. وهذا يدل على أن ميزان معاوية في وفائه وخيانتة ، ليس هو تقواه كما يصورها النص ، بل المعادلة العسكرية والسياسية كما يفهمها ، ولو كان ميزانه التقوى لوفى بما وقع عليه للإمام الحسن عليه السلام وحلف عليه بأغلظ الأيمان ، وأشهد عليه الله تعالى وشخصيات المسلمين !

عائلة عثمان تعترض على كذب معاوية !

روى الطبري في تاريخه: ٥٦٩/٣: أن علياً عليه السلام أرسل ثلاثة من شخصيات المسلمين إلى معاوية هم بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري ، وسعيد بن قيس الهمداني ، وشبث بن ربعي التميمي فقال: إئتوا هذا الرجل فادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة ، فقال له شبث بن ربعي: يا أمير المؤمنين ألا تطعمه في سلطان توليه إياه ومنزلة يكون له بها أثره عندك إن هو بايعك ؟ فقال علي: إئتوه فألقوه واحتجوا عليه وانظروا ما رأيه..الخ. وأورد الطبري احتجاجهم البالغ على معاوية فكان جوابه: ونطل دم عثمان رضي الله عنه ؟ لا والله لا أفعل ذلك) !! انتهى.

وفي الغدير: ٢٠٢/١: (قال الأصمغ: فدخلت على معاوية وهو جالس على نطح من الأدم متكئاً على وسادتين خضراوتين وعن يمينه عمرو بن العاص وحوشب وذو الكلاع ، وعن شماله أخوه عتبة وابن عامر بن كريز والوليد بن عقبة ، وعبد الرحمن بن خالد ، وشرحبيل بن السمط . وبين يديه أبو هريرة وأبو الدرداء والنعمان بن بشير وأبو أمامة الباهلي ، فلما قرأ الكتاب قال: إن علياً لا يدفع إلينا قتلة عثمان . قال الأصمغ فقلت له: يا معاوية لاتعتل بدم عثمان فإنك تطلب الملك والسلطان ، ولو كنت أردت نصره حياً لنصرته ، ولكنك تربصت به لتجعل ذلك سبباً إلى وصول الملك ! فغضب من كلامي ، فأردت أن يزيد غضبه فقلت لأبي

هريرة: يا صاحب رسول الله إني أحلفك بالذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة وبحق حبيبه المصطفى إلا أخبرتني أشهدت يوم غدير خم؟ قال: بلى شهدته . قلت: فما سمعته يقول في علي قال: سمعته يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله . فقلت له: فإذا أنت يا أبا هريرة واليت عدوه وعاديت وليه ! فتنفس أبو هريرة الصعداء وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون). (الحنفي في مناقبه/١٣٠ ، وسبط ابن الجوزي في تذكرته/٤٨).

لكن معاوية عندما سيطر على المسلمين نسي دم عثمان وأطلّه ، وجعله تحت قدمه كشروط الصلح ، ولم يهتم لاعتراض أولاد عثمان واستغاثتهم !

قال ابن كثير في النهاية: ١٤١/٨: (فتوجه معاوية) إلى دار عثمان بن عفان فلما دنا إلى باب الدار صاحت عائشة بنت عثمان وندبت أباها ، فقال معاوية لمن معه: انصرفوا إلى منازلكم فإن لي حاجة في هذه الدار ، فانصرفوا ودخل فسكن عائشة بن عثمان وأمرها بالكف وقال لها: يا بنت أخي إن الناس أعطونا سلطاننا فأظهرنا لهم حلماً تحته غضب ، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ، فبعناهم هذا بهذا وباعونا هذا بهذا ، فإن أعطيناهم غير ما اشتروا منا شحوا علينا بحقنا وغمطناهم بحقهم ، ومع كل إنسان منهم شيعته وهو يرى مكان شيعته فإن نكثناهم نكثوا بنا ، ثم لا ندري أكون لنا الدائرة أم علينا؟ ولأن تكوني ابنة عم أمير المؤمنين أحب إلي أن تكوني أمة من إماء المسلمين ونعم الخلف أنا لك بعد أبيك). (دروته مصادر عديدة كالبيان والتبيين/٤٦٧ ، والعقد الفريد/١٠٧٨ ، وشرح الأخبار: ١١٣/٢ ، وتاريخ دمشق: ١٥٤/٥٩).

الإمام الحسن عليه السلام يسجل مطالباته بتنفيذ الشروط

روى الطبري في تاريخه: ١٢٤/٤ مطالبات الإمام الحسن عليه السلام معاوية بتنفيذ شروطه ، قال:

(وقد أرسل معاوية قبل هذا إلى الحسن بصحيفة بيضاء مختوم على أسفلها ، وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت ، فهو لك ! فلما أتت الحسن اشترط أضعاف الشروط التي سأل معاوية قبل ذلك ، وأمسكها عنده ، وأمسك معاوية صحيفة الحسن التي كتب إليه يسأله ما فيها .

فلما التقى معاوية والحسن سأله الحسن أن يعطيه الشروط التي شرط في السجل الذي ختم معاوية في أسفله ، فأبى معاوية أن يعطيه ذلك ، فقال: لك ماكنت كتبت إليّ أولاً تسألني أن أعطيكه، فإني قد أعطيتك حين جاءني كتابك. قال الحسن: وأنا قد اشترطت حين جاءني كتابك وأعطيني العهد على الوفاء بما فيه ، فاختلفا في ذلك فلم ينفذ للحسن من الشروط شيئاً!! انتهى.

أقول: إن ادعاء الرواة أن الإمام الحسن عليه السلام (اشترط أضعاف الشروط التي سأل معاوية قبل ذلك وأمسكها عنده) تبريرٌ لنكث معاوية ، فإن الذي يبعث بصحيفة بيضاء موقعة مختومة ، لا يعتذر بأن شروطها أكثر مما جرت المفاوضات حوله ! كما أن حجة معاوية بأنه نفذ كل ما عليه ، وهو ما طلبه الإمام الحسن عليه السلام في رسالته.. ويقصد بها الراوي الرسالة المتقدمة التي اقتضت على شرطين: تطبيق الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الصالحين ، وعدم عهده بالخلافة بعده لأحد !

هذه الحجة لا يمكن قبولها ، ولو قالها معاوية فلا بد أن الإمام أجابه ورد حجته بأنها رسالته كانت في المفاوضات حول نقطة وليست كل الشروط !

ويبدو أن مطالبة من الإمام الحسن عليه السلام هذه كانت بعد خطبة معاوية في الكوفة إعلانه أنه لن يفي بشئ ، وأن شروطه التي شرطها لهم تحت قدمه !!

قد يقال: لماذا لم يقم الإمام الحسن عليه السلام على الفور بحركة مطالبة لمعاوية بالوفاء بالشروط ويضغط عليه بالرأي العام ، أو لماذا لم يقم بعد فترة بعد تصريح

معاوية بخيانتة لتعهداته ، ومواصلته سياسة سب علي عليه السلام واضطهاد شيعته !؟
والجواب: أن معاوية لم يعلن ذلك في الكوفة إلا بعد أن دخلها بجيش مطيع
من أهل الشام ، وهو يعرف أن أهل العراق قد تفككت قوتهم ، وأنهم ذلوا
بمعصيتهم لإمامهم عليه السلام فلا يستطيعون أن يواجهوه ! فقرر أن يتحداهم ويذلهم !

معاوية يدخل مسجد الكوفة

كان كلامه في مسجد الكوفة أسوأ من تصريحه في النخيلة ، وقد دخله في
نفس اليوم فتكلم ابن العاص بعد كلام الإمام الحسن عليه السلام ، ثم تكلم معاوية
فواصل غطرسته وتحديه وإذلاله لأهل الكوفة ، وإعلانه عدم وفائه بشئ من
شروط عهد الصلح ! قال ابن الأَعمش في كتابه الفتوح: ٢٩٤/٤: (وقام عمرو بن
العاص فقال: يا أهل العراق ! إنا كنا نحن وأنتم جميعاً على كلمة هي السواء
ففرق بيننا وبينكم الأهواء ثم تحاكمنا إلى الله فحكم أنكم أنتم الظالمون لنا ،
فنداركوا ما سلف منكم بالسمع والطاعة ، يصلح لكم دينكم ودنياكم . والسلام !
ثم تكلم معاوية فقال: أيها الناس ! إنه لم تتنازع أمة كانت قط من قبلنا في
شيء من أمرها بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها (ومنا تلعمن فقال) إلا هذه
الأمة فإن الله تعالى أظهر خيارها على أشرارها ، وأظهر أهل الحق على أهل
الباطل ، ليتيم لها بذلك ما أسداها من نعمة عليها فقد استقر الحق قراره ، وقد
كنت شرطت لكم شروطاً أردت بذلك الألفة واجتماع الكلمة وصلاح الأمة
وإطفاء النائرة ، والآن فقد جمع الله لنا كلمتنا وأعز دعوتنا ، فكل شرط شرطته
لكم فهو مردود ، وكل وعد وعده أحدكم فهو تحت قدمي .

قال: فغضب الناس من كلام معاوية وضجوا وتكلموا ، ثم شتموا معاوية وهموا
به في وقتهم ذلك وكادت الفتنة تقع ، وخشي معاوية على نفسه فندم على ما

تكلم به أشد الندم . وقام المسيب بن نجبة الفزاري إلى الحسن بن علي فقال: لا والله جعلني الله فداك ما ينقضي تعجبي منك ! كيف بايعت معاوية ومعك أربعون ألف سيف ، ثم لم تأخذ لنفسك ولا لأهل بيتك ولا لشيعتك منه عهداً وميثاقاً ، في عقد طاهر ، لكنه أعطاك أمراً بينك وبينه ثم إنه تكلم بما قد سمعت ، والله ما أراد بهذا الكلام أحداً سواك . فقال له الحسن: صدقت يا مسيب ! قد كان ذلك فما ترى الآن؟ فقال: أرى والله أن ترجع إلى ما كنت عليه وتنقض هذه البيعة ، فقد نقض ما كان بينك وبينه ! قال: ونظر الحسن بن علي إلى معاوية وإلى ما قد نزل به من الخوف والجزع ، فجعل يسكن الناس حتى سكنوا ، ثم قال للمسيب: يا مسيب ! إن الغدر لا يليق بنا ولا خير فيه ، ولو أني أردت بما فعلت الدنيا لم يكن معاوية بأصبر مني على اللقاء ولا أثبت عند الوغاء ، ولا أقوى على المحاربة إذا استقرت الهيجاء ، ولكني أردت بذلك صلاحكم وكف بعضكم عن بعض ، فارضوا بقضاء الله وسلموا الأمر لله حتى يستريح بر ويستراح من فاجر... الخ). (وأنساب الأشراف ص ٧٤٤ ، وترجمة الإمام الحسن عليه السلام من الطبقات ص ٧٩).

أقول: هذا النص على ما فيه يكشف لنا عدة أمور:

أولاً: أن معاوية دخل الكوفة بنشوة النصر والانتقام ، ولم يخف نواياه في ذلك بل تعمد أن يظهرها ويعلن تشفيه بإذلال خصمه ، وأنه سينتقم سينتقم ! فهو لم يَنْسَ أن محمداً جدَّ الإمام الحسن عليه السلام دخل مكة بالأمس فاتحاً فأرسل ندائه إلى أهلها بالعفو العام قبل دخول رايته ! فبادر أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وآله وأعلن إسلامه وحفظ دمه ، بينما اضطر معاوية إلى الهرب إلى اليمن لأن النبي صلى الله عليه وآله هدر دمه لبذاءة لسانه !

وهو لم يَنْسَ أن أهل العراق لم يؤذوه معشار ما آذى هو وأبوه رسول الله صلى الله عليه وآله!

ولكنه شخص مادي الإحسابات والأهداف والعواطف ، فلم يعمل/ يوماً بالقيم الإسلامية أو الإنسانية ، حتى نطلب منه أن يعمل بها اليوم في فتح الكوفة !
ثانياً: إن قول عمرو العاص: (ثم تحاكمنا إلى الله فحكم أنكم أنتم الظالمون لنا) يدل على التفكير المادي الذي يحكم ذهنه ومعاوية ، فالغلبة الدنيوية ميزان الحق فالغالب على حق والمغلوب على باطل ! وهو التفكير اليهودي المادي .
وقوله: (فتداركوا ما سلف منكم بالسمع والطاعة يصلح لكم دينكم ودنياكم) ، يدل على منهجه في مصادرة الدين لمصلحة المتسلط ، فهو يطلب منهم أن يسمعوا ويطيعوا حتى يصلح دينهم ، ويرضى عنهم الله تعالى !

ثالثاً: المتأمل في مجرى مفاوضات الصلح ، يلاحظ أن الإمام الحسن عليه السلام بذل أقصى الجهد ، وحصل على أكثر ما يمكن من تعهدات ، فما نسبته إليه رواية ابن الأعمش من أنه أقر بتقصيره في شروط الصلح لابد من رده أو تأويله ! فقد زعمت أن المسيب قال له: (لم تأخذ لنفسك ولا لأهل بيتك ولا لشيعتك منه عهداً وميثاقاً في عقد ظاهر ، لكنه أعطاك أمراً بينك وبينه ثم إنه تكلم بما قد سمعت والله ما أراد بهذا الكلام أحداً سواك . فقال له الحسن: صدقت يا مسيب ! قد كان ذلك فما ترى الآن؟). ومعناه الصحيح أن الإمام عليه السلام قال له: أفرض أن ما تقوله صحيحاً فما العمل برأيك الآن ؟ وهنا دعاه المسيب الى إعلان نقض الصلح ! وهو يدل على سذاجة المسيب فإن هدف معاوية دفع الإمام الحسن عليه السلام الى حركة تنتهي بقتله !
رابعاً: ماذا يفعل الإمام الحسن عليه السلام أمام هذا الطغيان الأموي واستخذاء الأمة؟! لقد وجه معاوية كلامه الى زعماء الكوفة قبل الإمام عليه السلام وهم حاضرون يسمعون! وأعلن بصلافة ووقاحة وتحذيراً وإذلال في معسكر النخيلة ثم في مسجد الكوفة ، أنه لن يفي لهم بشروط الصلح ! فكانت غاية ردة فعل البعض منهم أنه تبرم

وأنحى باللائمة على الإمام الحسن عليه السلام !

فأين هم التسعون ألف سيف أو الأربعون ألفاً الذين تتحدث عنهم مصادر السنة والمسيب بن نجية؟ ولماذا لم يتحرك هو وغيره بعشائريهم ، فيتجهروا معترضين على إعلان معاوية نقض الشروط؟! وهل يريدون من الإمام الحسن عليه السلام أن يعلن أن معاوية نقض الشروط وأن الصلح قد بطل ، ويدعوهم إلى جهاد معاوية فيتفرقوا عنه ، فيقتله معاوية أو يأخذه أسيراً؟! أم يريدون أن يدعوهم إلى اجتماع في مسجد الكوفة ويخرج لهم نسخة الرق المختوم بختم معاوية ويقرأها ويطلب منهم تهديد معاوية لإلزامه بتنفيذ الشروط التي قطعها على نفسه؟! وهل ستكون نتيجة مثل هذه الدعوة إلا خوفهم من مجرد الحضور فيعلن معاوية أن الحسن عليه السلام نكث الصلح ودعا إلى حربه فحلّ دمه ودم أهل بيته ! فيقتله وأهل بيته أو يأسرهم ، وهم يتفرجون؟!!

وقد نسب البلاذري هذا الكلام إلى سليمان بن صرد عندما جاء في وفد أهل الكوفة إلى الإمام عليه السلام بالمدينة ، قال في أنساب الأشراف/٧٤٤: (فخرجوا إليه بعد سنتين من يوم بايع معاوية فقال له سليمان بن صرد الخزاعي: ما ينقضي تعجبنا من بيعتك معاوية ومبعك أربعون ألف.... ثم لم يف بها ثم لم يلبث أن قال على رؤوس الناس: إني كنت شرطت شروطاً.... فإن ذلك تحت قدمي.... فإذا شئت فأعد الحرب جذعة وأنذر لي في تقدمك إلى الكوفة ، فأخرج عنها عامله وأظهر خلعه وتنبذ إليه على سواه إن الله لا يحب الخائنين .

وتكلم الباقر بمثل كلام سليمان ، فقال الحسن: أنتم شيعتنا وأهل مودتنا ، فلو كنت بالحزم في أمر الدنيا أعمل ولسلطانها أربض وأنصب ما كان معاوية بأبأس مني بأساً ، ولا أشد شكيمة ولا أمضى عزيمة ، ولكنني أرى غير ما رأيتم

وما أردت فيما فعلت إلا حقن الدم فارضوا بقضاء الله وسلموا لأمره والزموا بيوتكم وأمسكوا ، أو قال: كفوا أيديكم حتى يستريح برٌّ أو يُستراح من فاجر). فإذا كانوا بعد أن ذاقوا ظلم معاوية لمدة سنتين يطلبون من الإمام عليه السلام أن يعلن هو بطلان الصلح ، فما هو حالهم في موجة الصلح ؟!

ثالثاً: كان الإمام الحسن عليه السلام على بصيرة من مجتمعه ، وهو يرى أن المرحلة لا تتحمل أكثر من تسجيل الموقف الصريح من معاوية نظرياً ، ليكون محفوظاً لأجيال المسلمين، ولمن يستفيق بعد مدة من ذلك الجيل الجبان المستسلم ! لذلك بينَ مقام أهل بيت النبي عليه السلام وكشف حقيقة بني أمية ومعاوية ، وطالبه بتنفيذ شروطه ، وفي نفس الوقت أعلن أنه لا يغدر ولا يتراجع عن صلحه !

كما واصل بعد الصلح وعودته الى المدينة اعتراضه على معاوية هو والإمام الحسين عليه السلام وأبرار الصحابة والأمة ! لكن هل ينفع مع معاوية اعتراض ؟!

قال ابن خزيمة شيخ البخاري كما رواه الصدوق في علل الشرائع: ٢١٠/١: (قال يوسف: فسمعت القاسم بن محمية يقول: ما وقى معاوية للحسن بن علي بشئ عاهده عليه ، وإنني قرأت كتاب الحسن إلى معاوية يعدُّ عليه ذنوبه إليه وإلى شيعة علي ، فبدأ بذكر عبد الله بن يحيى الحضرمي ومن قتلهم معه). انتهى.

رابعاً: من مظاهر الإستخذاء في أهل الكوفة في عصر الإمام الحسن عليه السلام أن زعماء الكوفة (وأشرافها) كما وصفتهم النصوص ، بادروا الى الخروج لاستقبال معاوية في معسكر النخيلة (الباسيات) التي تبعد عن الكوفة عدة ساعات . فواجههم معاوية بخطبة نمرودية مهينة أعلن فيها أنه لا يفي لهم بشرط ، فخرسوا أمامه !

ثم أمرهم بعد أيام أن يخرجوا الى حرب الخوارج فخرجوا ! والطريف أن الخوارج خصموهم بالحجة ، فسمح بها جنود الزعماء (الشرفاء) شواريهم !

قال الطبري في تاريخه: ١٢٦/٤: (قدم معاوية قبل أن يبرح الحسن من الكوفة حتى نزل النخيلة فقالت الحرورية الخمسمائة التي كانت اعتزلت بشهرزور مع فروة بن نوفل الأشجعي: قد جاء الآن ما لا شك فيه فسيروا إلى معاوية فجاهدوه ، فأقبلوا وعليهم فروة بن نوفل حتى دخلوا الكوفة فأرسل إليهم معاوية خيلاً من خيل أهل الشام فكشفوا أهل الشام (أي هزمهم) ! فقال معاوية لأهل الكوفة: لا أمان لكم والله عندي حتى تكفؤا بوائقكم (أي تعالجوا سيئاتكم) ! فخرج أهل الكوفة إلى الخوارج فقاتلوهم ! فقالت لهم الخوارج: ويلكم ما تبغون منا؟ أليس معاوية عدونا وعدوكم؟! دعونا حتى نقاتله وإن أصبناه كنا قد كفيناكم عدوكم وإن أصابنا كنتم قد كفيتمونا ! قالوا: لا والله حتى نقاتلكم ! فقالوا: رحم الله إخواننا من أهل النهر هم كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة)! انتهى.

أقول: إن الفرق كبير بين قتال أهل الكوفة للخوارج تحت راية هدى مع إمام حق بالنص والبيعة عليه السلام ، وبين قتالهم لهم تحت راية ضلال وقيادة متسلط بالقهر والجبر ، وإمام لأهل النار بالنص! ولكن أذهان الخوارج لاتدرك مدى التغير الشرعي والنفسي الذي طرأ على مقاتليهم اليوم ومقاتليهم بالأمس في النهروان .

خامساً: ينبغي الإشارة الى أن معاوية أتقن برنامج دخوله الى الكوفة ، فقد عمل حزبه بنشاط متواصل لحشد رؤساء القبائل لاستقباله في النخيلة ، ثم لاستقباله في مسجد الكوفة ، وأرسل أمامه أبا هريرة ليحدث المسلمين عن النبي صلى الله عليه وسلم ويذم علياً عليه السلام ويهيئ الجو لمعاوية في المسجد !

فقد نقل الرواة عن الأعمش رضي الله عنه ما كذبه أبو هريرة كما في شرح النهج: ١٧/٤: قال: (لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة ، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ، ثم ضرب صلته مراراً وقال: يا

أهل العراق أتزعمون أنني أكذب على الله وعلى رسوله وأحرق نفسي بالنار؟! والله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول: إن لكل نبي حرماً، وإن حرمني بالمدينة ما بين عير إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . وأشهد بالله أن علياً أحدث فيها !! فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاه إمارة المدينة (. انتهى . ويقصد أبو هريرة بقوله إن علياً عليه السلام أحدث في المدينة أنه عندما أغار بسر بن أرطاة من قبل معاوية على المدينة ، وأجبرهم على خلع بيعة علي عليه السلام والبيعة لمعاوية وكان أبو هريرة متحمساً لمعاوية! فجعله بسر والياً على المدينة ! فجاء جارية بن قدامة السعدي رضي الله عنه بجيش من الكوفة فهرب منه بسر بجيشه وهرب أبو هريرة أيضاً !

قال الطبري: ١٠٧/٤: (ثم سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلي بهم فهرب منه فقال جارية: والله لو أخذت أبا سنور لضربت عنقه ، ثم قال لأهل المدينة: يايعوا الحسن بن علي فبايعوه .) (والنهاية: ٣٥٧/٧ ، وقد بايعوا الحسن لأنه بلغهم قتل علي عليه السلام).

قال الشيخ محمود أبو رية في كتابه: أضواء على السنة المحمدية/٢١٦، تعليقاً على ضرب أبي هريرة على صلغته واتهامه علياً عليه السلام: (على أن الحق لا يعدم أنصاراً وأن الصحابة إذا كان فيهم مثل أبي هريرة ممن يستطيع معاوية أن يستحوذ عليه ، فإن فيهم كثرة غالبية لا يستهويها وعد ولا يرهبها وعيد . فقد روى سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن القاسم عن عمر بن عبد الغفار أن أبا هريرة ، لما قدم الكوفة مع معاوية ، كان يجلس بالعيشيات بباب كندة ويجلس الناس إليه فجاء شاب من الكوفة فجلس إليه فقال: يا أبا هريرة أنشدك الله أسمعته رسول الله يقول لعلي بن أبي طالب: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ؟ فقال: اللهم نعم . فقال: فأشهد بالله لقد واليت عدوه وعاديت وليه ! ثم قام عنه بعد أن لطمه هذه اللطمة الأليمة).

الفصل الثالث : تسلط معاوية وعودة الإمام الحسن عليه السلام إلى مدينة جده عليه السلام ٩٧

وفي مصنف ابن أبي شيبة: ٤٩٩/٧ أن شاباً قام إليه وسأله: (فقال الشاب: أنا منك برئ ! أشهد أنك قد عادت من والاه وواليت من عاداه ، قال: فحصبه الناس بالحصباء). انتهى. أي رمى أتباع معاوية الشاب بالحصى ! وينبغي أن نشير هنا الى خيانة الرواة والمؤلفين الذين بتروا هذا الحديث ، فحذفوا كلام الشاب المسلم ! كما ترى في مجمع الزوائد: ١٠٥/٩ ، وأبي يعلى: ٣٠٧/١١ ، وابن سعد: ١١٠/٢ ، وتاريخ دمشق: ٢٣٢/٤٢ والنهاية: ٢٣٢/٥ . وقد استوفاه الأميني رحمته الله في المناشدة والاحتجاج بحديث الغدير/ ٨٢ ، والسيد الميلاني في نفحات الأزهار: ٥٣٧/٧ والسيد الطباطبائي في رسالة طرق حديث من كنت مولاه/ ٨١ ، والأنصاري في المسانيد: ٤٩٣/٢ .

شموخ الإمام الحسن عليه السلام أمام غطرسة معاوية !

الإمام الحسن عليه السلام شخصية ربانية ، بين جنبه روح جده وأمه وأبيه عليهم السلام فهو في عالم أعلى من عوالم الناس ، سواء كان حاكماً أم محكوماً . وهذا أمر يصعب على معاوية أن يفهمه لأن ذهنه مسكون بالمقياس المادي والغلبة الدنيوية !

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٦٥٢: (لما ورد معاوية الكوفة واجتمع عليه الناس قال له عمرو بن العاص: إن الحسن مرتفع في الأنفس لقربته من رسول الله (ص) وإنه حديث السن عبيٌّ، فمره فليخطب فإنه سيعبى فيسقط من أنفس الناس فأبى ! فلم يزالوا به حتى أمره ، فقام على المنبر دون معاوية:

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: لو ابتغيتم بين جابلق وجابرس رجلاً جده نبي غيري وغير أخي لم تجدوه ! وإنا قد أعطينا معاوية بيعتنا ورأينا أن حقن الدماء خير . وَإِنْ أَذْرِي لَعَلَّه فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ وأشار بيده إلى معاوية ! فغضب معاوية فخطب بعده خطبة عيبة فاحشة ثم نزل وقال: ما أردت بقولك فتنة لكم ومتاع؟ قال: أردت بها ما أراد الله بها). (وأسد الغابة: ١٤/٢ ، وتاريخ دمشق: ٢٧٦/١٣).

وفي تاريخ الطبري: ١٢٤/٤: (فقال عمرو: لكني أريد أن يبدو عيه للناس فلم يزل عمرو بمعاوية حتى أطاعه ، فخرج معاوية فخطب الناس ، ثم أمر رجلاً فنادى الحسن بن علي عليه السلام فقال: قم يا حسن فكلّم الناس ، فتشهد في بديهة أمر لم يرو فيه ثم قال: أما بعد يا أيها الناس فإن الله قد هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بأخرنا وإن لهذا الأمر مدة، والدنيا دول ، وإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: وَإِنْ أَذْرِي لَعَلَّه فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ . فلما قالها قال معاوية: أجلس ، فلم يزل ضرماً على

عمرو ، وقال: هذا من رأيك). انتهى.

أقول: بخل علينا الرواة على عاداتهم ، فلم ينقلوا إلا يسيراً من خطبة الإمام الحسن عليه السلام ! ويظهر من مجموع نصوصها أنها كانت خطبة قوية صريحة ، أفاض فيها الإمام عليه السلام في الثناء على الله تعالى والرضا بمقاديره في الأمم بعد أنبيائها عليهم السلام ، وكشف للأمة طرفاً من مؤامرة قريش على العترة النبوية ، وزيف ما يدعيه معاوية من حق قريش وبني أمية في قيادة أمة النبي صلى الله عليه وآله!

ففي المناقب: ١٩٦/٣: (وإن معاوية نازعني حقاً هو لي فتركته لصالح الأمة وحقق دمانها ، وقد بايعتموني على أن تسالموا من سالم ، وقد رأيت أن أسالمة وأن يكون ما صنعت حجة على من كان يتمنى هذا الأمر ! وإن أدري لَعَلَّه فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) .

وروى سليم بن قيس رضي الله عنه / ٤٨٥ ، فقرات من أول الخطبة ، قال: (قام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام على المنبر حين اجتمع مع معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ، إن معاوية زعم أنني رأيته للخلافة أهلاً ولم أر نفسي لها أهلاً ، وكذب معاوية ! أنا أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان نبي الله . فأقسم بالله لو أن الناس بايعوني وأطاعوني ونصروني لأعطتهم السماء قطرها والأرض بركتها ولما طمعت فيها يا معاوية . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما وُلِّتْ أمةٌ أمرها رجلاً قطُّ وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفلاً حتى يرجعوا إلى ملة عبدة العجل ! وقد ترك بنو إسرائيل هارون واعتكفوا على العجل وهم يعلمون أن هارون خليفة موسى ! وقد تركت الأمة علياً وقد سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير النبوة فلا نبي بعدي . وقد هرب رسول الله صلى الله عليه وآله من قومه وهو يدعوهم إلى الله حتى فرَّ إلى

الغار ، ولو وجد عليهم أعواناً ما هرب منهم . ولو وجدت أعواناً ما بايعتك يا معاوية ! وقد جعل الله هارون في سعة حين استضعفوه وكادوا يقتلونه ولم يجد عليهم أعواناً ، وقد جعل الله النبي ﷺ في سعة حين فرّ من قومه لما لم يجد أعواناً عليهم ، وكذلك أنا وأبي في سعة من الله حين تركتنا الأمة وبايعت غيرنا ولم نجد أعواناً . وإنما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضاً .

أيها الناس ، إنكم لو التمستم فيما بين المشرق والمغرب ، لم تجدوا رجلاً من ولد النبي غيري وغير أخي (...). (ورواه في الإحتجاج: ٨٧٢).

وأكمل ما وصل إلينا من نصوص هذه الخطبة ، ما رواه الشيخ الطوسي رحمه الله في أماليه بسنده عن عبد الرحمن بن كثير ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جده علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ، قال في ٥٦١: (لما أجمع الحسن بن علي عليه السلام على صلح معاوية خرج حتى لقيه ، فلما اجتمعا قام معاوية خطيباً فصعد المنبر وأمر الحسن عليه السلام أن يقوم أسفل منه بدرجة ، ثم تكلم معاوية فقال: أيها الناس ، هذا الحسن بن علي وابن فاطمة ، رآنا للخلافة أهلاً ، ولم ير نفسه لها أهلاً ، وقد أتانا ليبيع طوعاً . ثم قال: قم يا حسن ! فقام الحسن عليه السلام فخطب فقال: الحمد لله المستحمد بالآلاء وتتابع النعماء ، وصارف الشدائد والبلاء ، عند الفهماء وغير الفهماء، المذعنين من عباده لامتناعه بجلاله وكبريائه ، وعلوه عن لحوق الأوهام ببقائه ، المرتفع عن كنه ظنائه المخلوقين من أن تحيط بمكنون غيبه رويّات عقول الرائيين . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده في ربوبيته ووجوده ووحدانيته ، صمداً لا شريك له ، فرداً لا ظهير له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اصطفاه وانتجبه وارتضاه وبعثه داعياً إلى الحق وسراجاً منيراً ، وللعباد مما يخافون نذيراً ولما يأملون بشيراً ، فنصح للأمة وصدع بالرسالة ، وأبان لهم

درجات العمالة ، شهادةً عليها أموت وأحشر ، وبها في الآجلة أقرب وأخبر .
وأقول: معشرَ الخلائق فاسمعوا ، ولكم أفئدة وأسماع فعوا: إنا أهل بيت
أكرمنا الله بالإسلام واختارنا واصطفانا واحتبانا ، فأذهب عنا الرجس وطهرنا
تطهيراً ، والرجس هو الشك فلا نشك في الله الحق ودينه أبداً ، وطهرنا من كل
أفَنٍ وغيَّةٍ مُخلَصين إلى آدم عليه السلام ، نعمةً منه ، لم يفترق الناس قط فرقتين إلا
جعلنا الله في خيرهما ، فأدت الأمور وأفضت الدهور إلى أن بعث الله محمداً
عليه السلام للنبوَّة واختاره للرسالة وأنزل عليه كتابه ، ثم أمره بالدعاء إلى الله عز
وجل فكان أبي عليه السلام أول من استجاب لله تعالى ولرسوله عليه السلام ، وأول من آمن
وصدق الله ورسوله ، وقد قال الله في كتابه المنزل على نبيه المرسل: أَفَمَنْ كَانَ
عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ، فرسول الله الذي على بيته من ربه ، وأبي
الذي يتلوه وهو شاهدٌ منه . وقد قال له رسول الله عليه السلام حين أمره أن يسير إلى
مكة والموسم ببراءة: سرُّ بها يا عليُّ فإني أمرت أن لايسير بها إلا أنا أو رجل
مني وأنت هو ، فعليُّ من رسول الله ورسول الله منه . وقال له نبي الله عليه السلام حين
قضى بينه وبين أخيه جعفر بن أبي طالب ومولاه زيد بن حارثة في ابنة حمزة:
أما أنت يا عليُّ فمني وأنا منك وأنت وليُّ كل مؤمن من بعدي ، فصدَّق أبي
ورسول الله في كل موطن يقدمه ولكل شديدة يرسله ، ثقةً منه به وطمأنينةً إليه
لعلمه بنصيحته لله ورسوله ، وأنه أقرب المقربين من الله ورسوله ، وقد قال الله
عز وجل: وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ . وكان أبي سابق السابقين إلى
الله عز وجل وإلى رسوله عليه السلام وأقرب الأقربين ، فقد قال الله تعالى: لَا يَسْتَوِي
مِنْكُمْ مَنْ أَتَى مِنَ الْقُبُورِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً ، فأبي كان أولهم
إسلاماً وإيماناً ، وأولهم إلى الله ورسوله هجرةً ولحقاً ، وأولهم على وجده

ووسعه نفقة ، قال سبحانه: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ . فالناس من جميع الأمم يستغفرون له سبقه إليهم إلى الإيمان بنبيه ﷺ وذلك أنه لم يسبقه إلى الإيمان به أحد ، وقد قال الله تعالى: وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فهو سابق جميع السابقين ، فكما أن الله عز وجل فضل السابقين على المتخلفين والمتأخرين فكذلك فضل السابقين على السابقين ، وقد قال الله عز وجل: أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . فهو المؤمن بالله والمجاهد في سبيل الله حقاً وفيه نزلت هذه الآية . وكان ممن استجاب لرسول الله ﷺ عمه حمزة وجعفر ابن عمه فقتلا شهيدين رضي الله عنهما ، في قتلى كثيرة معهما من أصحاب رسول الله ﷺ فجعل الله تعالى حمزة سيد الشهداء من بينهم، وجعل لجعفر جناحين يطير بهما مع الملائكة كيف يشاء من بينهم ، وذلك لمكانهما من رسول الله ﷺ ومنزلتهما وقربتهما منه ﷺ . وصلى رسول الله ﷺ على حمزة سبعين صلاة من بين الشهداء الذين استشهدوا معه ، وكذلك جعل الله تعالى لنساء النبي ﷺ للمحسنة منهن أجرين، وللمسيئة منهن وزرين ضعفين لمكانهن من رسول الله ﷺ . وجعل الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ بألف صلاة في سائر المساجد ، إلا المسجد الحرام ومسجد إبراهيم خليله ﷺ بمكة وذلك لمكان رسول الله ﷺ من ربه . وفرض الله عز وجل الصلاة على نبيه ﷺ على كافة المؤمنين فقالوا: يا رسول الله كيف الصلاة عليك ؟ فقال: قولوا: اللهم صلى على محمد وآل محمد ، فحق على كل مسلم أن

يصلي علينا مع الصلاة على النبي فريضة واجبة .

وأحل الله تعالى خمس الغنيمة لرسول الله عليه السلام وأوجبها له في كتابه ، وأوجب لنا من ذلك ما أوجب له ، وحرم عليه الصدقة وحرمها علينا معه ، فأدخلنا فله الحمد فيما أدخل فيه نبيه عليه السلام وأخرجنا ونزها مما أخرج منه ونزهاه ، كرامة أكرمنا الله عز وجل بها ، وفضيلة فضلنا بها على سائر العباد فقال الله تعالى لمحمد عليه السلام حين جحدته كفرة أهل الكتاب وحاجوه: فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ، فأخرج رسول الله من الأنفس معه أبي ومن البنين أنا وأخي ، ومن النساء أمي فاطمة من الناس جميعاً، فنحن أهل ولحمه ودمه ونفسه ونحن منه وهو منا وقد قال الله تعالى: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ، فلما نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله أنا وأخي وأمي وأبي فجعلنا ونفسه في كساء لأم سلمة خيبري ، وذلك في حجرتها وفي يومها فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وهؤلاء أهلي وعترتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، فقالت أم سلمة: أنا أدخل معهم يا رسول الله؟! فقال لها رسول الله: يرحمك الله أنت علي خير والي خير وما أَرْضَانِي عَنْكَ ! ولكنها خاصة لي ولهم . ثم مكث رسول الله عليه السلام بعد ذلك بقية عمره حتى قبضه الله إليه يأتينا كل يوم عند طلوع الفجر فيقول: الصلاة يرحمكم الله: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ، وأمر رسول الله بسد الأبواب الشارعة في مسجده غير بابنا فكلموه في ذلك فقال: أما إني لم أسد أبوابكم وأفتح باب عليٍّ من تلقاء نفسي ولكن أتبع ما يوحي إليّ ، إن الله أمر بسدها وفتح بابها، فلم يكن من بعد ذلك أحد تصيبه جنابة في مسجد رسول الله ويولد

فيه الأولاد غير رسول الله ﷺ وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام تكرمه من الله تعالى لنا وتفضلاً اختصنا به على جميع الناس . وهذا باب أبي قرين باب رسول الله في مسجده ، ومزنا بين منازل رسول الله ﷺ وذلك أن الله أمر نبيه ﷺ أن يبني مسجده فبنى فيه عشرة آيات تسعة لبنيه وأزواجه ، وعاشرها وهو متوسطها لأبي فيها هو بسبيل مقيم ، والبيت هو المسجد المطهر وهو الذي قال الله تعالى: "أَهْلُ الْبَيْتِ" فنحن أهل البيت ، ونحن الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

أيها الناس: إني لو قمت حولاً فحولاً أذكر الذي أعطانا الله عز وجل وخصنا به من الفضل في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ لم أحصه ، وأنا ابن النبي النذير البشير والسراج المنير الذي جعله الله رحمة للعالمين ، وأبي علي ولي المؤمنين وشبيه هارون . وإن معاوية بن صخر زعم أنني رأيته للخلافة أهلاً ولم أر نفسي لها أهلاً فكذب معاوية ! وأيم الله لأننا أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان رسول الله ، غير أنا لم نزل أهل البيت مُحَافِينَ مَظْلُومِينَ مضطهدين منذ قبض رسول الله ، فالله بيننا وبين من ظلمنا حقنا ونزل على رقابنا وحمل الناس على أكتافنا ، ومنعنا سهمنا في كتاب الله من الفئ والغنائم ، ومنع أمنا فاطمة عليها السلام إرثها من أبيها ! إنا لا نسمي أحداً ولكن أقسم بالله قسماً تالياً لو أن الناس سمعوا قول الله عز وجل ورسوله ﷺ لأعطتهم السماء قطرها والأرض بركتها ولما اختلف في هذه الأمة سيفان ، ولأكلوها خضراء خَضِرَةً إلى يوم القيامة ، وإذا ما طمعت فيها يا معاوية ! ولكنها لما أخرجت سالفاً من معدنها ، وزحزحت عن قواعدها تنازعته قريش بينها وترامتها كترامي الكرة ، حتى طمعت فيها أنت يا معاوية وأصحابك من بعدك ! وقد قال رسول الله ﷺ: ما

ولّت أمة أمرها رجلاً قط وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفلاً حتى يرجعوا إلى ما تركوا ! وقد تركت بنو إسرائيل وأصحاب موسى هارون أخاه وخليفته ووزيره وعكفوا على العجل وأطاعوا فيه سامريهم ، ويعلمون أنه خليفة موسى عليه السلام ! وقد سمعت هذه الأمة رسول الله ﷺ يقول ذلك لأبي عليه السلام : إنه مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي . وقد رأوا رسول الله ﷺ حين نصبه لهم بغدير خم وسمعوه ونادى له بالولاية ثم أمرهم أن يبلغ الشاهد منهم الغائب ! وقد خرج رسول الله ﷺ حذراً من قومه إلى الغار ، لما أجمعوا أن يمكروا به وهو يدعوهم لما لم يجد عليهم أعواناً ، ولو وجد عليهم أعواناً لجاهدهم . وقد كف أبي يده وناشدهم واستغاث أصحابه فلم يُغث ولم يُنصر ، ولو وجد عليهم أعواناً ما أجابهم ، وقد جعل في سعة كما جعل النبي ﷺ في سعة ! وقد خذلتني الأمة وبايعتك يا ابن حرب ! ولو وجدت عليك أعواناً يخلصون ما بايعتك ، وقد جعل الله عز وجل هارون في سعة حين استضعفه قومه وعادوه ، كذلك أنا وأبي في سعة من الله حين تركتنا الأمة وبايعت غيرنا ، ولم نجد عليهم أعواناً ! وإنما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضاً .

أيها الناس: إنكم لو التمستم بين المشرق والمغرب رجلاً جده رسول الله ﷺ وأبوه وصي رسول الله ، لم تجدوا غيري وغير أخي ، فاتقوا الله ولا تضلوا بعد البيان ، وكيف بكم وأنى ذلك لكم ؟ ألا وإني قد بايعت هذا ، وأشار بيده إلى معاوية ، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين .

أيها الناس: إنه لا يُعاب أحد بترك حقه ، وإنما يعاب أن يأخذ ما ليس له ، وكل صواب نافع ، وكل خطأ ضار لأهله...

أيها الناس: إسمعوا وعوا واتقوا الله وراجعوا ، وهيهات منكم الرجعة إلى

الحق وقد صارعكم النكوص وخامركم الطغيان والجحود ، أَنْزَلِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ؟! والسلام على من اتبع الهدى!
فقال معاوية: والله ما نزل الحسن عليه السلام حتى أظلمت عليّ الأرض وهممتُ أن أبطش به ، ثم علمت أن الإغضاء أقرب إلى العافية). انتهى.

نلاحظ في هذه الخطبة:

١- أن هذا الشموخ في شخصية الإمام عليه السلام ناشئ من عالمه السامي الذي يعيش فيه عليه السلام ، وهذا ما لا يفهمه بعضهم فيتصورونه تكبراً ! قال ابن شعبة في تحف العقول/٢٣٤: قيل للإمام الحسن عليه السلام: (إن فيك عظمة فقال عليه السلام: بل فيّ عزة ، والله العزّة ولرسوله وللمؤمنين). (ورواه الزمخشري في ربيع الأبرار /٦٣٨ ، والتوحيدي في البصائر /٢٧، وفي نثر الدرر للآبي /١٥٠ ، ونزهة الناظر للحلواني /٧٤ ، ومناقب آل أبي طالب/١٧٦/٣) .
وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٧٦/١: (وكان نقش خاتم الحسن بن علي عليه السلام: العزة لله ، وكان نقش خاتم الحسين: إن الله بالغ أمره).

٢- أن منطق معاوية مع الإمام الحسن عليه السلام هو نفس منطق أبي سفيان مع النبي صلى الله عليه وآله فهو يقوم على تسقيط الآخرين ، والفرعنة والعلو بدون دليل ! ويفتقر الى الحد الأدنى من اللياقة التي يستعملها رؤساء القبائل عادة في مثل هذه المناسبة ! فلو كان المتكلم بدل معاوية الأحنف بن قيس رئيس بني تميم ، وحتى الأشعث رئيس كندة ، عدو علي والحسن عليه السلام ، لقالا كلاماً فيه شئ من اللياقة ! أما معاوية فقد أفرغ كل سمه و(يهوديته) في كلامه فقال:

(أيها الناس ، هذا الحسن بن علي وابن فاطمة رأنا للخلافة أهلاً ولم ير نفسه لها أهلاً ، وقد أتانا ليبايع طوعاً . ثم قال: قم يا حسن !

فانظر الى قوله (ابن علي وابن فاطمة) الذي يقصد به أن الحسن وارث علي

الفصل الثالث : تسلط معاوية وعودة الإمام الحسن عليه السلام الى مدينة جده عليه السلام ١٠٧

ومحمد من آل عبد المطلب ، جاءنا طائعاً واعترف بحقنا نحن بني أمية ، وبالخصوص آل أبي سفيان ، وشهد على نفسه وأبيه وجده بأننا نحن معدن الحق وأهل القيادة دونهم ! فقم يا حسن فبايع ! وبهذا يلغي معاوية النبوة والوحي والإسلام كلياً من صراع بني أمية وقبائل قريش مع النبي عليه السلام ! فالمؤمن بالإسلام لا يمكنه أن يتكلم بمثل هذا المنطق !

٣- أن الإمام الحسن عليه السلام لم تهتز منه شعرة لمنطق معاوية الفرعوني، فتصدى له بمنطق النبوة ، فتحدث بعمق وصراحة عن بعثة جده المصطفى عليه السلام وما خصه الله تعالى به ، وعن موقف المكذبين القرشيين بقيادة أبي سفيان ومعه أولاده وابنه معاوية ، والحقوق الشرعية التي تربت عليهم ، حتى صاروا أسرى حرب للنبي وآله عليهم السلام في فتح مكة ! وأفاض في موقف المؤمنين بالنبي عليه السلام وفي طليعتهم علي عليه السلام والعترة ، وما وفقهم الله اليه من نصرة النبي عليه السلام وما رتبته لهم من حقوق بنص كتابه ونص نبيه عليه السلام ، وما خصهم به من فرض طاعتهم على جميع الأمة ، بمن فيها الصحابة والقرشيين الأسرى الطلقاء !

٤- أن الإمام عليه السلام كان يرى أنه اضطر الى بيعة الطاغية معاوية والتنازل له عن الحكم ، لكنه غير مضطر أبداً الى مداراته والسكوت على منطق الجاهلي ، ولذلك كان دائماً قوياً في بيان الحق وقمع باطل معاوية وإفحامه ، فيجب عنده أن يسجل موقفه للأجيال وأن يُلَفِّت الأمة التي استسلمت لمعاوية وتركت عترة نبيها عليه السلام أيَّ طريق ضلال اختارته ! وفي بلعوم أي طاغية وضعت نفسها !

٥- من الطبيعي بمقتضى الصلح ، أن يخطب معاوية عند قدومه الى الكوفة ، ويخطب الإمام الحسن عليه السلام فيعلن للمسلمين تنازله عن الحكم لمعاوية ! لهذا

لا يمكن قبول ما روي من أن خطبته عليه السلام كانت بناء على طلب عمرو بن العاص وإصراره على معاوية ، وأن غرض عمرو أن يخجل الإمام الحسن عليه السلام لأنه لا يجيد التصرف في مثل ذلك الموقف أو لا يجيد الخطابة ، وأن معاوية لم يكن راغباً في أن يخطب الإمام عليه السلام ولكنه وافق ، ثم ندم ولام ابن العاص..الخ.

فهذا أمر غير معقول ، ولذا نقله في الإحتجاج: ٤٢٠/١ ، بصيغة (رُوي) ، بل الصحيح ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه: ٦٣٤/٨ من أن الإمام الحسن عليه السلام أراد ترك الكوفة لمعاوية بدون أن يخطب فاعتبر معاوية ذلك خطيراً ، لأن ترك الخطبة بمثابة ترك الإمضاء العملي للصلح قال: (عن الشعبي قال: لما كان الصلح بين الحسن بن علي ومعاوية أراد الحسن الخروج إلى المدينة فقال له معاوية: ما أنت بالذي تذهب حتى تخطب الناس ، قال قال الشعبي: فسمعت على المنبر حمد الله وأثنى عليه ثم قال: فإن أكيس الكيس التقى ، وإن أعجز العجز الفجور وإن هذا الأمر الذي اختلفت أنا فيه ومعاوية حق كان لي فتركته لمعاوية ، أو حق كان لا يرى أحق به مني ، وإنما فعلت هذا لحقن دمائكم ، وإن أدري لعلهُ فتنة لكم ومَتَاعٌ إلى حين ، ثم نزل). وما رواه الذهبي في تاريخ الإسلام: ٣٩/٤ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ٥٩/٤٦ ، والوافي بالوفيات: ٦٩/١٢: (لما بايع الحسن معاوية قال له عمرو بن العاص وأبو الأعور السلمي: لو أمرت الحسن فصعد المنبر فتكلم فإنه عبي عن المنطق فيزهده فيه الناس ! فقال معاوية: لا تفعلوا فوالله لقد رأيت رسول الله ﷺ يمص لسانه وشفته ولن يعيا لسان مصه النبي له شفة ، قال فأبوا على معاوية فصعد معاوية المنبر ثم أمر الحسن فصعد ، وأمره أن يخبر الناس إنني قد بايعت معاوية فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بأخرنا ، وإنني قد أخذت لكم على معاوية أن يعدل فيكم ، وأن يوفر

عليكم غنائمكم وأن يقسم فيكم فيأكم ، ثم أقبل على معاوية فقال: أكذاك ؟ قال: نعم . ثم هبط من المنبر وهو يقول ويشير بإصبعه إلى معاوية: وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ، فاشتد ذلك على معاوية فقالوا: لو دعوته فاستنطقته يعني استفهمته ما عنى بالآية؟ فقال مهلاً فأبوا عليه فدعوه فأجابهم فأقبل عليه عمرو فقال له الحسن: أما أنت فقد اختلف فيك رجلان رجل من قريش ورجل من أهل المدينة فادعياك فلا أدري أيهما أبوك !

وأقبل عليه أبو الأعور فقال له الحسن: ألم يعلن رسول الله ﷺ رعلاً وذكوان وعمرو بن سفيان ؟! وهذا اسم أبي الأعور ! ثم أقبل عليه معاوية يعينهما فقال له الحسن: أما علمت أن رسول الله لعن قائد الأحزاب وسائقهم ، وكان أحدهما أبو سفيان والآخر أبو الأعور السلمي)! (ورواه في ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من طبقات ابن سعد (٧٩) . أقول: لقد خلط الرواة بين خطب الإمام الحسن عليه السلام أحدها هذه في الكوفة ، والثانية جواباً على كلام معاوية ولعلها كانت في المدينة . وثالثها المناظرة الصاخبة القاصعة بينه وبين معاوية ووزرائه ، وهي التي طعن فيها في نسب ابن العاص وغيره وقد جعلتها رواية الذهبي جزء من خطبته عليه السلام في الكوفة !

وينبغي الإلفات الى أن مقولة أن الإمام الحسن عليه السلام كان في لسانه تأتأة ، قد تسربت الى بعض مصادرها ! والفاءة: تكرار التاء في أول الكلام . والرئة بالتاء والضم: العجمة في الكلام وعدم بيان حروفه ، والرئة: بالتاء أشد منها وهي إدغام حرف في حرف وعدم بيان الحروف.(منتهى المطلب: ٣٧٢/١ ، وصحاح الجوهري: ٢٤٩/١ ، ولسان العرب: ٣٤/٢) وهذا عيبٌ مكذوب على الإمام الحسن عليه السلام وأراد الراوي تخفيف ذلك بتشبيهه بموسى عليه السلام لكن دعاءه عليه السلام: وأخْلُ عَقْدَةً مِنْ لِسَانِي . وقوله: وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي. لا يدل على أنه كان مصاباً بالفاءة أو الرئة أو

الرثّة ! بل يعني أن درجة انفعاله أكثر من انفعال أخيه هارون عليه السلام.

ويبدو أن الذين ادعوا المهدية لمحمد بن عبدالله بن الحسن المثنى وضعوا هذه الرواية لتبرير فافأة مهديهم والرثة في لسانه فقالوا إن جده الحسن عليه السلام كان كذلك ! ففي مقاتل الطالبين لأبي الفرج/٣١: (عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر محمد بن علي: وكان في لسان الحسن بن علي ثقل كالفأفة....كانت في لسان الحسن رثة فقال سلمان الفارسي: أتته من قبل عمه موسى بن عمران عليه السلام). انتهى. ثم أضافوا الى صفات المهدي عليه السلام أن في لسانه رثة وفافأة ! ففي مقاتل الطالبين/١٦٤ عن أبي هريرة: (أن المهدي إسمه محمد بن عبد الله في لسانه رثة) ! كما أضافوا الى حديث النبي صلى الله عليه وآله: (إسمه إسمي وكنيته كنيتي): (وإسم أبيه إسم أبي) لينطبق على محمد بن عبدالله بن الحسن المثنى ! وقد شهد علماء الجرح والتعديل بأنها زيادة كما بحثناه في (معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ١/ حديث ١٠٠).

حادثة أخرى سجلت شموخ الإمام الحسن عليه السلام

خلط بعض الرواة والمؤلفين بين خطبة الإمام الحسن عليه السلام بحضور معاوية في مسجد الكوفة ، وبين خطبته عندما نال معاوية من أمير المؤمنين عليه السلام ! وقد نصت عدة مصادر على أن الثانية كانت في المدينة وليس في الكوفة وهو الصحيح لأنه لا يمكن أن يقوم معاوية بلعن أمير المؤمنين عليه السلام في أول قدومه الى الكوفة ، لا لتقواه ! بل للجو العام الذي يخشى معه ردة فعل أهل الكوفة ، خاصة وأنه أعلن نقضه لتعهداته وعدم وفائه بشروطه ! ولعل أصل الإشتباه من أبي الفرج الأصفهاني المتوفى ٣٥٦ ، وأن المفيد رحمته الله ومن تأخر عنه نقلوا عنه ، قال في مقاتل الطالبين/٤٦: (لما بويغ معاوية خطب فذكر علياً فقال منه ونال من الحسن فقام الحسين ليرد عليه

الفصل الثالث : تسلط معاوية وعودة الإمام الحسن عليه السلام إلى مدينة جده عليه السلام ١١١

فأخذ الحسن بيده فأجلسه ثم قام فقال: أيها الذاكِر علياً ، أنا الحسن وأبي علي وأنت معاوية وأبوك صخر ، وأمي فاطمة وأمك هند وجدي رسول الله عليه السلام وجدك حرب ، وجدتي خديجة وجدتك قتيلة ، فلعن الله أئمتنا ذكراً ولأئمتنا حسباً وشرنا قدماً وأقدمنا كفراً ونفاقاً . فقال طوائف من أهل المسجد: آمين . قال فضل: فقال يحيى بن معين: ونحن نقول: آمين . قال أبو عبيد: ونحن أيضاً نقول: آمين . قال أبو الفرج . وأنا أقول : آمين).

لكن الصحيح رواية المستطرف: ١٥٧/١ و ٢٨٩ ، والإتحاف ١٠ ، ونزهة الناظر للحلواني/ ٧٤ ، والتذكرة الحمدونية/ ٧٠٨ ، واللفظ للأول: (لما قدم معاوية المدينة سعد المنبر فخطب وقال: من ابن علي ومن علي؟! فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا جعل له عدواً من المجرمين ، فأنا ابن علي وأنت ابن صخر ، وأمك هند وأمي فاطمة ، وجدتك قتيلة وجدتي خديجة ، فلعن الله أئمتنا حسباً وأئمتنا ذكراً ، وأعظمتنا كفراً ، وأشدنا نفاقاً ! فصاح أهل المسجد: آمين آمين . فقطع معاوية خطبته ودخل منزله). انتهى.

إنه منطق النبوة الرباني في مواجهة منطق الجاهلية الشيطاني ! وصدق رسول الله عليه السلام حيث قال: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا !

ومما يؤيد أن الحادثة كانت في المدينة أن الإمام الحسين عليه السلام اعترض على معاوية في حج سنة ٥١ بعد قتله حجراً عليه السلام لنيله من علي عليه السلام وقال له كما في الاحتجاج: ١٩/٢: (ولقد بلغني وقيعتك في علي وقيامك ببغضنا واعتراضك بني هاشم بالعيوب). انتهى. ويبدو أن صاحب الغدير عليه السلام تنبه إلى أن هذا الحديث وقع في المدينة وليس في الكوفة: (١٦٠/١٠) . وسيأتي أن معاوية لم يجرؤ على لعن أمير المؤمنين عليه السلام في حياة الإمام الحسن عليه السلام وسعد بن أبي وقاص .

معاوية يعلن في النخيلة انتهاء الدولة الإسلامية

وقيام الإمبراطورية الأموية !

إذا أردت أن تفهم بني هاشم وبني أمية فاقراً آيات الشجرتين الطيبة والخبيثة ، ثم اقرأ سورة محمد ﷺ وأعدائه المفسدين في عصره وبعده !
 إن سورة محمد ﷺ كآيات الشجرتين ، لوحة ربانية متكاملة تتحدث عن شخصية النبي ﷺ وعظمة مقامه ورسالته ، وموقف فئات العالم كلها منه ، ومنهم فئة المنافقين مرضى القلوب الذين سيحكمون أمته !

فَمَنْ هُمْ جبابرة هذه الأمة الذين خاطبهم الله تعالى بقوله: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ . أَفَلَا يَنْدَرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا . (محمد: ٢٢-٢٤) ؟

وَمَنْ هُم الأنواع الثلاثة من أعداء النبي وآله ﷺ الذين أخبر الله عنهم في سورة محمد ﷺ بأنهم: كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ . (محمد: ٩) اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ . (محمد: ٢٨) وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ . (محمد: ٣٢) .

فمن هؤلاء الذين سيأتون بعد النبي ﷺ فتحدث الله بسين الاستقبال عن عملهم ووعيد بإحباط خطتهم؟! مَنْ هُمْ إِنْ لَمْ يَكُونُوا بَنِي أُمِيَّة ، وَمَنْ مَهْدُ لَهُمْ ؟

بعد أن تمكن معاوية من إجبار الإمام الحسن عليه السلام على التنازل له عن الحكم ، أخذه زهو انتصار أمية وسقوط دولة بني هاشم صريعة في يده بعد ثلاثين سنة فقط من وفاة نبيهم ﷺ ! وها هو ابن أبي سفيان قائد قريش صار حاكم العرب المطلق ، وإمبراطور البلاد التي فتحها أتباع نبي بني هاشم ﷺ !

لقد جاءت خطبته في معسكر النخيلة بالكوفة إعلاناً أموياً كاملاً بانتهاء العهد النبوي الإسلامي وقيام الإمبراطورية الأموية ! وقد تكلم الرواة عن هذه الخطبة بتدمير ولم ينقلوها كاملة ، لكن كل فقرة نقلوها منها جاءت معولاً في هدم الإسلام ، وطعناً للنبي وأهل بيته عليهم السلام وشيعتهم ! قال أبو الفرج في مقاتل الطالبين/٤٥: (وسار معاوية حتى نزل النخيلة ، وجمع الناس بها فخطبهم قبل أن يدخل الكوفة خطبة طويلة ، لم ينقلها أحد من الرواة تامة وجاءت مقطعة في الحديث ، وسنذكر ما انتهى إلينا من ذلك ! فحدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار...عن الشعبي قال: خطب معاوية حين بويع له فقال: ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها ثم إنه انتبه فندم فقال: إلا هذه الأمة فإنها وإنها...عن أبي إسحاق قال: سمعت معاوية بالنخيلة يقول: ألا إن كل شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا أفي به ! قال أبو إسحاق: وكان والله غداراً... عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن سويد قال: صلى بنا معاوية بالنخيلة الجمعة في الصحن ثم خطبنا فقال: إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا ! إنكم لتفعلون ذلك وإنما قاتلتكم لأتأمرَ عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون ! قال شريك في حديثه: هذا هو التهتك .). انتهى.

وفي الصراط المستقيم للبياض: ٤٨/٣: (وروى الأعمش أنه لما قدم الكوفة قال: ما قاتلتكم على أن تصلوا وتصوموا.... فقال الأعمش: هل رأيتم رجلاً أقل حياءً منه؟ قتل سبعين ألفاً فيهم عمار وخزيمة وحجر وعمرو بن الحمق ومحمد بن أبي بكر والأشتر وأويس وابن صوحان وابن التيهان وعائشة وابن حسان ! ثم يقول هذا!) ويبدو أن معاوية قال ذلك في سفرة أخرى، بعد قتل حجر سنة ٥١ . وقال في شرح الأخبار: ١٥٨/٢: (فقال في خطبته: إنه لم تختلف أمة بعد نبيها

إلا غلب أهل باطلها على أهل حقها ! وهذا حديث يروى عن النبي ﷺ أجراه الله على لسانه فلما قاله ندم فقال: إلا هذه الأمة فإنها ، فتلجلج لسانه ولم يدر ما يقول في ذلك فأخذ في غيره). (وكان يتلجلج في خطبه). (تذكرة ابن حديد/ ١٣٩٧:

خطبة معاوية الثانية الأسوأ !

قال البلاذري في أنساب الأشراف/٧٤٣: (وخطب معاوية أيضاً بالنخيلة فقال: إني نظرت فعملت أنه لا يصلح الناس إلا ثلاث خصال: إتيان العدو في بلاده فإنكم إن لم تأتوه أتاكم ، وهذا العطاء والرزق أن يقسم في أيامه ، وأن يقسم البعث القريب ستة أشهر والبعيد سنة ، وأن تستجم بلاد إن جمدت خربت ، وقد كنت شرطت شروطاً ووعدت عداة ومنيتُ أمانى لما أردت من إطفاء نار الفتنة وقطع الحرب ومدارة الناس وتسكينهم . ثم نادى بأعلى صوته: ألا إن ذمة الله بريئة ممن لم يخرج فيبايع ، ألا وإني طلبت بدم عثمان فقتل الله قاتليه وردَّ الأمر إلى أهله على رغم معاطس أقوام ، ألا وإنا قد أجلناكم ثلاثاً ، فمن لم يبايع فلا ذمة له ولا أمان له عندنا . فأقبل الناس يبايعون من كل أوب).

ومعنى قول البلاذري: (وخطب معاوية أيضاً بالنخيلة) أنها خطبة أخرى بعد أن رجع من الكوفة إلى النخيلة في طريق عودته إلى الشام !

وقوله: طلبت بدم عثمان فقتل الله قاتليه وردَّ الأمر إلى أهله على رغم معاطس أقوام) يدل على تفكيره ، ولا بد أنه كرر هذا المعنى في زهو انتصاره ! ويبدو أن قوله: (قد قتل الله طاغيتكم وردَّ الأمر إلى معدنه) ! كان في ذلك اليوم فهو بيت القصيد عنده ! وقد روت مصادرنا ردَّ الإمام الحسن عليه وقوله لمعاوية: (العجب منك يا معاوية ومن قلة حيائك ومن جرأتك على الله حين قلت: قد قتل الله طاغيتكم ورد الأمر إلى معدنه ! فأنت يا معاوية معدن الخلافة دوننا؟!)

ويلٌ لك يا معاوية وللثلاثة قبلك الذين أجلسوك هذا المجلس وسنّوا لك هذه السنة!!). (كتاب سليم/٣٦٨، والإحتجاج: ٦/٢، والدر النظيم/٤٩٩، والعدد القوية/٤٩).

أقول: تكفي أقوال معاوية وأفعاله وسياساته دليلاً على أنه كان ينظر الى نفسه كمؤسس لأمبراطورية أموية ، وأن الحق له ولأبيه ، وأن بني هاشم كانوا غصبوه ! وهو في هذه الخطبة يعلن تمرده على قيم الإسلام وأحكامه ، وتمرده على التعامل الإنساني السليم مع الإمام الحسن عليه السلام وأهل العراق ، الذين يمثلون بامتدادهم وفتوحاتهم ثقل الأمة الإسلامية ! فانظر كيف يصف أولياؤه وأتباعه خطبته بأنها (خطبة بليغة) ويعتبروها بداية مرحلة جيدة من تاريخ الإسلام والأمة الإسلامية؟! قال ابن كثير في النهاية: ٢٣/٨: (ودخل معاوية إلى الكوفة فخطب الناس بها خطبة بليغة بعد ما بايعه الناس واستوثقت له الممالك شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً ، وسمي هذا العام عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على أمير واحد بعد الفرقة ، فولى معاوية قضاء الشام لفضالة بن عبيد ، ثم بعده لأبي إدريس الخولاني ، وكان على شرطته قيس بن حمزة ، وكان كاتبه وصاحب أمره سرجون بن منصور الرومي). انتهى. فالمهم عند ابن كثير وهو عالم إمام لأتباع الخلافة ، هو (الغلبة). فيجب التغاضي عن الحاكم ولو كان برنامج التمرد على قيم الإسلام وأحكامه ، وكان كاتبه وصاحب أمره وسره رومياً نصرانياً !

لكن ابن كثير يمثل حزبه الأموي فقط ! أما المسلمون العاديون من أتباع المذاهب فيمثلهم ابن سعد صاحب الطبقات ، الذي وصف خطبة معاوية في مسجد الكوفة بقوله: (فغضب معاوية فخطب بعده خطبة عيبة فاحشة ثم نزل!) (سير أعلام النبلاء: ٦٥٢، ونحوه أسد الغابة: ١٤/٢ ، وتاريخ دمشق: ٢٧٦/١٣).

ولماذا لا تكون فاحشة قد قرأت فيها غروره وتهديده بالموت من لم يبايعه !

لهذا لاستغرب إذا وصف مستشرق غربي موقف المسلمين من معاوية فقال:
(اعتبر المسلمون انتصار بني أمية وعلى رأسهم معاوية انتصاراً للأرستقراطية
الوثنية التي ناصبت الرسول وأصحابه العداء ، والتي جاهدتها رسول الله حتى
قضى عليها ، وصبر معه المسلمون على جهادها ومقاومتها حتى نصرهم الله ،
فقتلوا عليها . وأقاموا على أنقاضها دعائم الإسلام !

لذلك لا ندهش إذا كره المسلمون بني أمية وغطرستهم ، لاسيما أن جمهور
المسلمين كانوا يرون بين الأمويين رجالاً كثيرين لم يعتنقوا الإسلام إلا سعيّاً
وراء مصالحهم الشخصية، ولا غرو فقد كان معاوية يرمي إلى جعل الخلافة ملكاً
كسروياً وليس أدل على ذلك من قوله: أنا أول الملوك). (نيكلسون: تاريخ الإسلام: ٢٧٨/١).

معجزة لأمير المؤمنين عليه السلام ظهرت عند دخول معاوية الى الكوفة !

روى الشريف الرضي رحمته الله في خصائص الأئمة عليهم السلام ٥٢/ : (عن أم حكيم بنت عمرو
قالت: خرجت وأنا أشتهي أن أسمع كلام علي بن أبي طالب ، فدنوت منه وفي
الناس رقة (أي يمكن تخطي الحضور) وهو يخطب على المنبر حتى سمعت كلامه
فقال رجل: يا أمير المؤمنين إستغفر لخالد بن عرفطة فإنه قد مات بأرض تيماء
فلم يرد عليه ، فقال الثانية فلم يرد عليه ثم قال الثالثة فالتفت إليه فقال: أيها الناعي
خالد بن عرفطة كذبت ، والله ما مات ولا يموت حتى يدخل من هذا الباب
يحمل راية ضلالة ! قالت: فرأيت خالد بن عرفطة يحمل راية معاوية حتى نزل
نخيلة وأدخلها من باب الفيل)!! ورواه في مناقب آل أبي طالب ٤٦/ ، وفيه: (ودخل
معاوية الكوفة بعد فراغه من خطبته بالنخيلة ، وبين يديه خالد بن عرفطة ومعه
رجل يقال له حبيب بن جمار يحمل رايته ، حتى دخل الكوفة فصار إلى المسجد
فدخل من باب الفيل فاجتمع الناس إليه . فتحدثني أبو عبيد الصيرفي.....عن عطاء

الفصل الثالث : تسلط معاوية وعودة الإمام الحسن عليه السلام إلى مدينة جده عليه السلام ١١٧

بن السائب عن أبيه قال: بينما علي عليه السلام على المنبر إذ دخل رجل فقال: يا أمير المؤمنين مات خالد بن عرفطة ! فقال: لا والله ما مات ولا يموت حتى يدخل من باب هذا المسجد يعني باب الفيل براية ضلالة يحملها له حبيب بن جمار ! قال: فوثب رجل فقال: يا أمير المؤمنين أنا حبيب بن جمار وأنا لك شيعة ! قال: فإنه كما أقول، فقدم خالد بن عرفطة على مقدمة معاوية يحمل رايته حبيب بن جمار! قال مالك: حدثنا الأعمش بهذا الحديث فقال: حدثني صاحب هذا الدار وأشار بيده إلى دار السائب أبي عطاء أنه سمع علياً عليه السلام يقول هذه المقالة) !

ورواه في تاريخ بغداد مبثوراً: ٢١٤/١: (عن أم حكيم بنت عمرو الجدلية قالت: لما قدم معاوية يعني الكوفة فنزل النخيلة دخل من باب الفيل ، وخالد بن عرفطة يحمل راية معاوية حتى ركزها في المسجد) . (ونحوه في بغية الطلب: ٣٠٩١/٧).

وقال المفيد في الإرشاد: ٣٣٠/١: (وهذا أيضاً أخبر مستفيض لا يتناكره أهل العلم الرواة للآثار ، وهو منتشر في أهل الكوفة ، ظاهر في جماعتهم لا يتناكره منهم اثنان ، وهو من المعجز الذي بيناه) . انتهى.

وروى هذا الحديث الصفار في بصائر الدرجات/ ٣١٨ بنحو آخر ، عن أبي حمزة عن سويد بن غفلة وفيه: (فأعادها عليه الثالثة فقال: سبحان الله أخبرك أنه مات وتقول لم يمّت ! فقال له علي عليه السلام: لم يمّت والذي نفسي بيده لا يموت حتى يقود جيش ضلالة يحمل رايته حبيب بن جمار ! قال فسمع بذلك حبيب فأتى أمير المؤمنين فقال أناشدك فيّ وأنا لك شيعة لك ! وقد ذكرتني بأمر لا والله ما أعرفه من نفسي ! فقال له علي عليه السلام: إن كنت حبيب بن جمار فلتحملنّها ! فولى حبيب بن جمار وقال: إن كنت حبيب بن جمار لتحملنّها ! قال أبو حمزة: فوالله ما مات حتى بعث عمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام بن علي عليه السلام وجعل بن عرفطة على

مقدمته ، وحبيب صاحب رأيته !). (ورواه كذلك في الإرشاد: ٣٢٩/١ ، والراوندي في الخرائج والجرائح: ٧٤٥/٢ ، وابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب: ١٠٥/٢ ، والطبرسي في إعلام الوري: ٣٤٥/١ ، والعلامة الحلي في كشف اليقين/ ٧٩ . ونقله في الإصابة: ٢٠٩/٢ عن ابن المعلم المعروف بالشيخ المفيد الرافضي ، في مناقب علي) !

أقول: لا تنافي بين الروايتين ، لأن ابن عرفة من قادة جيش معاوية (الإصابة: ٢/ ٢٠٩) وهو حليف بني زهرة (الطبقات: ٣٥٥/٤ ، كنى بخاري/ ١١١) وروي أنه ابن أخت سعد بن وقاص: (بعث سعد إلى الناس خالد بن عرفة وهو ابن أخته). (غريب الحديث للحري: ٩٢٩/٣ ، والنهاية لابن الأثير: ٣٤٢/٤ ، ولسان العرب: ٢٣٤/٧) ، وروي أنه حليف بني أمية (تاريخ الطبري: ٧٧/٣ و ٧٩) وقد أقطعه عثمان أرضاً في العراق عند حمام أعين (فتوح البلدان: ٣٣٥/٢) وكذلك أقطعه سعد وقاص (تاريخ الكوفة: ١٦٠/١) ، وبني داراً كبيرة في الكوفة (تاريخ الكوفة: ٤٣٣/٤) ، وله فيها بقية وعقب (الطبقات: ٣٥٥/٤) وكان من رؤساء الأرباع في الكوفة (أعيان الشيعة: ٥٧٨/٤) وقد شارك في قتل الإمام الحسين عليه السلام فقتله المختار سنة ٦٤ ، غلاه في الزيت ! قال في إمتاع الأسماع: ٢٤٧/٤: وأخذ خالد بن عرفة مصاحف ابن مسعود ، فأغلى الزيت وطرحها فيه... وقاتل مع معاوية ، فلما كانت أيام المختار بن أبي عبيد ، أخذه فأغلى له زيتاً وطرحه فيه). ومات سنة ٦٤ (تقريب التهذيب: ١٨٩ ، وفي كاشف الذهبي: ٣٦٦/١ سنة ٦١) ..

والحجة تامة على ابن عرفة في معاداته لعلي عليه السلام وقلته الحسين عليه السلام ، لأنه اعترف بأنه سمع النبي صلى الله عليه وآله يحذرهم: (إنكم ستبتلون في أهل بيتي من بعدي) رواه الطبراني الكبير: ١٩٢/٤ ، قال في الزوائد: ١٩٤/٩: رواه الطبراني والبخاري رجال الصحيح غير عمارة وعمارة وثقه ابن حبان). كما اعترف ابن عرفة بأن النبي صلى الله عليه وآله حذَّره شخصياً من الفتنة وقتل أهل بيته عليهم السلام ! كما في مسند أحمد: ٢٩٢/٥: (قال قال لي رسول الله (ص): يا خالد إنها ستكون بعدي أحداث وفتن واختلاف ، فإن استطعت

الفصل الثالث : تسلط معاوية وعودة الإمام الحسن عليه السلام إلى مدينة جده عليه السلام ١١٩

أن تكون عبد الله المقتول لا القاتل فاعمل). (ورواه الحاكم: ٢٨١/٣، و: ٥١٧/٤، وابن شعبة: ٨/٦٠٥، والطبراني الكبير: ١٨٩/٤، ويخاري في تاريخه: ١٣٨/٣، ونعيم في الفتن: ٨٧/أ أو ١٥٦، وابن عاصم في الدييات: ٢١، وابن الأثير في أسد الغابة: ٨٨/٢، والسيوطي في الدر المنثور: ٢٧٥/٢، والضحاك في الآحاد والمثاني: ٤٦٦/١، والعللوني في كشف الخفاء: ١٣٤/٢، والألباني في إرواء الغليل: ١٠٤/٨، وقال: (من طريق علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي عنه ، سكت عنه الحاكم والذهبي . وعلي بن زيد هو ابن جدعان سئ الحفظ لكن الأحاديث التي قبله تشهد له) .

معاوية المريض بالشك بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يمتحن علم الإمام الحسن عليه السلام

تدلت الرواية التالية على عدم إيمان معاوية ، بل وسوء نظره الى النبي وأهل بيته عليهم السلام ، فمن الإمام الصادق عليه السلام قال: (لما صالح الحسن بن علي عليه السلام معاوية جلسا بالنخلة فقال معاوية: يا أبا محمد بلغني أن رسول الله كان يحرص النخل فهل عندك من ذلك علم ؟ فإن شيعتكم يزعمون أنه لا يعزب عنكم علم شئ في الأرض ولا في السماء؟! فقال الحسن عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يحرص كَيْلاً وأنا أحرص (لك) عدلاً ! فقال معاوية: كم في هذه النخلة؟ فقال الحسن عليه السلام: أربعة آلاف بُسْرَة وأربع بُسرات ! فأمر معاوية بها فصرمت وعدت فجاءت أربعة آلاف وثلاث بُسرات ! فقال: والله ما كذبت ولا كذبت ! فنظر فإذا في يد عبد الله بن عامر بن كريز بُسْرَة ! ثم قال: يا معاوية أما والله لولا أنك تكفر لأخبرتكم بما عمله ! وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في زمان لا يكذب وأنت تكذب وتقول: متى سمع من جدّه على صغر سنه ! والله لتدعين زياداً ، ولتقتلن حجراً ، ولتحملن إليك الرؤوس من بلد إلى بلد ! فادعى زياداً ، وقتل حجراً ، وحمل إليه رأس عمرو بن الحمق الخزاعي) .! (البحار: ٤٣/٣٣٠ وفرج المهموم لابن طاووس/ ٢٢٥).

فمعاوية يريد أن يمتحن الإمام الحسن عليه السلام فيقول له بأسلوب السخرية والشك: بلغني أن جدك محمداً كان عنده علم يخمّن به مقدار حمل النخلة من الرطب

فيصيب ، وهاهم شيعتكم يا بني هاشم يدعون لجدكم ولكم علم الغيب ! فهل عندك من هذا العلم شيء؟! فأخبره الإمام عليه السلام بأنه عنده من علم جده ، مما علمه الله تعالى ، ثم أخبره بعدد حبات الرطب على النخلة ، وبما سيكون منه ، وأتم عليه الحجة ! لكن أنى لمعاوية المسكين أن ينتفع ببرهان وهو لا يرى إلا ماديات الدنيا ، وإن رأى غيرها فهي ومضة نور تمر عليه عابرة: كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ. (البقرة: ١٧). فلو كان يرى غير الماديات لما أجاب أنصار رسول الله ﷺ بالجواب المادي التالي عندما سمع شكواهم من سياسة الإفقار التي اتبعها معهم ! (قدم معاوية بن أبي سفيان حاجاً في خلافته فاستقبله أهل المدينة ، فنظر فإذا الذين استقبلوه ما فيهم أحد من الأنصار ، فلما نزل قال: ما فعلت الأنصار وما بالها لم تستقبلني؟ فقليل له: إنهم محتاجون ليس لهم دواب(خيول). فقال معاوية: فأين نواضحهم؟ (جمالهم التي تسقي زرعهم ، وهو إهانة يستعملها أهل مكة للأنصار) فقال قيس بن سعد بن عبادة وكان سيد الأنصار وابن سيدها: أفنوها يوم بدر وأحد وما بعدهما من مشاهد . سول الله ﷺ حين ضربوك وأباك على الإسلام حتى ظهر أمر الله وأنتم كارهون ! فسكت معاوية ! فقال قيس: أما إن رسول الله ﷺ عهد إلينا أنا سنلقي بعده إثرة (أي استنثاراً عليكم وظلماً) فقال معاوية: فما أمركم به؟ فقال: أمرنا أن نصبر حتى نلقاه . قال: فاصبروا حتى تلقوه) ! (الإحتجاج: ١٥/٢). هكذا ! بكل وقاحة: إصبروا على حكمي حتى تلقوا نبيكم في الآخرة وتشتكوا له عليّ ! فالمهم أن لا تثوروا عليّ ولا تمسوا دنياي ! فكيف لمثل هذا الشخص أن يرى أعلى من ماديات الدنيا ؟!



مسكين معاوية ! فقد كان يحلم أن يتأمر على رقاب العرب والمسلمين ، وبينى

الفصل الثالث : تسلط معاوية وعودة الإمام الحسن عليه السلام إلى مدينة جده عليه السلام ١٢١

لأسرته إمبراطورية تمتص دولة نبي بني هاشم عليه السلام الإسلامية ، وتمتد في ذريته سلالات (خلفاء الله في أرضه) كقيصرة الروم وأكاسرة الفرس ! وقد دفع لذلك ثمناً باهظاً من إزهاق أرواح الناس وهدر كراماتهم وأموالهم !

لكنه لم يكن يعلم أن ابنه يزيداً سوف يدمر كل ما بناه في سنتين ، ثم يأتي حفيده معاوية بن يزيد فيعلن للمسلمين (إن جدي معاوية نازع الأمر من كان أولى به وأحق فركب منه ما تعلمون حتى صار مرتعناً بعمله ، ثم تقلده أبي ولقد كان غير خليق به فركب ردعه واستحسن خطأه) (البدء والتاريخ / ٤٥٤ ، وتاريخ مختصر الدول / ٩١).

وأنه سيطلب من بني أمية أن يفوضوه ليرجع الخلافة الى أهلها ! وأن بني أمية سيدفونوه مع أستاذه ، ولا يبقى من ذرية معاوية إلا أطفال يزيد الصغار ! فيتلقفها العجوز مروان بن الحكم وبنوه ويطفؤون ذكر آل أبي سفيان ، بل سيصفه عبد الملك بالمداهن ، ويصف يزيداً بالمأبون ! (العقد الفريد / ١١٠٣) !

وبسبب هذه الحقيقة أجاب الإمام الصادق عليه السلام عن سؤال عن العقل و(عقل) معاوية فقال: (العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان ، أما الذي كان في معاوية فهو الشيطنة وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل) . (الكافي: ١١/١) . وكيف يكون عاقلاً من يسفك دماء الآلاف ويرتكب العظائم لهدف تافه وحلم زائل؟!

رجوع الإمام الحسن عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام إلى المدينة

قال المفيد رحمته الله في الإرشاد: ١٥/٢: (ولما استقر الصلح بين الحسن عليه السلام وبين معاوية على ما ذكرناه ، خرج الحسن عليه السلام إلى المدينة فأقام بها كاطماً غيظه ، لازماً منزله منتظراً لأمر ربه جل اسمه ، إلى أن تم لمعاوية عشر سنين من إمارته وعزم على البيعة لابنه يزيد ، فدس إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس ، وكانت زوجة الحسن عليه السلام من حملها على سمه ، وضمن لها أن يزوجه بابنه يزيد ، وأرسل إليها مائة ألف درهم ، فسقته جعدة السم فبقي عليه السلام مريضاً أربعين يوماً ، ومضى لسبيله في صفر سنة خمسين من الهجرة ، وله يومئذ ثمان وأربعون سنة ، فكانت خلافته عشر سنين ، وتولى أخوه ووصيه الحسين عليه السلام غسله وتكفينه ودفنه عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، بالبقيع) .

معاوية يعرض على الإمام الحسن عليه السلام أن يكون قائد جيش عنده !

دعا النبي صلى الله عليه وآله على معاوية أن لا يشبع ! فلم يشبع لا من طعام ولا دنيا ، فكان يطمع في تحويل كل الناس لخدمة مشروعه الأموي ! قال البلاذري في أنساب الأشراف/٧٤٣: (ثم إن الحسن شخص إلى المدينة وشيعه معاوية إلى قنطرة الحيرة وخرج على معاوية خارجي فبعث إلى الحسن من لحقه بكتاب يأمره فيه أن يرجع فيقاتل الخارجي وهو ابن الحوساء الطائي، فقال الحسن: تركت قتالك وهو لي حلال لصالح الأمة وألفتهم أفراني أقاتل معك ؟). وفي الروائع المختارة/١٠٧: (لو آثرت أن أقاتل أحداً من أهل القبلة لبدأت بقتالك). وفي الإمامة والسياسة/١٨٣/١: (ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فوجده). انتهى. فأرسل معاوية فرسان الشام إلى ابن الحوساء فانهزموا ! فأجبر أهل الكوفة على قتاله فقاتلوه !!

الفصل الرابع

ظلم مصادر الحكومات للإمام الحسن عليه السلام وتلميغها لمعاوية

علمهم لتشويه شخصية الإمام الحسن عليه السلام وتلميع شخصية معاوية !

إذا أردت تعرف معنى دس السم في العسل ، فانظر الى أحاديثهم عن الإمام الحسن عليه السلام ففيها أنواع من السم مرسوسة في عسل ! ظاهرها المدح للإمام الحسن عليه السلام وباطنها المدح لبني أمية والذم لعلي والحسين والإمام الحسن عليه السلام ! لذلك عليك أن تحذر من كل ما رووه عن الإمام الحسن عليه السلام ! فقد صوروه وكأنه خرج من العترة وبينى هاشم ودخل في الحزب القرشي ، وصار لا يؤمن بحق العترة النبوية بالإمامة والخلافة ، لأنه لا يجوز أن تجتمع النبوة والإمامة في بني هاشم ! بل الخلافة حق إلهي لبطن قريش جميعاً وخاصة لبني أمية !

وصوروه كأنه ضد أبيه عليه السلام وضد حرب الجمل وصفين ! وكذبوا عليه أنه أوصى أخاه الإمام الحسين عليه السلام أن لا يخرج على بني أمية !

ثم زعموا أن الحسن عليه السلام شبيه بالنبي صلى الله عليه وآله والحسين شبيه بعلي عليه السلام ! ثم أرادوا أن ينصفوا الحسن والحسين عليه السلام فقالوا إن الحسن شبيه بجده الى سرته والحسين شبيه به من سرته الى قدمه ، وكأنهم رأوا ذلك من النبي صلى الله عليه وآله والحسين عليه السلام !

١- بخاري يمدح معاوية ويبطن ذم الإمام الحسن عليه السلام !

قال في صحيحه: ١٦٩/٣: (باب قول النبي (ص) للحسن بن علي رضي الله عنهما: إني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين . وقوله جل ذكره: فأصلحوا بينهما... عن أبي موسى قال: سمعت الحسن (البصري) يقول: استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال فقال عمرو بن العاص إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها ! فقال له معاوية وكان والله خير الرجلين ! إن

قتل هؤلاء هؤلاء هؤلاء ، من لي بأمور الناس من لي بنسائهم من لي بضيعتهم؟! فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس: عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز فقال: إذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه ، فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالوا له وطلبا إليه ، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال ! وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها . قالوا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسألك . قال: فمن لي بهذا ؟ قالوا: نحن لك به . فما سألهما شيئاً إلا قالوا نحن لك به ، فصالحه ! فقال الحسن (البصري): ولقد سمعت أبا بكره يقول: رأيت رسول الله (ص) على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه ، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ، ويقول: إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين).

وقال بخاري: ٩٨/٨: (باب قول النبي (ص) للحسن بن علي: إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين...الحسن (البصري) قال: لما سار الحسن بن علي رضي الله عنهما إلى معاوية بالكتائب ، قال عمرو بن العاص لمعاوية: أرى كتيبة لا تولي حتى تدبر أخرها ! قال معاوية: من للدراري المسلمين؟ فقال: أنا . فقال عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة: نلقاه فنقول له (الصلح). انتهى. ونحوه في مستدرك الحاكم: ١٧٤/٣ ، وفيه: (فصالح الحسن معاوية وسلم الأمر له وبايعه بالخلافة على شروط ووثائق ، وحمل معاوية إلى الحسن مالاً عظيماً ! يقال خمس مائة ألف ألف درهم ، وذلك في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين ، وإنما كان ولي قبل أن يسلم الأمر لمعاوية سبعة أشهر وأحد عشر يوماً). انتهى.

لقد اختار بخاري من بين عشرات الروايات التي حفلت بها المصادر ورواها

الفصل الرابع : ظلم مصادر الحكومات للإمام الحسن عليه السلام وتلميذها معاوية..... ١٢٧

شيوخ بخاري ، عن خلافة الإمام الحسن عليه السلام وحربه وصلحه مع معاوية ، هذه الرواية الكاذبة الخبيثة التي تصور الأمر وكأن فتني الصراع على حق وليس فيهما فئة باغية وأن النبي صلى الله عليه وآله وصفهما بأنهما: (فتنين عظيمتين من المسلمين) !

ثم صور بخاري جيش الإمام الحسن عليه السلام بأنه كتائب أمثال الجبال جاهزة للحرب ، لكن معاوية فكر في حفظ دماء المسلمين لتقواه ، فأرسل زعيمين من بني أمية الى الإمام الحسن عليه السلام ليعطياه ما يريد ، فوجداه يريد المال فأعطياه ملايين وتم الصلح !

فهل بعد هذا مسخّ وتزوير وافتراء على سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة ، من أجل تلميع شخصية معاوية القاتل الدموي الطليق بن الطليق ؟!

أليس بخاري هو الذي روى عن النبي صلى الله عليه وآله أن عماراً تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار ! فكيف صار معاوية الذي وصفه النبي صلى الله عليه وآله بأنه إمام ضلال يدعو المسلمين الى جهنم حريصاً على دماء المسلمين ومصالحتهم؟! وهل أخطأ رسول الله صلى الله عليه وآله في وصفه لمعاوية فلم يذكر تقواه ؟

ومتى كانت قوات الإمام الحسن عليه السلام كأمثال الجبال التي فسرها شارح بخاري: (أي لا يرى لها طرف لكثرتها كما لا يرى من قابل الجبل طرفه) (فتح الباري: ١٣/٥٣)

ومتى كان الإمام الحسن عليه السلام بهذه الشخصية الضعيفة والمادية التي صورها الأمويون للناس ! وسوّفها بخاري ليغشّ بها أجيال المسلمين؟!!

قال ابن حجر في الفتح: ٥٥/١٣: (فقال معاوية: إذهبوا إلى هذا الرجل فاعرضوا عليه ، أي ما شاء من المال . وقولا له: أي في حقن دماء المسلمين بالصلح . واطلبوا إليه: أي أطلبوا منه خلعه نفسه من الخلافة وتسليم الأمر لمعاوية ، وابدلاً له في مقابل ذلك ما شاء..). انتهى. فالمسألة إذن مالية ! وسبط الرسول سيد شباب أهل الجنة

إنما هو عند هؤلاء تاجرٌ بخلافة جده المصطفى ﷺ !!

والعجيب أن ابن حجر روى بعد هذا وصححه سنده ، أن الإمام الحسن عليه السلام قد شرط على معاوية أن تكون الخلافة له من بعده ! واعترف بأن معاوية نقض الشروط ونكث العهود كلها ولم يف له بشئ أبداً! فهل بقيت له شرعية ؟!

قال: (وأخرج يعقوب بن سفيان بسند صحيح...وقد أرسل إلى الحسن يسأله الصلح ومع الرسول صحيفة بيضاء مختوم على أسفلها وكتب إليه: أن اشترط ما شئت فهو لك...فلم ينفذ للحسن من الشرطين شئ!...وأخرج ابن أبي خيثمة من طريق عبد الله ابن شاذب قال: لما قتل علي سار الحسن بن علي في أهل العراق ومعاوية في أهل الشام فالتقوا ، فكره الحسن القتال وباع معاوية على أن يجعل العهد للحسن من بعده). انتهى.

تأثير بخاري على ثقافة المذاهب !

من تأثيرات بخاري على المذاهب مساواته الفئة الباغية بالفئة المحقة ، ومساواته علياً والحسن عليه السلام بمعاوية ! بل لقد جعل معاوية أفضل منهما بدرجة ! وجعل موقف الحسن تخطئة لأبيه عليه السلام ، فخلط الأوراق لمصلحة بني أمية !

فإن لم يكن هذا تشويهاً للتاريخ ، فكيف يكون التشويه ؟!

أنظر الى ما قاله ابن حجر في شرحه: ٥٧/١٣: (وفي هذه القصة من الفوائد علمٌ من أعلام النبوة ، ومنقبةٌ للحسن بن علي فإنه ترك الملك لا لقلّة ولا لذلة ولا لعلّة بل لرغبته فيما عند الله ، لما رآه من حقن دماء المسلمين فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة ! (يعني كان أفضل من أبيه) ! وفيها ردٌّ على الخوارج الذين كانوا يكفرون علياً ومن معه ومعاوية ومن معه بشهادة النبي (ص) للطائفتين بأنهم من المسلمين ، ومن ثم كان سفيان بن عيينة يقول عقب هذا الحديث: قوله من

الفصل الرابع : ظلم مصادر الحكومات للإمام الحسن عليه السلام وتلميذها معاوية..... ١٢٩

المسلمين يعجبنا جداً ! (يعجبهم: لأنه يساوي بين الحق والباطل والإمام الشرعي بالنص والغاصب المتغلب ، وبين الفئة الباغية والمبغى عليها ، وبين الدعاة الى النار والدعاة الى الجنة !) .

ثم قال ابن حجر: (وفيه فضيلة الإصلاح بين الناس ولا سيما في حقن دماء المسلمين ودلالة على رأفة معاوية بالرعية وشفقته على المسلمين وقوة نظره في تدبير الملك ونظره في العواقب . (وبهذا يكون أحق بالخلافة من الإمام الحسن عليه السلام) !

وفيه ولاية المفضل بالخلافة مع وجود الأفضل ، لأن الحسن ومعاوية ولي كل منهما الخلافة ، وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد في الحياة وهما بدرين . قاله ابن التين ! (فيكون الإمام الحسن عليه السلام كمعاوية ، ويكون أي بدري أفضل من سيد شباب أهل الجنة والإمام بنص النبي ﷺ) ! ثم قال ابن حجر: وفيه جواز خلع الخليفة نفسه إذا رأى في ذلك صلاحاً للمسلمين والنزول عن الوظائف الدينية والدنيوية بالمال وجواز أخذ المال على ذلك . (يعني أن الإمام الحسن عليه السلام خلع نفسه وباع الخلافة بيعاً) ! واستدل به على تصويب رأي من قعد عن القتال مع معاوية وعلي ، وإن كان علي أحق بالخلافة وأقرب إلى الحق ، وهو قول سعد بن أبي وقاص وابن عمر ومحمد بن مسلمة ، وسائر من اعتزل تلك الحروب ! (يعني أن موقف الحياء والتخلف عن علي هو الصحيح بمع أن علياً عليه السلام مع الحق بنص النبي ﷺ الصحيح عندهم ، وفتنة الفئة المحقة بنص النبي ﷺ الصحيح عندهم ، ومع أن ابن عمر نذم وخطأ نفسه مراراً لتخلفه عن بيعة علي عليه السلام وعدم جهاده بني أمية معه) !

ثم قال ابن حجر: وذهب جمهور أهل السنة إلى تصويب من قاتل مع علي امتثال قوله تعالى: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا . الآية.. ففيها الأمر بقتال الفئة الباغية ، وقد ثبت أن من قاتل علياً كانوا بغاة ، وهؤلاء مع هذا التصويب متفقون على أنه لا يذم واحد من هؤلاء ، بل يقولون اجتهدوا فأخطأوا (يعني أن معاوية وحزبه بغاة ظالمون دعاة الى النار وقتلهم فريضة ، ودمائهم هدر وقتلهم طاعة لله وقربة ، والى جهنم وبئس المصير ، لكنهم مجتهدون مأجورون في دعوتهم المسلمين الى جهنم !) . ثم قال ابن حجر:

(ذهب طائفة قليلة من أهل السنة وهو قول كثير من المعتزلة ، إلى أن كلاً من الطائفتين مصيب وطائفة إلى أن المصيب طائفة لا بعينها).انتهى.

فانظر الى هذا التزوير والهروب من قول الحق ، وتعمد الخلط والإمعان فيه !

على أنه لا بد لنا أن نشكر ابن حجر وغيره ، لأنهم كشفوا عن أن بعض الرواة أضافوا الى الحديث صفة(عظيمين) ! فوضعوا يدنا على واحد من التزويرات الأموية في نص الأحاديث ، وأعطونا الحق في أن نشك في أصل الحديث ، لأنه موظف بالكامل لمصلحة بني أمية ولأن شهادتهم بالتزوير الجزئي توجب الشك في الكل ! قال ابن حجر: (قوله: بين فئتين من المسلمين ، زاد عبد الله بن محمد في روايته عظيمين وكذا في رواية مبارك بن فضالة ، وفي رواية علي بن زيد كلاهما عن الحسن عند البيهقي... ولفظه عند الطبراني والبيهقي: قال للحسن إن ابني هذا سيد يصلح الله به بين فئتين من المسلمين . قال البزار: روي هذا الحديث عن أبي بكره وعن جابر ، وحديث أبي بكره أشهر وأحسن إسناداً وحديث جابر غريب).انتهى. وفي تحفة الأحوذى: ١٠: ١٨٩:(زاد البخاري في رواية: عظيمين) . وقال الألباني في إرواء الغليل: ٤١/٦: (وزاد: ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين. زاد أصحاب السنن: عظيمين) ! انتهى. فهذه شهادة من كبارهم بكذب الرواة في قسم من هذا الحديث لمصلحة بني أمية !

وقد فاق العجلي الوضاعين فوصف الفئتين بالمؤمنين ! قال: (ويصلح الله به بين فئتين من المؤمنين عظيمين) ! (النقات: ٢٩٧/١).

لكن ابن حجر فاق الجميع جميعاً في تبنيه أقوال المغالين في بني أمية ، فزعم أن الإمام الحسن عليه السلام كان شاكاً في أنه أهل للخلافة وأحق بها من معاوية فاجتاط لدينه وأعطاهما الى معاوية ! قال في فتح الباري: ٥٣/١٣: (قال ابن بطال: ذكر أهل

الفصل الرابع : ظلم مصادر الحكومات للإمام الحسن عليه السلام وتلميذها معاوية..... ١٣١

العلم بالأخبار أن علياً لما قُتل سار معاوية يريد العراق وسار الحسن يريد الشام فالتقيا بمنزل من أرض الكوفة ، فنظر الحسن إلى كثرة من معه فنادى: يا معاوية إني اخترت ما عند الله فإن يكن هذا الأمر لك فلا ينبغي لي أن أنازعك فيه ، وإن يكن لي فقد تركته لك ! فكبر أصحاب معاوية ! وقال المغيرة عند ذلك: أشهد أنني سمعت النبي (ص) يقول: إن ابني هذا سيد.. الحديث..). انتهى.

فتأمل في "سيناريو" ابن بطلال الذي تبناه ابن حَجَر واسأله: من هؤلاء أهل العلم بالأخبار؟ أليست الأخبار التي رويتها وصححتوها في الصلح؟! فلماذا تركتها وتبنيت رواية ابن بطلال اللقيطة التي سندها: (ذكر أهل العلم بالأخبار) !

لا يغرك أبناء بطلال وتيمية وحجر وأمثالهم ، فهم أمويون أكثر من بني أمية ! وعندما ترى أحدهم يقول (قال أهل العلم) فاعرف أنه قول شخص مغمور أخفاه لمهانتة ، أو هو قوله هو يلبسه لأهل العلم ليغشّ به المسلمين !

هذا ، وينبغي أن تعرف أن بخاري المحب لمعاوية المنعصب له ، مضطر لأن يستعمل الأسلوب المبطن والتقية في صحيحه ، لأنه كتبه للمتوكل العباسي الذي هو مثله ! لكنه يخشى بني العباس إن مدح معاوية ، وإلا لكشف عن دخيلته !

٢- طعنهم في أمير المؤمنين عليه السلام على لسان ولده الإمام الحسن عليه السلام!

من ذلك ما رواه النووي في المجموع: ٢٠٢/١٩ عن الإمام الحسن عليه السلام أنه عندما رأى محمد بن طلحة قتيلاً فقال: (إنا لله وإنا إليه راجعون هذا فرع قريش والله ! فقال له أبوه ومن هو يا بني؟ فقال محمد بن طلحة . فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون إن كان ما علمته لشاباً صالحاً ، ثم قعد كثيراً حزناً ! فقال له الحسن: يا أبت قد كنت أنهارك عن هذا المسير فغلبك على رأيك فلان وفلان ! قال قد كان ذلك يا

بنِيّ ، فلوددت أني متٌ قبل هذا بعشرين سنة). انتهى.
 أقول: يقصد الراوي الوضّاع بفلان وفلان عماراً والأشتر رضوان الله عليهما ،
 فهما يمينا علي عليه السلام بتعبير معاوية ، وهما من أبعض الناس لأتباع بني أمية ! ولهذا
 يحاولون تصوير أنهما دفعا أمير المؤمنين عليه السلام الى حرب الجمل وحرب صفين ،
 وأن الإمام الحسن نصحه وأمره بعدم الحرب فلم يقبل منه ، ثم ندم أمير
 المؤمنين عليه السلام عندما رأى ابن طلحة العدوي القرشي مقتولاً ، فتأسف وتمنى أنه
 مات هو من عشرين سنة !

بل تفاقم كذبهم على الإمام الحسن عليه السلام فنسبوا اليه أنه رأى مناماً أن القيامة
 قامت وأن أبا بكر وعمر نجا وتمسكا بحزام النبي صلى الله عليه وآله لكنه لم ير علياً معهما ! بل
 رأى الدم ينصبُّ على الأرض ! روى الطبراني في الكبير: ٩١/٣ (فلقطة الجعفي قال:
 سمعت الحسن بن علي رضي الله عنه يقول: رأيت النبي (ص) في المنام متعلقاً
 بالعرش ورأيت أبا بكر رضي الله عنه أخذ بحقوي النبي (ص) ورأيت عمر أخذ
 بحقوي أبي بكر ورأيت عثمان أخذ بحقوي عمر. ورأيت الدم ينصب من السماء
 إلى الأرض ! فحدث الحسن بهذا الحديث وعنده قوم من الشيعة فقالوا: وما
 رأيت علياً؟ فقال الحسن: ما كان أحد أحب إليّ أن أراه أخذ بحقوي النبي من
 علي ، ولكنها رؤيا رأيتها!) انتهى.

والكذب والخبث واضحان في هذه الرواية لكل مسلم بل كل منصف !

٣- كذبهم عليه بأنه كان ضد نهضة أخيه الحسين عليه السلام !

تبنى الذهبي في سيره: ٢٧٨/٣ قول ابن عبد البر: (قال: وروينا من وجوه: أن
 الحسن لما احتضر قال للحسين: يا أخي: إن أباك لما قبض رسول الله (ص) ،
 استشرف لهذا الأمر فصرفه الله عنه ، فلما احتضر أبو بكر تشرف أيضاً لها

الفصل الرابع : ظلم مصادر الحكومات للإمام الحسن عليه السلام وتلميذها لمعاوية..... ١٣٣

فصرفت عنه إلى عمر ، فلما احتضر عمر جعلها شورى إلى أحدهم فلم يشك أنها لا تعدوه ، فحضرته عنه إلى عثمان ، فلما قتل عثمان ببيع ثم نوزع حتى جرد السيف وطلبها ، فما صفا له شيء منها !

وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة ، فلا أعرفن استخفك سفهاء أهل الكوفة فأخرجوك ! وقد كنت طلبت إلى عائشة أن أدفن في حجرتها فقالت نعم ، وإني لا أدري لعل ذلك كان منها حياء ، فإذا ما مت فاطلب ذلك إليها وما أظن القوم إلا سيمنعونك فإن فعلوا فادفني في البقيع .

فلما مات قالت عائشة: نعم وكرامة ، فبلغ ذلك مروان فقال: كذب وكذبت . والله لا يدفن هناك أبداً ! منعوا عثمان من دفنه في المقبرة ويريدون دفن حسن في بيت عائشة ! فلبس الحسين ومن معه السلاح واستلأم مروان أيضاً في الحديد ثم قام في إطفاء الفتنة أبو هريرة . أعاذنا الله من الفتن ، ورضي عن جميع الصحابة ، فترض عنهم يا شعبي فتلح ، ولا تدخل بينهم فالله حكم عدل). (وأوله في تاريخ الخلفاء ١٥٠/ ، والتحف اللطيفة: ٢٨٢/١ ، ونفحات الأزهار: ٢٤٤/٤ عن الإستيعاب: ٣٩١/١).

أقول: معنى هذه الرواية وأمثالها أن علياً والحسين عليهما السلام كانا طامعين في الحكم والدنيا ، وأن الإمام الحسن كان خيراً منهما عليه السلام ولذلك فهو ينصح أخاه الحسين أن لا يخرج على يزيد ولا يطلب الدنيا ، ولكنه لم يطعه !

وهذا هو رأي بني أمية تماماً ، وهو تزوير للحقيقة وطعن في دين العترة الطاهرة الذين مدحهم الله تعالى ورسوله ﷺ بأنهم فوق الدنيا وأنهم سادة أهل الجنة !

ومما يزيدك معرفة بوظيفة هذه الرواية ما رواه الهيثمي في موارد الظمآن: ١٩٩/٧: (عن الشعبي قال: بلغ ابن عمر وهو بمال له أن الحسين بن علي قد توجه إلى العراق فلحقه على مسيرة يومين أو ثلاثة فقال: إلى أين؟ فقال: هذه كتب أهل

العراق وبيعتهم ، فقال: لا تفعل فأبى ! فقال له ابن عمر: إن جبريل أتى النبي (ص) فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا ، وإنكم بضعة من رسول الله كذلك يريد بكم ، فأبى ! فاعتقه ابن عمر وقال: أستودعتك الله والسلام) .

تحذير من الدس القرشي في وصية الإمام الحسن عليه السلام

يبدو أننا نحتاج في كل فصل من سيرته عليه السلام إلى التحذير من الدس الأموي والقرشي في أحاديثه ! والقاعدة لكشف ذلك: أن المدسوس يتضمن تنقيصاً بشخصية المعصوم عليه السلام ويتنافى مع سموها الذي نص عليه النبي ﷺ أو يتضمن تبريراً لأعمال السلطة ، أو يدعو لقبول الحاكم ، وينهى عن مبدأ الخروج عليه . وبعض الدس ظاهر وبعضه خفي ، تسرب منه إلى مصادرنا مع الأسف !

ومن أمثلته هنا ، قولهم إن الإمام الحسن أوصى أخاه الحسين عليه السلام أن لا يطلب الخلافة وأن لا يخرج على بني أمية كما تقدم !

ومنه قولهم إن الإمام الحسن عليه السلام جزع عند الموت ، وقال إنه لا يعرف مصيره إلى الجنة أو النار ! فطمأنه الحسين عليه السلام فاطمأن ، أو لم يطمئن فبكى معه ! قال ابن كثير: ٤٧/٨: (وقال أبو نعيم: لما اشتد بالحسن بن علي الوجع ، جزع فدخل عليه رجل فقال له: يا أبا محمد ما هذا الجزع ؟ ما هو إلا أن تفارق روحك جسدك فتقدم على أبويك علي وفاطمة ، وعلى جدك النبي (ص) وخديجة ، وعلى أعمامك حمزة وجعفر ، وعلى أخوالك القاسم الطيب ومطهر وإبراهيم ، وعلى خالاتك رقية وأم كلثوم وزينب ، قال: فسرى عنه . وفي رواية أن القائل له ذلك الحسين وأن الحسن قال له: يا أخي إني أدخل في أمر من أمر الله لم أدخل في مثله وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثله قط ! قال: فبكى الحسين رضي الله عنهما . رواه عباس الدوري عن ابن معين ، ورواه بعضهم عن جعفر بن محمد عن أبيه

الفصل الرابع : ظلم مصادر الحكومات للإمام الحسن عليه السلام وتلميذها لمعاوية..... ١٣٥

فذكر نحوهما). (ونحوه تاريخ دمشق: ٢٨٦/١٣).

وأسوأ منه ما في تاريخ دمشق: ٢٨٧/١٣: (لما حضر الحسن بن علي الموت بكى بكاء شديداً! فقال له الحسين: ما يبكيك يا أخي وإنما تقدم على رسول الله ص وعلى علي وفاطمة وخديجة وهم ولدوك ، وقد أجرى الله لك على لسان نبيه أنك سيد شباب أهل الجنة ، وقاسمت الله مالك ثلاث مرات ، ومشيت إلى بيت الله على قدميك خمس عشرة مرة حاجاً! وإنما أراد أن يطيب نفسه . قال: فوالله ما زاده إلا بكاء وانتحاباً ، وقال: يا أخي أني أقدم على أمر عظيم مهول لم أقدم على مثله قط!! انتهى).

فهذا درسٌ يتفحص من مقام الإمام عليه السلام في قول النبي صلى الله عليه وآله: الحسن والحسين سيد شباب أهل الجنة! ويتضمن التهوين من المقام العظيم الذي بلغه النبي صلى الله عليه وآله إلى أمته ، وعبر عنه الراوي الكاذب باستخفاف بقوله: (وقد أجرى الله لك على لسان نبيه أنك سيد شباب أهل الجنة) ! وكأنه شئ جرى على لسان النبي صلى الله عليه وآله من نفسه ، لا وحيا يوحى ! ثم تضيف الرواية القرشية أن الإمام الحسن عليه السلام لم يطمئن بذلك بل زاد بكاؤه وانتحابه ، وكأنه لا يؤمن بكلام جده صلى الله عليه وآله! وقد تكرم بعضهم بالقول إن الإمام الحسن عليه السلام: (سُرِّي عنه) أي ارتاح شيئاً ما ! (سبل الهدى: ٧٠/١١).

وقد تسربت بعض رواياتهم الى مصادرها مع الأسف ، كما في رواية مناقب آل أبي طالب: ٢٠٣/٣ قال: (وحكي أن الحسن عليه السلام لما أشرف على الموت قال له الحسين عليه السلام: أريد أن أعلم حالك يا أخي ؟ فقال الحسن: سمعت النبي لا يفارق العقل منا أهل البيت ما دام الروح فينا ، فضع يدك في يدي حتى عاينت ملك الموت أغمز يدك ، فوضع يده في يده فلما كان بعد ساعة غمز يده غمزاً خفيفاً ، فقرب الحسن أذنه إلى فمه فقال: قال لي ملك الموت: أبشر فإن الله عنك راض

وجدك شافع). انتهى. ولعل ابن شهر آشوب رحمته الله عبر عنها رحمته الله به (حكى) لأنها تزعم أن الحسن والحسين عليهما السلام شكّا في قول جدّهما إنهما: (سيدا شباب أهل الجنة) !! إنها وأمثالها نفثات من حسدهم للأئمة الطاهرين عليهم السلام عندما رأوهم يواجهون الموت باستبشار ويقين لامثيل له ، كقول أمير المؤمنين عليه السلام (فزت ورب الكعبة) ! فقد أرادوا أن يساوا بينهم وبين القرشيين والأمويين الذين انفضح أمرهم عند موتهم واشتهر جزعهم وصراخهم ! وتمنى بعضهم لو أنه كان تراباً ! وبعضهم لو كان خروفاً ! وبعضهم لو كان تبنّة ! وبعضهم زاد صراخه فتمنى لو كان عذرة !

كما ينبغي التنبيه الى أن بعضهم نسبوا الى الإمام الحسن عليه السلام كلام الحسن البصري وحالاته ! وأين الثريا من الثرى ! قال الذهبي في سيره: ٥٨٧/٤: (عن يونس قال: لما حضرت الحسن الوفاة جعل يسترجع فقام إليه ابنه فقال: يا أبت قد غممتنا فهل رأيت شيئاً ، قال: هي نفسي لم أصب بمثلها). انتهى. فنسبوا هذا الكلام بعينه الى الإمام الحسن عليه السلام ! وأخذته عنهم بعض مصادرنا مع الأسف ، ولم تنبه لما فيه من الحط من مقام الإمام عليه السلام ! وقد تنبه الإربلي رحمته الله الى بعضها دون بعض فقال في كشف الغمة: ٢١٠/٢ ونحوه ١٧٤: (روي أنه لما حضرت الحسن بن علي الوفاة كأنه جزع عند الموت فقال له الحسين عليه السلام كأنه يعزّيه: يا أخي ما هذا الجزع ! إنك ترد على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وهما أبواك ، وعلى خديجة وفاطمة وهما أماك ، وعلى القاسم والظاهر وهما خالاك ، وعلى حمزة وجعفر وهما عماك ! فقال له الحسن عليه السلام: أي أخي إني أدخل في أمر من أمر الله لم أدخل في مثله ، وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثله قط ! قال فبكى الحسين). انتهى.

ولو تتبعنا أن أصل الرواية أخذها السيوطي في الخلفاء/ ١٥٠ من كتاب الطيوريات ومن كتاب ابن طرار المجلس الصالح/ ٧٧٦ !

الفصل الرابع : ظلم مصادر الحكومات للإمام الحسن عليه السلام وتلميذها معاوية..... ١٣٧

وأخيراً ، نشير الى كذب الأمويين على الإمام الحسن عليه السلام أنه كان يبكي عند وفاته خوفاً من أن يخطب حفيد عثمان بعد موته فاطمة بنت الحسين عليه السلام ، وأنها أعطت عمها العهد أن لا تقبل به فهداً ، ثم نقضته بعد وفاته وتزوجت به !
(نسب قریش للزبيری/ ٣٣ ، وأخبار النساء لابن قيم الجوزية/ ٨٣ ، وذم الهوى لابن الجوزي/ ٦٤٨ ، وتاريخ دمشق: ١٧/٧٠ ، ومقاتل الطالبين/ ١٣٨ ، وأعيان الشيعة: ٣٨٨/٨ عن الأغاني)

٤- زعمهم أن الإمام الحسن يشبه النبي صلى الله عليه وآله ولا يشبه علياً عليه السلام

اشرنا الى أنهم وضعوا روايات بأن الحسن عليه السلام يشبه بجده صلى الله عليه وآله وليس شبيهاً بأبيه علي عليه السلام ! ومعناه أن علياً عليه السلام أراد الدنيا فحارب معاوية ، أما الحسن عليه السلام فلم يرد الدنيا فصالح معاوية ! وأن الحسين عليه السلام يشبه بعلي وليس شبيهاً بالنبي صلى الله عليه وآله لأنه خرج علي يزيد وطلب الدنيا !

وزعموا أن أبا بكر بفراسته الخارقة كان يتفأل خيراً بالحسن ويقول إنه يشبه جده النبي صلى الله عليه وآله ولا يشبه علياً ! قال بخاري: ١٦٤/٤ و ٢١٧ إن أبا بكر خرج بعد صلاة العصر: (يمشي فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحمّله على عاتقه وقال: بأبي شبيه بالنبي لا شبيه بعلي وعلي يضحك) ! وفي فضائل الصحابة للنسائي/ ١٩ (فوضعه على عنقه) . وفي مستدرك الحاكم: ١٦٨/٣ (فضمه إليه) وفي ثقات العجلي: ٢٩٧/١: (فاستقبل الحسن بن علي عنه فأخذه أبو بكر فجعل يقبله ويقول..) وفي مسند أحمد: ٨/١ ، وتاريخ دمشق: ١٣/١٧٤: (بعد وفاة النبي (ص) لبيا ل علي يمشى إلى جنبه فمر بحسن بن علي يلعب مع غلمان فاحتمله على رقبته وهو يقول.. فأخذه فحمّله على عنقه) وفي تاريخ دمشق: ١٣/١٧٥ (رأيت أبا بكر يحمل الحسن بن علي ويقول....) وفي الطبراني الكبير: ٣/٩١: (وحمل أبو بكر الحسن بن علي على عاتقه ولعابه يسيل وعلي إلى جانبه ، وجعل أبو بكر يقول) .

ونقاط الضعف في روايتهم كثيرة ، من أبسطها: كيف استطاع أبو بكر على ضعفه وهرمه أن يحمل الإمام الحسن عليه السلام وهو رشيد الجسم ابن ثمان سنوات؟! ومنها: أن روايتهم انتقلت من لسان أبي بكر الى لسان الزهراء عليها السلام وأنها كانت: (تنقر الحسن بن علي (ترقّصه) وتقول: بأبي شبه النبي ليس شبيهاً بعلي) (أحمد: ٢٨٣/٦). ومنها: أن وظيفة الرواية أن أبا بكر قال لعلي إن الحسن خير منك لأنك تطلب الخلافة وتعارضني والحسن لا يطلبها ! لكنهم ناقضوا أنفسهم فروى بخاري نفسه وغيره أن الإمام الحسين عليه السلام كان أشبههم بجده رسول الله صلى الله عليه وآله !

قال في صحيحه: ٢١٦/٤: (عن أنس بن مالك: أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن علي فجعل في طست فجعل ينكت وقال في حسنه شيئاً ، فقال أنس: كان أشبههم برسول الله وكان مخضوباً بالوسمة).

وفي سنن الترمذي: ٣٢٥/٥ ، والطبراني الكبير: ١٢٥/٣: (فجى برأس الحسين فجعل يقول بقضيب في أنفه ويقول: ما رأيت مثل هذا حسناً). (ومسند أحمد: ٢٦١/٣، ومسند أبي يعلى: ٢٢٨/٥، وصحيح ابن حبان: ٤٢٩/١٥، وتاريخ دمشق: ١٢٦/١٤ و١٢٧، وأسد الغابة: ٢٠/٢).

لكن الكذبة الأميين لا يضيّق عليهم مسلك ! فقد حلوا تناقض بخاري وغيره بأن الحسن يبقى أفضل من الحسين عليه السلام لأنه يشبه جده المصطفى صلى الله عليه وآله من رأسه الى سرتة ، بينما الحسين عليه السلام يشبهه من سرتة الى قدمه !

وبما أنك قد تسأل الراوي: وهل رأيت القسم الأسفل من الحسين والنبي صلى الله عليه وآله؟! فقد وضع الحديث على لسان علي عليه السلام! قال الطيالسي في مسنده/٢٠: (كان الحسن بن علي أشبه الناس برسول الله (ص) من وجهه إلى سرتة ، وكان الحسين أشبه الناس بالنبي (ص) ما أسفل من ذلك) !

وفي تاريخ أبي الفداء: ٢٣١: (من سرتة إلى قدمه).

الفصل الرابع : ظلم مصادر الحكومات للإمام الحسن عليه السلام وتلميذها لمعاوية..... ١٣٩

وفي مسند أحمد: ٩٩/١: (عن هانئ عن علي رضي الله عنه قال: الحسن أشبه الناس برسول الله (ص) ما بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه الناس بالنبي ما كان أسفل من ذلك). (ونحوه مجمع الزوائد: ١٧٦/٩، ومسند أبي يعلى: ٢٧٦/٦ وصحيح ابن حبان: ٤٢٩/١٥ ، والذرية الطاهرة النبوية/ ١٠٤، وتاريخ دمشق: ١٤/١٢٥ و١٢٧، وغيرها .

راجع تمحلاتهم لتصحيح روايتي بخاري: فتح الباري: ٦/٤١١ و ٧/٧٥، ومقدمته/ ٤٧٤). وراجع أحاديثهم الكثيرة في أن الإمام الحسن عليه السلام كان أشبههم بالنبي صلى الله عليه وآله تاريخ دمشق: ١٣/ ١٧٦، وفتح الباري: ٦/٤١١، وتحفة الأحوذى: ١٠/١٩١، وكبير الطبراني: ٢٤/٣ وأبي يعلى: ٢٧١/٦، والإصابة: ٢/٦٢، وتاريخ دمشق: ١٣/١٧٨، و١٨١، و١٨٣، ونبلاء الذهبي: ٣/٢٤٩). وراجع من روى ذلك من مصادرنا متأثراً به أو ناقلاً: مناقب آل أبي طالب: ٣/١٥٩، وروضة الواعظين/ ١٦٥، ومقاتل الطالبين/ ١٢٧، وشرح الأخبار: ٣/٩٧، ودلائل الإمامة/ ١٧٨).

٥- روايات السلطة حول قبر النبي صلى الله عليه وآله على لسان الإمام الحسن عليه السلام

ومنها ما كذبوه عليه أنه قال: (إذا دخلت المسجد فسلم ، ثم قال: إن رسول الله (ص) قال: لا تتخذوا قبوري عيداً ، ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً ، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم ، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء) ! (الجنائز للألباني/ ٢٢٠، ونحوه مصنف عبد الرزاق: ٣/٧١).

وقد بينا في المجلد الأول أن السلطة خافت أن يستجير بنو هاشم بقبر النبي صلى الله عليه وآله ويطالبوا بتنفيذ وصيته بخلافة علي عليه السلام ، فأعلنوا الأحكام العرفية عند القبر ومنعوا مجلس فاطمة الزهراء عليها السلام عنده ، وكل تجمع أو صلاة قرب القبر ، وظهر هذا الحديث وأمثاله !

أما مصادرنا فمما ثبت فيها أن الإمام الحسن عليه السلام قال لجده رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا أبه ، ما جزاء من زارك؟ فقال: من زارني أو زار أباك أو زارك أو زار أخاك ، كان حقاً عليّ أن أزوره يوم القيامة حتى أخلصه من ذنوبه). (أمالي الصدوق/ ١١٤).



ولا يتسع المجال لاستعراض تحريفاتهم ومكذوباتهم ، وقد تسرب بعضها الى مصادرنا مع الأسف لخفاء تحريفه وغرضه ! وقد علمنا لإمام الحسن عليه السلام ضرورة التنبه الى الأهداف الخفية لبني أمية فكشف غرض معاوية من كلامه التالي في مدح بني هاشم ! قال المزي في تهذيب الكمال: ٢٤١/٦: (قال معاوية يوماً في مجلسه: إذا لم يكن الهاشمي سخيّاً لم يشبه حسبه ، وإذا لم يكن الزبيري شجاعاً لم يشبه حسبه ، وإذا لم يكن المخزومي تائهاً لم يشبه حسبه ، وإذا لم يكن الأموي حليماً لم يشبه حسبه ! فبلغ ذلك الحسن بن علي فقال: والله ما أراد الحق ولكنه أراد أن يغري بني هاشم بالسخاء فيفنوا أموالهم ويحتاجوا إليه ! ويغري آل الزبيري بالشجاعة فيفنوا بالقتل ، ويغري بني مخزوم بالتبه فيبغضهم الناس ! ويغري بني أمية بالحلم فيحبهم الناس) ! (وتاريخ دمشق: ٢٥٨/١٣).



الفصل الخامس

برنامج الإمام الحسن عليه السلام في المدينة بعد الصلح

١- الإنسحاب من المسرح السياسي ولا الدور السئ !

للعرة النبوية ﷺ معادلة تقول: قيمة الحكم بقدر ما تستطيع أن تُقيم فيه من حق أو تدفع من باطل . (قال عبد الله بن عباس: دخلت على أمير المؤمنين بذي قار وهو يخصف نعله فقال لي: ما قيمة هذه النعل؟ فقلت لا قيمة لها. فقال: والله لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً). (نهج البلاغة: ٨٠/١) .
وهم جميعاً مؤمنون بهذه القاعدة ، فعندما يكون ثمن وصولهم الى الحكم أو بقائهم فيه يتعارض معها ، فموقفهم رفضه بدون تردد !

لذلك رفض علي عليه السلام الخلافة عندما شرطوا عليه العمل بسنة أبي بكر وعمر !
وتنازل عنها الحسن عليه السلام عندما توقف بقاؤه فيها على انتهاج (ميكافيلية) معاوية !
فلا يمكن لعلي عليه السلام أن يعترف بأن سنة أبي بكر وعمر جزءٌ من الإسلام ، ولا بالأساس الذي قامت عليه ، وهو الغلبة ووراثه القرشيين القبلية لمحمد ﷺ !
ولا يمكن للحسن عليه السلام أن يكون كمعاوية فيضع قيم الإسلام تحت قدميه ويقتل ويضرب ويسجن ويُرهب ، ويُقرَّب من أطاعه وتملَّق له ويجعل لهم بيت مال المسلمين ، ويسرقه لهم من أصحابه الشرعيين المحتاجين !

إن مشروع معاوية تأسيس ملك دنيوي لبني أمية ، ومشروع الإمام الحسن عليه السلام إقامة الدين وإعادة دولة العدل النبوي ، فهو وأخوه الحسين عليه السلام ومن تبعهم ، منفذون للخريطة النبوية الربانية ، فإن لم يمكنهم ذلك فلا معنى للحكم عندهم ، لا ابتداءً ولا بقاءً ! فبقاؤهم في المسرح مرتبط بإمكانية أن يرسموا اللوحة النبوية في الناس بقيمتها وعدالتها ، أما إذا غلب على المسرح أعداء القيم والعدل

واستخذت الأمة ولم تنصر أهل بيت نبيها ﷺ فلا بد لهم من ترك المسرح والعودة الى العمل الفكري وترسيخ الإسلام في الأمة كدين ، والتوعية على نموذج العدل النبوي ، حتى يأتي يوم تطبيقه !

كنا ونحن صغارٌ نتحرق ألماً لماذا لم يقبل أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة بدل عثمان ، ويجيئهم عن شرط سنة الشيخين بجواب مجمل؟ إذن لتغير التاريخ !
ولماذا لم يستعمل الدهاء ضد معاوية وهو القائل: (والله ما معاوية بأدهى مني)؟
ولماذا قبل الإمام الحسن عليه السلام بالتناحي عن الحكم ولم يستعمل أسلوباً آخر...؟
ثم عرفنا أن المسألة أعمق من أخذ المعصوم منصباً أو بقاءه فيه ، فهي قضية الصراع بين الهدى الإلهي والضلال البشري ، وهي علمٌ له معادلاته في المجتمعات والنفوس ، وفي خطة الله تبارك وتعالى للأرض وإنسانها !
وله وسائله لدى الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ! وكل ذلك كان حاضراً عند علي والحسن عليهما السلام عندما قررا رفض الخلافة أو التخلي عنها ! على أنه قرارٌ من علم الله المكنون وأمره المطاع ، كانا يعلمانه قبل مجيئ وقته !
لكنه لا يعني العزلة كما يفعل السياسيون ، فلا رهينة في مهمة المعصوم عليه السلام !

٢- العالم الأعلى الذي يعيش فيه المعصوم عليه السلام

بالنظرة العادية لا يمكنك أن تفهم مكونات شخصية الإمام المعصوم من عترة النبي ﷺ وكيف يعيش ويفكر ويتصرف ؟ لأنه إنسان مختلف ، سواء في عالمه الداخلي وعالمه الذي يحيط به . فكذلك هم الأئمة الربانيون الذين وعد الله خليله إبراهيم عليه السلام أن يجعلهم من ذريته في الأمة الآخرة: (أما إسماعيل ، فقد استجبت لطلبتك من أجله . سأباركه حقاً وأجعله مثمراً ، وأكثر ذريته جداً فيكون أباً لاثني عشر رئيساً (قيماً ، إماماً) ويصبح أمة كبيرة) . (التوراة - سفر التكوين: ١٧-٢٠) .

فالوعد الإلهي بهم قديم وتكوينهم مميز: صُنِعَ اللهُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ . (النمل: ٨٨)
لأن مهمتهم عظيمة ، سواء في جيل عصرهم أو مستقبل الحياة الإنسانية !
الإمام المعصوم عليه السلام يعيش عالم الغيب كما نعيش نحن عالم المحسوس
وحضور الله عنده دائم قوي . نعم ، إنه يملك في سلوكه الحرية والإختيار لكن
الله يتولى رعايته في صغير أموره وكبيرها ، وملائكة الله تحفظه وتسدده .

ومن هنا كان عالم الإمام الحسن عليه السلام وتفكيره يختلف كلياً عن عالم معاوية !
فمَنْ يكون معاوية وأبو معاوية وكل الماديين في هذا البرنامج الرباني؟!
الإمام الحسن عليه السلام يعيش في كَوْنٍ له ربٌّ ، يديره بتكوينه وأمره ونهيه ، وله
أهدافٌ في إنسانه ، أرسل من أجلها رسولاً ﷺ وأنزل عليه هدى وشرعة ،
وجعل بعده أئمة ربانيين عليهم السلام ! ففضية الإمام الحسن عليه السلام أن يقوم بأعباء الإمامة
وينفذ أوامر ربه وجده ﷺ ، ثم ليكن ما يكون ! أما معاوية ففضيته هي التي
أعلنها بقوله: إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم ! ثم ليكن ما يكون !

وتفكير معاوية في نظر الإمام عليه السلام خطأ قاتل لصاحبه ، ولذلك كتب الى معاوية
قبل الصلح: (وستندم يا معاوية كما ندم غيرك ممن نهض في الباطل أو قعد
عن الحق ، حين لا ينفع الندم) ! (علل الشرائع: ٢٢٠/١) .

وبالفعل ذهب معاوية الى ربه بعد أن حطب ما حطب ، وسلّم حصيلة عمره الى
ولدٍ أهوج هدر كل جهود أبيه وجده ، وهدر نفسه وأسرتة ! وندم معاوية حيث
لا ينفع الندم ! وفاز الإمام الحسن عليه السلام حيث ينفع الفوز ، مع أبيه وأمه وجده
والنبيين والشهداء والصالحين صلوات الله عليهم ، في رضوان ربهم ونعيمه .

٣- برنامج الإمام الحسن عليه السلام في المدينة بعد الصلح

عاد الإمام الحسن عليه السلام الى مدينة جده ﷺ ، هو وأخوه الحسين عليه السلام وباقية أبناء

الرسول وبناته وكل بني هاشم.. الى هذه المدينة التي اختارها الله لرسوله وأسرته وجعلها حرمهم وبيتهم ﷺ ، فهي تعني عندهم الجد والأب والأم والبيت والذكريات الغالية الحنونة ، وأمجاد الرسالة النازلة من السماء .

المدينة تعني القاعدة الثابتة لهم كما لجدهم ﷺ ، فتراهم ﷺ ينطلقون منها ثم يعودون اليها . وعندما يضطرون لمغادرتها كالإمام الرضا والجواد ﷺ يتركون فيها أبناءهم وبناتهم ، ليكونوا استمرار وجودهم فيها ، فكأنهم أخذوا على أنفسهم التواجد فيها ما أمكنهم ، حتى يأتي وعد الله بمهديهم ﷺ !

واستقبله الأنصار ، وحفوا به كما حفوا بأبيه في الجمل وصفين والنهروان ! وكلهم معه وكلهم غاضبٌ من بني أمية ، وفي وجود الحسن ﷺ ضمانٌ لهم من أن يستيحبهم معاوية ، بحقده القديم عليهم من بدر وأحد ، والجديد من صفين ! وفي وجوده بينهم قوة لهم أمام حاكم المدينة وجهازه الأموي ، الذي ينظر إليهم شزراً ، كأنه يطالبهم بدم زعمائه في بدر ، وبدم عثمان بالأمس !

وبقدر ماكان الأنصار يحبون الإمام الحسن ﷺ ويحبهم كان معاوية يكرههم ويكرهونه ، وكان يعرف ذلك جيداً ! (دخل المدينة فقصد المسجد وعلا المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنني والله وليت أمركم حين وليته وأنا أعلم أنكم لاتسرون بولايتي ولاتحبونها ! وإنني لعالم بما في نفوسكم ولكني خالستكم بسيفي هذا مخالسة) ! (تاريخ دمشق: ١٥٣/٥٩).

واستمر برنامج الإمام الحسن ﷺ في المدينة نحو عشر سنوات: زيارة لقبر جده الحبيب ﷺ يوماً ولقبر عمه حمزة أحياناً ، ومجلسٌ في المسجد النبوي اتخذه منبراً لرد أباطيل بني أمية ، بتفسير القرآن ونشر أحاديث جده ﷺ ومناقب أبيه والعتره الطاهرة ﷺ . ومجلسٌ أمام بيته عصرًا . ومضيفٌ

للحاضر والبادي . ومتابعة لأوضاع المسلمين عامة وشيعته خاصة ، وكتابة رسائل الى معاوية وولاته ، اعتراضاً أو وساطة لجماعة أو لشخص .

والسفر الى مكة للعمرة أحياناً ، وللحج في كل عام في موكب مهيب خاشع ، يذكر المسلمين بموكب رسول الله صلى الله عليه وآله ومهابته ، حتى أن سعد بن وقاص عندما رآه أخذته هيبة فترجل عن فرسه ومشى الى جانب الإمام عليه السلام مسافة ! فقد كان الإمام عليه السلام يمشي والخيـل تقاد بين يديه ، فيركب من يريد ويواسي الإمام في التواضع لربه من يريد ! ولم يسجل التاريخ سقراً آخر للإمام عليه السلام إلا سفرات الى الشام من أجل مجالس المناظرات والمحاضرات التي كانت بمثابة قناة فضائية حرة في عصرنا ، وكان يحرص عليها معاوية ، فيحولها الإمام الحسن عليه السلام الى منبر لبيان حق العترة النبوية عليهم السلام وباطل بني أمية !

○ ○

روى في تاريخ دمشق: ٢٤١/١٣: (أن معاوية قال لرجل من أهل المدينة من قريش: أخبرني عن الحسن بن علي؟ قال: يا أمير المؤمنين ، إذا صلى الغداة جلس في مصلاة حتى تطلع الشمس ، ثم يساند ظهره فلا يبقى في مسجد رسول الله (ص) رجل له شرف إلا أتاه ، فيتحدثون حتى إذا ارتفع النهار صلى ركعتين ثم ينهض ، فيأتي أمهات المؤمنين فيسلم عليهن فربما أتحنفنه ، ثم ينصرف إلى منزله ، ثم يروح فيصنع مثل ذلك . فقال: ما نحن معه في شيء). انتهى.

أقول: معنى كلام معاوية أنه مادام لم يخرج علينا فليس لنا به شغل ! لكن معاوية يكذب ! فهو يقول ذلك لتطمين الإمام الحسن عليه السلام والمسلمين بأنه لا يبغيه شراً كما التزم في عهد الصلح ، مع أنه مشغول به ليل نهار ، يتساءل هل سينقض الصلح لعدم وفاء معاوية بشروطه ؟ وهل يعد أنصاره ليعلن نفسه خليفة شرعياً

بوصية جده ﷺ وبموجب الصلح ، بمجرد أن يأتيه خبر موت معاوية !؟
 وهل يغيب عن معاوية قول القرشي الذي سأله عنه: (فلا يبقي في مسجد
 رسول الله (ص) رجل له شرف إلا أتاه فيتحدثون...)؟!

وفي إعلام الوري بأعلام الهدى: ٤١٢/١: (ما رواه محمد بن إسحاق قال: ما بلغ
 أحد من الشرف بعد رسول الله ﷺ ما بلغ الحسن بن علي عليه السلام كان يسيطر له على
 باب داره فإذا خرج وجلس انقطع الطريق فما مر أحد من خلق الله إجلالاً له فإذا
 علم قام ودخل بيته فمرّ الناس ، ولقد رأيته في طريق مكة نزل عن راحلته فمشى
 فما من خلق الله أحد إلا نزل ومشى حتى رأيت سعد بن أبي وقاص قد نزل
 ومشى إلى جنبه) ! (ومناقب آل أبي طالب: ١٧٤/٣ ، وأعيان الشيعة: ٥٦٣/١) .

وفي أمالي الصدوق: ٦٧١: عن (عمير بن مأمون العطاردي قال: رأيت الحسن بن
 علي عليه السلام يقعد في مجلسه حين يصلي الفجر حتى تطلع الشمس ، وسمعته يقول:
 سمعت رسول الله ﷺ يقول: من صلى الفجر ثم جلس في مجلسه يذكر الله عز
 وجل حتى تطلع الشمس ، ستره الله عز وجل من النار) . (كان إذا فرغ من
 الفجر لم يتكلم حين تطلع الشمس وإن زحزح) . (مناقب آل أبي طالب: ١٨٠/٣) .

ونورد فيما يلي أنواعاً من نشاطاته عليه السلام في المدينة:

أ- جعل الإمام عليه السلام المسجد النبوي منبراً لرد الأفكار الأموية:

أصدر معاوية مرسوماً خلافاً وعممه على البلاد بمنع رواية أي حديث عن
 النبي ﷺ حتى أحاديث تفسير القرآن ، خوفاً من أحاديث مدح أهل البيت عليه السلام !!
 ورأى معاوية ابن عباس ذات يوم ، يحدث عن النبي ﷺ في المسجد الحرام
 فقال له: (إننا قد كتبنا في الآفاق ننهي عن ذكر مناقب علي وأهل بيته فكف
 لسانك! فقال: يا معاوية أتناهنا عن قراءة القرآن؟! قال: لا . قال: أتناهنا عن تأويله!؟

قال: نعم. قال: فنقرؤه ولا نَسأل عما عنى الله به ؟! ثم قال: فأيهما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟ قال: العمل به . قال: فكيف نعمل به ولا نعلم ما عنى الله؟! قال: سل عن ذلك من يتأوله غير ما تتأوله أنت وأهل بيتك ! قال: إنما أنزل القرآن على أهل بيتي فأسأل عنه آل أبي سفيان؟! . (الإحتجاج: ١٦٢) .

وروى الثعلبي في تفسيره: ١٦٥/٦، أن رجلاً دخل المسجد النبوي فرأى ثلاثة مجالس لابن عباس وابن عمر والإمام الحسن عليه السلام ، وقد تحلق الناس حولهم وهم يحدثونهم عن النبي صلى الله عليه وآله ويحيون على أسئلتهم . وهذا يدل على نجاح الإمام الحسن عليه السلام في نقض قرار معاوية بمنع التحديث !

ويقول الراوي إنه سأل ابن عباس وابن عمر عن قوله تعالى: وَشَاهِدِ مَشْهُودٍ ، فقالا: (أما الشاهد فيوم الجمعة وأما المشهود فيوم عرفة أو النحر) ثم سأل الإمام الحسن عليه السلام فقال: (أما الشاهد فمحمد صلى الله عليه وآله وأما المشهود فيوم القيامة، أما سمعته يقول: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً . وقال عز وجل: ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) . ووصف الراوي صباحة وجه الحسن عليه السلام وجماله . (الطبري مختصراً: ١٣٠/٣٠، والدر المنثور: ٤٦٤/٨، والآلوسي: ٨٦/٣٠ ، وكشف الغمة: ١٦٦/٢، عن تفسير الأوحدي ، وفيه: (وكان جواب الحسن أحسن) . بل تدل سيرة الإمام الحسن عليه السلام على أنه كان يصدع في المسجد بأحاديث جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسيرته ومواجهة قریش المشركة للنبي صلى الله عليه وآله بقيادة أبي سفيان ومعاوية ، ثم تحالف قبائل الطلقاء ضد عترته وضد علي عليه السلام خاصة.. الخ. كما يأتي !

ب- كَشَفَ الإمام عليه السلام ضحالة قصاصي الدولة وثافتها:

في تاريخ يعقوبي: ٢٢٧/٢: (مرَّ الحسن يوماً وقاصُّ يقصُّ على باب مسجد رسول الله فقال الحسن: ما أنت؟ فقال: أنا قاص يا ابن رسول الله . قال: كذبت ،

محمد ﷺ المقاص ، قال الله عز وجل: فَأَقْصُصِ الْقَصَصَ ! قال: فأنا مذكر . قال: كذبت محمد ﷺ المذكر ! قال له عز وجل: فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ . قال: فما أنا ؟ قال: المتكلف من الرجال). انتهى. والمتكلف مذموم في القرآن والسنة ، وهو الجاهل بلباس العالم مثل هذا الموظف ليغش المسلمين بظنونه وإسرائيلياته فيقول ما لا يعلم ، ويعمل ما لا يلزم ، ويحاول ما لا يتقن ، ويدعي ما لا يصح !

والمُطلع على قصة استبدال المحدثين بالقصاصين في عهد أبي بكر وعمر وعثمان ، وحضور عمر مجالس قصّ تميم وكعب ! يعرف أن وجود القاص الأموي على باب المسجد النبوي في زمن الحسن ﷺ ، يعني أنه كان ممنوعاً من القصّ داخل المسجد ، وأن هذا المنع ظل سارياً من خلافة سفي ﷺ ! وأن الإمام الحسن ﷺ أراد بعمله هذا فضح القاص الأموي وطرده حتى من أمام المسجد ! (وقد بحثنا تسرب الإسرائيليات والقصاصين الى ثقافة المسلمين ، في كتاب تدوين القرآن/٣٤٠، و٤٤٤ ، وتعرض له كل من بحث تحريم الخلافة القرشية لتدوين سنة النبي ﷺ كالسيد الجليلي في كتابه تدوين السنة ، والسيد جعفر مرتضى في كتابه الصحيح من السيرة: ١٢١/١).

ج - هل عطل الإمام الحسن ﷺ بدعة التراويح:

اتفق المسلمون على أن النبي ﷺ صلى نافلة ليالي شهر رمضان ذات ليلة فائتم به الحاضرون في المسجد ، فأمرهم بصلاتها فرادى لاجتماعه ، وذهب الى منزله حتى لا يأتوا فيها ، وقالت عائشة كما في بخاري: ٢٥٢/٢: (فتوفي رسول الله (ص) والأمر على ذلك) أي فرادى . لكن عمر (جمع الناس على أبي بن كعب (وتميم) في قيام رمضان قال: ثم خرجتُ مع عمر ليلة أخرى والناس يصلون مع قارئهم فقال عمر: نعمت البدعة) . (المدونة: ٢٢٢/١ ، والموطأ: ١١٤/١). قال الكحلاني في سبل السلام: ١٠/٢: (وأما قوله: نعم البدعة ، فليس في البدعة ما يمدح بل كل بدعة ضلالة ،

وأما الكمية وهي جعلها عشرين ركعة ، فليس فيه حديث مرفوع إلا ما رواه عبد بن حميد والطبراني من طريق أبي شيبة... قال في سبل الرشاد: أبو شيبة ضعفه أحمد ، وابن معين ، والبخاري ، ومسلم ، وداود ، والترمذي ، والنسائي وغيرهم ، وكذبه شعبة ، وقال ابن معين ليس بثقة وعد هذا الحديث من منكراته ! انتهى.

وعندما تولى أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة عمل على إعادة الأمور الى السنة النبوية ومنع الجماعة في النوافل ، فتم له ذلك في المدينة وبعض البلاد ، لكن بعض أهل الكوفة أصروا عليه أن ينصب لهم إماماً يصلي بهم التراويح أي نافلة شهر رمضان ، فرفض وشرح لهم أن النوافل لاجماعة فيها ، وبعث إليهم الإمام الحسن عليه السلام لينهاهم ويهددهم بالضرب بالسوط ! فلم ينفع معهم ذلك ونادوا واعمراه ! فتركهم أمير المؤمنين عليه السلام على سنة عمرهم! قال الشريف المرتضى في الشافي: ٢١٩/٤: (وقد روي أن أمير المؤمنين عليه السلام لما اجتمعوا إليه بالكوفة فسألوه أن ينصب لهم إماماً يصلي بهم نافلة شهر رمضان زجرهم وعرفهم أن ذلك خلاف السنة فتركوه واجتمعوا لأنفسهم وقدموا بعضهم ، فبعث إليهم الحسن عليه السلام فدخل عليهم المسجد ومعه الدرة ، فلما رأوه تبادروا الأبواب وصاحوا واعمراه). (ونهج الحق للعلامة ٢٨٩). ولم أجد نصاً يدل على حالة التراويح في المسجد النبوي بعد الصلح فلعل الإمام الحسن عليه السلام أبقى سنة جده ﷺ نافذةً بدل سنة عمر !

وقد شكى أمير المؤمنين عليه السلام هذه الحالة في خطبة بليغة رواها الكافي: ٥٨/٨ بسند صحيح ، بين فيها عليه السلام عدداً من التحريفات ارتكبتها الحكام قبله ، وقد تقدمت في المجلد الأول وفيها: (وإنما بدء وقوع الفتن من أهواء تتبع وأحكام تُبتدع يخالف فيها حكم الله يتولى فيها رجالٌ رجالاً ! ألا إن الحق لو خلس لم يكن اختلاف ، ولو أن الباطل خلس لم يخف على ذي حجي ، لكنه يؤخذ من هذا ضغثٌ ومن هذا ضغث

فيمزجان فيجعلان معاً ، فهناك يستولى الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى.... والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلا في فريضة ، وأعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعة ! فتنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي: يا أهل الإسلام غَيَّرَتْ سُنَّةُ عمر ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعاً ! ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري ! ما لَقِيتُ من هذه الأمة من الفرقة وطاعة أئمة الضلالة والدعاة إلى النار....).

د- مكانة الإمام الحسن عليه السلام عند محبيه وأعدائه:

من عجائب الإمام الحسن أنه استطاع كأبيه وأخيه عليه السلام أن يقيموا علاقات طيبة مع أعدى أعدائهم بمن فيهم الذين قاتلوهم بالأمس كعائشة مروان وابن الزبير ! وقد ساعدتهم على ذلك أنهم عاملوهم بالعفو ومَنَّوا عليهم جميعاً ! وستعرف أنه كان للإمام الحسن عليه السلام علاقة مجاملة مع معاوية وظفها لهدفه في صراعه مع خطته ! وقد بين الإمام عليه السلام القاعدة التي يتبعها في تعامله مع فئات المجتمع عندما سئل ماهو العقل؟ فقال: (التجرع للغصة ومداهنة الأعداء) ! (أمالى الصدوق/٧٦٩).

وفيما يلي نماذج من علاقاته عليه السلام مع المحب والمخالف تؤكد ذلك :

هـ- دعوة ابن الزبير للإمام عليه السلام الى مائدته وإعجابه به:

في مجمع الزوائد: ١٠/١٠٦: (عن عمير بن المأموم قال: أتيت المدينة أزور ابنة عم لي تحب التحسن بن علي فشهدت معه صلاة الصبح في مسجد الرسول (ص) وأصبح ابن الزبير قد أولمَ ، فأتى رسول ابن الزبير فقال: يا ابن رسول الله إن ابن الزبير قد أصبح قد أولمَ وقد أرسلني إليك ، فالتفت إليَّ فقال: قد طلعت الشمس؟ قلت لا أحسب إلا قد طلعت . قال: الحمد لله الذي أطلعها من مطلعها ثم قال: سمعت أباي وجدي يعني النبي (ص) يقول: من صلى الغداة ثم قعد يذكر الله حتى

تطلع الشمس جعل الله بينه وبين النار سترًا ، ثم قال: قوموا فأجيبوا ابن الزبير فلما انتهينا إلى الباب تلقاه ابن الزبير على الباب فقال: يا ابن رسول الله أبطأت عني في هذا اليوم ! فقال: أما إني قد أجبتكم وأنا صائم قال: فها هنا تحفة فقال الحسن بن علي: سمعت أبي وجدي يعني النبي (ص) يقول تحفة الصائم الذرائر ، أن تُغْلَفَ لحيته (بالطيب) وتُجَمَّرَ ثيابه ويُذَرَّرَ (بالخور) . قال قلت: يا ابن رسول الله أعد عليّ الحديث قال: سمعت أبي وجدي يعني النبي (ص) يقول: من أدامَ الإختلاف إلى المسجد أصاب آيةً محكمةً أو رحمةً منتظرةً أو علماً مستطرفاً أو كلمةً تزيده هدى أو ترده عن ردى ، أو يدع الذنوب خشيةً أو حياءً . انتهى.

وفي هذا الحديث دلالاتٌ عن جو مجتمع المدينة آنذاك ، ومكانة الإمام عليه السلام المحترمة بل المقدسة حتى عند مخالفيه ، وعن كسره لقرار معاوية المشدد بتغيب السنة ، ومنع التحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم !

وفي تهذيب الكمال: ٢٣٣/٦: عن عبدالله بن عروة بن الزبير قال: (رأيت عبد الله بن الزبير قعد إلى الحسن بن علي في غداة من الشتاء ، فأراه قال: فوالله ما قام حتى تفسخ جبينه عرقاً فغازني ذلك فقممت إلى فقلت: يا عم ، قال: ما تشاء؟ قلت: رأيتك قعدت إلى الحسن بن علي فما قممت حتى تفسخ جبينك عرقاً ! قال: يا ابن أخي إنه ابن فاطمة ، لا والله ما قامت النساء عن مثله ! انتهى.

وابن الزبير هذا ، كان مع المنهزمين في حرب الجمل ، وكان جريحاً جرحاً بليغاً بسيف الأشتر فاخْتَبَأَ يتداوى ، فأعلن علي عليه السلام العفو العام وسمح لخالته عائشة أن تحضره الى (قصرها) وتعالجه ، فكان هو ومروان وغيرهم معها !

وابن الزبير هذا ، كان أشدَّ عداوةً لأهل البيت عليهم السلام من بني أمية ، فعندما سيطر على مكة حبس بني هاشم وهددهم بأن يحرقهم إذا لم يبايعوه ! وترك ذكر النبي

والصلاة عليه ﷺ في خطبه وربما في صلاته ! لنلا يسمع أهل بيته ﷺ بأنوفهم ! قال في العقد الفريد/١١١: (ولما توطد لابن الزبير أمره وملك الحرمين والعراقين أظهر بعض بني هاشم الطعن عليه وذلك بعد موت الحسن والحسين ، فدعا عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية وجماعة من بني هاشم إلى بيعته فأبوا عليه فجعل يشتمهم ويتناولهم على المنبر . وأسقط ذكر النبي (ص) من خطبته فعوتب على ذلك فقال: والله ما يمنعني أني لا أذكره علانية من ذكره سراً وأصلي عليه ! ولكن رأيت هذا الحي من بني هاشم إذا سمعوا ذكره اشرأبت أعناقهم ، وأبغض الأشياء إليّ ما يسرهم ! ثم قال: لتبايعن أو لأحرقنكم بالنار ! فأبوا عليه فحبس محمد بن الحنفية في خمسة عشر من بني هاشم في السجن ، وكان السجن الذي حبسهم فيه يقال له سجن عارم...). وفي ١٧٢٦: (عن الزهري أنه قال: كان من أعظم ما أنكر على عبد الله بن الزبير تركه ذكر رسول الله (ص) في خطبته وقوله حين كلم في ذلك: إن له أهيلَ سوء إذا ذكر استظالوا ومدوا أعناقهم لذكره) ! (والصحيح من السيرة: ١٥٣/٢، وفيه عن العقد الفريد: ٤/١٣ ط دار الكتاب العربي ، وأنساب الأشراف: ٢٨/٤ ، وغيرهما).

وفي أنساب الأشراف/ ٨٥٧ ، أنه فقال لابن عباس: (لقد كتمت بغضك وبغض أهل أبيك مذ أربعون سنة ! فقال ابن عباس: ذلك والله أبلغ إلى جاعريتك (يقصد أنه لا يشبه خؤولته وجدته صفية بنت عبد المطلب فهو كجعروور التمر) بغضي والله أضرك وأثمك إذ دعاك إلى ترك الصلاة على النبي ﷺ في خطبك ، فإذا عوتبت على ذلك قلت إن له أهيل سوء فإذا صليت عليه تناولت أعناقهم وسمت رؤوسهم !

فقال ابن الزبير: أخرج عني فلا تقربني . قال: أنا أزهد فيك من أن أقربك ولأخرجن عنك خروج من يذمك ويقليك . فلحق بالطائف فلم يلبث يسيراً حتى

توفي فضلى عليه ابن الحنفية ، فكبر عليه أربعاً وضرب على قبره فسطاطاً). وفي العقد الفريد/١٢٩٩: (وأظهر سوء الرأي في بني هاشم وترك ذكر النبي (ص) من أجلهم ! وقال: إن له أهيل سوء فإن ذكر مدوا أعناقهم لذكره ! وحبس ابن الحنفية في الشعب حتى شخص من أهل الكوفة من شخص وعليهم أبو عبد الله الجدلي ، فلم يقدر له على مضرة).

و- إعجاب أبي هريرة بالإمام عليه السلام وبكاؤه عليه !

كان أمير المؤمنين عليه السلام يجاهر بأن أبا هريرة كذاب ويقول: (ألا إن أكذب الأحياء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو هريرة الدوسي) . (شرح النهج: ٦٨/٤، وأبو هريرة للسيد شرف الدين: ١٥٩، وشيخ المضيرة أبو هريرة للشيخ محمود أبو رية: ١٣٥).

وعندما أغار بسر بن أرطاة على المدينة وقتل من أهلها ، وأجبرهم على البيعة لمعاوية نصب أبا هريرة والياً عليها ، فلما جاء جيش علي عليه السلام بقيادة جارية بن قدامة السعدي رضي الله عنه هرب ابن أرطاة وأبو هريرة (فقال جارية: والله لو أخذت أبا سَنُورَ لضربت عنقه) ! (تاريخ الطبري: ١٠٧/٤، والنهاية: ٣٥٧/٧).

وتقدم أن معاوية أرسل أبا هريرة قبله الى مسجد الكوفة فضرب على صلته وشهد على علي عليه السلام بأنه أحدث في المدينة وكفر ! فقام اليه شاب وسأله: (أنشدك بالله أسمع رسول الله (ص) يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ؟ فقال أبو هريرة: نعم ، فقال الشاب: أنا منك برئ أشهد أنك قد عاديت من والاه وواليت من عاداه). (ابن أبي شبة: ٤٩٩/٧).

وبعد أن صالح الإمام الحسن عليه السلام معاوية أخذ أبو هريرة يتقرب اليه ويحدث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفضائله وكلما رآه يبكي ويقول: (ما رأيت الحسن بن علي قط إلا فاضت عينا دموعاً وذلك أني رأيت رسول الله) (تاريخ دمشق: ١٩٣/١٣).

وروى عنه بخاري: ٥٥/٧ أن النبي ﷺ التزم الحسن وقال: (اللهم إني أحبه وأحب من يحبه . قال أبو هريرة: فما كان أحدٌ أحب إلي من الحسن بن علي بعدما قال رسول الله ما قال). انتهى.

وقد انتقد مروان أبا هريرة لحبه الحسين ﷺ! فقال له: (ما وجدت عليك في شيء منذ اصطحبنا إلا في حبك الحسن والحسين...)!

وفي الطبراني الأوسط: ٣٠١/٦: (والله إني لأحبك لولا أنك تحب الحسن بن علي فقال أبو هريرة لمروان: ومالي لا أحبه وقد رأيت رسول الله يوماً...). وتهذيب الكمال: (٢٣٠/٦). وسيأتي بكاء أبي هريرة ومروان يوم شهادة الإمام الحسن ﷺ .

ز- إعجاب مروان بن الحكم بالإمام ﷺ وبكاؤه عليه !

روى في تهذيب الكمال: ٢٣٥/٦: (عن جويرية بن أسماء: لما مات الحسن بن علي بكى مروان في جنازته ، فقال له حسين: أتبكيه وقد كنت تجرّعه ما تجرعه؟! فقال: إني كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا ، وأشار بيده إلى الجبل) ! وفي سير أعلام النبلاء: ٢٧٦/٣: (حمل مروان سريه فقال الحسين: تحمل سريه؟ أما والله لقد كنت تجرعه الغيظ! قال: كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال).

(وترجمة الإمام الحسن ﷺ من الطبقات: ٩١ ، وفي هامشه: رواه أبو الفرج في مقاتل الطالبين/ ٧٤ ، وعنه ابن أبي الحديد: ٥١/١٦ ورواه قبله في ١٣/ عن المدائني).

فقد اعترف مروان بأنه كان يؤذي سبط النبي وحبيه ﷺ! ولا عجب فأبوه كان يؤذي رسول الله ﷺ ويسخر به وقد لعنه وذريته ﷺ مراراً ونفاهم من المدينة الى بر الطائف ، ولم يقبل أبو بكر وعمر أن يرجعهم ، وأرجعهم عثمان وسلطهم على الخلافة ، فتواصل أذاهم للعترة النبوية بأشد ما كان للنبي ﷺ ثم كان مروان حاكم المدينة من قبل معاوية فزاد أذاه للعترة الطاهرة ﷺ .

وروا أنه عندما رضيت عائشة بدفن الإمام الحسن عليه السلام عند جده صلى الله عليه وآله استنفر مروان الدولة ومرترقة بني أمية ولبس عدة حربه ! فلا بد أن يكون بكاؤه عليه عندما انحلت المشكلة واتجه بنو هاشم بجنازة الإمام الحسن عليه السلام إلى البقيع ! وأعجب من بكاء مروان شهادته بأنه بحلم الإمام الحسن عليه السلام عن أذاه له ! فتأمل هذا السر الإلهي في شخصية الإمام الحسن عليه السلام والانحطاط في عدوه !

ح- عائشة تروي عن الإمام الحسن عليه السلام فنوت النبي صلى الله عليه وآله !

روى الحاكم في المستدرک: ١٧٢/٣: (عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن الحسن بن علي قال: علمني رسول الله صلى الله عليه وآله في وثري إذا رفعت رأسي ولم يبق إلا السجود: اللهم اهديني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ما قضيت ، إنك تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، تباركت وتعاليت. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين...الخ). وقال النووي في المجموع: ٤٩٥/٣: (رواه أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم بإسناد صحيح ، قال الترمذي: هذا حديث حسن، قال: ولا يعرف عن النبي (ص) في القنوت شيء أحسن من هذا) . (ومبسوط السرخسي: ١٦٥/١، والمغني: ٧٨٥/١).

ط - إعجاب معاوية بشخصية الإمام عليه السلام وفرحه بقتله !

في تاريخ دمشق: ٢٥٢/١٣: (قال معاوية: ما تكلم عندي أحد كان أحب إليّ إذا تكلم أن لا يسكت من الحسن بن علي ! وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة فإنه كان بين الحسن بن علي وبين عمرو بن عثمان بن عفان خصومة في أرض ، فعرض الحسن بن علي أمراً لم يرضه عمرو ، فقال الحسن: ليس له عندنا إلا ما رغم أنفه ، فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه قط) ! (والطبقات: ١٧٨/٨ ، وتهذيب الكمال: ٢٣٥/٦ ، وتاريخ يعقوبي: ٢٢٥/٢ ، ونهاية ابن كثير: ٤٣/٨ ، والسيرة الحلبية: ٣٦٠/٣ ، ونسب

قريش للزبيري/١٤ وتاريخ الخلفاء للسيوطي/١٤٨ ، ونظم درر السمطين/٢٠١ ، والعدد القوية/٢٩).

وفي تاريخ دمشق:٢٤٠/١٣: (قال معاوية وعنده عمرو بن العاص وجماعة من الأشراف: من أكرم الناس أباً وأماً وجداً وجدّةً وخالاً وخالّةً وعمّاً وعمّةً؟ فقام النعمان بن العجلان الزرقى: فأخذ بيد الحسن فقال: هذا أبوه علي وأمه فاطمة وجده رسول الله ، وجدّته خديجة وعمّه جعفر وعمّته أم هانئ بنت أبي طالب وخاله القاسم وخالته زينب ! فقال عمرو بن العاص: أحبُّ بني هاشم دعاك إلى ما علمت ! قال ابن العجلان: يا ابن العاص ما علمت أن من التمس رضا مخلوق بسخط الخالق حرمة الله أمنيته وختم له بالشقاء في آخر عمره ! بنو هاشم أنضر قريش عوداً وأقعدها سلماً ، وأفضل أحلاماً). انتهى.

أقول: لا بد أن يكون معاوية اتفق مع ابن العجلان ، لأن أحداً لا يجرو على هذا الكلام في مجلسه ! فغرضه أن يغيظ ابن العاص ، أو يبعد معارضي يزيد من بني أمية عن ولاية عهده ، ويهددهم بالحسن عليه السلام لأنه شرط له الخلافة من بعده ! وذلك قبل أن يقتله بالسّم ويزيحه من طريق يزيد ! وشاهدنا منه أن الإمام الحسن عليه السلام فرض احترامه على الدّ خصومه وخصوم أبيه عليه السلام ! واستفاد من هامش علاقته مع معاوية لحماية شيعته ، وإحباط خطط معاوية ضد الإسلام .

ي- جابر بن عبد الله يرى الإمام عليه السلام فيفرح ويجهر بفضله !

في تاريخ دمشق:٢١٠/١٣: (اطّلع الحسن بن علي من باب المسجد فقال جابر بن عبد الله: من أحب (وقال في رواية أخرى: من سره) أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى هذا ! سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله). انتهى.

ولجابر رضي الله عنه أحاديث كثيرة في فضل أهل البيت عليهم السلام جهر بها وبلغها للمسلمين رغم الظروف الخطرة التي كانت تحيط به ، منها ما رواه شاذان بن جبرئيل في

الروضة في فضائل أمير المؤمنين/١٥٣ أنه قال: (كان رسول الله ﷺ جالساً في المسجد إذ أقبل علي عليه السلام والحسن عن يمينه والحسين عليه السلام عن شماله فقام النبي ﷺ وقَبِلَ علياً ولزمه إلى صدره، وقَبِلَ الحسن وأجلسه على فخذه الأيمن وقبل الحسين وأجلسه على فخذه الأيسر، ثم جعل يقبلهما ويرشف شفتيهما ويقول: بأبي أباكما وبأبي أمكما ثم قال: أيها الناس: إن الله سبحانه وتعالى باهى بهما وبأبيهما وأمهما وبالأبرار من ولدهما الملائكة جميعاً، ثم قال: اللهم إني أحبهما وأحب من يحبهما . اللهم من أطاعني فيهم وحفظ وصيتي فارحمه برحمتك يا أرحم الراحمين ، فإنهم أهلي والقوامون بديني ، والمحيون لستتي والتالون لكتاب ربي ، فطاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي).

أقول: هذا نموذج للصحابة الأبرار الذين لم يغيروا ولم يبدلوا ، وحفظوا أمانة النبي ﷺ وبلغوها إلى الأمة ، وتحملوا في سبيل ذلك .

ك- المسلمون يتذكرون مكانة الحسنين عليهما السلام عند النبي ﷺ

في ذخائر العقبى لأحمد بن عبد الله الطبري/١٢١: (عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال لحسن عليه السلام: اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من أحبه ، خرَّجه مسلم وأبو حاتم وزاد: فما كان أحد أحب إليَّ من الحسن بن علي بعد ما قال رسول الله ﷺ ما قال . وخرجه أبو بكر الإسماعيلي في معجمه مستوعباً عن أبي هريرة قال: لا أزال أحب هذا الرجل يعني الحسن بن علي بعد ما رأيت رسول الله ﷺ يصنع به ما يصنع . وقال: رأيت الحسن في حجر النبي (ص) وهو يدخل أصابعه في لحية النبي والنبي يدخل لسانه في فيه ثم يقول: اللهم إني أحبه.. وذكر الحديث . وعنه قال: ما رأيت الحسن بن علي قط إلا فاضت عيناى دموعاً وذلك أن رسول الله ﷺ خرج يوماً وأنا في المسجد فأخذ بيدي واثكأ عليَّ حتى جئنا سوق قينقاع فنظر

فيه ثم رجع ورجعت معه حتى جلس في المسجد ، ثم قال أدعوا ابني قال فأتى الحسن بن علي يشند حتى وقع في حجره ، ثم جعل يقول بيده هكذا في لحيه رسول الله (ص) وجعل رسول الله (ص) يفتح فمه في فمه ويقول: اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه ، ثلاث مرات يقولها . خرّجه الحافظ السلفي).

٤- خط الإمام الحسن عليه السلام: الوفاء بالصلح والعمل ضد معاوية

اتخذ الإمام الحسن عليه السلام خطأً سياسياً واضحاً وأفهمه لمعاوية والناس ، وهو:

أ- الوفاء بالصلح وعدم الخروج على الطاغية ، والضغط عليه ليفي بشروطه .

ب- مواجهة موجة التحريف العقائدي والانحراف العملي ، بكل ما يستطيع من قول وفعل لا يبلغ الخروج على السلطة .

ج- الإصرار على أن خط علي والعتره النبوية عليهم السلام هو خط الإسلام الصحيح الذي أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وآله ، وبذل كل جهد وطاقة لبيان وترسيخه في الأمة والدفاع عنه من تحريف معاوية وبني أمية .

وقد تقدم أن معاوية لما دخل الى الكوفة وخطب في النخيلة بغطرسه وأوعد أهل الكوفة وهدد ، وأعلن أنه لا يفى بشروطه للإمام الحسن عليه السلام ويضعها جميعاً تحت قدمه ! فجاء عدد من وجهاء الكوفة الى الإمام عليه السلام يطالبونه بإعلان نقض الصلح فلم يقبل وأصرّ على الوفاء به ! ثم جاؤوا اليه في المدينة مرات والى أخيه الحسين عليه السلام فأعاد عليهم موقفهما وكانا يقولان: (ليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام معاوية حياً ، فإن هلك معاوية نظرنا ونظرتم) !

وروى الحاكم في المستدرک: ١٧٠/٣ وصححه: (قام رجل إلى الحسن بن علي فقال يا مسودّ وجوه المؤمنين ! فقال الحسن: لا تؤنّبي رحمك الله فإن رسول

الفصل الخامس : برنامج الإمام الحسن عليه السلام في المدينة بعد الصلح..... ١٦١

الله ﷻ قد رأى بنى أمية يخطبون على منبره رجلاً رجلاً فساءه ذلك ، فنزلت: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ، نهر في الجنة ، ونزلت: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، تملكها بنو أمية (! انتهى.

وفي الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام /٧٠: (وقد فهمتُ ما ذكرتم ولو كنت بالحزم في أمر الدنيا وللدنيا أعمل وأنصب ما كان معاوية بأبأس مني وأشد شكيمة !!! فاتقوا الله وارضوا بقضاء الله وسلموا الأمر لله والزموا بيوتكم وكفوا أيديكم ، حتى يستريح من بر أو يُستراح فاجر) .

وفي الإمامة والسياسة: ١٤٢/١ ، وغيره ، أن وفد الكوفة خرج من عند الإمام الحسن ، وذهبوا الى الحسين عليه السلام فأجابهم بنفس الجواب .

لكن معاوية لم يطمئن ! فكان يرسل الجواسيس ليعرفوا نية الإمام عليه السلام فقد جاءه أحدهم فقال له: (يقولون إنك تريد الخلافة ؟ فقال: قد كان جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت ، تركتها ابتغاء وجه الله تعالى وحقن دماء أمة محمد ﷺ ثم ابتزها) (أثيرها) (بأتياس أهل الحجاز) ! (المستدرک: ١٧٠/٣ وصححه على شرط الشيخين ، وتاريخ دمشق: ٢٨٠/١٣ ، وفيه: ثم أثيرها بأتياس الحجاز ! وتهذيب الكمال: ٢٥٠/٦ ، وتهذيب التهذيب: ٢٦٠/٢ كما في رواية الحاكم ، وتاريخ واسط ١١٢/ ، وفيه: ثم أثيرها بأوباش أهل الحجاز ، وأنساب الأشراف/ ٧٤٥ وفيه: ثم أريدها بأهل الحجاز ! وقال أحدهما: بأتياس الحجاز) . انتهى. وذكرت المصادر أن الذي سأله كان دسياسة من معاوية وهو جبير بن نفير بن مالك الحضرمي (وكان دسيس معاوية إلى مولانا الحسن المجتبي صلوات الله عليه دسه ليختبره هل في نفسه الإثارة وقال له: أثيرها بأتياس أهل الحجاز)؟! (مستدرکات علم رجال الحديث: ١٢٠/٢).

٥- الإمام الحسن عليه السلام في زيارات معاوية للمدينة ومكة

من مواد البحث التاريخي المهمة أخبار سفر معاوية الى مكة والمدينة ، ولقاءاته ببقية الصحابة والتابعين وشخصيات الأمة ، وقصصه مع الإمام الحسن عليه السلام وغيره ، فهي مادة لمعرفة الأوضاع الفكرية والسياسية للأمة ، ونمط تفكير معاوية وخططه ضد الإسلام ، ومواجهة أهل البيت عليهم السلام لها . ونكتفي منها بنماذج:

أ- موكب معاوية بـ(سيارات المارسيديس)

في شرح النهج: ١٤٩/٢٠: (وروى أبو الفرج قال: كانت صفية بنت أبي عبيد بن مسعود الثقفي تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب فمشى ابن الزبير إليها ، فذكر لها إن خروجه كان غضباً لله عز وجل ولرسوله(ص) وللمهاجرين والأنصار من إثرة معاوية وابنه بالفئ ، وسألها مسألة زوجها عبد الله بن عمر أن يبايعه ، فلما قدّمت له عشاء ذكرت له أمر ابن الزبير وعبادته واجتهاده وأثنت عليه وقالت: إنه ليدعو إلى طاعة الله عز وجل ، وأكثرت القول في ذلك فقال لها: ويحك ! أما رأيت البغلات الشُّهب التي كان يحجج معاوية عليها وتقدّم إلينا من الشام؟ قالت: بلى ، قال: والله ما يريد ابن الزبير بعبادته غيرهن) !

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١٥٧/١: (فقدم معاوية المدينة حاجاً ، فلما أن دنا من المدينة خرج إليه الناس يتلقونه.....ومعه خلق كثير من أهل الشام).

ب- موكب أحد رفقاء معاوية بـ(الشاحنات) !

في سير أعلام النبلاء: ٩٣/٣: (عن سلمان بن ربيعة الغنوي: أنه حج زمن معاوية في عصابة من القراء ، فحدثنا أن عبد الله في أسفل مكة فعمدنا إليه ، فإذا نحن بثقل عظيم يرتحلون ثلاث مئة راحلة ، منها مئة راحلة ومئتا زاملة(راحلة الإحتياط

للحمل) وكنا نحدث أنه أشد الناس تواضعاً . فقلنا: ما هذا؟! قالوا: لإخوانه يحملهم عليها ولمن ينزل عليه فعجبنا ! فقالوا: إنه رجل غني ودلونا عليه أنه في المسجد الحرام فأتيناه ، فإذا هو رجل قصير أرمص بين بردين وعمامة ، قد علق نعليه في شماله). انتهى. والرمص قذى يتجمع في موق العين ، وهو أشد من العمش .

وهذا يكشف عن الدنيا الواسعة لابن عمرو في الشام ، وأنه لذلك كان يتحمل غضب معاوية عليه ، عندما روى حديث (عمار تقتله الفئة الباغية) فقال معاوية لأبيه عمرو: (ألا تغني عنا مجزئتك يا عمرو). (ابن أبي شيبة: ٧٢٣/٨) وقال له يوماً كما في مسند الطيالسي/٩٥: (ما أحاديث بلغتني عنك تحدث بها لقد هممت أن أنفيك من الشام ! فقال أما والله لولا إناث ما أحببت أن أكون بها ساعة ! فقال معاوية: ما حديث تحدث به في الطلاء ، أي الخمر...الخ).

ج- معاوية يذهب بدون دعوة الى مائدة عبدالله بن جعفر

في تاريخ دمشق: ٢٧٦/٢٧: (حج معاوية فنزل في دار مروان بالمدينة فطال عليه النهار يوماً وفرغ من القائلة فقال: يا غلام أنظر من الباب هل ترى الحسن بن علي أو الحسين أو عبد الله بن جعفر أو عبد الله بن أبي أحمد بن جحش ، فأدخله علي؟ فخرج الغلام فلم ير منهم أحداً وسأل عنهم فقال هم مجتمعون عند عبد الله بن جعفر يتغدون عنده ، فأثاه فأخبره فقال: والله ما أنا إلا كأحمدهم ، ولقد كنت أجامعهم في مثل هذا ، فقام فأخذ عصا فتوكأ عليها وقال سر يا غلام فخرج بين يديه حتى دق عليهم الباب ! فقال هذا أمير المؤمنين ! فدخل فوسع له عبد الله بن جعفر عن صدر فراشه فجلس فقال: غداء يا ابن جعفر ، قال: ما يشتهي أمير المؤمنين فليدع به ، قال أطعمنا مخاً ، قال: يا غلام هات مخاً ، قال فأتني بقصعة فيها مخ ، فأقبل معاوية يأكل ثم قال عبد الله: يا غلام زدنا مخاً فزاد ، ثم قال يا

غلام مخاً فزاد ، ثم قال يا غلام زدنا مخاً ، فقال معاوية: إنما كنا نقول يا غلام زدنا سخيناً ! (أكلة للفقراء يعيرون بها قريشاً) فأما قولك يا غلام زدنا مخاً فلم أسمع به قبل اليوم ! يا ابن جعفر ما يسعك إلا الكثير ، قال فقال عبد الله: يعين الله على ما ترى يا أمير المؤمنين ، قال فأمر له يومئذ بأربعين ألف دينار !

قال: وكان عبد الله بن جعفر قد ذبح ذلك اليوم كذا وكذا من شاة وأمر بمخهن فنكت له فوافق ذلك معاوية) !

د- لم يستطع معاوية إخفاء حقه على بني هاشم والأنصار:

في تاريخ اليعقوبي: ٢٢٢/٢: (ولما صار إلى المدينة أتاه جماعة من بني هاشم ، وكلموه في أمورهم ، فقال: أما ترضون يا بني هاشم أن نقر عليكم دماءكم وقد قتلتم عثمان ، حتى تقولوا ما تقولون؟! فوالله لا أنتم أجل دماً من كذا وكذا ، وأعظم في القول ! فقال له ابن عباس: كل ما قلت لنا يا معاوية من شرٍ بين دفتيك أنت والله أولى بذلك منا ! أنت قتلت عثمان ثم قمت تغمص على الناس أنك تطلب بدمه ! فانكسر معاوية ، فقال ابن عباس: والله ما رأيتك صدقت إلا فرعت وانكسرت . قال: فضحك معاوية (وكان إذا ضحك انقلبت شفته العليا. أسد الغابة: ٣٨٧/٤).

وقال: والله ما أحب أنكم لم تكونوا كلمتموني ! ثم كلمه الأنصار فأغلظ لهم في القول وقال لهم: ما فعلت نواضحكم؟ قالوا: أفئيناها يوم بدر لما قتلنا أخاك وجدك وخالك ، ولكننا نفعل ما أوصانا به رسول الله . قال: ما أوصاكم به؟ قالوا: أوصانا بالصبر . قال: فاصبروا . ثم أدلج معاوية إلى الشام ولم يقض لهم حاجة ، ووهب فداً لمروان بن الحكم ليغيظ بذلك آل رسول الله ﷺ) ! انتهى.

أقول: نلاحظ أن الأنصار حلفاء طيبعيون لبني هاشم ، وأن قريشاً يكرهونهم لأنهم ناصرُوا النبي ﷺ عليهم وقتلوا صناديدهم ! ويكرههم بنو أمية أيضاً لأنهم

لم ينصروا عثمان ولم يحاربوا وفود المصريين والبصريين والكوفيين الذين حاصروه ، ثم لموقفهم القوي مع علي عليه السلام في حرب الجمل وصفين .

وقد تفاقم بغض بني أمية لهم حتى انفجر في حملة يزيد ومجزرة الحرة واستباحة المدينة وإذلال الأنصار ، وأخذ البيعة منهم على أنهم عبيد ليزيد !

هـ- رَدَّدْتُهَا عَلَيْكَ وَأَنَا ابْنُ فَاطِمَةَ عليها السلام!

في مناقب آل أبي طالب: ١٨٣/٣: (قدم معاوية المدينة فجلس في أول يوم يجيز من دخل عليه من خمسة آلاف إلى مائة ألف ، فدخل عليه الحسن بن علي في آخر الناس فقال: أبطأت يا أبا محمد فلعلك أدت تبخلني عند قريش فانتظرت أن يفنى ما عندنا ، يا غلام أعط الحسن مثل جميع ما أعطينا في يومنا هذا ، يا أبا محمد وأنا ابن هند ، فقال الحسن عليه السلام: لا حاجة لي فيها يا أبا عبد الرحمن ورددتها وأنا ابن فاطمة) ! (وأخبار الدولة العباسية/ ٥٩ ، وفيه: فقال الحسن: إشهدوا أنني قد قبلته ووهبته الحاضرين وأنا ابن فاطمة ، والمستطرف: ٢٨٩/١ ، وفيه: قد رددته عليك. وكذا في التذكرة الحمدونية/ ٧٠٨ ، وإعلام الناس للإتليدي/ ٢١ ، وشرح إحقاق الحق: ٥٣٣/٢٦ ، عن السمر المذهب: ١٦٢/٢). وصدق المتنبي حيث يقول:

ويعظم في عين الصغير صغيرها وتصغرُ في عين العظيم العظائمُ



الإمام الحسن عليه السلام يواجه خطط معاوية ضد الإسلام

١- ألا إن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية !

قامت خطط معاوية على نشر الثقافة المادية ، وتسطيع البعد الديني في الإسلام أو تسخير لمشروع الدولة الأموية ، وإشاعة عقيدة الجبرية والإرجاء لتأييد حق بني أمية المزعوم في قيادة العرب والمسلمين !

ومن أبرز معالم هذه الخطة أنها تقدم النبي ﷺ على أنه رجل أنزل الله عليه وحيه وهو القرآن فقط ، واختار معه معاوية فكتب الوحي وبلغه الى الناس ، وأن

معاوية من أهل بيت النبي ﷺ لأن بني أمية وهاشم من أبناء عبد مناف !

أما حروب قريش ضد النبي ﷺ بقيادة أبي سفيان فهي خلاف عائلي ، تمت تسويته بفتح مكة ، فعاد محمد الى احترام زعماء قريش خاصة أبي سفيان ، وعاد

الى الإيمان بتركية قريش القبلية وحقها الخالد في قيادة العرب !

وأما علي بن أبي طالب عليه السلام فيجب فصله وأولاده عن النبي ﷺ لأن النبي كان

يكرهه حتى سماه أبا تراب ! وكان سفاكاً للدماء قتالاً للعرب ! وهو المسؤول عن

قتل صناديد قريش وزعمائها في حرب بدر وأحد ! فيجب على المسلمين لعنه

والبراءة منه ، ومن لم يفعل فهو خارج عن الإسلام يجب قتله !

كما تقضي خطط معاوية بمنع تدوين سنة النبي ﷺ ومنع مجرد التحديث بها

لأنها ليست وحياً ، بل يجب التعويض عنها بقصص أهل الكتاب ، وإعادة

القصاصين الذين طردهم علي عليه السلام الى وظائفهم في مساجد المسلمين لنشر ثقافة

بني إسرائيل ! (راجع تاريخ بخاري: ٢٦٧/٣ ، وتاريخ دمشق: ٣٨٧/١٧) وقد حرفوا لذلك قول

١٦٧ الفصل الخامس : برنامج الإمام الحسن عليه السلام في المدينة بعد الصلح

النبي ﷺ: حدثوا عن أهل الكتاب ولا حرج ! فزعموا أنه أمرهم بأخذ ثقافة اليهود والنصارى ! وكان بعض علماء البلاط يكذب ويرويها على أنها أحاديث نبوية ! كما تقضي خطة معاوية بتقريب اليهود وإحياء علاقات أبي سفيان القديمة بهم وجعل كعب الأحبار مستشاراً دينياً للخليفة ، كما كان مستشاراً لعمر وعثمان !

كما توجب خطته الصلح مع الروم: (وكان معاوية أول من صالح الروم ، وكان صلحه إياهم في أول سنة ٤٢). أي بعد شهادة علي عليه السلام. (تاريخ ابن خياط: ١٥٤، واليعقوبي: ٢١٧/٢).

كما يجب تقريب النصارى وتعيين شخصياتهم في ديوان الخلافة ، وحتى ولادة على المسلمين ، فكان سرجون حاجبه وصاحب سره (تاريخ دمشق: ١٦١/٢٠) وعين ابن أثال والياً على حمص ثمناً لسمه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ! (فسقاه شربة فمات عبد الرحمن بحمص ، فاستعمل معاوية ابن أثال على خراج حمص ، وكان أركوناً من أركنة النصارى عظيماً). (تاريخ دمشق: ١٦٣/١٦) (ولم يستعمل النصارى أحد من الخلفاء قبله). (اليعقوبي: ٢٢٣/٢) . الى آخر معالم الخطة الأموية التي سمها النبي ﷺ: الفتنة الأموية ، وقد عرفت بعض معالمها مما تقدم !

فما هي العوامل التي جعلت الأمة تتغلب على هذه الموجة القوية وتجتازها رغم أنها خضعت لها عقوداً وخنعت أمام حزبها الشيط الذي كان يفرض آراءه على المسلمين بالقتل بلا حساب ، وبالترغيب بحساب !

لاشك أن مخزون الأمة الفكري والروحي والتجريبي من العهد النبوي ، كان العامل الأول ، وكذلك نص القرآن الذي لا يمكن تطويعه للمشروع الأموي مهما تفنن مفسروهم بتحريف آياته ، وتشبوا بمتشابهاته .

وكذلك نهضة الإمام الحسين عليه السلام التي كشفت للأمة حقيقة بني أمية من جهة ، ونبأ أهل البيت النبوي عليهم السلام وتضحيتهم لحفظ الإسلام من جهة .

ثم ما تلى ذلك من جهود أبنائه الأئمة عليهم السلام وشيعتهم لإنقاذ المسلمين من الفتنة !
لكن لا يصح هنا أن نهمل عمل الإمام الحسن عليه السلام في العشر سنوات في المدينة
بعد الصلح ، فقد نشط عليه السلام في مواجهة الخطة الأموية ودحض مفرداتها ، وساعده
في ذلك شخصيته المميزة ، وأن موقف الأنصار ومجتمع المدينة معه ، وأن له
نفوذاً وهيباً نبوية في أرجاء العالم الإسلامي حتى في نفوس أعدائه !

٢- لم يجرؤ معاوية على شتم علي عليه السلام في حياة الحسن عليه السلام وابن وقاص !
يظهر من مجموع الروايات أن معاوية لم يجرؤ على لعن أمير المؤمنين عليه السلام في
الكوفة مع وجود الإمام الحسن عليه السلام فأوكل ذلك الى المغيرة بن شعبة لما عينه
حاكماً على الكوفة ، فاستأجر المغيرة رواة يروون الطعن في علي عليه السلام وأهل بيته
ويخترعون فضائل لمعاوية وعثمان وبني أمية !

كان معاوية يتخوف إذا لعن علياً عليه السلام في الكوفة من ردة فعل الإمام الحسن عليه السلام !
أما في المدينة فقد جرّب معاوية عندما دخلها في سنة الصلح فنال من علي عليه السلام
في خطبته ، فتصدى له الإمام الحسن عليه السلام وأجابه بذلك الجواب المفحم وردّ
اللعنة عليه وعلى أسرته فقال: (إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا جعل له عدواً
من المجرمين ، فأنا ابن علي وأنت ابن صخر ، وأملك هند وأمي فاطمة ،
وجدتك قتيلة وجدتي خديجة ، فلعن الله ألماناً حسباً ، وأخملنا ذكراً ، وأعظمنا
كفراً ، وأشدنا نفاقاً ! فصاح أهل المسجد: آمين آمين. فقطع معاوية خطبته ودخل

منزله). (المستطرف: ١٥٧/١ و ٢٨٩، والاتحاف: ١٠، ونزهة الناظر/ ٧٤)

ويظهر أن معاوية لم يَعدْ الى ذلك في المدينة ، ويدل عليه ما رواه في العقد
الفريد: ١٠٨/٥ قال: (ولما مات الحسن بن علي حج معاوية فدخل المدينة ، وأراد
أن يلعن علياً على منبر رسول الله (ص) فقليل له: إن هاهنا سعد بن أبي وقاص ولا

نراه يرضى بهذا ، فابعث إليه وخذ رأيه ! فأرسل إليه وذكر له ذلك ، فقال: إن فعلت لأخرجن من المسجد ثم لا أعود إليه ! فأمسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد ! فلما مات لعنه على المنبر وكتب إلى عماله أن يلعنوه على المنابر ففعلوا ! فكتبت أم سلمة زوج النبي ﷺ إلى معاوية: إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم وذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبه ، وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله ﷺ ، فلم يلتفت إلى كلامها ! وسيأتي موقف سعد. (راجع الغدير: ١٠٢/٢) .

٣- هيبة الإمام الحسن عليه السلام تفرض نفسها على معاوية ووزيره !

كان معاوية بن خديج السكوني حليف بني أمية وحاكم مصر من قبل عثمان ، ثم صار رئيس العثمانية المعارضين لعلي عليه السلام في مصر ، وشجع معاوية على غزو مصر فأرسل جيشاً بقيادة ابن العاص ، فقاتل مع أتباع ابن خديج حاكمها الشرعي محمد بن أبي بكر رضي الله عنه وقتله أحرقه فحكم ابن العاص مصر ، ثم حكمها بعده ابن خديج مع إفريقية ، فهو من أركان دولة بني أمية !

وكان ابن خديج هذا فحاشاً يلعن علياً عليه السلام وجاء إلى المدينة مع معاوية ، وكان الإمام الحسن عليه السلام جالساً أمام داره فقيل له ذاك ابن خديج الذي يلعن علياً ! فأرسل من يحضره فدعاه فجاء ! فنهأه الإمام عن المنكر وأتم عليه الحجة ، وصدع بمقام أمير المؤمنين عليه السلام عند ربه ! روى ذلك أبو يعلى في مسنده: ١٧٤/٦ ، (ابن أبي طلحة مولى بني أمية قال: حج معاوية بن أبي سفيان وحج معه حج معاوية بن خديج ، وكان من أسب الناس لعلي ! قال: فمر في المدينة وحسن بن علي ونفر من أصحابه جالس ، فقيل له هذا معاوية بن خديج الساب لعلي ! قال: علي الرجل قال: فأتاه رسول فقال: أجب ! قال: من؟ قال: الحسن بن علي يدعوك

فأتاه فسلم عليه فقال له الحسن: أنت معاوية بن خديج؟ قال: نعم ، وقال فردَّ ذلك عليه(سأله عن اسمه ثانية) قال: فأنت الساب لعلي؟! قال: فكأنه استحيا ! فقال له الحسن: أما والله لئن وردت عليه الحوض وما أراك ترده ، لتجذنه مشمر الإزار على ساق يذود عنه رايات المنافقين ذود غريبة الإبل ! قول الصادق المصدوق عليه السلام وقد خاب من افترى !). انتهى.

وفي أوسط الطبراني: ٢٠٣/٣: (قال: يا معاوية بن خديج ! إياك وبغضنا ، فإن رسول الله قال: لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد إلا زيد عن الحوض يوم القيمة بسياط من نار) ! وفي نظم درر السمطين/١٠٨: (لتجذنه مشمر الإزار على ساق يذود عنه رايات المنافقين ذود غريبة الإبل ! وفي جزء ابن مخلد/١٣٥: (فمر في مسجد الرسول ، والحسن بن علي جالس فدعاه). ونحوه في كتاب السنة لابن أبي عاصم/٣٤٦.

وفي شرح النهج: ١٨/١٦: (قال المدائني: وروى أبو الطفيل قال: قال الحسن لمولى له: أتعرف معاوية بن خديج؟ قال: نعم، قال: إذا رأيته فأعلمني فرآه خارجاً من دار عمرو بن حريث فقال: هو هذا فدعاه فقال له:أنت الشاتم علياً عند ابن آكلة الأكباد؟! أما والله....الخ.). (والطبراني الكبير: ٨١/٣، وتاريخ دمشق: ٢٨/٥٩، وترجمة الطبقات/٨٢، وغيرها).

ورواه في مجمع الزوائد: ١٣٠/٩ بعدة روايات وفي بعضها: (فجاءه رجل فقال لقد سب عند معاوية علياً سباً قبيحاً رجل يقال له معاوية بن خديج....قال: إذا رأيته فأنتني به...قال أنت معاوية بن خديج؟ فسكت فلم يجبه ، ثلاثاً ، ثم قال: أنت الساب علياً عند ابن آكلة الأكباد؟!).(ورواه في تاريخ دمشق: ٩١٩/٥٦، و: ٢٩/٢٧، والطبراني في الكبير: ٩١/٣ بعدة أحاديث ، ومجمع الزوائد: ١٣٠/٩ ، و ٢٧٢ ، ومختصر تاريخ دمشق: ٣٩٣/٢٤ ، وكفاية الطالب/٨٩، والغارات/٢٨٥/١، وابن مخلد /١٣٥ وسير أعلام الذهبي/٣٩/٣).

أقول: لا بد أن يكون ابن خديج وغيره حكوا لمعاوية ما فعله الإمام الحسن عليه السلام! ولكنه لم يستطع الانتصار له لا بالمنطق ولا بالقهر ! وفي ظني أن الإمام

الفصل الخامس : برنامج الإمام الحسن عليه السلام في المدينة بعد الصلح..... ١٧١

الحسن عليه السلام استعمل ولايته التكوينية لجرّ ابن خديج ! فالمعادلات العادية لا تكفي لتفسير إجابة ذلك الجبار الطاعي ومثوله ذليلاً بين يدي الإمام عليه السلام ! وتدل هذه القصة على حضور قوي للإمام الحسن عليه السلام في المدينة ، يُحسبُ له حسابُه !

ويشبهها ما رواه في الكشف/١٤٥٨ من أن الإمام الحسن عليه السلام واجه الوليد بن عقبة الأموي المعروف بالفاسق وقال له: (كيف تشتم علياً وقد سماه الله مؤمناً في عشر آيات وسماك فاسقاً)؟! انتهى. يقصد الإمام عليه السلام قصة الوليد التي اتفق الرواة على أنها نزل فيها: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) . وفي أمالي الصدوق/٥٧٨: (لا ألومك أن تسب علياً عليه السلام... وقتل أباك صبراً بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم بدر...) ! ويؤيده ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه: ٢٧٢/٢: (إن كان الحسن بن علي يسب مروان في وجهه وهو على المنبر حتى توفي). (نحوه تاريخ دمشق: ٢٩٠/٥٤ ، وسير الذهبي: ٤٠٧/٤) .

٤- الإمام الحسن عليه السلام يبعث برسالة شديدة الى ابن العاص !

(بلغ الحسن بن علي أن عمرو بن العاص ينتقص علياً على منبر مصر فكتب إليه: من الحسن بن علي إلى عمرو بن العاص: أما بعد ، فقد بلغني أنك تقوم على منبر مصر على عتو آل فرعون وزينة آل قارون وسيماء أبي جهل تنتقص علياً عليه السلام ! ولعمري لقد أوترت غير قوسك ورميت غير غرضك ، وما أنت إلا كمن يقده في صفاة في بهيم أسود ، فركبت مركباً صعباً وعلوت عقبة كؤوداً فكنت كالباحث عن المدينة لحتفه ! يا ابن جزار قريش ليس لك سهم في آيات سؤدها ولا عائد بأفنية مجدها ولا بفالج قداحها ، لا أحسبك تحظى بما تذكر غير قدرك الحقيق ونسبك الدخيل ونفسك الدنية الحقيرة التي آثرت الباطل على الحق وقنعت بالشيع والدني من الحطام الفاني، لقد مقتك الله فأبشر

بسخطه وأليم عذابه وجزاء ماكسبت يداك وما الله بظلام للعبيد). (الملاحم والفتن/٢٠٩).

٥- خوف معاوية من تعاضم شعبية الإمام الحسن عليه السلام

روت المصادر خطبة للإمام الحسن عليه السلام أمام معاوية يفتخر فيها بجده عليه السلام ومعدنه ، واشتركت رواياتنا بأن معاوية حاول قطع كلام الإمام عليه السلام بسخرية فطلب منه أن يصف الرطب ، فأجابه وتابع كلامه ! ونصت رواية المجلسي على أنها كانت في المدينة ، وسببها أن معاوية حسد الإمام لتعاضم شعبيته .

قال في البحار: ١٢١/٤٤: (نظر إلى الحسن بن علي عليه السلام وهو بالمدينة وقد احتفَّ به خلق من قريش يعظمونه ، فتدخله حسدٌ فدعا أبا الأسود الدؤلي والضحاك بن قيس الفهري فشاورهما في أمر الحسن والذي يَهْمُ به من الكلام.... وذكر أن أبا الأسود نهاه عن ذلك ، لكن وزيره الخاص الضحاك بن قيس قال له: إمض يا أمير المؤمنين فيه رأيك ولا تنصرف عنه بلأيك (بتأخيرك) فإنك لو رميته بقوارض كلامك ومحكم جوابك ، لقد ذل لك كما يذل البعير الشارف من الإبل ! فقال: أفعل . وحضرت الجمعة فصعد معاوية المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ، وذكر علي بن أبي طالب فتنقصه ثم قال: أيها الناس إن شية من قريش ذوي سفه وطيش وتكدر من عيش ، أتعتهم المقادير اتخذ الشيطان رؤوسهم مقاعد وألستهم مبادر فباض وفرخ في صدورهم ودرج في نحورهم ، فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل وأعمى عليهم السبل ، وأرشدهم إلى البغي والعدوان والزور والبهتان فهم له شركاء وهو لهم قرين ، ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً ، وكفى بي لهم ولهم مؤدباً ، والمستعان الله .

فوثب الحسن بن علي عليه السلام وأخذ بعصاة المنبر فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن

أبي طالب . أنا ابن نبي الله ، أنا ابن من جعلت له الأرض مسجداً وطهوراً ، أنا ابن السراج المنير أنا ابن البشير النذير ، أنا ابن خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وإمام المتقين ورسول رب العالمين ، أنا ابن من بعث إلى الجن والإنس ، أنا ابن من بعث رحمة للعالمين . فلما سمع كلامه معاوية غاظ منطقته وأراد أن يقطع عليه فقال: يا حسن عليك بصفة الرطب (ودع هذا) ! فقال الحسن عليه السلام: الريح تُلْقِعه ، والحر يُنْضِجه ، والليل يُبرِّده ويُطِيبه ، ثم أقبل على كلامه فقال.... وذكر مواصلة الإمام عليه السلام لكلامه ، وأن معاوية أنهى كلام الإمام عليه السلام (ثم نزل معاوية وأخذ بيد الحسن وقال: لامرحباً بمن ساءك).

ورواها في مناقب آل أبي طالب: ١٧٨/٣، عن العقد الفريد لابن عبد البر ، وعن المدائني ، لكنها تشبه خطبته عليه السلام في الكوفة يوم الصلح ما عدا وصف الرطب قال: (فقال: نعم ، تلفحه الشمال ، وتخرجه الجنوب ، وتنضجه الشمس ، ويطيبه القمر) ثم قال: (وفي رواية المدائني: الريح تنفحه ، والحر ينضجه ، والليل يبرده ويطيبه . وفي رواية المدائني فقال عمرو: أبا محمد هل تنعت الخراة ؟ قال: نعم ، تبعد الممشى في الأرض الصحصح حتى تتوارى من القوم ، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ولا تمسح باللحمة والرمة يريد العظم والروث، ولا تبل في الماء الراكد). ورواها الذهبي في تاريخ الإسلام: ٣٩/٤ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ٥٩/٤٦ ، وكذا الوافي بالوفيات: ٦٩/١٢، لكن جعل مناسبتها أن أبا الأعور وابن العاص طلبا من معاوية أن يخطب الحسن عليه السلام عندما يابعه فخطب.. وذكروا فيها طعن الإمام عليه السلام في نسب عمرو وشهادته بأن النبي صلى الله عليه وآله لعن أبا الأعور وأبا سفيان ! وقد تقدم ذلك وأشرنا إلى أن هذه الفقرة لاتناسب تلك الخطبة فهي من خطبة أخرى .

ورواها الصدوق في أماليه/ ٢٤٤ باختصار وذكر مناسبتها أن معاوية أراد إحراج

الإمام عليه السلام فقال له: (إصعد المنبر وتكلم بكلمات تعظنا بها . فقام عليه السلام فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب ، وابن سيدة النساء فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، أنا ابن خير خلق الله أنا ابن رسول الله أنا ابن صاحب الفضائل أنا ابن صاحب المعجزات والدلائل ، أنا ابن أمير المؤمنين ، أنا المدفوع عن حقي ، أنا وأخي الحسين سيدي شباب أهل الجنة ، أنا ابن الركن والمقام أنا ابن مكة ومنى أنا ابن المشعر وعرفات . فقال له معاوية: يا أبا محمد ، خذ في نعت الرطب ودع هذا . فقال: الريح تلحقه والحر ينضجه والبرد يطيبه . ثم عاد في كلامه فقال: أنا إمام خلق الله وابن محمد رسول الله، فخشي معاوية أن يتكلم بعد ذلك بما يفتن به الناس فقال: يا أبا محمد إنزل فقد كفى ما جرى فتنزل!

٦- معاوية يحاول الحط من مكانة الإمام الحسن عليه السلام

في جواهر المطالب لابن الدمشقي: ٢/٢١٥: (ودخل الحسن على معاوية وهو مضطجع فجلس عند رجله فقال معاوية: ألا أطرفك؟ بلغني أن عائشة تقول: معاوية لا يصلح للخلافة ! فقال الحسن: وأعجب من ذلك قعودي عند رجلك ! فقام معاوية واعتذر إليه) ! (وكشف الغمة: ٢/١٩٦، ونثر الدرر للآبي: ١٥٠).

٧- معاوية يتراجع في مشادة بين بني هاشم وبني أمية

في أمالي الطوسي/ ٢١٢: (خاصم عمرو بن عثمان بن عفان أسامة بن زيد إلى معاوية بن أبي سفيان مقدمه المدينة في حائط (بستان) من حيطان المدينة ، فارتفع الكلام بينهما حتى تلاحيا فقال عمرو: تلاحيني وأنت مولاي؟ فقال أسامة: والله ما أنا بمولاك ولا يسرنني أني في نسبك ، مولاي رسول الله ﷺ . فقال: ألا تسمعون

بما يستقبلني به هذا العبد؟! ثم التفت إليه عمرو فقال له: يا بن السوداء ما أطغاك ! فقال: أنت أطغى مني وألام ، تعيرني بأمي وأمي والله خير من أمك وهي أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ بشرها رسول الله في غير موطن بالجنة ، وأبي خير من أهلك زيد بن حارثة صاحب رسول الله وحبه ومولاه ، قتل شهيداً بمؤتة على طاعة الله وطاعة رسوله ، وقبض رسول الله وأنا أمير على أهلك وعلى من هو خير من أهلك على أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسروات المهاجرين والأنصار ، فأنتى تفاخرني يا بن عثمان ! فقال عمرو: يا قوم أما تسمعون بما يجبهني به هذا العبد؟! فقام مروان بن الحكم فجلس إلى جنب عمرو بن عثمان ، فقام الحسن بن علي فجلس إلى جنب أسامة ، فقام عتبة بن أبي سفيان فجلس إلى جنب عمرو ، فقام عبد الله بن عباس فجلس إلى جنب أسامة ، فقام سعيد بن العاص فجلس إلى جنب عمرو ، فقام عبد الله بن جعفر فجلس إلى جنب أسامة .

فلما رآهم معاوية قد صاروا فريقين من بني هاشم وبني أمية ، خشي أن يعظم البلاء فقال: إن عندي من هذا الحائط لعلماً ! قالوا: فقل بعلمك فقد رضينا ! فقال معاوية: أشهد أن رسول الله جعله لأسامة بن زيد ، قم يا أسامة فاقبض حائطك هنيئاً مريئاً ، فقام أسامة والهاشميين وجزؤاً معاوية خيراً ! فأقبل عمرو بن عثمان على معاوية فقال: لا جزاك الله عن الرحم خيراً ، ما زدت على أن كذبت قولنا وفسخت حاجتنا وشمّت بنا عدونا ! فقال معاوية: ويحك يا عمرو ! إني لما رأيت هؤلاء الفتية من بني هاشم قد اعتزلوا ، ذكرت أعينهم تزور إلي من تحت المغافر بصفين فكاد يختلط عليّ عقلي ! وما يؤمنني يا بن عثمان منهم وقد أحلوا بأهلك ما أحلوا ، ونازعوني مهجة نفسي حتى نجوت منهم بعد نبأ عظيم وخطب جسيم ! فانصرف فنحن مخلفون لك خيراً من حائطك إن شاء الله (!!

٨- الإمام الحسن عليه السلام يرد جبرية معاوية ويؤكد حرية الإنسان !

كتب اليه الحسن البصري: (من الحسن البصري إلى الحسن بن رسول الله ﷺ)
أما بعد فإنكم معاشر بني هاشم الفلك الجارية في اللجج الغامرة ، ومصاييح
الدجى وأعلام الهدى ، والأئمة القادة الذين من اتبعهم نجا ، والسفينة التي يؤول
إليها المؤمنون وينجو فيها المتمسكون . قد كثر يا ابن رسول الله عندنا الكلام في
القدر واختلفنا في الاستطاعة ، فتعلمنا ما نرى عليه رأيك ورأي آبائك فإنكم
ذرية بعضها من بعض ، من علم الله علمتم وهو الشاهد عليكم وأنتم شهداء على
الناس . والسلام . فأجابه الحسن بن علي عليه السلام:

من الحسن بن علي إلى الحسن البصري . أما بعد ، فقد انتهى إليّ كتابك
عند حيرتك وحيرة من زعمت من أمتنا ، وكيف ترجعون إلينا وأنتم بالقول
دون العمل ! واعلم أنه لولا ما تناهى إليّ من حيرتك وحيرة الأمة قبلك
لأمسكت عن الجواب ولكني الناصح ابن الناصح الأمين . والذي أنا عليه: أنه
من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر ، ومن حمل المعاصي على الله عز
وجل فقد فجر ! إن الله تعالى لا يُطاع بإكراه ولا يُعصى بغلبة ، ولم يهمل العباد
سدى من المملكة ولكنه عز وجل المالك لما ملكهم والقادر على ما عليه
أقدرهم ، فإن ائتمروا بالطاعة لم يكن الله عز وجل لهم صاداً ولا عنها مانعاً ،
وإن ائتمروا بالمعصية فشاء سبحانه أن يمنّ عليهم فيحول بينهم وبينها فعل ،
وإن لم يفعل فليس هو حملهم عليها إجباراً ولا ألزمهم بها إكراهاً ، بل
احتجاجة جل ذكره عليهم أن عرفّهم وجعل لهم السبيل إلى فعل ما دعاهم إليه
وترك ما نهاهم عنه والله الحجة البالغة . والسلام). (كتر الفوائد للكراچكي/١٧٠).

٩- الإمام عليه السلام يردُّ على معاوية والطلاق ويؤكد قرآنية البسملة

كان الطلقاء ومنهم معاوية يخافون من البسملة وتتوتر أعصابهم من الجهر بها ! والسبب أن البسملة كانت سلاحاً من الله تعالى لنبيه ﷺ عندما كانوا يجتمعون عند داره أو حوله في المسجد ليسبوه ويؤذوه ، فأمره الله أن يقرأ البسملة ويرفع بها صوته في وجوهمهم ، فكانت ترتعد فرائضهم ويولّون فراراً ! وقد وصف الله تعالى فرارهم بقوله: (وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا) ! وقد روت ذلك مصادرهم كالدر المنثور: ١٨٧/٤: (أخرج البخاري في تاريخه عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال: لم كنتم بسم الله الرحمن الرحيم فنعم الاسم والله كتموا ، فإن رسول الله ﷺ) كان إذا دخل منزله اجتمعت عليه قريش فيجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ويرفع صوته بها فتولي قريش فراراً ! فأنزل الله: (وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا). (سورة الإسراء: ٤٦). ونحوه كنز العمال: ٤٥٤/٢ عن ابن النجار وابن جرير ، عن أبي الدرداء).

وروته مصادرنا كما في تفسير القمي: ٢٠/٢: (كان رسول الله ﷺ إذا تهجد بالقرآن تسمع له قريش لحسن صوته ، وكان إذا قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فروا عنه) . وفي تفسير العياشي: ٢٩٥/٢: (عن زيد بن علي قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فذكر بسم الله الرحمن الرحيم فقال: تدري ما نزل في بسم الله الرحمن الرحيم؟ فقلت: لا، فقال: إن رسول الله ﷺ كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وكان يصلي بفناء الكعبة فيرفع صوته ، وكان عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وجماعة منهم يستمعون قرائته ، قال: وكان يكثر قراءة بسم الله الرحمن الرحيم فيرفع بها صوته فيقولون إن محمداً ليردد اسم ربه تردداً إنه ليحبّه ، فيأمرون من يقوم فيستمع عليه ويقولون: إذا جاز بسم الله الرحمن الرحيم

فأعلمنا حتى نقوم فنستمع قرائته ! فأنزل الله في ذلك: وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ- بسم الله الرحمن الرحيم- وَلَوْ أَعْلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا) .

وفي تفسير فرات/٢٤١: (عن عمرو بن شمر قال: سألت جعفر بن محمد عليه السلام: إني أوم قومي فأجهر بسم الله الرحمن الرحيم ، قال: نعم فاجهر بها ، قد جهر بها رسول الله ﷺ ثم قال: إن رسول الله ﷺ كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، فإذا قام من الليل يصلي جاء أبو جهل والمشركون يستمعون قراءته ، فإذا قال: بسم الله الرحمن الرحيم ، وضعوا أصابعهم في آذانهم وهربوا ، فإذا فرغ من ذلك جاؤوا فاستمعوا ! قال: وكان أبو جهل يقول: إن ابن أبي كبة ليردد اسم ربه إنه ليحبه . فقال جعفر عليه السلام: صدق وإن كان كذوباً . قال: فأنزل الله: وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ أَعْلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا . وهو: بسم الله الرحمن الرحيم). (والكافي: ٢٦٦/٨، والوسائل: ٧٥٨/٤) .

وهذا يدل على أن جهر النبي ﷺ بالبسملة كان يشبه ضربهم بعضا كهربائية فيهربون ! ثم يجذبهم القرآن وصوت النبي ﷺ فيعودون الى الاستماع ! وقد استمر خوفهم من البسملة حتى بعد إعلانهم الإسلام ! وانتقل هذا الخوف منهم الى القرشيين المهاجرين من غير أهل البيت عليه السلام عندما كثروا في المدينة ، فتركوا البسملة ! ثم دفعهم ذلك الى إنكار أنها آية من القرآن !

قال الطحاوي في شرح معاني الآثار: ٢٠٤/١: (فلما ثبت عن رسول الله (ص) وعمن ذكرنا بعده ترك الجهر بسم الله الرحمن الرحيم ، ثبت أنها ليست من القرآن !! ولو كانت من القرآن لوجب أن يجهر بها كما يجهر بالقرآن سواها. ألا ترى أن بسم الله الرحمن الرحيم التي في النمل يجهر بها كما يجهر بغيرها من القرآن لأنها من القرآن ، فلما ثبت أن التي قبل فاتحة الكتاب يخافت بها ويجهر بالقرآن

ثبت أنها ليست من القرآن ، وثبت أن يخافت بها ويسر كما يسر التعوذ والافتتاح وما أشبهها ! وقد رأيناها أيضاً مكتوبة في فواتح السور في المصحف في فاتحة الكتاب وفي غيرها وكانت في غير فاتحة الكتاب ليست بآية ، ثبت أيضاً أنها في فاتحة الكتاب ليست بآية ، وهذا الذي ثبت من نفي بسم الله الرحمن الرحيم أن تكون من فاتحة الكتاب ومن نفي الجهر بها في الصلاة قول أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن رحمهم الله تعالى). (وعدة القاري للعيني: ٢٩١/٥).

وفي المقابل أصر أهل البيت عليهم السلام على أنها من القرآن وعلى الجهر بها ، حتى صارت من شعائر مذهبهم .

وقد روى الشافعي في كتابه الأم: ١٣٠/١ ، ما حدث لمعاوية فقال: (قدم المدينة فصلى بهم فلم يقرأ ببسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر إذا خفض وإذا رفع ، فناداه المهاجرون حين سلم والأنصار: أن يا معاوية سرقت صلاتك ، أين بسم الله الرحمن الرحيم ؟ وأين التكبير إذا خفضت وإذا رفعت ؟! فصلى بهم صلاة أخرى فقال ذلك فيها الذي عابوا عليه). ورواه الدارقطني: ٣٠٩/١ ، ولطف قولهم لمعاوية ثم قال: (وروي الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم عن النبي (ص) جماعة من أصحابه ومن أزواجه غير من سمينا كتبنا أحاديثهم بذلك في كتاب الجهر بها مفرداً ، واقتصروا هاهنا على ما قدمنا ذكره طلباً للاختصار والتخفيف ، وكذلك ذكرنا في ذلك الموضع أحاديث من جهر بها من أصحاب النبي (ص) والتابعين لهم والخالفين بعدهم رحمهم الله). انتهى.

وقد رد عليه الإمام الحسن فروى عن أبيه عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في أمالي الصدوق/ ٢٤٠: (قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن بسم الله الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب وهي سبع آيات تمامها بسم الله الرحمن الرحيم . سمعت رسول الله

ﷺ يقول: إن الله عز وجل قال لي: يا محمد: وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَتَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ، فأفرد الامتان عليّ بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن العظيم . وإن فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش ، وإن الله عز وجل خص محمداً وشرفه بها ولم يشرك معه فيها أحداً من أنبيائه ما خلا سليمان عليه السلام . (وعيون أخبار الرضا: ٢٧٠/٢) .

أقول: رأيت قول الشافعي عن صلاة معاوية وجهه بالبسملة وتكراره للتكبير: (فصلى بهم صلاة أخرى فقال ذلك فيها الذي عابوا عليه) ومعناه أن معاوية حاضر لأن يغير في صلاته بما يرضي الناس لأن الصلاة عنده عمل سياسي لا عبادة !

وكذلك هي الصلاة عند بني أمية ! وهذه الرواية في الكافي: ٥١٨/٤ ، توضح ذلك: (عن أبي جعفر الباقر عليه السلام) قال: حج النبي ﷺ فأقام بمنى ثلاثاً يصلي ركعتين ثم صنع ذلك أبو بكر وصنع ذلك عمر ثم صنع ذلك عثمان ست سنين ، ثم أكملها عثمان أربعاً فصلّى الظهر أربعاً ، ثم تمارض ليشد بذلك بدعته فقال للمؤذن: إذهب إلى علي فقل له فليصل بالناس العصر ، فأتى المؤذن علياً عليه السلام فقال له: إن أمير المؤمنين عثمان يأمرك أن تصلي بالناس العصر فقال: إذن لا أصلي إلا ركعتين كما صلى رسول الله ﷺ ! فذهب المؤذن فأخبر عثمان بما قال علي فقال: إذهب إليه فقل له: إنك لست من هذا في شيء إذهب فصل كما تؤمر ، قال علي: لا والله لا أفعل ! فخرج عثمان فصلى بهم أربعاً .

فلما كان في خلافة معاوية واجتمع الناس عليه وقتل أمير المؤمنين عليه السلام حج معاوية فصلّى بالناس بمنى ركعتين الظهر ثم سلم ، فنظرت بنو أمية بعضهم إلى بعض وثقيف ومن كان من شيعة عثمان ، ثم قالوا: قد قضى على صاحبكم وخالف وأشمت به عدوه ! فقاموا فدخلوا عليه فقالوا: أتدري ما صنعت ما زدت على أن قضيت على صاحبنا وأشمت به عدوه ورغبت عن صنيعه وسنته !

فقال: ويلكم أما تعلمون أن رسول الله صلى في هذا المكان ركعتين وأبو بكر وعمر ، وصلى صاحبكم ست سنين كذلك ، فتأمروني أن أدع سنة رسول الله وما صنع أبو بكر وعمر وعثمان قبل أن يحدث؟! فقالوا: لا والله ما نرضى عنك إلا بذلك ، قال: فأقبلوا فإني مشفعكم وراجع إلى سنة صاحبكم ! فصلى العصر أربعاً فلم يزل الخلفاء والأمراء على ذلك إلى اليوم! انتهى.

فقد أصر الأمويون على صلاة عثمان وإن كانت بدعة لأن الصلاة عندهم أمرٌ سياسي ! وصلى معاوية من أجلهم أربع ركعات ، لأن الصلاة عنده أمر سياسي ! كما صلى في المدينة بالبسملة والتكبيرات كما أراد الأنصار !



الإمام الحسن عليه السلام يجاهر بمذهب أهل البيت عليهم السلام ويفضح الإنحراف !

١- يروي مناقب علي عليه السلام لمواجهة اللعن الأموي

يحاول خصوم الشيعة أن يصوروا للمسلمين أن مذهب التشيع لأهل البيت عليهم السلام نشأ متأخراً ، لكنهم يقفون حيارى أما النصوص الصريحة من النبي صلى الله عليه وآله وصحابته الأبرار التي نصت على الوصية والعصمة وبقية أصول المذهب ، ومنها نصوص عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن ولديه السبطين الحسنين عليهما السلام ، وهذه نماذج منها صدع بها الإمام الحسن عليه السلام : روى عنه الصدوق في الخصال/٣١: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خلقت أنا وعلى من نور واحد). وعنه في الأمالي/٦٥٢: (قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا سيد النبيين ، وعلي بن أبي طالب سيد الوصيين ، والحسن

والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، والأئمة بعدهما سادات المتقين ، ولينا ولي الله وعدونا عدو الله ، وطاعتنا طاعة الله ومعصيتنا معصية الله عز وجل) .

٢- ويجهر بفضائل أهل البيت عليهم السلام وفريضة ولايتهم

فقد روت عنه مصادر السنة والشيعة أحاديث في فريضة حب أهل البيت عليهم السلام، منها أنه قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إلزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا ، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلا معرفة حقنا) .(أخرجه الطبراني في الأوسط: ٢٠/٢٦٠، ومجمع الزوائد: ٩/١٧٢، ومن مصادرنا المحاسن: ١/٦١ والظاهر أن الإمام الحسين عليه السلام أيضاً صدع به كما في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لابن عقدة/ ١٧١، والمناقب لمحمد بن سليمان: ٢/١٠٠، وشرح الأخبار: ١/٤٤٥، و: ٣/٤٨٧ وأمالى الطوسي/ ١٨٧، وجامع أحاديث الشيعة: ١/٤٤٨، وبشارة المصطفى للطبري/ ١٦٢، وينابيع المودة: ٢/٣٥٧. ورواه المفيد في أماليه عن الإمام الحسين عليه السلام ١٣/٤٤٠ ورواه ١٤٠/ عن ابن عباس) .

٣- ويجهر بحديث جده صلى الله عليه وآله أن مبغض العترة يهودي أو...!

من أشد ما جهر به الإمام الحسن عليه السلام وبلغه الى المسلمين ، قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: (لا يبغيضك من الأنصار إلا من كان أصله يهودياً)!! (عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/٦٥. وفي علل الشرائع: ٢/٤٦٨، عن عباد بن الصامت: إذا رأيت رجلاً من الأنصار يبغيض علي بن أبي طالب فاعلم أن أصله يهودي ! وفي كتاب الأربعين في حب علي للجزي: ٣/ ١٤٠/، عن شريك وكلاهما موقوفان . وفي علل الشرائع: ١/١٤٣: قال النبي صلى الله عليه وآله: يا علي لا يبغيضك من قريش إلا سفاحي ولا من الأنصار إلا يهودي ، ولا من العرب إلا دعي ، ولا من سائر الناس إلا شقي..الخ. ونحوه في مناقب آل أبي طالب: ٢/١٠٢ عن خصائص النطنزي ، والخوارزمي في المناقب/ ٣٢٣، عن ابن عباس، ونحوه في هامشه للجويني في فرائد السمعين: ١/١٣٤. وفي شرح الأخبار: ٣/٤٤٧ عن ابن عباس: ما أبغض علياً إلا من هو لغير رشدة ! أي ابن زنا ! وفي مناقب آل أبي طالب: ٣/١٠٠ عن الهروي في الغريبين عن عباد بن الصامت: كنا نُبَوِّرُ (نختبر)

أولادنا بحب علي بن أبي طالب فإذا رأينا أحدهم لا يحبه علمنا أنه لغير رشدة .
وغرضنا أن الإمام الحسن عليه السلام واجه بهذا الحديث خطة معاوية ضد علي وأبنائه عليهم السلام ! وأحاديث الباب كثيرة كحديث أن من يبغض علياً فهو ردئ الولادة ، ومن أشهرها وأوسعها حديث جابر بن عبد الله الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وآله قال: بَوِّروا أولادكم بحب علي بن أبي طالب ! أي اختبروا طيب ولادتهم ، وقول جابر: كنا نبور أولادنا بحب علي ! كما في غريب الحديث لابن الجوزي: ٩٠/١ ، والنهاية لابن الأثير: ١/١٦١ ، ولسان العرب: ٨٧/٤ ، وتاج العروس: ٦١/٣ ، وفي طبعة ٢٥٧/١٠ ، وتهذيب اللغة للأزهري: ١٥/١٩١ . ومن مصادرنا: مجمع البيان: ١٧٧/٩ ، ونهج الإيمان: ٤٥٦ ، وأورد الأميني في الغدير: ٣٢٢/٤ ، بمعناه اثني عشر أثراً وحديثاً ، وذكر السيد الميلاني في محاضرات في العقائد: ٨١٤/٢ ، تحريفهم له الى: (كنا بنور إيماننا نحب علي بن أبي طالب) ! انتهى .

ورواية الإمام الحسن عليه السلام لهذه الأحاديث يعني تحديه لمعاوية ، فقد كان حكم راويها القتل ، خاصة أنها تتهم معاوية ومن يبغض العترة عليهم السلام في أنسابهم !

٤- ويجاهر برأيه في سقيفة قريش !

يدل الحديث الآتي على أن الإمام عليه السلام كان يتحدث عن السقيفة بصراحة ، ويدل تحريفهم لروايته على خطورتها عندهم ! ففي مصنف عبد الرزاق: ٣٢٢/١١ : عن الإمام الحسن عليه السلام قال: (قال حذيفة: هلك أصحاب العقدة) ورب الكعبة ، والله ما عليهم آسى ولكن على من يهلكون من أصحاب محمد ! وسيعلم الغالبون العقد حظ من ينقصون). وفي هامشه: (يعني أصحاب الولايات على الأمصار ، لأن الولاية تعقد لهم الألوية). والصحيح: (أصحاب العقدة) كما في رواية عبد الرزاق: ٦٢٠/٨ : عن أبي بن كعب: (هلك أهل هذه العقدة ورب الكعبة هلكوا وأهلكوا كثيراً أما والله ما عليهم آسى ولكن على من يهلكون من أمة محمد صلى الله عليه وآله). (ونحوه الحاكم: ٥٢٧/٤).

وفي الفصول المختارة/٩٠: (والدليل على ذلك ما روته العامة عن أبي بن كعب أنه كان يقول في مسجد رسول الله (ص) بعد أن أفضى الأمر إلى أبي بكر بصوت يسمعه أهل المسجد: ألا هلك أهل العقدة ! والله ما آسى عليهم إنما آسى على من يضلون من الناس ! ف قيل له: يا صاحب رسول الله ﷺ من هؤلاء أهل العقدة وما عقدتهم؟ فقال: قوم تعاقدوا بينهم إن مات رسول الله ﷺ لم يورثوا أحداً من أهل بيته ولا يولوهم مقامه ! أما والله لئن عشت إلى يوم الجمعة لأقومن فيهم مقاماً أبين به للناس أمرهم ، قال: فما أتت عليه الجمعة) !! انتهى.

وقد قتلوا الصحابي أبي بن كعب ﷺ بالسهم يوم الأربعاء قبل أن يقف في المسجد النبوي ويكشف التعاقد السري بين زعماء قريش ضد أهل البيت عليه السلام !
وفي الخصال للصدوق/١٧٠ أن الإمام الحسن عليه السلام روى أن عمر اعترف عند موته ببعض ما أراد أن يكشفه أبي بن كعب . وللحديث عنه مجال آخر !

٥- ويصارح معاوية بالأئمة الإثني عشر والطفة الإثني عشر !

في الإحتجاج: ٣/٢ عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: (قال لي معاوية: ما أشد تعظيمك للحسن والحسين ، ما هما بخير منك ولا أبوهما بخير من أبيك ، ولولا أن فاطمة بنت رسول الله لقلت: ما أملك أسماء بنت عميس بدونها . قال: فغضبت من مقالته وأخذني ما لا أملك فقلت: أنت لقليل المعرفة بهما ، وبأبيهما وأمهما ! بلى والله إنهما خير مني وأبوهما خير من أبي وأمهما خير من أمي ، ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول فيهما وفي أبيهما وأنا غلام فحفظته منه ووعيته . فقال معاوية- وليس في المجلس غير الحسن والحسين وابن جعفر وابن عباس وأخيه الفضل: هات ما سمعت ! فوالله ما أنت بكذاب . فقال إنه أعظم مما في نفسك . قال: وإن كان أعظم من أخذ وجرأ فأته ما لم يكن أحد من أهل الشام !

أما إذا قتل الله طاعتكم وفرق جمعكم ، وصار الأمر في أهله ومعدنه فما نبالي ما قلم ولا يضرنا ما ادعيتم ! قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن كنت أولى به من نفسه فأنت يا أخي أولى به من نفسه . وعلي بين يديه في البيت والحسن والحسين وعمرو بن أم سلمة وأسامة بن يزيد ، وفي البيت فاطمة عليها السلام وأم أيمن وأبو ذر والمقداد والزبير بن العوام ، وضرب رسول الله ﷺ على عضده وأعاد ما قال فيه ثلاثاً ! ثم نص بالإمامة على الأئمة تمام الإثني عشر عليهم السلام ثم قال ﷺ: لأمتي اثنا عشر إمام ضلالة كلهم ضال مضل ! عشرة من بني أمية ورجلان من قريش، وزرُ جميع الإثني عشر وما أضلوا في أعناقهما ، ثم سماهما رسول الله ﷺ وسمى العشرة منهما ! قال: فسمهم لنا . قال: فلان وفلان وصاحب السلسلة وابنه من آل أبي سفيان ، وسبعة من ولد الحكم بن أبي العاص أولهم مروان !

قال معاوية: لئن كان ما قلت حقاً هلكتُ وهلكت الثلاثة قبلي وجميع من تولاهم من هذه الأمة ! وهلك أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار والتابعين من غيركم وأهل البيت وشيعتكم ! قال ابن جعفر: فإن الذي قلت والله حق سمعته من رسول الله ﷺ . قال معاوية للحسن والحسين وابن عباس: ما يقول ابن جعفر؟ قال ابن عباس: ومعاوية بالمدينة أول سنة اجتمع عليه الناس بعد قتل علي عليه السلام: أرسل إلى الذي سمى ، فأرسل إلى عمرو بن أم سلمة ، وأسامة ، فشهدوا جميعاً أن الذي قال ابن جعفر حق ، قد سمعوا من رسول الله ﷺ كما سمعوا . ثم أقبل معاوية إلى الحسن ، والحسين ، وابن عباس ، والفضل ، وابن أم سلمة وأسامة . قال: كلكم على ما قال ابن جعفر؟ قالوا: نعم . قال معاوية: فإنكم يا بني عبد المطلب لتدعون أمراً وتحتجون بحجة قوية إن كانت حقاً ، وإنكم

لتبصرون على أمر وتسترونه والناس في غفلة وعمى ! ولئن كان ما تقولون حقاً لقد هلكت الأمة ورجعت عن دينها وكفرت بربها ووجدت نبيا ، إلا أنتم أهل البيت ومن قال بقولكم وأولئك قليل في الناس ! فأقبل ابن عباس على معاوية فقال: قال الله تعالى: وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ . وقال: وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ . وما تعجب منا يا معاوية فاعجب من بني إسرائيل، إن السحرة قالوا لفرعون: فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ فَأَمْنُوا بِمُوسَى وَصَدَّقُوهُ ثُمَّ سَارَ بِهِمْ وَمَنِ اتَّبَعَهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَقْطَعَهُمُ الْبَحْرُ وَأَرَاهُمُ الْعَجَائِبَ وَهُمْ مُصَدِّقُونَ بِمُوسَى وَبِالتَّوْرَةِ يَقْرُونَ لَهُ بِدِينِهِ ، ثُمَّ مَرَوْا بِأَصْنَامٍ تَعْبُدُ فَقَالُوا: يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ! وعكفوا على العجل جميعاً غير هارون فقالوا: هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ، وقال لهم موسى بعد ذلك: اذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ، فكان من جوابهم ما قص الله عز وجل عليهم: قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْتَخِرْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ، فما اتباع هذه الأمة رجالاً سَوْدُوهُمْ وَأَطَاعُوهُمْ ، ما لهم سوابق مع رسول الله ﷺ ومنازل قريبة منها ، مقرين بدين محمد ﷺ وبالقرآن ، حملهم الكبر والحسد أن خالفوا إمامهم ووليهم ، بأعجب من قوم صاغوا من حليهم عجلًا ثم عكفوا عليه يعبدونه ويسجدون له ويزعمون أنه رب العالمين ، واجتمعوا على ذلك كله غير هارون وحده ، وقد بقي مع صاحبنا الذي هو من نبينا بمنزلة هارون من موسى من أهل بيته ناس: سلمان ، وأبو ذر ، والمقداد ، والزبير ، ثم رجع الزبير وثبت هؤلاء الثلاثة مع إمامهم حتى لقوا الله . وتعجب يا معاوية أن سمى الله من الأئمة واحداً بعد واحد ، وقد نصَّ عليهم رسول الله ﷺ بغدير خم وفي غير موطن ، واحتج بهم عليهم وأمرهم بطاعتهم ، وأخبر أن أولهم علي بن أبي طالب ولي كل مؤمن ومؤمنة من بعده وأنه خليفته فيهم ووصيه ! وقد بعث رسول الله ﷺ جيشاً يوم

مؤتة فقال: عليكم بجعفر فإن هلك فزيد فإن هلك فعبد الله بن رواحة فقتلوا جميعاً ، أفرى يترك الأمة ولم يبين لهم من الخليفة بعده ، ليختاروا هم لأنفسهم الخليفة ، كأن رأيهم لأنفسهم أهدى لهم وأرشد من رأيه واختياره ! وما ركب القوم ما ركبوا إلا بعد ما بينه ، وما تركهم رسول الله ﷺ في عمى ولا شبهة . فأما ما قال الرهط الأربعة الذين تظاهروا على علي عليه السلام وكذبوا على رسول الله وزعموا أنه قال: إن الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوة والخلافة ، فقد شبهوا على الناس بشهادتهم وكذبهم ومكرهم !

قال معاوية: ما تقول يا حسن؟ قال: يا معاوية قد سمعتُ ما قلت ، وما قال ابن عباس ، فالعجب منك يا معاوية ومن قلة حيائك ومن جرأتك على الله حين قلت: قد قتل الله طاعتكم ورد الأمر إلى معدنه ! فأنت يا معاوية معدن الخلافة دوننا؟! ويل لك يا معاوية وللثلاثة قبلك الذين أجلسوك هذا المجلس وسنوا لك هذه السنة ! لأقولن كلاماً ما أنت أهلُه ولكني أقول لیسמע بنو أبي هؤلاء حولي: إن الناس قد اجتمعوا على أمور كثيرة ليس بينهم اختلاف فيها ولا تنازع ولا فرقة، على: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله عبده ، والصلوات الخمس ، والزكاة المفروضة ، وصوم شهر رمضان ، وحج البيت ، ثم أشياء كثيرة من طاعة الله لا تحصى ولا يعدها إلا الله ، واجتمعوا على تحريم الزنا والسرقة والكذب والقطيعة والخيانة ، وأشياء كثيرة من معاصي الله لا تحصى ولا يعدها إلا الله ، واختلفوا في سنن اقتتلوا فيها وصاروا فرقاً يلعن بعضهم بعضاً وهي: الولاية ، يتبرأ بعضهم عن بعض ويقتل بعضهم بعضاً أيهم أحق وأولى بها ، إلا فرقة تتبع كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، فمن أخذ بما عليه أهل القبلة الذي ليس فيه اختلاف وردَّ علم ما اختلفوا فيه إلى الله ، سلم ونجا به من

النار ودخل الجنة . ومن وفقه الله ومنَّ عليه واحتج عليه بأن نور قلبه بمعرفة ولاية الأمر من أئمتهم ومعدن العلم أين هو ، فهو عند الله سعيد والله ولي ، وقد قال رسول الله ﷺ : رحم الله امرء علم حقاً فقال ، أو سكت فسلم .

نحن أهل البيت نقول: إن الأئمة منا وإن الخلافة لا تصلح إلا فينا ، وإن الله جعلنا أهلها في كتابه وسنة نبيه ، وإن العلم فينا ونحن أهلوه وهو عندنا مجموع كله بحذاقيره ، وإنه لا يحدث شئ إلى يوم القيامة حتى أرش الخدش إلا وهو عندنا مكتوب بإملاء رسول الله ﷺ وبخط علي عليه السلام بيده . وزعم قوم: أنهم أولى بذلك منا حتى أنت يا ابن هند تدعي ذلك ، وتزعم أن عمر أرسل إلى أبي أني أريد أن أكتب القرآن في مصحف فابعث إلي بما كتبت من القرآن ، فاتاه فقال: تضرب والله عنقي قبل أن يصل إليك . قال: ولم؟ قال: لأن الله تعالى قال: والراسخون في العلم، إياي عنى ولم يعنك ولا أصحابك ، فغضب عمر ثم قال: يا ابن أبي طالب تحسب أن أحداً ليس عنده علم غيرك ! من كان يقرأ من القرآن شيئاً فليأتني به ، وكان إذا جاء رجل فقرأ شيئاً معه يوافقه فيه آخر كتبه وإلا لم يكتبه . ثم قالوا: قد ضاع منه قرآن كثير بل كذبوا والله ، بل هو مجموع محفوظ عند أهله ! ثم أمر عمر قضاته وولاته: إجتهدوا آرائكم واقضوا بما ترون أنه الحق ! فلا يزال هو وبعض ولاته قد وقعوا في عزيمة فيخرجهم منها أبي ليحتج عليهم بها ، فتجمع القضاة عند خليفتهم وقد حكموا في شئ واحد بقضايا مختلفة فأجازها لهم ، لأن الله تعالى لم يؤته الحكمة وفصل الخطاب ، وزعم كل صنف من مخالفينا من أهل هذه القبلة: أنهم معدن الخلافة والعلم دوننا ! فنستعين بالله على من ظلمنا وجحدنا حقنا وركب رقابنا ، وسنّ للناس علينا ما يحتج به مثلك ! وحسبنا الله ونعم الوكيل .

إنما الناس ثلاثة: مؤمن يعرف حقنا ويسلم لنا ويأتم بنا فذلك ناج محب لله ولي . وناصب لنا العداوة يتبرأ منا ويلعننا ويستحل دماءنا ويَجحد حقنا ، ويدين الله بالبراءة منا فهذا كافر مشرك ، وإنما كفر وأشرك من حيث لا يعلم كما يسبون الله عدوًّا بغير علم كذلك يشرك بالله بغير علم . ورجل آخذ بما لا يختلف فيه وردَّ علم ما أشكل عليه إلى الله ، مع ولايتنا ولا يأتمُّ بنا ولا يعاديننا ولا يعرف حقنا ، فنحن نرجو أن يغفر الله له ويدخله الجنة فهذا مسلم ضعيف . فلما سمع معاوية ذلك ، أمر لكل منهم مائة ألف درهم ، غير الحسن والحسين وابن جعفر ، فإنه أمر لكل واحد منهم بألف ألف درهم)!(كتاب سليم بن قيس/٣١١) . وهذا من دهاء معاوية وقوة التأثير الروحي للسبكين الإماميين عليهم السلام.

٦- ويبشر بالإمام المهدي ودولة أهل البيت عليهم السلام

في شرح الأخبار: ٩٦/٣: أنه عليه السلام (مرَّ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بحلقه فيها قوم من بني أمية تغامزوا به، وذلك عندما تغلَّب معاوية على ظاهر أمره ، فرآهم وتغامزهم به فصلى ركعتين ثم جاءهم ، فلما رأوه جعل كل واحد منهم يتنحى عنه مجلسه له ، فقال لهم: كونوا كما أنتم فإني لم أرد الجلوس معكم ولكن قد رأيت تغامزكم بي ! أما والله لا تملكون يوماً إلا ملكنا يومين ، ولا شهراً إلا ملكنا شهرين ولا سنة إلا ملكنا سنتين ! وإنا لنأكل في سلطانكم ونشرب ونلبس ونركب وننكح وأنتم لاتأكلون في سلطاننا ولا تشربون ولا تلبسون ولا تركبون ! فقال له رجل: وكيف يكون ذلك يا أبا محمد وأنتم أجود الناس وأرأفهم وأرحمهم تأمنون في سلطان القوم ولا يأمنون في سلطانكم؟! فقال: لأنهم عادونا بكيد الشيطان وكيد الشيطان كان ضعيفاً، وإنا عاديناهم بكيد الله وكيد الله شديد)!(ونحوه في المناقب: ١٧٥/٣) . وروى المفيد في الأمالي/١٥ كلاماً لابن عباس فيه من كلام الإمام الحسن عليه السلام قال:

(حضر عبد الله بن عباس مجلس معاوية بن أبي سفيان ، فأقبل عليه معاوية فقال: يا ابن عباس إنكم تريدون أن تحرزوا الإمامة كما اختصصتم بالنبوة؟! والله لا يجتمعان أبداً ، إن حجتكم في الخلافة مشتبهة على الناس ، إنكم تقولون: نحن أهل بيت النبي فما بال خلافة النبوة في غيرنا ؟... فقال ابن عباس: أما قولك يا معاوية إنا نحتج بالنبوة في استحقاق الخلافة فهو والله كذلك ، فإن لم يستحق الخلافة بالنبوة فبم تستحق ؟! وأما قولك إن الخلافة والنبوة لا يجتمعان لأحد ، فأين قول الله عز وجل: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا . فالكتاب هو النبوة ، والحكمة هي السنة ، والملك هو الخلافة ، ونحن آل إبراهيم والحكم بذلك جار فينا إلى يوم القيامة . وأما دعواك على حجتنا أنها مشتبهة فليس كذلك وحجتنا أضوأ من الشمس وأنور من القمر ، كتاب الله معنا وسنة نبيه ﷺ فينا وإنك لتعلم ذلك ولكن ثنى عطفك وصعرك ! قتلنا أخاك وجدك وخالك وعمك فلا تبك على أعظم حائلة ، وأرواح في النار هالكة ولا تغضبوا لدماء أراقها الشرك وأحلها الكفر ووضعها الدين ! وأما ترك تقديم الناس لنا فيما خلا ، وعدولهم عن الاجتماع علينا ، فما حرموا منا أعظم مما حرمنا منهم وكل أمر إذا حصل حاصله ثبت حقه وزال باطله . وأما افتخارك بالملك الزائل الذي توصلت إليه بالمحال الباطل ، فقد ملك فرعون من قبلك فأهلكه الله ! وما تملكون يوماً يا بني أمية إلا ونملك بعدكم يومين ولا شهراً إلا ملكنا شهرين ، ولا حولاً إلا ملكنا حولين) . (ورواه في أخبار الدولة العباسية/ ٥١ ، وفيه قول معاوية: (وقد زعمتم أن لكم ملكاً هاشمياً مهدياً قائماً والمهدي عيسى بن مريم ، وهذا الأمر في أيدينا حتى نسلمه إليه!) وروى السيوطي شيئاً به الدر المنثور: ١٧٣/٢ ، ومختصراً في تاريخ الخلفاء (١١).

وقد بشر الإمام الحسن بالإمام المهدي ودولة أهل البيت في زمن أبيه عليه السلام ، ففي

أمالى الطوسي/٨٢ عن ابن سيرين قال: (سمعت غير واحد من مشيخة أهل البصرة يقولون: لما فرغ علي بن أبي طالب من الجمل عرض له مرض وحضرت الجمعة فتأخر عنها ، وقال لابنه الحسن: إنطلق يا بني فجمع بالناس ، فأقبل الحسن إلى المسجد ، فلما استقل على المنبر حمد الله وأثنى عليه وتشهد وصلى على رسول الله ﷺ وقال: أيها الناس: إن الله اختارنا بالنبوة واصطفانا على خلقه وأنزل علينا كتابه ووحىه ، وأيم الله لا ينقصنا أحد من حقنا شيئاً إلا تنقصه الله في عاجل ذنبه وأجل آخرته ، ولا يكون علينا دولة إلا كانت لنا العاقبة وتعلمن نبأه بعد حين ، ثم جمع بالناس . وبلغ أباه كلامه فلما انصرف إلى أبيه نظر إليه وما ملك عبرته أن سألت على خديه ، ثم استدناه إليه فقبل بين عينيه وقال: بأبي أنت وأمي ، ذرية بعضنا من بعض والله سميع عليم .) (والمحضر للحسن بن سليمان/١٥٠).

وكذلك في الكوفة: (لما صالح الحسن بن علي عليهما السلام معاوية بن أبي سفيان دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته فقال عليه السلام: ويحكم ما تدرون ما عملت ! والله الذي عملت خيراً لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أو غربت ، ألا تعلمون أنني إمامكم مفترض الطاعة عليكم ، وأحد سيدي شباب أهل الجنة بنص من رسول الله ﷺ علي؟ قالوا: بلى ، قال: أما علمتم أن الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وأقام الجدار وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك ، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصواباً ؟ أما علمتم أنه ما منا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم عليه السلام خلفه ، فإن الله عز وجل يخفي ولادته ويغيب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج ، ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة الإمام ، يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة ، ذلك ليعلم أن الله على كل شئ قدير). (كمال الدين للصدوق/٣١٦).

مناظرات الإمام الحسن عليه السلام في المدينة ودمشق

١- المناظرات مادة مهمة لدراسة التاريخ والسير

لا تعجب عندما تجد عدداً من كلمات الإمام الحسن عليه السلام في مصادر السنة أكثر منها في مصادرنا ، وأنه يناظر فيها أو يفتخر على معاوية ومروان وابن العاص وأبي الأعور السلمي وابن الزبير ، وغيرهم من أركان أمبراطورية بني أمية وألد أعداء أهل البيت النبوي عليه السلام ! فقد كان معاوية يحب هذا النوع من المناظرات والمفاخرات ، ويحرص على عقدها في مجلسه أو في المسجد ! ومع أنه كان يقول إنها لا تخلو من أضرار لكنه كان مغرماً بها شبيهاً بهواية صراع الديكة ، حريصاً على أن تكون بحضوره وأن يكون طرفاً فيها أحياناً !

وكان المسلمون سواء الطبقة الحاكمة وكبار شخصيات المجتمع أو عامة الناس يتناقلونها بشوق وبدون حرج من السلطة . ولهذا انتشرت أخبارها ووصلت إلينا ! إنها إرادة الله تعالى أن يتبنى معاوية عملاً يخلد فضائحه وفضائح بني أمية ويحبط كثيراً من خططه وجهوده في نشر شتم لعلي عليه السلام وفرض لعنه على منابر المسلمين ، ونشر مناقب بني أمية المزعومة !

إن هذه المناظرات والمفاخرات مادة مهمة للدراسة ، فكثير من الحقائق التي عرفتها الأمة عن بني أمية وتحولت إلى مخزون للثورة عليهم ، كانت من ثمارها !

وأعتقد أن أهم دافع للإمام الحسن عليه السلام في سفره الى الشام كان اغتنام فرصة هذه المجالس التي كان معاوية يحرص عليها في الشام أكثر من المدينة !
وقد أورد البيهقي في المحاسن والمساوئ/ ٥٨ ، عدداً منها تحت عنوان: (محاسن كلام الحسن بن علي رضي الله عنه) وبدأها بمناظرة بين الإمام الحسن عليه السلام في قصر معاوية ! قال: (أتى الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان وقد سبقه ابن عباس فأمر معاوية فأُنزل ، فبينا معاوية مع عمرو بن العاص ومروان ابن الحكم وزباد بن أبي سفيان يتحاورون في قديمهم وحديثهم ومجدهم ، فقال معاوية: أكثرتم الفخر ، فلو حضركم الحسن بن علي وعبد الله بن العباس لقصرا من أعتكما ما طال !.. وأورد مناظرة ومفاخرة طويلة رتبها معاوية ، وفضحهم فيها الإمام الحسن عليه السلام ! فقَبَّله ابن عباس بين عينيه وقال له: (أفديك يا ابن عم ! والله ما زال بحرك يزخر وأنت تصول حتى شفيتني من أولاد البغايا ! فقال له الإمام عليه السلام: (يا ابن العم إنما هي بغاثُ الطير ، انقضَّ عليها أُجْدَل).

ثم روى البيهقي تحريك معاوية لابن الزبير لمناظرة الإمام عليه السلام في اليوم التالي ، جاء في ختامها قول الإمام عليه السلام: (ثم بايعوا أمير المؤمنين فصار إلى أبيك وطلحة حين نكثا البيعة وخدعا عرس رسول الله ﷺ فقتل أبوك وطلحة ، وأتى بك أسيراً فبصبصت بذنبك وناشدته الرحم أن لا يقتلك فعفا عنك ، فأنت عتاقة أبي وأنا سيدك وسيدُ أبيك ! فذق وبالَ أَمرك !

فقال ابن الزبير: أعذر يا أبا محمد ، فإنما حملني على محاورتك هذا ، وأحب الإغراء بيننا ! فهلا إذ جهلتُ أمسكتَ عني ، فإنكم أهل بيت سجيتمكم الحلم والعمو ! فقال الحسن: يا معاوية أنظر هل أكيعُ عن محاوره أحد ! ويحك أتدري من أي شجرة أنا وإلى من أنتمي، إنته قبل أن أسِمَكَ بميسم تتحدث به الركبان

في الآفاق والبلدان !! فقال ابن الزبير: هو لذلك أهل ! فقال معاوية: أما إنه قد شفى بلابل صدرى منك ورمى مقتلك فصرت كالحجل في كف البازي يتلاعب بك كيف أراد ! فلا أراك تفتخر على أحد بعدها:

سبق الجواد من المدى والمقيس فيم الكلام وقد سبقت مبرزا
(أي ظهر سبق من المقيس وهو خط البداية في السابق) فقال معاوية: إياي تعني ، أما والله لأنبئك بما يعرفه قلبك ولا ينكره جلساؤك ! أنا ابن بطحاء مكة ، أنا ابن أجودها جوداً وأكرمها جدوداً وأوفاهها عهداً ، أنا ابن من ساد قريشاً ناشئاً وكهلاً .
فقال الحسن: أجل إياك أعني أفعلي تفتخر يا معاوية ! أنا ابن ماء السماء وعروق الثرى ، وابن من ساد أهل الدنيا بالحسب الثابت والشرف الفائق والقديم السابق ، أنا ابن من رضاه رضى الرحمن وسخطه سخط الرحمن فهل لك أب كأبي وقديم كقديمي؟! فإن قلت لا ، تغلب ! وإن قلت نعم تكذب ! فقال معاوية: أقول لا ، تصديقاً لقولك .

فقال الحسن: الحق أبلغ ما تخون سبيلهُ والصدق يعرفه ذووا الألباب
ثم أورد البيهقي ما تقدم من مدح معاوية للإمام الحسن عليه السلام وتحريك ابن العجلان ليمدحه ، في مقابل بعض بني أمية الطامعين في الخلافة !

ثم أورد مناظرة الإمام عليه السلام مع ابن العاص فقال: (واستأذن الحسن بن علي على معاوية وعنده عبد الله ابن جعفر وعمرو بن العاص ، فأذن له فلما أقبل قال عمرو: قد جاءكم الأفة العبي...) ومعناه أن معاوية حركه ضد الإمام عليه السلام لينظره ويفضح عمرواً وهكذا كان ! ثم ذكر البيهقي أن (عمرو بن العاص قال لمعاوية ذات يوم: إبعث إلى الحسن بن علي فمره أن يخطب على المنبر فلعله يُحصر ، فيكون ذلك مما نعيه به فبعث إليه معاوية فأصعد المنبر وقد جمع له الناس....). وذكر خطبة

شبيهة بالتي قال معاوية فيها يا حسن إنعت لنا الرطب !

ثم قال البيهقي: (وقدم الحسن بن علي رضوان الله عليه على معاوية ، فلما دخل عليه وجد عنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وصناديد قومه ووجوه اليمن وأهل الشام ، فلما نظر إليه معاوية أقعده على سريره ، وأقبل عليه بوجهه يريه السرور بمقدمه ، فلما نظر مروان إلى ذلك حسده ! وكان معاوية قال لهم: لا تحاوروا هذين الرجلين ، فلقد قلداكم العار وفضحاكم عند أهل الشام يعني الحسن بن علي وعبد الله بن العباس فقال مروان...). وأورد مناصرة الإمام عليه السلام مع مروان ، وكيف شمت ابن العاص بمروان وقال له:

قد يضطر العيرُ والمكواةُ تأخذه لا يضطر العير والمكواةُ في النار !

ذقْ وبال أمرك يا مروان ! وأقبل عليه معاوية فقال: قد كنت نهيتك عن هذا الرجل وأنت تأتي إلا انهماكاً فيما لا يعينك ! إربع على نفسك فليس أبوك كآبيه ولا أنت مثله) !!

ثم روى البيهقي حواراً بين الإمام عليه السلام وعمرو بن العاص في مكة وفي مجلس معاوية ! ثم أورد عدداً من مناظرات الإمام الحسين عليه السلام وابن عباس رضي الله عنهما.

كما روى الجاحظ في المحاسن والأضداد/ ٨٠ ، أكثر ما رواه البيهقي .

وفي نزهة الناظر للحلواني/ ٧٥: (قال الشعبي: كان معاوية كالجمال الطَّب ، قال يوماً والحسن عليه السلام عنده: أنا ابن بطحاء مكة ، أنا ابن بحرها جوداً ، وأكرمها جدوداً ، وأنصرها عوداً . فقال الحسن: أفعليّ تفتخر؟ أنا ابن أعراق الثرى أنا ابن سيد أهل الدنيا ، أنا ابن من رضاه رضا الرحمن وسخطه سخط الرحمن ، هل لك يا معاوية من قديم تباهى به أو أب تفاخرني به ، قل لا أو نعم أي ذلك شئت ، فإن قلت: نعم أبيت وإن قلت: لا عرفت . قال معاوية فإني أقول: لا .

تصديقاً لك. فقال الحسن عليه السلام متمثلاً:

الحق أبلغ ما يضل سبيله .والحق يعرفه ذووا الأبواب).

أقول: معنى قول الإمام عليه السلام: (أنا ابن أعراق الثرى): أنا ابن إبراهيم عليه السلام وذريته وكان الأئمة من أهل البيت النبوي عليه السلام يقولونه عند الشدة أو الإضطراب الى الفخر وهو هنا طعن في نسب معاوية وبني أمية الى إسماعيل عليه السلام .

ومعنى قول الشعبي معاوية كالجمل الطَّب: أنه يتكلم وينظر رد الفعل ، فيستمر في موضوعه أو يتراجع عنه حسب الجو ! قال ابن قتبية في غريب الحديث: ١٣٨/٢ (في حديث معاوية أن الشعبي وصفه فقال: كان كالجمل الطَّب ، يأمر بالأمر فإن سكّت عنه أقدم ، وإن رُدَّ عنه تأخر). (والنهاية لابن الأثير: ١١٠/٣، والفاثق: ٣٥٥/٢، وغيرها) .

٢- ندم معاوية على طلبه من الإمام عليه السلام أن يخطب !

روى في مناقب آل أبي طالب: ١٧٨/٣، خطبة للإمام الحسن عليه السلام تشبه أن تكون في الشام ، قال: (المنهال بن عمرو: إن معاوية سأل الحسن أن يصعد المنبر ويتنصب ، فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فسأبين له نفسي بلدي مكة ومنى، وأنا ابن المروة والصفاء وأنا ابن النبي المصطفى ، وأنا ابن من علا الجبال الرواسي ، وأنا ابن من كسا محاسن وجهه الحياء ، أنا ابن فاطمة سيدة النساء ، أنا ابن قليلات العيوب نقيات الجيوب . وأذن المؤذن فقال: أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله ، فقال لمعاوية: محمد صلى الله عليه وآله أبي أم أبوك؟ فإن قلت ليس بأبي فقد كفرت وإن قلت نعم فقد أقررت ! ثم قال: أصبحت قريش تفتخر على العرب بأن محمداً منها ، وأصبحت العجم تعرف حق العرب بأن محمداً منها ، يطلبون حقنا ولا يردون

الينا حقنا) . ونحوها في تحف العقول لابن شعبة الحراني/٢٣٢ ، وذكر أن معاوية قاطعه فقال له : (أظن نفسك يا حسن تنازعك إلى الخلافة؟ فقال: ويلك يا معاوية إنما الخليفة من سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وعمل بطاعة الله ! ولعمري إنا لأعلام الهدى ومنار التقى ، ولكنك يا معاوية ممن أبار السنن وأحيا البدع ، واتخذ عباد الله خولاً ودين الله لعباً ، فكأن قد أُخْمِلَ ما أنت فيه ، فعشت يسيراً وبقيت عليك تبعاته) ! ونحوها بتفاوت في الإحتجاج: ٤١٨/١ وفي آخرها غضب معاوية على ابن العاص لأنه دفعه الى طلب الخطابة من الإمام عليه السلام : (فقال معاوية لعمرو: والله ما أردت إلا شيني حين أمرتني بما أمرتني ، والله ما كان يرى أهل الشام أن أحداً مثلي في حسب ولا غيره حتى قال الحسن عليه السلام ما قال ! قال عمرو: هذا شيء لا استطاع دفته ولا تغييره لشهرته في الناس واتصاحه ، فسكت معاوية) .

وفي الخرائج والجرائح: ٢٣٦/١: (فقال: أفسدت أهل الشام . فقال عمرو: إليك عني إن أهل الشام لم يحبوك محبة دين ، إنما أحبوك للدنيا يتناولونها منك ، والسيف والمال بيدك ، فما يغني عن الحسن كلامه) . انتهى.

٣- أكثر المناظرات في الإسلام ضجيجاً وتحدياً وصراحة !

وكانت في المدينة المنورة ، وروتها بعض المصادر بتفصيل كالإحتجاج: ٤٠١/١ عن ثلاثة مصادر: الشعبي ، وأبي مخنف ، ويزيد بن أبي حبيب المصري . ورواها في شرح النهج: ٢٨٥/٦ ، عن الزبير بن بكار في كتاب المفارحات ، ولا يتسع المجال لإيرادها ، فنكتفي بمقدمتها من رواية الزبير بن بكار ، قال:

(اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص والوليد بن عقبة بن أبي معيط وعتبة بن أبي سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ، وقد كان بلغهم عن الحسن بن علي

قوارص وبلغه عنهم مثل ذلك فقالوا: يا أمير المؤمنين إن الحسن قد أحيا أباه وذكره ، وقال فصدّق وأمر فأطيع وخفقت له النعال ، وإن ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم منه ، ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوءنا .

قال معاوية ، فما تريدون؟ قالوا: إبعث عليه فليحضر لنسبه ونسب أباه ، ونعيّره ونؤيّحه ونخبره أن أباه قتل عثمان ونقرره بذلك ، ولا يستطيع أن يغير علينا شيئاً من ذلك ! قال معاوية: إني لا أرى ذلك ولا أفعله ، قالوا: عزمنا عليك يا أمير المؤمنين لتفعلن ، فقال: ويحكم لا تفعلوا ! فوالله ما رأيته قط جالساً عندي إلا خفت مقامه وعيه لي ! قالوا: إبعث إليه على كل حال . قال: إن بعثت إليه لأنصفه منكم . فقال عمرو بن العاص: أتخشى أن يأتي باطله على حقنا ، أو يُربي قوله على قولنا ؟ قال معاوية: أما إني إن بعثت إليه لآمرنه أن يتكلم بلسانه كله ، قالوا: مره بذلك ! قال: أما إذ عصيتُموني وبعثتم إليه وأبيتم إلا ذلك فلا تمرضوا له في القول ، واعلموا أنهم أهل بيت لا يعيهم العائب ولا يلصق بهم العار ولكن اقفوه بحجره ، تقولون له: إن أباك قتل عثمان ، وكره خلافة الخلفاء من قبله .

فبعث إليه معاوية فجاءه رسوله فقال: إن أمير المؤمنين يدعوك . قال: من عنده؟ فسامهم له ، فقال الحسن: ما لهم ! خَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ . ثم قال: يا جارية إبعيني ثيابي . اللهم إني أعوذ بك من شروهم وأدراك بك في نحورهم وأستعين بك عليهم فاكفنيهم كيف شئت وأنى شئت ، بحول منك وقوة يا أرحم الراحمين ! ثم قام فلما دخل على معاوية أعظمه وأكرمه وأجلسه إلى جانبه وقد ارتاد القوم وخطروا خطرَانِ الفحول بغياً في أنفسهم وعلواً ، ثم قال: يا أبا محمد إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني !

فقال الحسن: سبحان الله ، الدارُ دارُك والإذن فيها إليك ! والله إن كنت أجبتهم

إلى ما أرادوا وما في أنفسهم إني لأستحي لك من الفحش ! وإن كانوا غلبوك على رأيك إني لأستحي لك من الضعف ! فأيهما تقرر وأيهما تنكر؟

أما إني لو علمت بمكانهم جئت معي بمثلهم من بني عبد المطلب ، وما لي أن أكون مستوحشاً منك ولا منهم: إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ . قال معاوية: يا هذا إني كرهت أن أدعوك ، ولكن هؤلاء حملوني على ذلك مع كراحتي له ، وإن لك منهم النصف ومني ، وإنما دعوناك لنقرر أن عثمان قتل مظلوماً وأن أباك قتله ! فاستمع منهم ثم أجبههم ، ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم أن تتكلم بكل لسانك !

فتكلم عمرو بن العاص، فحمد الله وصلى على رسوله ثم ذكر علياً عليه السلام فلم يترك شيئاً يعيبه به إلا قاله ، وقال: إنه شتم أبا بكر وكره خلافته وامتنع من بيعته ، ثم بايعه مكرهاً ، وشرك في دم عمر وقتل عثمان ظلماً ، وادعى من الخلافة ما ليس له . ثم ذكر الفتنة يعيره بها وأضاف إليه مساوئ وقال: إنكم يا بني عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء ، واستحللكم ما حرم الله من الدماء ، وحرصكم على الملك ، وإتيانكم ما لا يحل !

ثم إنك يا حسن ، تحدث نفسك أن الخلافة صائرة إليك ، وليس عندك عقل ذلك ولا لبّه ، كيف ترى الله سبحانه سلبك عقلك ، وتركك أحق قريش ، يُسخر منك ويهزأ بك ، وذلك لسوء عمل أبيك . وإنما دعوناك لنسبك وأباك ، فأما أبوك فقد تفرد الله به وكفانا أمره ، وأما أنت فإنك في أيدينا نخtar فيك الخصال ، ولو قتلناك ما كان علينا إثم من الله ولا عيب من الناس !

فهل تستطيع أن ترد علينا وتكذبتا؟ فإن كنت ترى أنا كذبنا في شيء فاردده علينا فيما قلنا ، وإلا فاعلم أنك وأباك ظالمان .

ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط فقال: يا بني هاشم إنكم كنتم أحوال عثمان فنعيم الولد كان لكم فعراف حقكم ، وكنتم أصهاره فنعيم الصهر كان لكم بكرمكم ، فكنتم أول من حسده ، فقتله أبوك ظلماً لا عذر له ولا حجة...

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان فقال: يا حسن كان أبوك شر قريش لقريش ، أسفكها لدمائها وأقطعها لأرحامها ، طويل السيف واللسان ، يقتل الحي ويعيب الميت ، وإنك ممن قتل عثمان ونحن قاتلوك به ، وأما رجائك الخلافة فلست في زندها قادحاً ولا في ميزانها راجحاً ، وإنكم يا بني هاشم قتلتم عثمان ، وإن في الحق أن نقتلك وأخاك به ، فأما أبوك فقد كفانا الله أمره وأقاد منه !
وأما أنت فوالله ما علينا لو قتلناك بعثمان إثم ولا عدوان .

ثم تكلم المغيرة بن شعبة ، فشم علياً وقال: والله ما أعيبه في قضية يخون ، ولا في حكم يميل ، ولكنه قتل عثمان . ثم سكتوا . فتكلم الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال: والله وأثنى عليه وصلى على رسوله ﷺ ثم قال: أما بعد يا معاوية فما هؤلاء شتموني ولكنك شتمتني ، فحشاً ألفتة وسوء رأي عرفت به وخلقاً سيئاً ثبت عليه ، وبغياً علينا عداوة منك لمحمد وأهله ! ولكن إسمع يا معاوية واسمعوا ، فلاقولن فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم ! أنشدكم الله أيها الرهط أتعلمون أن الذي شتمتموه منذ اليوم صلى القبلتين كليهما وأنت يا معاوية بهما كافر تراها ضلالة ، وتبعد اللات والعزى غواية ؟!

وأنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين كليهما بيعة الفتح وبيعة الرضوان ، وأنت يا معاوية بإحدهما كافر ، وبالأخرى ناكث !

وأنشدكم الله هل تعلمون أنه أول الناس إيماناً ، وأنت يا معاوية وأباك من المؤلف قلوبهم ، تُسرّون الكفر وتظهرون الإسلام وتُستمالون بالأموال !

وأنشدكم الله ألستم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وأن راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه ، ثم لقيكم يوم أحد ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعكم ومع أبيك راية الشرك ، وفي كل ذلك يفتح الله له ويفلج حجته ، وينصر دعوته ، ويصدق حديثه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك المواطن كلها عنه راض ، وعليك وعلى أبيك ساخط !

وأنشدك الله يا معاوية أتذكر يوماً جاء أبوك على جمل أحمر وأنت تسوقه وأخوك عتبة هذا يقوده ، فرآكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم العن الراكب والقائد والسائق ! أتتسى يا معاوية الشعر الذي كتبت به إلى أبيك لما هم أن يُسلم تنهاه عن ذلك: يا صخرُ لا تُسلمن يوماً فتفضحننا بعد الذين ببدر أصبحوا فرقاً...

الى آخر هذه المناظرة القاصعة القاصمة ، التي تألق فيها المنطق النبوي ، وهدر فيها الخطاب العلوي ، بما يشفي صدور المؤمنين ، وتضمنت حقائق ساطعة عن النبي وعترته الطاهرة عليهم السلام ، وكشفت حقائق فاضحة عن بني أمية وابن العاص والمغيرة وأضرابهم ! وفي أعيان الشيعة: ٥٧٤/١ أن ابن الجوزي رواها مختصرة . ورووا في مصادرهم فقرات منها ، لكنهم يخفون أنها من تلك المناظرة التاريخية !

٤- مناظرات ابن عباس مع معاوية

روت المصادر مناظرات متعددة لابن عباس رضي الله عنه مع معاوية ، في المدينة ومكة والشام ، نكتفي منها بما رواه الحاكم في المستدرک: ٤٦٧/٣ ، في حج معاوية سنة ٤٤ قال: (معروف بن خربوذ المكي قال: بينا عبد الله بن عباس جالس في المسجد ونحن بين يديه إذ أقبل معاوية فجلس إليه ، فأعرض عنه ابن عباس فقال له معاوية: مالي أراك معرضاً ، ألست تعلم أنني أحق بهذا الأمر من ابن عمك؟ قال:

لَمْ ! لأنه كان مسلماً وكنت كافراً ، قال: لا ، ولكنني ابن عم عثمان ! قال: فابن عمي خير من ابن عمك . قال: إن عثمان قتل مظلوماً ! قال: وعندهما ابن عمر فقال ابن عباس: فإن هذا والله أحق بالأمر منك ، فقال معاوية: إن عمر قتله كافر وعثمان قتله مسلم ! فقال ابن عباس: ذاك والله أدحض لحجتك ! انتهى.

وقد بتر الحاكم الرواية . ففي أوائل العسكري/١٧: فذاك أدحض لحجتك أن المسلمين عتبوا على ابن عمك فقتلوه ! في كلام هذا معناه ! ومثله في تاريخ الخلفاء للسيوطي/١٥٨ . وفي شرح الأخبار:٦٦/٢: (فضحك ابن عباس ، وقال: ذاك والله أدحض لحجتك إذ كان المسلمون قتلوه . فسكت معاوية ولم يجر جواباً . ثم أقبل على سعد بن أبي وقاص...).(ونحوه في كتاب سليم/٣١٥).



من كرامات الإمام الحسن عليه السلام ومعجزاته

ومعجزاته وكرامته صلوات الله عليه عديدة ، روتها المصادر المختصة ككتاب نوار المعجزات ومدينة المعجزات وقد تقدم بعضها ، ونورد نموذجين منها:

١- في الكافي: ٤٦١/١: عن الإمام الصادق عليه السلام قال: خرج الحسن بن علي عليه السلام في بعض عَمَرِه ومعه رجل من ولد الزبير كان يقول بإمامته ، فنزلوا في منهل من تلك المناهل تحت نخل يابس ، قد يبس من العطش ، ففرش للحسن عليه السلام تحت نخلة وفرش للزبيري بحذاه تحت نخلة أخرى ، قال: فقال الزبيري ورفع رأسه: لو كان في هذا النخل رطب لأكلنا منه ، فقال له الحسن: وإنك لتشتهي الرطب؟ فقال الزبيري: نعم قال: فرفع يده إلى السماء فدعا بكلام لم أفهمه ، فاخضرت النخلة ثم صارت إلى حالها ، فأورقت وحملت رطباً ! فقال الجمال الذي اكتروا منه: سحرٌ والله ! قال فقال الحسن عليه السلام: ويلك ليس بسحر ولكن دعوة ابن نبي مستجابة! قال: فصعدوا إلى النخلة فصرموا ما كان فيه فكفاهم .

٢- في الكافي: ٤٦١/١: (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج الحسن بن علي عليه السلام إلى مكة سنة ماشياً فورمت قدماه ، فقال له بعض مواليه: لو ركبت لسكن عنك هذا الورم ، فقال كلا إذا أتينا هذا المنزل فإنه يستقبلك أسود ومعه دهن فاشتر منه ولا تماكسه ، فقال له: بأبي أنت وأمي ما قدمنا منزلاً فيه أحد يبيع هذا الدواء فقال له: بلى إنه أمامك دون المنزل ، فساروا ميلاً فإذا هو بالأسود فقال الحسن عليه السلام لمولاه: دونك الرجل فخذ منه الدهن وأعطه الثمن ، فقال الأسود: يا غلام لمن أردت هذا الدهن؟ فقال للحسن بن علي ، فقال: إنطلق بي إليه ، فانطلق فأدخله إليه فقال له:

بأبي أنت وأمي لم أعلم أنك تحتاج إلى هذا أو ترى ذلك ولست آخذ له ثمناً ،
 إنما أنا مولاك ولكن ادع الله أن يرزقني ذكراً سوياً يحبكم أهل البيت ، فإنني
 خلفت أهلي تمخض ، فقال: إنطلق إلى منزلك فقد وهب الله لك ذكراً سوياً وهو
 من شيعتنا). (وبصائر الدرجات/ ٢٧٦ ، ومناقب آل أبي طالب: ١٧٤/٣ ، وفي آخره: فكان كما
 قال وأطلى رجله بالدهن فبرأ بإذن الله تعالى) .



الفصل السادس

قتل معاوية للسبط الأول للنبي ﷺ!

❦

١- محاولات معاوية المستمرة لقتل الإمام علي عليه السلام

من الطبيعي أن يهتم معاوية بقتل علي والحسين عليهما السلام لأنهم العقبة الكأداء أمام مشروع أمبراطوريته الأموية ! هذا المشروع الذي أخذ يسير سيراً حسناً على يد أبي سفيان من أيام السقيفة ، عندما أخذ أبو سفيان من أبي بكر وعمر ولاية الشام لولده يزيد ، ثم ما لبث ولده يزيد أن مات فأخذ مكانه معاوية ، فكان الوالي الوحيد الذي لم يعزل ولم يحاسب قط ! (وكان عمر رضي الله عنه إذا رأى معاوية قال: هذا كسرى العرب). (نثر الدرر للأبي/٢٥٥ ، ونحوه أسد الغابة: ٣٨٦/٤ ، وفتح الباري: ٣١١/٧) بل كان يراه أعظم من كسرى فقال: (تذكرون كسرى وقصر ودهاءهما ، وعندكم معاوية؟!) . (تاريخ الطبري: ٢٤٤/٤) .

ثم سار المشروع الأموي سيراً حسناً عندما رتب عمر الأمر بعده لعثمان ، فجعل الخلافة شوري شكلياً ، لكنه أعطى حق النقض لابن عوف صهر عثمان ، الذي لا يفضل أحداً على بني أمية ، ثم أحكم ذلك بتهديدهم بجيش معاوية من الشام وجيش عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي من اليمن ، وهو أخ أبي جهل وأحد قادة قریش مع أبي سفيان ، ولا يفضل أحداً على بني أمية ! (تاريخ بخاري الكبير: ٩/٥) .

(قال عمر لأهل الشورى: إن اختلفتم دخل عليكم معاوية بن أبي سفيان من الشام ، وبعده عبد الله بن أبي ربيعة من اليمن ، فلا يريان لكم فضلاً لسابقتكم). (تاريخ دمشق: ١٢٤/٥٩ ، والإصابة: ٧٠/٤ ، والتحفة اللطيفة للسخاوي: ٣٥/٢) .

ومعناه أطيعوني يا أصحاب محمد في بيعة من يختاره ابن عوف ، وإلا خسرتم الحكم كلياً ، وأخذ منكم بنو أمية بجيش الشام وجيش اليمن !

ثم سار المشروع الأموي سيراً حسناً في زمن عثمان فوطد معاوية قوته ، وأعد نفسه ليرث الخليفة الأموي الهرم ، لكن حدثت مفاجأة وهي أن الصحابة من البصرة والكوفة ومصر والمدينة ، نعموا على عثمان وعلى عماله الأمويين فحاصروه وقتلوه ، وبايعوا علياً !

فخلافة علي عليه السلام عند معاوية نشازٌ اعترض المسار الصحيح الذي تسير فيه دولة محمد صلى الله عليه وآله حسب الخطة الأموية اليهودية ، لترجع الى معدنها آل أبي سفيان ! والواجب برأيه إسقاط هذا الحكم بالحرب فإن لم يمكن فبقتل رموزه ، والقتل من أول الحلول التي يفكر فيها معاوية ، فقد خبر أساليبه الظاهرة والخفية وأتقنها ! وقد تقدم أن معاوية دسّ الى عمرو بن حريث ، والأشعث بن قيس ، وحجر بن الحجر ، وشبث بن ربعي (دسيساً أفرد كل واحد منهم بعين من عيونه ، أنك إن قتلت الحسن بن علي فلك مائتا ألف درهم وجند من أجناد الشام ، وبنت من بناتي) ! (علل الشرائع: ٢٢٠/١) وتقدم أن الإمام الحسن عليه السلام تعرّض في يوم واحد الى ثلاث محاولات اغتيال ، لم يكن معاوية بعيداً عنها !

ولم يختلف الحال عند معاوية بعد الصلح ، وبعد تنازل الإمام الحسن عليه السلام عن الحكم ! أليس قد أعطى للحسن عليه السلام شرطاً أن يكون الخليفة بعده ، وها هو الحسن الشاب ينتظر موت معاوية الشايب ! على أن من الممكن أن يجمع الحسن الناس حوله ويخرج على معاوية بحجة فساد عماله ، أو نقضه لشروط الصلح ؟! أليس الحسن أصعب عقبة أمام جعل الخلافة بعده لولده الحبيب العزيز يزيد؟! إن السبب الواحد من هذه الأسباب كافٍ لأن يعمل معاوية بجدية لاغتياله ، فكيف إذا اجتمعت ومعها غيرها؟!

قال محمد بن جرير الطبري الشيعي في دلائل الإمامة/١٦٠: (وكان سبب وفاته أن

معاوية سمه سبعين مرة فلم يعمل فيه السم ، فأرسل إلى امرأته جعدة ابنة محمد بن الأشعث بن قيس الكندي وبذل لها عشرين ألف دينار ، وإقطاع عشر ضياع من شُعَب سورا(نهر في العراق)وسواد الكوفة ، وضمن لها أن يزوجهها يزيد ابنه ، فسقت الحسن السم في برادة الذهب في السوق المقند !!)

٢- أبو سفيان حليف اليهود المتخصصين في القتل بالسُّم !

كان الإغتيال بالسم شائعاً عند اليهود ، وعند العرب المتصلين بهم ، فقد حاول اليهود وحاولت قريش برئاسة أبي سفيان قتل النبي ﷺ بالسُّم وغيره ، مراراً ! كما أن أبا بكر مات مسموماً ! ففي مروج الذهب/٥٥٢: (سمته اليهود في شئ من الطعام وأكل معه الحارث بن كلدة فعمي) . وفي تاريخ الخلفاء/٦١: (وأخرج ابن سعد والحاكم بسند صحيح عن ابن شهاب أن أبا بكر والحارث بن كلدة كانا يأكلان خزيرة(لحم مثروم مطبوخ)أهديت لأبي بكر فقال الحارث لأبي بكر: إرفع يدك يا خليفة رسول الله ! والله إن فيها لسم سنة وأنا نموت في يوم واحد ! فرفع يده فلم يزالا عليّين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة). (وتاريخ دمشق: ٤٠٩/٣٠ ، وكنز العمال: ٥٣٧/١٢: وقال: ابن سعد وابن السني وأبو نعيم معاً في الطب . قال ابن كثير: إسناده صحيح إلى الزهري . ونحوه في تاريخ مكة لابن الضياء/٢٣٣، وفتح الباري: ٣٤/٧ ، وتحفة الأحوذى: ٩٦/١٠ ، والمستدرک: ٦٤/٣ ، والطبقات: ١٩٨/٣ ، وأسد الغابة: ٢٢٣/٣ ، وصفة الصفوة: ٢٦٣/١ ، والرياض النضرة: ٢٤٣/٢ ، والمنتظم: ١٢٩/٤ ، ومسائل الإمام أحمد/٧٥ ، والمصباح المضي: ٣٣/١ ، وتخريج الدلالات للخزاعي/ ٦٧٠ ، والتراتب الإدارية: ٤٥٦/١ ، والصواعق المحرقة: ١/ ٢٥٣ ، والعقد الفريد/ ١٠١٠ ، وربيع الأبرار... وغيرها .)

ولا ننسَ أن أبا سفيان (وكان معاوية الى جنبه)قد بذل جهداً متواصلاً لقتل النبي ﷺ أو سمّه ونذر بعد معركة بدر أن لايمس بدنه الماء حتى يقتله ! وأرسل

القرشيون وهم بقيادته عدة أشخاص منهم وهب بن عمير وجعلوا له جائزة من الذهب (أواقي) على أن يقتل النبي ﷺ فأطلعه الله على ذلك). (ابن أبي شبة: ٣٢٩/٨ ، وأسد الغابة: ٩٧/٥) . ولم تَفُتْرْ محاولاتهم بمعاونة اليهود لقتله حتى بعد أن صاروا (مسلمين) طلقاء ! وقد ذكرنا في المجلد السابع من "الانتصار" بضع عشرة محاولة لاغتيال للنبي ﷺ من اليهود وقريش أبي سفيان !

وفي تفسير الرازي: ١٦٢/١٠: (قال أبو بكر الأصم: إن قوماً من المنافقين اصطالحوا على كيد في حق الرسول (ص) ثم دخلوا عليه لأجل ذلك الغرض ، فأتاه جبريل فأخبره به فقال (ص): إن قوماً دخلوا يريدون أمراً لا ينالونه ، فليقوموا وليستغفروا الله حتى أستغفر لهم ! فلم يقوموا فقال: ألا تقومون ؟ فلم يفعلوا ! فقال ﷺ: قم يا فلان قم يا فلان حتى عدّ اثني عشر رجلاً منهم ! فقاموا وقالوا: كنا عزمنا على ما قلت ، ونحن نتوب إلى الله من ظلمنا أنفسنا فاستغفر لنا ! فقال: الآن ! أخرجوا . أنا كنت في بدء الأمر أقرب إلى الاستغفار ، وكان الله أقرب إلى الإجابة . أخرجوا عني) ! انتهى .

فمن هؤلاء المنافقون الذين لا يسميهم رواة الخلافة سترأ عليهم ؟! ولم يعاقبهم النبي ﷺ حتى لا ترتد قريش لأنهم من شخصياتها وزعمائها ؟!

روى الحاكم في المستدرک: ٥٩/٣ ، ونحوه/٦٤: (عن داود بن يزيد الأودي قال: سمعت الشعبي يقول: والله لقد سُمَّ رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق ، وقتل عمر بن الخطاب صبراً ، وقتل عثمان بن عفان صبراً ، وقتل علي بن أبي طالب صبراً ، وسُمَّ الحسن بن علي ، وقُتِل الحسين بن علي صبراً ، فما نرجو بعدهم ؟)!

٣- معاوية صاحب الرقم القياسي في قتل معارضيه بالسُّم وغيره !
تقدم في فصل الذين قتلهم معاوية ، قوله: (إن لله جنوداً من غسل) وقوله: (لا جد إلا ما أقعص عنك من تكره)! أي: أجمل ما في الحياة إبادة المعارضين !

وقد كان له هدف آخر يسعى اليه في الإمام الحسن عليه السلام هو أن يأخذه في العراق أسيراً ، فيمنّ على بني هاشم بجعله طليقاً ، ويذهب عن بني أمية وقريش عار الطلقاء ، ويجعلها واحدة بواحدة مع بني عبد المطلب ويمن عليهم بها !
فقد قال الإمام عليه السلام : (والله لئن أسالته وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير ، أو يمن علي فيكون سنة على بني هاشم آخر الدهر لمعاوية لا يزال يمن بها وعقبه على الحي منا والميت). (معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام : ١٦٦/٣ ، مع مصادره).

أما بعد أن انتهت حالة الحرب وعقد الصلح على أن بني هاشم وشيعتهم وجميع المسلمين آمنون ، لا يبغي لهم معاوية غائلة ، ولا يلاحقهم في سابقة. فلم يبق أمامه إلا قتله بالسّم ! وأهم شيء أن يجد شخصاً من عائلته أو خدمه يضع السم في طعامه أو شرابه ، وقد استطاع معاوية أن يجند جعدة بنت الأشعث !
وقد قال الإمام الحسن عليه السلام إنه سقي السّم مراراً كان آخرها على يد جعدة أو جعيدة بنت الأشعث بن قيس عميل معاوية ، والعدو اللدود لعلي وأبنائه عليه السلام.

ففي سير أعلام النبلاء: ٣/٢٧٤: (قال قتادة: قال الحسن للحسين: قد سقيت السّم غير مرة ولم أسق مثل هذه). وفي تهذيب الكمال: ٦/٢٥١: (لقد لفظت طائفة من كبدي أقلبها بهذا العود ، ولقد سقيت السم مراراً وما سقيته مرة هي أشد من هذه) (وأسد الغاية: ٢/١٥٠ ، وحلية الأولياء: ٢/٣٨ ، وصفة الصفوة: ١/٧٦١ ، والإستيعاب: ١/٣٩٠ ، والمتنظم: ٥/ ٢٢٥ والتحفة اللطيفة للسخاوي: ١/٢٨٣ ، وذخائر العقبى: ١/١٤١ ، وطبقات الشعراني: ١٧ ، ونهاية الإرباب/ ٤٤٤٩ وكشف الغمة: ٢/١٩٠ ، وجواهر المطالب: ٢/٢٠٩ وتاريخ المدينة: ١/١١٠ ، والنصائح الكافية: ٨٦).
واتفاق هؤلاء على نقل شهادة الإمام الحسن عليه السلام بأنه قتل مسموماً بيد جعدة وفي عدد من المصادر بأمر معاوية ، يكفي لإدانة معاوية .

٤- النبي ﷺ أخبر والإمام الحسن عليه السلام أخبر بما يجري عليه !

في الخرائج والجرائح: ٢٤١/١: عن الإمام الصادق عليه السلام: (أن الحسن عليه السلام قال لأهل بيته: إني أموت بالسم ، كما مات رسول الله ﷺ فقالوا: ومن يفعل ذلك ؟! قال: امرأتني جعدة بنت الأشعث بن قيس، فإن معاوية يدس إليها ويأمرها بذلك . قالوا: أخرجها من منزلك ، وابعدها من نفسك . قال: كيف أخرجها ولم تفعل بعد شيئاً ولو أخرجتها ما قتلني غيرها وكان لها عذر عند الناس ! فما ذهبت الأيام حتى بعث إليها معاوية مالا جسيماً ، وجعل يمينها بأن يعطيها مائة ألف درهم أيضاً ويزوجها من يزيد ، وحمل إليها شربة سم لتسقيها الحسن ! فانصرف إلى منزله وهو صائم فأخرجت له وقت الافطار وكان يوماً حاراً شربة لبن وقد ألفت فيها ذلك السم فشربها وقال: يا عدوة الله قتليني قتلك الله ! والله لا تصيبين مني خلفاً ولقد غرك وسخر منك ، والله يخزيك ويخزيه ! فمكث يومين ثم مضى ، فغدر معاوية بها ولم يف لها بما عاهد عليه) .

ونحوه في مناقب آل أبي طالب: ١٧٥/٣ وفيه: (فقال: هيهات من إخراجها وميئتي على يدها مالي منها محيص، ولو أخرجتها ما يقتلني غيرها ! كان قضاء مقضياً وأمرأ واجباً من الله.... فلما شربه وجد مس السم في جسده فقال: يا عدوة الله قتليني قتلك الله...) .

وفي كتاب سليم عليه السلام: ٣٦٣: (فقام إليه علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يبكي فقال: بأبي أنت وأمي يا نبي الله أتقتل؟ قال: نعم أهلك شهيداً بالسم ! وتقتل أنت بالسيف وتُخضب لحيتك من دم رأسك ، ويقتل ابني الحسن بالسم ، ويقتل ابني الحسين بالسيف ، يقتله طاغ ابن طاغ ، دعي ابن دعي).

وينبغي أن نذكر هنا باختصار هنا أربع مسائل:

الأولى: أن المعصوم عليه السلام يعلم أجله !

تقدم في شهادة أمير المؤمنين عليه السلام في المجلد الأول أنه كان يعلم أجله ، وكذلك ثبت عن الإمام الحسن وبقية المعصومين عليه السلام واستشهدنا بقوله تعالى: **عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا .** (الجن: ٢٦-٢٧) . فالمرتضى عند ربه من رسول أو وصي يتحمل غيب الله تعالى ، ويخصص له الله ملائكة يسددونه حتى لا يتضرر بالغيب الإلهي ، ويستعمله في غرضه الصحيح !

والغيب الذي يظهره الله لخاصة أوليائه عليه السلام من نوع الأمر الإلهي المقضي الذي لا بداء فيه ، فقد سأل حمزان بن بكير الإمام الباقر عليه السلام عن الغيب في هذه الآية ، فأجابه: **(إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا،** وكان والله محمد ﷺ ممن ارتضى. وأما قوله: عالم الغيب فإن الله تبارك وتعالى عالم بما غاب عن خلقه ، فما يقدر من شيء ويقضيه في علمه قبل أن يخلقه وقبل أن يقضيه إلى الملائكة فذلك يا حمزان علم موقوف عنده إليه فيه المشية فيقضيه إذا أراد ويبدو له فيه فلا يمضيه . فأما العلم الذي يقدره الله ويمضيه فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله ﷺ ثم إلينا). (بصائر الدرجات/١٣٣) .

وفي هذه المسألة بحوثٌ جلييلة عميقة ، أشار الإمام الحسن عليه السلام إلى بعضها في جوابه لمن قال له: (أخرجها من ملكك عليها لعنة الله ! فقال: هيات من إخراجها ومنيتي على يدها مالي منها محيص ! ولو أخرجتها ما يقتلني غيرها ، كان قضاء مقضياً ، وأمرأ واجباً من الله) ! ومعناه: أن المعصوم عليه السلام يتعامل مع الأمور المقضية من الله تعالى كما نتعامل نحن مع الأمور التكوينية ، وهذا قد يوجب التفاوت بين

تكليفه وتكليفنا ، فالمعصوم عليه السلام لا يعيش الأسف والحسرة والحرص على تغيير القضاء أو رده ، كما نعيشه نحن !

ومعناه أيضاً: أن المعصوم عليه السلام عنده الوعي والقدرة الكافيين للإنسجام مع ما علمه الله من غيبه ، فهو يتعاطى مع الأمور على فعليتها ، ومع الأشخاص على ظاهريهم حتى لو كانت المصلحة أن يخبر الناس بشئ عن المستقبل !

ومعناه أيضاً: أن اختيار الإنسان ومسؤوليته عن أفعاله ، لا تؤثر على هيمنة الله تعالى ، فهو معها يملك (كل الأوراق) في السلوك الإنساني كما في التكوين !

وأن كل ما جرى ويجري من فعاليات البشر عامة ، وفعاليات كل إنسان خاصة ، خاضع للمخطط الكلي الكامل للكون والحياة ، ومن هذه الفعاليات محاولات تغيير الأقدار ، لأنها من الأقدار أيضاً ! وهذا معنى قوله عليه السلام: (ولو أخرجتها ما يقتلني غيرها ! كان قضاء مقضياً ، وأمرأ واجباً من الله) !

وهذا العقيدة صريحة في كتاب الله تعالى وأحاديث نبيه وآله عليه السلام لكن تضيق عنها ظرفية أذهان عامة الناس ! قال الله تعالى: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . (التغابن: ١١) أي يهدي قلبه فيما يهديه الى عدم التنافي بين الحرية والمسؤولية وبين المخطط الإلهي والإذن بوقوع ما يقع ! وقال تعالى: وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلِمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْغَيْبِ وَالْبَحْرُ وَمَا تَسْطُرُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ . (الأنعام: ٥٩) . وقال تعالى: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ . (هود: ٦) . وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ، (النمل: ٧٥) وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَثْقَلٍ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . (فاطر: ١١) .

ويمكن تشبيه هذا الكتاب الإلهي للأقدار بشرط مصور لما سيحدث ، كالذي

نراه أحياناً في منامنا ويحدث كما رأيناه ! وقد ثبت أن الله تعالى أعطى الكثير من هذا العلم بالمستقبل الى نبيه وآله ﷺ. ففي الكافي: ٢٢٢/١ عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (يَمُصُّونَ الثَّمَادَ وَيَدْعَوْنَ النَّهْرَ الْعَظِيمَ ! قيل له: وما النهر العظيم؟ قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل جمع لمحمد سنن النبيين من آدم وهلمَّ جرّاً إلى محمد . قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيين بأسره . وإن رسول الله ﷺ صيّر ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام ! فقال له رجل: يا ابن رسول الله فأمر المؤمنين أعلم أم بعض النبيين؟ فقال أبو جعفر: إسمعوا ما يقول؟ إن الله يفتح مسامع من يشاء ! إني حدثته أن الله جمع لمحمد ﷺ علم النبيين وأنه جمع ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو يسألني: أهو أعلم أم بعض النبيين ؟!)

وفي الكافي: ٢٢٤/١ عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (قال رسول الله ﷺ: إن أول وصي كان على وجه الأرض هبة الله بن آدم ، وما من نبي مضى إلا وله وصي ، وكان جميع الأنبياء مائة ألف نبي وعشرين ألف نبي ، منهم خمسة أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، وإن علي بن أبي طالب كان هبة الله لمحمد ، وورث علم الأوصياء وعلم من كان قبله ، أما إن محمداً ورث علم من كان قبله من الأنبياء والمرسلين). انتهى.

المسألة الثانية: معنى قوله عليه السلام أموت بالسُّمِّ كما مات رسول الله ﷺ والمعنى الذي فهمه السنيون أنه يقصد بسُّمَّ النبي ﷺ حادثة خبير حيث أهدى اليهود الى النبي ﷺ شاة مشوية مسمومة فأكل منها لقمة فنفق اللحم بإذن الله بأنه مسموم ، وقد أثرت تلك اللقمة في بدن النبي ﷺ فكانت وفاته بعد سنتين بسببها ! ففي الجامع الصغير: ٤٩٧/٢: (ما زالت أكلة خبير تعتادني كل عام ، حتى كان هذا أو أن قطع أبهري (شرباني)). (ونحوه تأويل مختلف الحديث لابن تقيّة/ ١٦٩، وأسد

الغاية: ٢٣/١، كما روت ذلك مصادرها كما في المناقب: ٨١/١، ومختصر بصائر الدرجات (١٥)
 لكن المقصود لأئمتنا عليهم السلام مع ذلك أو بدونه ، هو أن النبي ﷺ قد سُم في مرض وفاته بالدواء الذي نهاهم أن يسقوه إياه عندما يغمى عليه ! ومع ذلك سقوه فأفاق وغضب من فعلهم وأمرهم أن يشربوا منه جميعاً إلا بني هاشم ! وقد روته صحاحهم فقال بخاري: ١٧/٧: (قالت عائشة: لددناه في مرضه فجعل يشير إلينا أن لا تلدونى ، فقلنا كراهية المريض للدواء . فلما أفاق قال: ألم أنهكم أن تلدونى؟! قلنا: كراهية المريض للدواء ، فقال: لا يبقى في البيت أحد إلا لُدَّ وأنا أنظر ! إلا العباس فإنه لم يشهدكم) . ورواه الحاكم: ٢٠٢/٤ ، وفيه: والذي نفسي بيده لا يبقى في البيت أحد إلا لُدَّ إلا عمي . قال فرأيتهم يلدونهم رجلاً رجلاً... فُلدَّ الرجال أجمعون ، وبلغ اللدود أزواج النبي فلددن امرأة امرأة! انتهى .
 ولا أستبعد أن يكون الدواء مأخوذاً من اليهود فنهى الله نبيه ﷺ عن استعماله ، أو يكون اليهود وجدوا منفذاً الى طعام النبي ﷺ وشربه ودوائه ، فقد كانت عدة يهوديات يترددن على نسائه ، ولا يتسع المجال لهذا البحث .

المسألة الثالثة: معنى قولهم عليهم السلام: ما منا إلا مسمومٌ أو مقتول !

وقد نص أهل البيت عليهم السلام على ذلك في أربع روايات ، اثنتان منها عن الإمام الحسن عليه السلام واثنتان عن الإمام الرضا عليه السلام . ففي كفاية الأثر ٢٢٦: (عن جنادة بن أبي أمية قال: دخلت على الحسن بن علي عليه السلام في مرضه الذي توفي فيه وبين يديه طشت يقذف فيه الدم ويخرج كبده قطعة قطعة من السم الذي أسقاها معاوية لعنه الله فقلت: يا مولاي ما لك لا تعالج نفسك؟ فقال: يا عبد الله بماذا أعالج الموت؟! قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون . ثم التفث إليّ وقال: والله إنه لعهد عهده إلينا رسول الله ﷺ أن هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من ولد علي وفاطمة عليهما السلام ما منا

إلا مسمومٌ أو مقتول ! ثم رفعت الطشت واتكأ صلوات الله عليه فقلت: عظمي يا بن رسول الله . قال: نعم إستعد لسفرك وحصل زادك قبل حلول أجلك ، واعلم أنك تطلب الدنيا والموت يطلبك . واعلم أنك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلا كنت فيه خازناً لغيرك ، واعلم أن في حلالها حساباً وفي حرامها عقاباً وفي الشبهات عتاباً ، فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة خذ منها ما يكفيك فإن كان ذلك حلالاً كنت قد زهدت فيها ، وإن كان حراماً لم تكن قد أخذت من الميتة وإن كان العتاب فإن العقاب يسير . واعمل لديناك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ، وإذا أردت عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعة الله عز وجل . وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك وإذا خدمته صانك وإذا أردت منه معونة أعانك ، وإن قلت صدق قولك وإن صُلت شدَّ صولك وإن مددت يدك بفضل مدها وإن بدت منك ثلثة سدها وإن رأى منك حسنة عدها ، وإن سألته أعطاك وإن سكت عنه ابتداك وإن نزلت بك أحد الملمات ساء . من لا يأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطوارق ولا يخذلك عند الحقائق ، وإن تنازعتما منفساً أثرك . قال: ثم انقطع نفسه واصفر لونه حتى خشيت عليه ، ودخل الحسين عليه السلام والأسود بن أبي الأسود فانكبَّ عليه حتى قبل رأسه وبين عينيه ، ثم قعد عنده وتسارَّاً جميعاً فقال أبو الأسود: إنا لله وإنا اليه راجعون ، إن الحسن قد نعت إليهِ نفسه وقد أوصى إلى الحسين عليه السلام . وتوفي صلى الله عليه في يوم الخميس في آخر صفر سنة خمسين من الهجرة وله سبعة وأربعون سنة) .

وفي كفاية الأثر/١٦٠: (عن هشام بن محمد ، عن أبيه قال: لما قتل أمير المؤمنين عليه السلام رقى الحسن بن علي عليه السلام فأراد الكلام فخنقته العبرة فقعد ساعة ثم

قام وقال: الحمد لله الذي كان في أوليته وحدانياً وفي أزيته متعظماً.... والحمد لله الذي أحسن الخلافة علينا أهل البيت ، وعند الله نحتسب عزاءنا في خير الآباء رسول الله ﷺ وعند الله نحتسب عزاءنا في أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد أصيب به الشرق والغرب....ولقد حدثني جدي رسول الله ﷺ أن الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من أهل بيته وصفوته ، ما منا إلا مقتول أو مسموم .

وفي أمالي الصدوق/١٢٠ وعيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٨٧/١ ، عن أبي الصلت الهروي ، قال: (سمعت الرضا عليه السلام يقول: والله ما منا إلا مقتول شهيد . فقليل له: فمن يقتلك يا ابن رسول الله ؟ قال: شر خلق الله في زمانني يقتلني بالسم ، ثم يدفني في دار مضيعة وبلاد غربة). وعنه أيضاً في: ٢٢٠/١: (وما منا إلا مقتول وإني والله لمقتول بالسم باغتيال من يغتالي ! أعرف ذلك بعهد معهود إلي من رسول الله ﷺ أخبره به جبرئيل عن رب العالمين عز وجل . وأما قول الله عز وجل: وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ، فإنه يقول لن يجعل الله لكافر على مؤمن حجة ، ولقد أخبر الله عز وجل عن كفار قتلوا النبيين بغير الحق ، ومع قتلهم إياهم لن يجعل لهم على أنبيائه ﷺ سبيلاً من طريق الحجة) .

أقول: بهذا يتضح أن قاعدة شهادة المعصومين عليه السلام بالقتل أو بالسم صحيحة ، وفي المسألة بحوث لا يتسع المجال لها .

المسألة الرابعة: نفاق الأشعث وأسرته وتعامل النبي ﷺ وآله عليه السلام معهم !
تقدم في المجلد الأول أن الأشعث بن قيس الكندي كان رأس المنافقين في عهد علي عليه السلام ، وتاريخه ملئ بالغدر والنفاق ، فقد جاء في وفد كندة الى النبي ﷺ في سنة وفاته ﷺ ثم أعلن ارتداده مع قبيلة بني وليعة في حضرموت فأسره المسلمون وأتوا به الى أبي بكر ، فاطلقه وأكرمه وزوجه أخته ! ثم ندم أبو

بكر في آخر حياته أنه لم يقتله ! وقد أوردنا بعض فعالياته المضادة للإمام عليه السلام .
وقد روى يعقوبي: ١٣٧/٢: أن أبا بكر كان يتحسر في مرضه الذي توفي فيه على أشياء ويتمنى أنه لم يفعلها ومنها هجومه على بيت فاطمة الزهراء عليها السلام ! وأشياء ليته فعلها منها قتل الأشعث قال: (فليتني قدمت الأشعث بن قيس تضرب عنقه ، فإنه يخيل إلي أنه لا يري شيئاً من الشر إلا أعان عليه) ! انتهى.

قال الإمام الصادق عليه السلام كما في الكافي: ١٦٧/٨: (إن الأشعث بن قيس شَرَك في دم أمير المؤمنين عليه السلام ، وابنته جعدة سمّت الحسن عليه السلام ، ومحمد ابنه شرك في دم الحسين عليه السلام) ! وقد هلك (بعد مقتل علي عليه السلام بأربعين ليلة) (تاريخ دمشق: ١٤٤/٩) .

وكان نفاق الأشعث مكشوفاً لأمر المؤمنين والإمام الحسن عليه السلام فقد تأمر مع معاوية في صفين ، ثم تأمر مع الخوارج عليه السلام ، ثم شرك في قتل أمير المؤمنين عليه السلام ! لكنهم كانوا يعاملونهم بكثير من الصبر والتحمل واللين مما لا نتحملة نحن عادة . ويبدو لي أن السر في ليونة أهل البيت عليه السلام مع أمثال الأشعث والأسوأ منه ، أنهم كانوا يعرفون أن الغلبة ستكون لهؤلاء المنافقين ، فهم يتحملون منهم ويتجرعون الغيظ ، ويعاملونهم كأنهم أصدقاء من أجل حفظ الخط النبوي الذي يمثلونه ، وأجيال المسلمين الذين سيهدون بهديهم عليه السلام !



٥- طال مرض الإمام عليه السلام من السم نحو أربعين يوماً !

في تهذيب الكمال: ٢٥٣/٦ ، وسير أعلام النبلاء: ٢٧٥/٣: (أبو عوانة: عن مغيرة ، عن أم موسى أن جعدة بنت الأشعث بن قيس سقت الحسن السم فاشتكى ، فكان توضع تحته طشت وترفع أخرى ، نحواً من أربعين يوماً) .

ورواه في تاريخ دمشق: ٢٨٥/١٣، وقال في ٢٩١/١: (لَمَّا مَرَضَ حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، مَرَضَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فَلَمَّا اسْتَعَزَّ بِهِ وَقَدْ حَضَرَتْ بَنُو هَاشِمٍ ، فَكَانُوا لَا يَفَارِقُونَهُ يَبِيتُونَ عِنْدَهُ بِاللَّيْلِ ، وَعَلَى الْمَدِينَةِ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ، وَكَانَ سَعِيدٌ يَعُودُهُ فَمَرَّةً يُؤْذَنُ لَهُ ، وَمَرَّةً يَحْجُبُ عَنْهُ).

أقول: ولا يوجد مخالف لهذه الروايات في طول مرض الإمام عليه السلام إلا رواية الخرائج (٢٤١/١) التي تقول إن مرضه استمر يومين ، لكنها لا تنهض لمعارضتها ولعلها تصف شدة مرضه عليه السلام.

٦- وَرَتَّبَ مُعَاوِيَةُ بَرِيدَيْنِ يَوْمِيًّا عَنْ حَالَةِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ عليه السلام

قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ١٥٠/١: (مرض الحسن بن علي مرضه الذي مات فيه ، فكتب عامل المدينة إلى معاوية يخبره بشكاية الحسن ، فكتب إليه معاوية: إن استطعت ألا يمضي يوم يمرُّ بي إلا يأتيني فيه خبره فافعل ، فلم يزل يكتب إليه بحاله حتى توفي ، فكتب إليه بذلك فلما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً حتى سجد وسجد من كان معه).

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: ٣٨٩/١: (قال قتادة ، وأبو بكر بن حفص: سُمَّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، سَمْتَهُ امْرَأَتُهُ جَعْدَةُ بِنْتُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسِ الْكَنْدِيِّ ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: كَانَ ذَلِكَ مِنْهَا بِتَدْسِيسِ مُعَاوِيَةَ إِلَيْهَا وَمَا بَذَلَ لَهَا فِي ذَلِكَ . وَقَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَرَدَ الْبَرِيدُ بِمَوْتِهِ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: يَا عَجَبًا مِنْ الْحَسَنِ شَرِبَ شَرْبَةً مِنْ عَسَلِ بَمَاءِ رُومَةٍ ، فَقَضَى نَحْبَهُ !) . انتهى.

لكنه لم يكن بريداً واحداً ، بل بریدین يومياً ! أحدهما من حاكم المدينة يومها سعيد بن العاص ، والثاني من مروان بن الحكم ، وكان معاوية يداور حكم المدينة بينهما ، وقد أوقع بينهما الفتنة والعداوة فصار كل منهما يتقرب إليه !

(لما مات الحسن بن علي بعث مروان بن الحكم إلى معاوية يخبره أنه مات ، قال وبعث سعيد بن العاص رسولاً آخر يخبره بذلك ، وكتب مروان يخبره بما أوصى به حسن من دفنه مع رسول الله (ص) وأن ذلك لا يكون وأنا حي ! ولم يذكر ذلك سعيد) (تاريخ دمشق: ١٢٧/٢١).

وينبغي أن تعرف هنا أن بني أمية ثلاثة فروع:

فرع آل حرب بن أمية بن عبد شمس ، ومنهم أبو سفيان ومعاوية ، ويعتبرون أنفسهم ورثة أمية ، وأن أمية له زعامة قريش دون غيره !

وفرع العاص الذين منهم سعيد حاكم المدينة المذكور ، وهو على اسم جده سعيد بن العاص بن أمية ، المعروف بأبي أحичة ، وهو أحد الستة الأكثر عداً لرسول الله ﷺ ، وكان غنياً جباراً لكنه أقل دهاء من بني حرب ، وقد منع أن يلبس أحد من قريش عمامة بلون عمامته الزرقاء ! وكان هراً في بدر فأرسل مكانه مع المشركين ابنه العاص أبا سعيد هذا ، فقتله علي عليه السلام .

ومن أولاد أبي أحичة الممدوحين خالد بن سعيد ، أسلم لرؤيا رآها ، فأذاه أبوه فهاجر مع زوجته إلى الحبشة ، ثم بعثه النبي ﷺ والياً على اليمن ، وجاء بعد وفاة النبي ﷺ وناصر علياً عليه السلام واعترض على أهل السقيفة وخطب في المسجد ووبّخ عمر وأهانه ! ولم يبايع لأبي بكر حتى أمره علي عليه السلام ، وكان فارساً شجاعاً قائداً ، عقد له أبو بكر على جيش فتح الشام ، فأصرَّ عمر أن يستبدله بأبي عبيدة بن الجراح ، لكنه ذهب إلى الشام قائداً عادياً ، وشارك في فتوحها واستشهد ﷺ . وكان أخوه أبان مثله شيعياً . وسعيد والي المدينة ابن أخيهما الكبير العاص وكان عمره يوم قتل أبوه في بدر سنتين فرباه عمه خالد ، فتشأ يميل إلى علي عليه السلام مع أنه قاتل أبيه ، لكنه بعد شهادة عمه رجع إلى أصله ، فهو ابن العاص بن أبي أحичة .

وفي علل أحمد: ١٧٦/٣، ما يدل على أصلته العائلية ، قال: (عن عمير بن إسحاق قال: كان مروان أميراً علينا ست سنين فكان يسب علياً كل جمعة ثم عزل ، ثم استعمل سعيد بن العاص سنتين فكان لايسبه ، ثم أعيد مروان فكان يسبه) !

والفرع الثالث من أبناء أمية ، فرع أبي العاص (وليس العاص) بن أمية ، وهم أقل شأناً من بني حرب وبني العاص ، ومنهم عثمان بن عفان وبنو الحكم وابنه ومروان ، وبنو معيط المعروفون بمستواهم الهابط ، كانوا أصحاب خمارة ومبغى في مكة ، ومنهم عقبة أخ عثمان لأمه ، الفاسق بنص القرآن !

فمعاوية يرى أنه من آل حرب معدن الحق بزعمه ، فهو أولى بالخلافة وبعده أولاده . وسعيد يرى نفسه حفيد الزعيم الأموي الثري أبي أحيحة فهو أولى بها ، ومروان يرى نفسه ابن عم الخليفة عثمان وسكرتيه فهو أولى بها !

ولذلك كان معاوية يداور بينهما حكم المدينة ، ويؤجج خلافهما ليبقيا محتاجين إليه ، ويتركا التطلع الى ولاية عهده بدل يزيد !

وفي أيام مرض الإمام الحسن عليه السلام اتخذ سعيد موقف الحياد ، ولم يعارض ما أشيع من عزم بني هاشم دفن الإمام الحسن عليه السلام عند جده ! بينما كلف معاوية مروان الملعون بن الملعون بنص النبي ﷺ ، فوقف بشراسة ضد أهل البيت عليهم السلام.

٧- معاوية يدير المعركة.. ويهاً مروان أنت لها !

(ويقال إن الحسن أوصى أن يدفن مع النبي (ص) فأظهر الحسين ذلك قبل موت الحسن ، فأنكره مروان بن الحكم وكتب بقول الحسين إلى معاوية ، فكتب إليه معاوية: إذا مات الحسن فامنع من ذلك أشد المنع ، كما منعنا من دفن عثمان مع النبي). (أنساب الأشراف/ ٧٤٨) (وبلغ معاوية ما كانوا أرادوا في دفن حسن في بيت

النبي (ص) فقال: ما أنصفتنا بنو هاشم حين يزعمون أنهم يدفنون حسناً مع النبي، وقد منعوا عثمان أن يدفن إلا في أقصى البقيع ! إن يك ظني بمروان صادقاً لا يخلصون إلى ذلك ! وجعل يقول: ويها مروان أنت لها ! (تاريخ دمشق: ٢٨٨/١٣).

(وكان قد عهد إلى أخيه أن يدفن مع رسول الله (ص) فإن خاف أن يكون في ذلك شيء فليدفن بالبقيع ، فأبى مروان أن يدعه وقال: ما كنت لأدع ابن أبي تراب يدفن مع رسول الله وقد دفن عثمان بالبقيع ! ومروان يومئذ معزول يريد أن يرضي معاوية بذلك ، فلم يزل عدواً لبني هاشم حتى مات). (تاريخ دمشق: ٢٨٧/١٣ ، والنهاية: ٤٤/٨).

(وأبرد مروان إلى معاوية يخبره بموت حسن وأنهم يريدون دفنه مع النبي وأنهم لا يصلون إلى ذلك أبداً وأنا حي ! فأنتهى حسين بن علي إلى قبر النبي فقال: إحفروا هاهنا ، فنكب عنه سعيد بن العاص وهو الأمير فاعتزل ولم يحل بينه وبينه، وصاح مروان في بني أمية ولقها وتلبسوا السلاح) ! (تاريخ دمشق: ٢٩١/١٣).

فهذه النصوص تنص على أن معاوية كان يدير معركة مروان مع بني هاشم ، وأنه هو الذي أرسل إلى عائشة وربما وبخها ، فتراجعت عن وعدّها !

ولعلها أرادت أن تتقرب إلى معاوية أيضاً بموقفها الشديد ضدّ دفن الإمام عليّ عليه السلام عند جده بعد رضاها به ! لكن ينبغي أن نلفت إلى تضخيم مروان للمسألة ، فستعرف أن الإمام الحسين لم يرد دفن أخيه عليه السلام عند جده ، بل حرص على تنفيذ وصيته بأن لا يهرق في أمره محجمة دم أبداً .

٨- قبلت عائشة بدفن الإمام عليّ عليه السلام جنب جده ﷺ ثم تراجعت !

نصت روايات مصادر السنة على أن عائشة قبلت أول الأمر أن يدفن الإمام الحسن عليه السلام إلى جنب جده ﷺ وأنه أرسل إليها عندما سقي السمّ (بستأذنهما) في

ذلك فأجابت بالقبول والترحيب ! رواه في تاريخ دمشق: ٢٨٩/١٣، بعدة أسانيد ، منها عن (عبيد الله بن علي بن أبي رافع أخبره هو وغيره من مشيختهم أن حسن بن علي بن أبي طالب أصابه بَطْنٌ فلما عرف بنفسه الموت أرسل إلى عائشة زوج النبي (ص) أن تأذن له أن يدفن مع النبي (ص) في بيتها ، فقالت: نعم ، بقي موضع قبر واحد قد كنت أحب أن أدفن فيه وأنا أوثر لك به ، فلما سمعت بنو أمية ذلك لبسوا السلاح). ورواه الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٢٧٧/٣ قال: (ونقل ابن عبد البر: أنهم لما التمسوا من عائشة أن يدفن الحسن في الحجرة ، قالت: نعم وكرامة ، فردهم مروان ولبسوا السلاح ، فدفن عند أمه بالبقيع إلى جانبها). انتهى.



وقائع شهادة الإمام الحسن السبط عليه السلام ومراسم دفنه

١- الإمام الحسن عليه السلام : لا يومَ كيومك يا أبا عبد الله !

لم يسجل التاريخ إلا قليلاً مما فعله الإمام الحسن عليه السلام في العشر سنوات التي قضاها في المدينة بعد صلحه مع معاوية ، وقليلاً مما جرى عليه في الأربعين يوماً التي كان فيها طريح الفراش ، يكابد آلام سُم الطاغية معاوية !

ومما سجله هذا الحوار الذي دار بينه وبين أخيه الحسين عليه السلام وهو واحدة من أروع الصور الإنسانية ومشاهد السمو ! وهو يكشف المأساة التي كُتبت عليهما وأعدهما لها جدهما ﷺ فتلقيها راضيين ونسي كل منهما نفسه وحمل هم أخيه الحبيب ! وقد نقل المشهد الإمام زين العابدين عليه السلام وأن أباه الحسين دخل على عمه الحسن عليه السلام وكأنه لما رآه تجسدت له الصورة التي أخبرهم بها جدهما ﷺ وأن الحسن يقتل بالسُم : (فلما نظر إليه بكى فقال له : ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال : أبكى لما يصنع بك ! فقال له الحسن عليه السلام : إن الذي يؤتى إليَّ سُمٌ يدس إلي فأقتل به ولكن لا يومَ كيومك يا أبا عبد الله ، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدعون أنهم من أمة جدنا محمد ﷺ وينتحلون دين الإسلام ! فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك وانتهاج ثقلك ، فعندها تحل ببني أمية اللعنة وتمطر السماء رماداً ودماً ، ويبكي عليك كل شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيثان في البحار) !! (أمالي الصدوق (١٧٧).

ولماذا لا يكونان كذلك وقد اختارهما الله فداءه لدين جدهما ؟! قالت أم سلمة:

(دخل رسول الله ﷺ ذات يوم ودخل في أثره الحسن والحسين ﷺ وجلسا إلى جانبه فأخذ الحسن على ركبته اليمنى والحسين على ركبته اليسرى ، وجعل يقبل هذا تارة وهذا أخرى ، وإذا جبرئيل قد نزل وقال: يا رسول الله إنك تحب الحسن والحسين؟ فقال: وكيف لا أحبهما وهما ريحائتي من الدنيا وقرّتا عيني ، فقال جبرئيل: يا نبي الله إن الله قد حكم عليهما بأمر فاصبر له ! فقال: وما هو يا أخى؟ فقال: قد حكم على هذا الحسن أن يموت مسموماً ، وعلى هذا الحسين أن يموت مذبوحاً ! وإن لكل نبي دعوة مستجابة ، فإن شئت كانت دعوتك لولدك الحسن والحسين فادع الله أن يسلمهما من السم والقتل ، وإن شئت كانت مصيبتهم ذخيرة في شفاعتك للعصاة من أمتك يوم القيامة ! فقال النبي ﷺ: يا جبرئيل أنا راض بحكم ربي لما يريد ، وقد أحببت أن تكون دعوتي ذخيرة لشفاعتي في العصاة من أمتي ويقضي الله في ولدي ما يشاء). (البحار: ٢٤٢/٤٤). فصلوات الله على جدّهما الرحيم وعليهما من أخوين وإمامين !

٢- وصية الإمام الحسن لأخيه الإمام الحسين ﷺ

توجد ثلاث روايات في وصية الإمام الحسن ﷺ خالصة من الإشكالات الكثيرة التي ترد على الروايات الأخرى:

الأولى: رواية زياد المخارقي، رواها المفيد رحمه الله في الإرشاد: ١٧/٢ قال: (وروى عبد الله بن إبراهيم عن زياد المخارقي قال: لما حضرت الحسن الوفاة استدعى الحسين بن علي ﷺ فقال: يا أخى إنني مفارقك ولاحق بربي عز وجل وقد سقيت السم ورميت بكبدي في الطست ، وإنني لعارف بمن سقاني السم ومن أين دهيت وأنا أخاصمه إلى الله تعالى ، فبحقي عليك إن تكلمت في ذلك بشئ ، وانتظر ما

يحدث الله عز ذكره فيَّ ، فإذا قضيت فغمضني وغسلني وكفني واحملني على سريري إلى قبر جدي رسول الله ﷺ لأجدد به عهداً ، ثم ردني إلى قبر جدي فاطمة بنت أسد رحمة الله عليها فادفني هناك . وستعلم يا ابن أم أن القوم يظنون أنكم تريدون دفني عند رسول الله ﷺ فيجلبون في منعكم عن ذلك وبالله أقسم عليك أن تهريق في أمري محجمة دم . ثم وصى ﷺ إليه بأهله وولده وتركاته ، وما كان وصى به إليه أمير المؤمنين ﷺ حين استخلفه وأهله لمقامه، ودل شيعته على استخلافه ونصبه لهم علماً من بعده . فلما مضى لسبيله غسله الحسين ﷺ وكفنه وحمله على سريره ، ولم يشك مروان ومن معه من بني أمية أنهم سيدفونوه عند رسول الله ﷺ فتجمعوا له ولبسوا السلاح ، فلما توجه به الحسين بن علي إلى قبر جده رسول الله ﷺ ليجدد به عهداً أقبلوا إليهم في جمعهم ، ولحقهم عائشة على بغل وهي تقول: مالي ولكم تريدون أن تُدخلوا بيتي من لا أحب . وجعل مروان يقول: يا رَبُّ هَيْجَا هي خيرٌ من دعة ! أيدفن عثمان في أقصى المدينة ، ويدفن الحسن مع النبي ؟ لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف ! وكادت الفتنة تقع بين بني هاشم وبني أمية ، فبادر ابن عباس إلى مروان فقال له: إرجع يا مروان من حيث جئت ، فإننا ما نريد أن ندفن صاحبنا عند رسول الله ﷺ لكننا نريد أن نجدد به عهداً بزيارته ، ثم نرده إلى جدته فاطمة فندفنه عندها بوصيته بذلك ، ولو كان وصى بدفنه مع النبي ﷺ لعلمت أنك أقصر باعاً من ردنا عن ذلك ، لكنه ﷺ كان أعلم بالله ورسوله وبحرمة قبره من أن يطرق عليه هدماً كما طرق ذلك غيره ، ودخل بيته بغير إذنه ! ثم أقبل على عائشة فقال لها:

وا سؤأتاه ! يوماً على بغل ويوماً على جمل ، تريدان أن تطفئي نور الله ، وتقاتلين أولياء الله ؟! إرجعي فقد كفيت الذي تخافين وبلغت ما تحبين ، والله

تعالى منتصر لأهل هذا البيت ولو بعد حين .

وقال الحسين عليه السلام: والله لولا عهد الحسن إليّ بحقن الدماء وأن لا أهرق في أمره محجمة دم ، لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها ، وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم ، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا !

ومضوا بالحسن عليه السلام فدفنوه بالقيع عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رضي الله عنها وأسكنها جنة النعيم). (وروضة الواعظين/١٦٧، والمستجد/١٤٧، وإعلام الوري: ١/١٤٤ وفيه: زياد المحاربي والصحيح المخارقي) .

والثانية ، رواها الطوسي في أماليه/١٥٨، بأكثر من طريق عن ابن عباس، قال: (دخل الحسين بن علي على أخيه الحسن بن علي في مرضه الذي توفي فيه فقال له: كيف تجدك يا أخي؟ قال: أجدني في أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا ، واعلم أنني لا أسبق أجلي ، وأنني وارد على أبي وجدي ، على كره مني لفراقك وفراق إخوتك وفراق الأحبة ، وأستغفر الله من مقاتلي هذه وأتوب إليه ، بل على محبة مني للقاء رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ولقاء فاطمة وحمزه وسجعة ، وفي الله عز وجل خلف من كل هالك ، وعزاء من كل مصيبة ودرك من كل ما فات . رأيت يا أخي كبدي آنفاً في الطست ، ولقد عرفت من دهاني ومن أين أتيت ، فما أنت صانع به يا أخي؟ فقال الحسين: أقتله والله . قال: فلا أخبرك به أبداً حتى تلقى رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن اكتب: هذا ما أوصى به الحسن بن علي إلى أخيه الحسين بن علي ، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنه يعبد حق عبادته لا شريك له في الملك ولا ولي له من الدل ، وأنه خلق كل شيء فقدره تقديراً ، وأنه أولى من عبد وأحق من حمد من أطاعه رشد ، ومن عصاه غوى ومن تاب إليه اهتدى .

فإني أوصيك يا حسين بمن خلفت من أهلي وولدي وأهل بيتك ، أن تصفح عن مسيئتهم ، وتقبل من محسنهم ، وتكون لهم خلفاً ووالداً ، وأن تدفني مع جدي رسول الله ﷺ فإني أحق به وببيته ممن أدخل بيته بغير إذنه ولا كتاب جاءهم من بعده ! قال الله تعالى فيما أنزله على نبيه في كتابه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ، فوالله ما أذن لهم في الدخول عليه في حياته بغير إذنه ، ولا جاءهم الاذن في ذلك من بعد وفاته ، ونحن مأذون لنا في التصرف فيما ورثناه من بعده ، فإن أبت عليك الإمراة فأنشدك بالقراة التي قرب الله عز وجل منك ، والرحم الماسة من رسول الله أن لا تهريق في محجمة من دم حتى نلقى رسول الله ﷺ فنختصم إليه ، ونخبر بما كان من الناس إلينا بعده . ثم قبض .

قال ابن عباس: فدعاني الحسين وعبد الله بن جعفر وعلي بن عبد الله بن العباس فقال: غسلوا ابن عمكم ، فغسلناه وحنطناه وألبسناه أكفانه (أي ساعدوا الحسين عليه السلام) ، ثم خرجنا به حتى صلينا عليه في المسجد ، وإن الحسين أمر أن يفتح البيت (بيت حجة النبي ﷺ التي دفن فيها) فحال دون ذلك مروان بن الحكم وآل أبي سفيان ومن حضر هناك من ولد عثمان بن عفان ، وقالوا أيدفن أمير المؤمنين عثمان الشهيد القتل ظلماً بالبقيع بشرّ مكان ، ويدفن الحسن مع رسول الله ﷺ ، والله لا يكون ذلك أبداً حتى تكسر السيوف بيننا وتنقص الرماح وينفذ النبل !

فقال الحسين: أما والله الذي حرم مكة للحسن بن علي بن فاطمة أحق برسول الله وببيته ممن أدخل بيته بغير إذنه ، وهو والله أحق به من حمال الخطايا ، مُسَيِّر أبي ذر رضي الله عنه الفاعل بعمار ما فعل وبعبد الله ما صنع ، الحامي الحمى ، المؤوي لطريد رسول الله ﷺ ! لكنكم صرتم بعده الأمراء وبايعكم على ذلك الأعداء وأبناء الأعداء . قال: فحملناه فأتينا به قبر أمه فاطمة فدفناه إلى جنبها رضي الله عنه

وأرضاه . قال ابن عباس: وكنت أول من انصرف فسمعت اللغط وخفت أن يعجل الحسين على من قد أقبل ورأيت شخصاً علمت الشر فيه ، فأقبلت مبادراً فإذا أنا بعائشة في أربعين راكباً على بغل مرحّل تقدمهم وتأمرهم بالقتال ، فلما رأني قالت: إليّ إليّ يا ابن عباس لقد اجترأتم عليّ في الدنيا تؤذونني مرة بعد أخرى ، تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أهوى ولا أحب ! فقلت: واسوأته ! يوم على بغل ويوم على جمل ! تريدان أن تطفئي فيه نور الله وتقاتلي أولياء الله وتحولي بين رسول الله ﷺ وبين حبيبته أن يدفن معه ، إرجعي فقد كفى الله المؤمنة ودْفَنَ الحسن إلى جنب أمه ، ولم يزد من الله إلا قرباً وما ازددتم منه والله إلا بعداً ! يا سوأته ! إنصرفي فقد رأيت ما شرك ! قال: فقطبْتُ في وجهي ونادت بأعلى صوتها: أما نسيتم الجمل يا ابن عباس إنكم لذوو أحقاد ! فقلت: أما والله ما نسيه أهل السماء فكيف ينساه أهل الأرض؟! فانصرفت وهي تقول:

فألقت عصاها فاستقرت بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر).

(وبشارة المصطفى لمحمد بن علي الطبري/٤١٨، والبحار: ١٥١/٤٤، عن أمالي الطوسي).

والثالثة ، ماكتبه ابن عبد الوهاب في (عيون المعجزات/٥٧) وقد ألفه سنة ٤٤٨هـ، قال: (وكان سبب مفارقة أبي محمد الحسن ﷺ دار الدنيا وانتقاله إلى دار الكرامة على ما وردت به الأخبار أن معاوية بذل لجعيدة بنت الأشعث زوجة أبي محمد ﷺ عشرة آلاف دينار وقطاعات كثيرة من شعب سور وسوار الكوفة (قرى وبساتين مهمة) وحمل إليها سماً فجعلته في طعامه ، فلما وضعته بين يديه قال: إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله على لقاء محمد سيد المرسلين ، وأبي سيد الوصيين ، وأمي سيدة نساء العالمين وعمي جعفر الطيار في الجنة ، وحمزة سيد الشهداء ! ودخل عليه أخوه الحسين ﷺ فقال: كيف تجد نفسك؟ قال: أنا في آخر يوم من

الدنيا وأول يوم من الآخرة ، على كره مني لفراقك وفراق إخوتي ، ثم قال: أستغفر الله ، على محبة مني للقاء رسول الله ﷺ أمير المؤمنين وفاطمة وجعفر وحزمة ؑ. ثم أوصى إليه وسلم إليه الاسم الأعظم وموارث الأنبياء ؑ التي كان أمير المؤمنين ؑ سلمها إليه ثم قال: يا أخي إذا مت فغسلني وحطني وكفني واحملني إلى جدي حتى تلحدني إلى جانبه ، فإن مُنعت من ذلك فبحق جدك رسول الله وأبيك أمير المؤمنين وأملك فاطمة الزهراء ؑ أن لاتخاصم أحداً واردد جنازتي من فورك إلى البقيع... الخ). وستأتي بقيتها في شهادته ؑ.

٣- الإمام الحسن ؑ يوصي أخاه محمد بن الحنفية

في الكافي: ٣٠١/١: عن الإمام الصادق ؑ قال: (لما حضرت الحسن بن علي الوفاة قال: يا قنبر أنظر هل ترى من وراء بابك مؤمناً من غير آل محمد ؑ؟ فقال: الله تعالى ورسوله وابن رسوله أعلم به مني ، قال: ادع لي محمد بن علي ، فأتيته فلما دخلت عليه قال: هل حدث إلا خير؟ قلت: أجب أبا محمد فعجل على شسع نعله فلم يسوه وخرج معي يعدو ، فلما قام بين يديه سلمَ فقال له الحسن بن علي: أجلس فإنه ليس مثلك يغيب عن سماع كلام يحيا به الأموات ويموت به الأحياء كونوا أوعية العلم ومصاييح الهدى فإن ضوء النهار بعضه أضوء من بعض ، أما علمت أن الله جعل ولد إبراهيم ؑ أئمة ، وفضل بعضهم على بعض ، وآتى داود ؑ زبوراً ، وقد علمت بما استأثر به محمداً .

يا محمد بن علي: إني لا أخاف عليك الحسد وإنما وصف الله به الكافرين ، فقال الله عز وجل: كَفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ، ولم يجعل الله عز وجل للشيطان عليك سلطاناً .

يا محمد بن علي، ألا أخبرك بما سمعت من أبيك فيك ؟ قال: بلى ، قال: سمعت أباك يقول يوم البصرة: من أحب أن يُرَبِّي في الدنيا والآخرة فليُربِّ محمداً ولدي ! يا محمد بن علي، لو شئت أن أخبرك وأنت نطفة في ظهر أبيك لأخبرتكَ .

يا محمد بن علي، أما علمت أن الحسين بن علي بعد وفاة نفسي ، ومفارقة روحي جسمي ، إماماً من بعدي ، وعند الله جل اسمه في الكتاب ، وراثته من النبي أضافها الله عز وجل له في وراثته أبيه وأمه فعلم الله أنكم خيرة خلقه ، فاصطفي منكم محمداً واختار محمد علياً واختارني علي بالإمامة واخترت أنا الحسين .

فقال له محمد بن علي: أنت إمام وأنت وسيلتي إلى محمد ﷺ والله لوددت أن نفسي ذهبت قبل أن أسمع منك هذا الكلام ، ألا وإن في رأسي كلاماً لا تنزفه الدلاء ولا تغيره نغمة الرياح ، كالكتاب المعجم في الرق المنمنم ، أهم يبدائه فأجدني سبقت إليه سبق الكتاب المنزل أو ما جاءت به الرسل ، وإنه لكلام يكل به لسان الناطق ويد الكاتب حتى لا يجد قلماً ، ويؤتوا بالقرطاس حمماً ، فلا يبلغ إلى فضلك وكذلك يجزي الله المحسنين ولا قوة إلا بالله . الحسينُ أعلمنا علماً ، و أثقلنا حلماً ، وأقربنا من رسول الله رحماً ، كان فقيهاً قبل أن يخلق ، وقرأ الوحي قبل أن ينطق ، ولو علم الله في أحد خيراً ما اصطفى محمداً ﷺ ، فلما اختار الله محمداً واختار محمد علياً واختارك علي إماماً واخترت الحسين ، سلمنا ورضينا . مَنْ بغيره يَرْضَى؟ ومن غيره نَسَلُمُ به من مشكلات أمرنا . انتهى.



وقد تقدم رد روايتهم بوصيته لأخيه الحسين عليه السلام بعدم الخروج على يزيد ! ومن الروايات التي مدّوا إليها أصابعهم ، زعمهم أن الإمام الحسين أصرَّ على أخيه الإمام الحسن عليه السلام أن يدلّه على من سقاه السم فأبى ، لأنه لا يعرفه بنحو جازم !

قال المزي في تهذيب الكمال: ٢٥١/٦: (وقال ابن عون ، عن عمير بن إسحاق: دخلت أنا ورجل من قريش على الحسن بن علي فقال فدخل المخرج (المبضاة) ثم خرج فقال: لقد لفظت طائفة من كبدي أقلبها بهذا العود ، ولقد سقيت السم مراراً وما سقيته مرة هي أشد من هذه . قال: وجعل يقول لذلك الرجل: سلني قبل أن لا تسألني ، قال: ما أسألك شيئاً يعافيك الله ، قال: فخرجنا من عنده ثم عدنا إليه من غد وقد أخذ في السَّوْق (الإحضار) فجاء حسين حتى قعد عند رأسه فقال: أي أخي من صاحبك ؟ قال: تريد قتله؟ قال: نعم ، قال: لئن كان صاحبي الذي أظن ، لله أشدُّ لي نعمة وإن لم يكن ما أحب أن تقتل بي بريئاً). (مصنف ابن أبي شيبة: ٦٣١/٨، وسير أعلام النبلاء: ٢٧٣/٣، وتاريخ دمشق: ٢٨٣/١٣، والإستيعاب: ٢٧٩، وطبعة أخرى: ٣٩٠/١، والسيرة الحلبية: ٣٦٠/٣، ومروج الذهب: ٦٥٨، وسمت النجوم العوالي: ٨٥٤، والجوهرة اللبري: ٥٦٤، ومقاتل الطالبين: ٤٨، والإرشاد: ١٦٢/٢، ومناقب آل أبي طالب: ٢٠٢/٣، وذخائر العقبى: ١٤١/١، والعدد القوية/ ٣٥٢، والبحار: ١٥٨/٤٤) .

أقول: لا يمكن قبول الفقرة الأخيرة من الرواية ، لأن معناها أن الإمام عليه السلام كان يظن ظناً بمن سمَّه ولا يجزم ! وأن الإمام الحسين عليه السلام لا يعرف عن القاتل شيئاً ! يريدون بهذا تبرئة معاوية ، لأن المقتول لم يتهمه ولا اتهم عملاء بل ظن ظناً !! ويكفي لرده عندنا عصمة الإمامين الحسنين عليه السلام وإضافتها إليها تصريح الإمام الحسن عليه السلام بأنه سيقتل بالسم بيد زوجته جعدة ، كما تقدم من الخرائج: ٢٤١/١ والمناقب: ١٧٥/٣، وكتاب سليم: ٣٦٣ .

ثم إن روايتهم هذه ترجع في كل مصادرهم الى عمير بن إسحاق بن يسار ، والفقرة الأخيرة منها مشكوكة لأن بعض المصادر كابن حجر في الإصابة: ٦٦/٢ ، رواها الى قوله: (فأبى أن يخبره) وليس فيها ذكر لظن الإمام الحسن عليه السلام وخوفه أن يقتل به برئ ! وقد اضطرب فيها ابن كثير في النهاية: ٤٦/٨ وصرح أن هذه الزيادة

وردت في رواية منفصلة قال: (وفي رواية.... وإن لم يكن ما أحب أن تقتل بي بريئاً).
على أنهم رووا مقابلها رواية عبدالله بن الحسن وليس فيها هذه الزيادة ولا معناها ، كما في أكثر المصادر المتقدمة كما في تهذيب الكمال: ٢٥٢/٦، عن عبدالله بن الحسن: (فلما حضرته الوفاة ، قال الطبيب وهو يختلف إليه: هذا رجل قد قطع السم أمعاءه فقال الحسين: يا أبا محمد خبرني من سقاك؟ قال: ولم يا أخي؟ قال: أفتله والله قبل أن أدفئك أو لا أقدر عليه أو يكمن بأرض أنكلف الشخصوص إليه . فقال: يا أخي، إنما هذه الدنيا ليال فانية دعه حتى التقى أنا وهو عند الله فأبى أن يسميه . قال: وقد سمعت بعض من يقول: كان معاوية قد تلطف لبعض خدمه أن يسقيه سماً). انتهى.

وروا نحوها عن قتادة ولم يذكر فيها ذلك أيضاً بل أشار الى اتهام معاوية: (فقال الحسين: من سقاك يا أخي؟ قال: ما سؤالك عن هذا أتريد أن تقتلهم؟ أكلهم إلى الله . فلما مات ورد البريد بموته على معاوية فقال: يا عجباً من الحسن شرب شربة من غسل بماء رومة ففضى نحبه) ! (الإستيعاب: ٣٩٠/١).

٤- ما رآه الإمام عليه السلام قرب موته

في تهذيب الكمال: ٢٥١/٦: (عن عمران بن عبد الله بن طلحة: رأى الحسن بن علي في منامه أنه مكتوب بين عينيه (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ففرح بذلك ، فبلغ سعيد بن المسيب فقال: إن كان رأى هذه الرؤيا ، ما بقي من أجله ! قال: فلم يلبث الحسن بعدها إلا أياماً حتى مات). (وتاريخ الخلفاء: ١٥٠/١١، وسبل الهدى: ٧٠/١١ وأنساب الأشراف: ٧٤٨ وفيه: فسنل سعيد بن المسيب فقال: يموت ، لأن القرآن حق فهذا مصير إلى الحق) .

٥- أخرجوني الى صحن الدار حتى أنظر في ملكوت السماوات !

في تهذيب الكمال: ٢٥٣/٦: (عن رقبة بن مصقلة: لما حُضِرَ الحسن بن علي

الموت قال: أخرجوا فراشي إلى صحن الدار حتى أنظر في ملكوت السماوات ، فأخرجوا فراشه فرفع رأسه إلى السماء فنظر ثم قال: اللهم إني أحتسب نفسي عندك فإنها أعز الأنفس عليّ . فكان مما صنع الله أن احتسب نفسه عنده). (وسير الذهبي: ٢٧٥/٣، وتاريخ دمشق: ٢٨٥/١٣، والنهاية: ٤٧/٨، وسبل الهدى: ٧٠/١١، ووفيات الأعيان: ٦٦/٢).

٦- ارتجّت المدينة لموت الإمام الحسن عليه السلام وضجّت بالبكاء

في سير أعلام النبلاء: ٢٧٦/٣: (عن الحسن بن محمد بن الحنفية قال: جعل الحسن يوعز للحسين: يا أخي إياك أن تسفك دماً فإن الناس سراع إلى الفتنة ! فلما توفي ارتجّت المدينة صياحاً فلا تلقى إلا باكياً . وأبرد مروان إلى معاوية بخبره وإنهم يريدون دفنه مع النبي (ص) ولا يصلون إلى ذلك أبداً وأنا حي). (وروى ارتجاج المدينة بالبكاء ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٢٩١/١٣، وكذا في ترجمة الإمام الحسن القسم غير المطبوع من طبقات ابن سعد: ٨٦).

٧- دعوة ضواحي المدينة الى تشييع الإمام عليه السلام

تاريخ دمشق: ٢٩٧/١٣ ، عن ابن سعد: (عن جهم بن أبي جهم قال: لما مات الحسن بن علي بعث بنو هاشم إلى العوالي صائحاً يصيح في كل قرية من قرى الأنصار بموت حسن ، فنزل أهل العوالي ، ولم يتخلف أحد عنه). (الطبقات: ٨٩).

٨- حاكم المدينة سعيد بن العاص وقف على الحياذ

في تاريخ دمشق: ٢٩١/١٣: (لما بلغ مروان بن الحكم أنهم قد اجتمعوا أن يدفنوا الحسن بن علي مع رسول الله (ص) جاء إلى سعيد بن العاص وهو عامل المدينة فذكر ذلك له فقال ما أنت صانع في أمرهم؟ فقال: لست منهم في شيء ، ولست

حائلاً بينهم وبين ذلك . قال: فخلني وإياهم . فقال: أنت وذاك . فجمع لهم مروان من كان هناك من بني أمية وحشمهم ومواليهم ! وبلغ ذلك حسيناً فجاء هو ومن معه في السلاح ليدفن حسناً في بيت النبي (ص) . انتهى .
وقد عرفت وسيأتي أن الإمام الحسين عليه السلام أوصى أن لا يراق من أجل دفنه محجمة دم ، وأن الإمام الحسين عليه السلام كان ملتزماً بذلك .

٩- الإمام الحسين يتولى مراسم جنازة أخيه الإمام الحسن عليه السلام

في جامع أحاديث الشيعة: ١٥٦/٣: (مصباح الأنوار عن زيد بن علي قال: غسل أمير المؤمنين عليه السلام رسول الله ﷺ وغسل أمير المؤمنين عليه السلام ولده (وغسل الحسن الحسين أخوه) ثم قال: بأبي وأمي من تولت الملائكة غسله .) (والبحار: ٣٠٩/٧٨ ، ومستدرک الوسائل: ٢٠٠/٢) وما بين قوسين فقرة نرجح أنها سقطت من النص .

وفي الإرشاد: ١٥٢/٢: (وتولى أخوه ووصيه الحسن عليه السلام غسله وتكفينه ودفنه عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رحمة الله عليها بالبقيع). (ونحوه في الخرائج: ٢٤٢/١ ، وإعلام الوری: ٤٠٣/١ ، والبحار: ١٣٧/٤٤ ، عن كشف الغمة):

وقد تقدم في أنه أوصى أخاه الحسن عليه السلام أن يغسله ويصلي عليه: (فلما مضى لسبيله غسله الحسن عليه السلام وكفنه وحمله على سريره ، ولم يشك مروان ومن معه من بني أمية أنهم سيدفونه عند رسول الله ﷺ فجمعوا له ولبسوا السلاح ، فلما توجه به الحسين بن علي إلى قبر جده رسول الله ﷺ ليجدد به عهداً أقبلوا إليهم في جمعهم).

وتقدم من الكافي: ٣٠٢/١: (فلما قبض الحسن عليه السلام وضع على سريره فانطلقوا به إلى مصلى رسول الله ﷺ الذي كان يصلي فيه على الجنائز فصلى على الحسين عليه السلام فلما أن صلى عليه حمل فأدخل المسجد) . انتهى . فتكون صلاة والي المدينة سعيد بن العاص في البقيع بعد صلاة الحسين عليه السلام .

١٠- الإمام الحسين عليه السلام يخرج بالجنائز إلى قبر النبي ﷺ

١- قال المفيد في الإرشاد: ١٨/٢: (فلما مضى لسبيله غسله الحسين عليه السلام وكفنه وحمله على سريريه ، ولم يشك مروان ومن معه من بني أمية أنهم سيدفونونه عند رسول الله ﷺ فاجتمعوا له ولبسوا السلاح ، فلما توجه به الحسين بن علي عليه السلام إلى قبر جده رسول الله ﷺ ليجدد به عهداً ، أقبلوا إليهم في جمعهم ولحقهم عائشة على بغل وهي تقول: مالي ولكم تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أحب . وجعل مروان يقول: يا ربَّ هيجا هي خيرٌ من دعة!) (أي حربٌ خيرٌ من سلم) أي دفن عثمان في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبي! لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف! وكادت الفتنة تقع بين بني هاشم وبني أمية فبادر ابن عباس إلى مروان فقال له: إرجع يا مروان من حيث جئت فإننا ما نريد أن ندفن صاحبنا عند رسول الله ﷺ لكننا نريد أن نجدد به عهداً بزيارته ، ثم نرده إلى جدته فاطمة عليها السلام فندفنه عندها بوصيته بذلك ، ولو كان وصيَّ بدفنه مع النبي ﷺ لعلمت أنك أقصر باعاً من ردنا عن ذلك ، لكنه عليه السلام كان أعلم بالله ورسوله وبحرمة قبره من أن يطرق عليه هداماً كما طرق ذلك غيره ودخل بيته بغير إذنه. ثم أقبل على عائشة فقال لها: واسوأناه! يوماً على بغل ويوماً على جمل ، تريدن أن تطفئي نور الله وتقاتلين أولياء الله ، إرجعي فقد كُفيت الذي تخافين وبلغت ما تحبين والله تعالى منتصر لأهل هذا البيت ولو بعد حين) (الإرشاد: ١٩/٢ ، ومعناه في الخرائج: ٢٤٢/١)

٢- وفي الكافي: ٣٠٠/١ ، عن الإمام الباقر عليه السلام من حديث: (فلما قبض الحسن عليه السلام وضع على السرير ثم انطلقوا به إلى مصلى رسول الله ﷺ الذي كان يصلي فيه على الجنائز فصلى عليه الحسين عليه السلام وحمل وأدخل إلى المسجد ، فلما أوقف

على قبر رسول الله ﷺ ذهب ذو العوينين (الجاسوس) إلى عائشة فقال لها: إنهم قد أقبلوا بالحسن ليدفونه مع النبي ﷺ فخرجت مبادرة على بغل بسرج ! فكانت أول امرأة ركبت في الإسلام سرجاً ! فقالت: نَحُوا ابنكم عن بيتي فإنه لا يدفن في بيتي ويُهتكَ على رسول الله ﷺ حجابهُ ! فقال لها الحسين ﷺ: قديماً هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله ﷺ وأدخلت عليه بيته من لا يحب قربه ، وإن الله سائلك عن ذلك يا عائشة) .

٣- وفي رواية أمالي الطوسي المتقدمة/١٥٨: (ثم خرجنا به حتى صلينا عليه في المسجد ، وإن الحسين ﷺ أمر أن يفتح البيت (الغرفة التي فيها القبر الشريف) فحال دون ذلك مروان بن الحكم وآل أبي سفيان ومن حضر هناك من ولد عثمان بن عفان ، وقالوا أيدفن أمير المؤمنين عثمان الشهيد القتل ظلماً بالبقيع بشرّ مكان ، ويدفن الحسن مع رسول الله ﷺ؟! والله لا يكون ذلك أبداً حتى تكسر السيوف بيننا ، وتنقصف الرماح ، وينفد النبل). انتهى.

٤- في دلائل الإمامة/١٦٠: (فوافى مروان) مسرعاً على بغلة حتى دخل على عائشة فقال لها: يا أم المؤمنين إن الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن عند قبر جده ، والله لئن دفنهُ معه ليذهبن فخر أبيك وصاحبه عمر إلى يوم القيامة ! فقالت له: فما أصنع يا مروان؟ قال: تلحقي به وتمنعيه من الدخول إليه . قالت: فكيف ألحقه؟ قال: هذا بغلي فاركبيه والحقي القوم قبل الدخول . فنزل لها عن بغله وركبته وأسرعت إلى القوم وكانت أول امرأة ركبت السرج هي ، فلحقتهم وقد صاروا إلى حرم قبر جدهما رسول الله ﷺ فرمت بنفسها بين القبر والقوم ، وقالت: والله لا يدفن الحسن ها هنا أو تحلق هذه وأخرجت ناصيتها (شعرها) بيدها !! وكان مروان لما ركبت بغلة جمع من كان من بني أمية وحثمهم ، فأقبل هو

وأصحابه وهو يقول: يا رب هيجا هي خير من دعة . أيدفن عثمان في أقصى البقيع ويدفن الحسن مع رسول الله ؟! والله ، لا يكون ذلك أبدا وأنا أحمل السيف . وكادت الفتنة تقع وعائشة تقول: والله ، لا يدخل داري من أكره .

فقال لها الحسين: هذه دار رسول الله ، وأنت حشية من تسع حشيات خلفهن رسول الله ، وإنما نصيبك من الدار موضع قدميك .

فأراد بنو هاشم الكلام وحملوا السلاح فقال الحسين: الله الله ، لاتفعلوا فتضيعوا وصية أخي ! وقال لعائشة: لولا أنه أوصى إلي ألا أهرق فيه محجمة دم لدفتها هاهنا، ولو رغم لذلك أنفك ! وعدل به إلى البقيع فدفنه فيه مع الغرباء .

وقال عبد الله بن عباس: يا حميراء كم لنا منك ؟! يوم على جمل ، ويوم على بغل ؟! فقالت: إن شاء أن يكون يوم على جمل ويوم على بغل ، والله ما يدخل الحسن داري ! انتهى.

أقول: هذه النصوص تدل بوضوح على أن الإمام الحسين ﷺ لم يقصد أساساً أن يدفن أخاه الإمام الحسن ﷺ عند جده ﷺ بل كان حريصاً على تنفيذ وصيته بدقة ، وهي أن يجدد به عهداً بجده ﷺ ولا يهرق بسبب دفنه محجمة دم ! وإنما أراد أن يزور بجنائزه قبر النبي ﷺ قبل دفنه حسب وصيته ، لكن مروان لفجوره ادعى أن الحسين ﷺ يريد ذلك ، فأقفل باب الحجرة النبوية الشريفة ومنعهم من زيارة قبر النبي ﷺ واستنفر ! ويبدو أن سبب تأخر الجنائزة في المسجد النبوي أن الإمام الحسين ﷺ وبني هاشم أصروا على زيارة جنازة الإمام الحسن لقبر جده ﷺ وأن استنفارهم ودعوتهم بحلف الفضول ، كانت من أجل فتح باب الحجرة النبوية . لكن رواية الخلافة كذبوا فقالوا إن بني هاشم أجمعوا على دفنه عند النبي ﷺ ! وإن الإمام الحسين ﷺ أمرهم بحفر قبر فاستنفر مروان !

ففي تاريخ دمشق: ٢٩١/١٣: (لما بلغ مروان بن الحكم أنهم قد أجمعوا أن يدفنوا الحسن بن علي مع رسول الله (ص) جاء إلى سعيد بن العاص وهو عامل المدينة فذكر ذلك له فقال: ما أنت صانع في أمرهم ؟ فقال: لست منهم في شيء ولست حائلاً بينهم وبين ذلك . قال: فخلني وإياهم ! فقال: أنت وذاك ! فجمع لهم مروان من كان هناك من بني أمية وحشمتهم ومواليهم ، وبلغ ذلك حسيناً فجاء هو ومن معه في السلاح ليدفن حسناً في بيت النبي (ص) وأقبل مروان في أصحابه وهو يقول: يا ربَّ هيجا هي خير من دعة ! أيدفن عثمان بالبقيع ويدفن حسن في بيت النبي (ص) والله لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف).

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٢٧٦/٣: (فانتهى حسين إلى قبر النبي (ص) فقال: إحفروا فنكب عنه سعيد بن العاص يعني أمير المدينة فاعتزل ، وصاح مروان في بني أمية ولبسوا السلاح ! فقال له حسين: يا ابن الزرقاء مالك ولهذا؟ أوأل أنت؟ فقال: لا تخلص إلى هذا وأنا حي ! فصاح حسين بحلف الفضول فاجتمعت هاشم وتيم وزهرة وأسد في السلاح ، وعقد مروان لواء وكانت بينهم مراماة .) انتهى.

وقول رواتهم إن بني هاشم أجمعوا أن يدفنوا الإمام الحسن (عليه السلام) مع النبي (صلى الله عليه وآله) وقولهم إن الإمام الحسين (عليه السلام) قال لهم: إحفروا هنا، من مكذوباتهم ليبرروا استنفارهم ويسجلوا على بني هاشم أنهم تراجعوا أمامهم وأمام قريش ، ولو مرة في التاريخ ! والصحيح أن بني هاشم كانوا مطيعين للإمام الحسين (عليه السلام) وكان هو ينفذ وصية أخيه بأن يجددوا عهده بقبر جده (صلى الله عليه وآله) ولم يصدر عن الحسين (عليه السلام) حرف بأنه يريد أكثر من ذلك ! بل قام بتسكيت بني هاشم وأنصارهم وكف سيوفهم وألستهم ، وأمرهم بالانتظار حتى يفتحوا باب الحجرة النبوية فيؤزروا الجنازة القبر الشريف وينطلقوا بها إلى البقيع . ولا بد أن بني أمية

ادعوا أن المفتاح عند عائشة وهي في بيتها ، فسعت شخصيات قريش بالتهدة حتى يأتوا بالمفتاح منها !

١١- مروان يركض الى عائشة مستنجداً ويأتي بها على بغل !

تقدمت روايته من دلائل الإمامة للطبري / ١٦٠ ، وقد وصفت رواية الكافي / ٣٠٢/١ عن الإمام الباقر عليه السلام الحادثة بدقة قال: (لما احتضر الحسن بن علي عليه السلام قال للحسين: يا أخي إني أوصيك بوصية فاحفظها: فإذا أنا مت فهيني ثم وجهني إلى رسول الله ﷺ لأحدث به عهداً ، ثم اصرفني إلى أمي فاطمة عليها السلام ثم ردني فادفني بالبيع ، واعلم أنه سيصيني من الحميراء ما يعلم الناس من صنيعتها وعداوتها لله ولرسوله ﷺ وعداوتها لنا أهل البيت ! فلما قبض الحسن عليه وضع على سريره فانطلقوا به إلى مصلى رسول الله ﷺ الذي كان يصلى فيه على الجنائز فصلى على الحسين عليه السلام فلما أن صلى عليه حمل فأدخل المسجد ، فلما أوقف على قبر رسول الله ﷺ بلغ عائشة الخبر وقيل لها: إنهم قد أقبلوا بالحسن بن علي ليدفن مع رسول الله ﷺ فخرجت مبادرة على بغل بسرج ! فكانت أول امرأة ركبت في الإسلام سرجاً ، فوقفت وقالت: نحو ابنكم عن بيتي ، فإنه لا يدفن فيه شيء ولا يهتك على رسول الله ﷺ حجاب ، فقال لها الحسين بن علي صلوات الله عليهما: قديماً هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله ﷺ وأدخلت بيته من لا يحب رسول الله ﷺ قربه ! وإن الله سائلك عن ذلك يا عائشة ! إن أخي أمرني أن أقربه من أبيه رسول الله ﷺ ليحدث به عهداً ، واعلمي أن أخي أعلم الناس بالله ورسوله ، وأعلم بتأويل كتابه من أن يهتك على رسول الله ﷺ ستره لأن الله تبارك وتعالى يقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ، وقد أدخلت أنت بيت رسول الله ﷺ الرجال بغير إذنه ! وقد قال الله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ، ولعمري لقد ضربت أنت لأبيك وفاروقه عند أذن رسول الله المعاول ! وقال الله عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ، ولعمري لقد أدخل أبوك وفاروقه على رسول الله بقربيهما منه الأذى ، وما رعيًا من حقه ما أمرهما الله به على لسان رسول الله ! إن الله حرم من المؤمنين أمواتاً ما حرم منهم أحياء ، وتالله يا عائشة لو كان هذا الذي كرهته من دفن الحسن عند أبيه رسول الله صلوات الله عليهما جائزاً فيما بيننا وبين الله ، لعلمت أنه سيدفن وإن رغم معطسك ! قال: ثم تكلم محمد بن الحنفية وقال: يا عائشة يوماً على بغل ، ويوماً على جمل ! فما تملكين نفسك ولا تملكين الأرض عداوة لبني هاشم !

قال: فأقبلت عليه فقالت: يا ابن الحنفية هؤلاء الفواطم يتكلمون فما كلامك ؟ فقال لها الحسين عليه السلام: وأنى تبعدين محمداً من الفواطم ، فوالله لقد ولدته ثلاث فواطم: فاطمة بنت عمران بن عائذ بن عمرو بن مخزوم ، وفاطمة بنت أسد بن هاشم ، وفاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد معيص بن عامر . قال فقالت عائشة للحسين عليه السلام: نَحْنُ ابْنُكُمْ واذهبوا به فإنكم قوم خصمون قال: فمضى الحسين عليه السلام إلى قبر أمه ثم أخرجه فدفنه بالبقيع) . انتهى .

وهذا يدل على أمور مهمة ، نكتفي منها بثلاثة:

الأول ، أن بيتها كان بعيداً عن القبر الشريف وإلا لما احتاجت الى الركوب . فقد شهدت المدينة بعد الفتوحات حركة عمران واسعة نصت عليها الآثار ، وانتقل أكثر سكان محلاتها المكتظة الى بيوت جديدة واسعة . وقد تقدم أن عائشة باعت بيتها هذا أو غيره الى معاوية بمئة وثمانين ألفاً . وهو غير حجرتها أيضاً لأنها أوصت بها الى عبدالله بن الزبير كما تقدم . وحجرتها هذه غير الحجره

النبوة لأنها لا يمكن أن تبيعها أو توصي بها إلى أحد !

الثاني ، أن قول الإمام الحسين عليه السلام : (و تالله يا عائشة لو كان هذا الذي كرهته من دفن الحسن عند أبيه رسول الله صلوات الله عليهما جائزاً فيما بيننا وبين الله لعلمت أنه سيدفن وإن رغم معطسك) يدل على دفن الإمام الحسن عليه السلام إلى جنب النبي ﷺ لم يكن جائزاً في ذلك الوقت بسبب وصية الإمام الحسن عليه السلام والضرر الذي يترتب من فتح المعركة مع معاوية ، وإلا فهو جائز لعتره النبي ﷺ والإمام الحسين عليه السلام هو المتولي الشرعي للقبر الشريف .

كما يدل قوله عليه السلام لعائشة : (لقد ضربت أنت لأبيك وفاروقه عند أذن رسول الله ﷺ والمعاول) على وجود حكم خاص للحفر والتصرف عند قبر النبي ﷺ .

والثالث ، أن الإمام الحسن عليه السلام يوص بدفنه إلى جنب جده ﷺ ولا أراد الإمام الحسين عليه السلام ذلك ، لكن السلطة استنفرت فجوراً وعداء لأهل البيت عليه السلام !

والسؤال: ما هو السبب الحقيقي لتغير رأي عائشة إلى النفيض؟ فبعد أن قالت كما رووا عنها: (نعم ، بقي موضع قبر واحد قد كنت أحب أن أدفن فيه ، وأنا أؤثرك به). (تاريخ دمشق: ٢٨٩/١٣) (قالت: نعم وكرامة). (سير أعلام النبلاء: ٣/٢٧٧) .

ثم نقضت كلامها وأتت من بيتها مسرعة على بغل وقالت: (والله إنه لبيتي أعطانيه رسول الله في حياته ! وما دفن فيه عمر وهو خليفة إلا بأمري ، وما آثر علي عندنا بحسن). (لا يكون أبداً ، يدفن ببيقع الغرقد ولا يكون لهم رابعاً !) (تاريخ دمشق: ٢٩٣/١٣) .

والجواب: أن معاوية هو الذي فتح المعركة وأدارها ، وعين مروان قائداً لأنه يتميز بحقده على بني هاشم أكثر من حاكم المدينة سعيد ! ولا بد أنه أرسل إلى عائشة تهديداً وتطميحاً ، فتراجعت .

والسؤال: لماذا لم تكتف عائشة بالتراجع ، وتترك مواجهة بني هاشم للدولة ومروان ، خاصة أن بني أمية استنفروا مع لَقْهَم من مرتزقة ! ولماذا أقفلت الحجرة النبوية وذهبت الى بيتها ، ولم تثق بكلام الحسين عليه السلام وهي تعرف أنه صادق ؟

الجواب: أنهم تعمدوا قفل الحجرة النبوية وأخذت عائشة المفتاح ، ولما رأى مروان إصرارهم على زيارة الجنازة للقبر الشريف خاف أن يدفنه عند النبي صلى الله عليه وآله وذهب وأتى بعائشة لتواجههم ويكون هو من ورائها ! لقد كان مروان حريصاً لتبييض وجهه مع معاوية على تصوير الأمر كأنه معركة كاملة ، وكان في نفس الوقت خائفاً ! فركض مسرعاً الى منزل عائشة البعيد عن المسجد وجاء بها على بغله وصور لها كما صور لمعاوية أن بني هاشم مصرون على دفن الإمام الحسن عليه السلام عند جده صلى الله عليه وآله بالقوة، وأنه البطل الذي وقف وأجرهم على التراجع ! والسؤال الثالث: إن عائشة من بني تيم ، وهم عضو في حلف الفضول مع بني هاشم وبني زهرة وبني أسد بن عبد العزى . وقد دعا الإمام الحسين عليه السلام بحلف الفضول لمساعدته على دفع ظلم بني أمية ، فاستجاب له بنو زهرة بقيادة المسور بن مخرمة ، وبنو ليث بقيادة جعونة بن شعوب ، فلماذا لم يستجب بنو تيم بقيادة أحد أبناء أبي بكر أو أبناء طلحة ووقف عائشة ضد تحالفها الطبيعي الشرعي؟!

والجواب: أن أبناء السلطة يتكلمون بالقيم القبلية والعربية ، لكن إذا جدَّ الجد وتعارضت مصلحتهم السياسية معها يسحقونها بأقدامهم ! وأكبر دليل على ذلك أن الإعتداء على المرأة عارٌ عند جميع قبائل العرب ، ورسول الله صلى الله عليه وآله أقدم شخصية عند العرب ، ومع ذلك تجرؤوا على ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وعترته ونسائه ! وقد ادعى الحارث التيمي في رواية الطبقات في ترجمة الإمام الحسن عليه السلام ٨٨/

(قال: حضرت بنو تيم يومئذ حين دعا الحسين بن علي بحلف الفضول). انتهى.

ولو كان ذلك صحيحاً لرأيت الروايات تصف شجاعة أبناء طلحة وأبناء أبي بكر ومن معهم ! لكن بني تيم وضعوا هذه الرواية ليجمعوا بين النقيضين بين تقربهم الى معاوية بقيادة عائشة للمعركة الى جنب مروان ، وبقائهم في حلف الفضول حتى لا ينفوا منه ويخسروا شرفه العظيم ! وهو الذي حصل !

١٢- محاولتهم نفي ركوب عائشة البغلة

اشتهرت قصة ركوب عائشة البغلة في مصادر الطرفين ، بقول محمد بن الحنفية: (يا عائشة يوماً على بغل ، ويوماً على جمل ، فما تملكين نفسك ولا تملكين الأرض عداوة لبني هاشم ! قال: فأقبلت عليه فقالت: يا ابن الحنفية هؤلاء الفواطم يتكلمون فما كلامك؟!). (الكافي: ٣٠٢/١). وبقول ابن عباس كما في الخرائج: ٢٤٣/١: (وا سواتاه ! يوماً على بغل ويوماً على جمل! وفي رواية: يوماً تجملت ، ويوماً تبغلت ، وإن عشت تفيلت . فأخذه ابن الحجاج الشاعر البغدادي فقال:

أيا بنت أبي بكر فلا كان ، ولا كنت
تجملت تبغلت وإن عشت تفيلت
لك التسع من الثمن وبالكل تملكيت).

وفي بهجة المجالس لابن عبد البر/٣٤: (لما مات الحسن أرادوا أن يدفنوه في بيت رسول الله (ص) فأبى ذلك عائشة وركبت بغلة وجمعت الناس ! فقال لها ابن عباس: كأنك أردت أن يقال: يوم البغلة كما قيل يوم الجمل! قالت: رحمك الله ذاك يوم نسي ! قال: لا يوم أذكرُ منه على الدهر).

واشتهر ركوبها على بغلة بموقف ابن أخيها القاسم بن محمد بن أبي بكر: (وقالت: بيتي لا آذن فيه لاحد . فأتاها القاسم بن محمد بن أبي بكر ، فقال لها: يا عمة ! ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر ، أتريدين أن يقال يوم البغلة الشهباء!)

(اليقوبي: ٢٢٥/٢) وفي علل الشرائع: ٢٢٥/١: قال الإمام الصادق عليه السلام: (أول امرأة ركب البغل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عائشة ! جاءت إلى المسجد فمنعت أن يدفن الحسن بن علي مع رسول الله صلى الله عليه وآله).

وروى بخاري في كتاب الكنى/ ٥ ، تعليقاً لاذعاً لابن عباس لما رأى عائشة ركضت بها بغلتها في المسمى وخرجت عن سيطرتها ، قال: (عن أبي إدريس العبدى رأى عائشة تسعى بين الصفا والمروة على بغل أو بغلة فجالت بها البغلة ! فقال ابن عباس: كان يوم البغلة)! انتهى. وذكرته مصادر أخرى .

ومع ذلك حاولوا تغطية بغلة أم المؤمنين فأبهموا قصتها وقالوا: (وقع بين حيين من قريش منازعة فخرجت عائشة على بغلة فلقىها ابن أبي عتيق فقال: إلى أين جعلت فداك؟ فقالت: أصلح بين هذين الحيين . قال: والله ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل ، فكيف إذا قيل يوم البغل؟! فانصرفت) ! (نثر الدرر للأبي ١٣٣٧، والتذكرة الحمدونية/ ٢٢٢٥ ، ووفيات الأعيان: ١٧/٣) . وزعم الزبير بن بكار أن خالة جده عائشة ركب البغلة لتصلح بين غلمان اقتتلوا ! ورواها عنه في تهذيب الكمال: ١٦/ ٦٦٧ قال: (اقتتل غلمان عبد الله بن عباس وغلمان عائشة فأخبرت عائشة بذلك ، فخرجت في هودج على بغلة فلقىها ابن أبي عتيق فقال: أي أُمي جعلني الله فداك أين تريدان؟ قالت: بلغني أن غلماني وغلمان ابن عباس اقتتلوا ، فركبت لأصلح بينهم . فقال: يُعتق ما يملك إن لم ترجعي . قالت: يا بني ما الذي حملك على هذا؟ قال: ما انقضى عنا يوم الجمل حتى تريدي أن تأتينا بيوم البغلة؟!) . (وتاريخ دمشق: ٢٤٠/٣٢ ، والتحفة اللطيفة للسخاوي: ٨٢/٢ ، ومثله ابن حجر في تهذيب التهذيب: ١٠٧/٦ قال: (البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه) عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق المعروف بابن أبي عتيق . روى عن عمه أبيه عائشة وعن ابن عمر) ثم ذكر رواية البغلة !)

بينما جعلتها رواية في أنساب الأشراف/ ٢٥٣٤ ، نكتة من ابن عتيق قال: (بعثت

عائشة إلى ابن أبي عتيق تسأله أن يعيرها بغلة له لترسل عليها رسولاً في حاجة لها فقال لرسولها: قل لها والله ما غسلنا رؤوسنا من عار يوم الجمل أفمن رأيك أن تأتينا بيوم البغلة؟! انتهي. وإن صحت فهي بغلة أخرى غير بغلة مروان!

○ ○

أما الجاحظ والآلوسي وأمثالهما ، فرأوا أنه لا يمكن تغطية البغلة ! فأنكروا الحادثة من أساسها ، فروى الجاحظ في رسائله/٢٣٨ ، وفي كتابه: البغال/٤ ، قصة ركوبها على البغلة لتصلح بين حيين من قريش ! ثم قال: (هذا حفظك الله حديث مصنوع ومن توليد الروافض فظن الذي ولّد هذا الحديث أنه إذا أضافه إلى ابن أبي عتيق وجعله نادرة وملحة أنه سيشتع ويجري عند الناس مجرى الخبر عن أم حبيبة وصفية . ولو عرف الذي اخترع هذا الحديث طاعة الناس لعائشة لما طمع في جواز هذا عنه). انتهى. يقصد الجاحظ أن الناس يطيعون عائشة ولاحتاج الى ركوب ! لكن كلامه لو صح لاينفي حاجتها الى الحضور لمنع القتال المفروض ، فقد احتاج الى ذلك النبي ﷺ عندما أوقع اليهود الفتنة بين حيين من الأنصار وتواعدوا الحرب في الحرة . (سيرة ابن هشام:٩٤/٣).

وقال الآلوسي في تفسيره:٧/٢٢: (ولهم) (الشيعه) في هذا الباب أكاذيب لايعول عليها ولايلتفت أريب إليها ، منها أن عائشة أذنت للحسن حين استأذنها في الدفن في الحجرة المباركة ، ثم ندمت بعد وفاته وركبت على بغلة لها وأتت المسجد ومنعت الدفن ورمت السهام على جنازته الشريفة الظاهرة وادعت الميراث . وأنشأ ابن عباس يقول: تجملت تبلغت.. وإن عشت تفيلت.. لك التسع من الثمن.. فكيف الكل ملكت ! وركاكة هذ الشعر تنادي بكذب نسبته إلى ذلك الحبر رضي الله تعالى عنه ! وليت شعري أي حاجة لها إلى الركوب ومسكنها

كان تلك الحجرة المباركة فلو كانت بصدد المنع لأغلقت بابها). انتهى.
أقول: عدم الإنصاف واضح في كلامه ، فقد نسب رواية البغلة الى الشيعة مع أن روايتها من الفريقين ، ثم أنكر إذن عائشة ورجوعها عنه وقد روى ذلك السنة ! وزعم أن الحجرة النبوية هي حجرة عائشة ومسكنها والدليل على عكسه كما عرفت ! ثم كسر البيت الثاني ورَّكَّه ، وزعم أن الشيعة نسبت البيتين الى ابن عباس ، مع أن أحداً لم ينسبهما اليه ! وقد رأيت رواية الخرائج وأن ابن عباس قال: (يوماً تجملت ، ويوماً تبغلت ، وإن عشت تفيلت . فأخذني ابن الحجاج الشاعر البغدادي فقال...) انتهى. وقد زاد عليهما شاعر آخر هو الصقر البصري فقال:

أَيَا بَنْتَ أَبِي بَكْرٍ	فَلَا كَانَ وَلَا كُنْتُ
تَجَمَّلْتُ تَبَغَّلْتُ	وَلَوْ عَشْتُ تَفَيَّلْتُ
لَكَ التَّسَعُ مِنَ الثَّمَنِ	فَبِالْكُلِّ تَحَكَّمْتُ
وَيَوْمَ الْحَسَنِ الْهَادِي	عَلَى بَغْلِكَ أَسْرَعْتُ
وَمَا يَنْتُ وَمَا نَعْتُ	وَخَاصَمْتُ وَقَاتَلْتُ
وَفِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ	بِالظَّلْمِ تَحَكَّمْتُ
هَلْ الزَّوْجَةُ أَوْلَى	بِالْمَوَارِيثِ مِنَ الْبَنْتِ

(بتصرف من مناقب آل أبي طالب: ٣/٢٠٤)

١٣- أبو هريرة وأبو سعيد الخدري يواجهان مروان وعائشة !

في سير أعلام النبلاء: ٣/٢٧٧ ، عن مساور مولى بني سعد بن بكر قال: (رأيت أبا هريرة قائماً على مسجد رسول الله (ص) يوم مات الحسن بن علي يبكي وينادي بأعلى صوته: يا أيها الناس مات اليوم حبُّ رسول الله فابكوا) . (وتهذيب الكمال: ٦/ ٢٥٥ ، وتاريخ دمشق: ١٣/٢٩٥ ، وتهذيب التهذيب: ٢/٢٦٠).

وفي سير أعلام النبلاء: ٣/٢٧٥: (فقال أبو هريرة: أرأيتم لو جئ بآبن موسى

ليدفن مع أبيه فمنع ، أكانوا قد ظلموه؟ فقالوا: نعم . قال: فهذا ابن نبي الله (ص) قد جئ ليدفن مع أبيه). (وتاريخ دمشق: ٢٨٨/١٣، وتهذيب التهذيب: ٢٥٤/٦، وترجمة الإمام الحسن عليه السلام من الطبقات/ ٨٥).

وفي أنساب الأشراف للبلاذري/ ٧٤٩: (وقال أبو سعيد الخدري وأبو هريرة لمروان: تمنع الحسن من أن يدفن مع جده ! وقد قال رسول الله: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة؟! فقال مروان: لقد ضاع حديث رسول الله إن كان لا يرويه إلا مثلك ومثل أبي هريرة). انتهى.

وقد تجرأ أبو هريرة وناقش عائشة كيف رضيت بدفن الإمام الحسن عليه السلام مع جده ﷺ ثم حركها معاوية ومروان فتراجعت ! فقال أبو هريرة: (أتنفسون على ابن نبيكم ﷺ بتربة تدفونه فيها وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني. هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه). (وتاريخ دمشق: ٢٩٤/١٣ ، وسنن البيهقي: ٢٩/٤ ، وتهذيب التهذيب: ٢٦٠/٢، وأحكام الجنائز للألباني/ ١٠٠، وقال: أخرجه الحاكم (١٧١/٣) والبيهقي (٢٨/٤) وزاد في آخره: فقال أبو هريرة أتنفسون على ابن نبيكم بتربة تدفونه فيها وقد سمعت رسول الله يقول: من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني . وأخرجه أحمد أيضاً (٥٣١/٢) بهذه الزيادة ولكنه لم يسق قصة تقديم سعيد للصلاة وإنما أشار إليها بقوله: فذكر القصة . ثم قال الحاكم: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي. والحديث أورده الهيثمي في المجمع (٣/ ٣١) بتمامه مع الزيادة ثم قال: رواه الطبراني في (الكبير) والبرار ورجاله موثقون). انتهى.

ثم ناقش الألباني الحافظ لأنه ضعفه في التلخيص (٢٧٥/٥) بأحد رواته سالم بن أبي حفصة .

وكان أبو هريرة يروي موقفه يوم شهادة الإمام الحسن عليه السلام فيقول: (قاتل الله مروان قال: والله ما كنت لأدع ابن أبي تراب يدفن مع رسول الله وقد دفن عثمان بالبقيع

فقلت: يا مروان إتق الله ولا تقل لعلي إلا خيراً فأشهد لسمعت رسول الله (ص) يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحبه الله ورسوله ليس بفرار . وأشهد لسمعت رسول الله (ص) يقول في حسن: اللهم أني أحبه فأحبه وأحب من يحبه ! قال مروان: إنك والله أكثرت على رسول الله الحديث فلا نسمع منك ما تقول ، فهل غيرك يعلم ما تقول؟ قال قلت: هذا أبو سعيد الخدري ! قال مروان: لقد ضاع حديث رسول الله حين لا يرويه إلا أنت وأبو سعيد الخدري ، والله ما أبو سعيد الخدري يوم مات رسول الله إلا غلام ! ولقد جئت أنت من جبال دوس قبل وفاة رسول الله بيسير فأتق الله يا أبا هريرة ! قال قلت: نعم ما أوصيت به ، وسكت عنه). (تاريخ دمشق: ١٣/ ٢٨٨ ، ورواه ابن سعد في ترجمة الإمام الحسن عليه السلام / ٩٢ ، وبترة الذهبي في سيره: ١٢٧٥/٣). وهو يدل على استهانة السلطة بأبي هريرة وأبي سعيد وعدم ثقتهما بهما ، لكنها في نفس الوقت تبنتهما لرواية أحاديثها ! وقد مرَّ عتب مروان على أبي هريرة بقوله: (ما وجدت عليك في شيء منذ اصطحبنا إلا في حبك الحسن والحسين) ! فأجابه أبو هريرة بحديث نبوي في فضلهما عليه السلام . (تهذيب الكمال: ٢٣٠/٦).

وفي العقد الفريد/١٠٧٦: (وقال أبو هريرة لمروان: علام تمنع أن يدفن مع جده فلقد أشهد أني سمعت رسول الله (ص) يقول: الحسن والحسين سيदा شباب أهل الجنة . فقال له مروان: لقد ضيع الله حديث نبيه إذ لم يروه غيرك . قال: أما إنك إذ قلت ذلك ، لقد صحبته حتى عرفت من أحب ومن أبغض ومن نفى ومن أقر ، ومن دعا له ومن دعا عليه). (أنساب الأشراف/ ١٦٣ وفي طبعة ٧٤٨ ، وشرح النهج: ١٤/١٦). ونحوه في ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من الطبقات/ ٩٣ ، وتاريخ دمشق: ١٥٧/١٠). وهذا أقصى مواجهة أبي هريرة لمروان ، فقد عرض بمروان أنه وأباه ملعونان على لسان رسول الله ﷺ وأنه طردهما ونفاهما من المدينة !

١٤- الإمام الحسين عليه السلام يستنفر حلفاء بني هاشم بحلف الفضول !

اعترف عدد من علماء الخلافة بحلف الفضول أو حلف المطيبين وأن شرعيته مستمرة . (مجموع النووي: ٣٨٤/١٩ ، وتهذيب الأسماء: ١٨١/٣ ، وغيرهما). أما سياسة الخلافة القرشية فهي التهوين من هذا الحلف والتعتيم على أحاديثه ونصوصه الكثيرة وحذفها إن استطاعت من التاريخ والفقه ! والسبب أنه حلف لبني هاشم وبني المطلب ، ومعهم ثلاث قبائل: بنو زهرة ، وبنو الحارث بن فهر ، وبنو تيم .

(شرح النهج: ١٢٩/١٤). ومعهم بنو ليث من عامر بن صعصعة . (الأنساب للسماعاني: ٤٢٣/٤).

وموضوعه: حماية مكة المكرمة ومنع الظلم فيها ، وحماية الضعيف حتى يأخذ حقه أيّاً كان الظالم والمظلوم . وسمي حلف الفضول لأن عبد المطلب عليه السلام أرادوه امتداداً لحلف قديم لأبناء إسماعيل وأخوالهم من جرهم من أجل حماية البيت ومنع الظلم فيه: (وغمسوا أيديهم في الطيب وتحالفوا وتصافقوا بأيمانهم ولذلك سموا المطيبين وسموا الحلف حلف الفضول ، تشبيهاً له بحلف كان بمكة أيام جرهم على التناصيف ، قام به رجال من جرهم يقال لهم: الفضل بن الحارث والفضيل بن وداعة والفضيل بن فضالة). (أن قوماً من جرهم يقال لهم فضل وفضالة وفضل تحالفوا على مثل هذا في أيامهم ، فلما تحالفت قريش هذا الحلف سموا بذلك). (سنن البيهقي: ٣٦٧/٦ ، وفتح الباري: ٣٨٧/٤ ، ومجموع النووي: ٣٨٤/١ ونهاية الإرب: ٣٢٨٦ ، والأغاني: ٣٠٠/١٧ ، والفايق للزمخشري: ٣١٢/٢).

وفي مقابله (حلف لعقة الدم) أو (حلف الأحلاف) برئاسة بني عبد الدار وأربع قبائل: بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي بن كعب . (شرح النهج: ١٢٩/١٤). وموضوعه: التناصر القبلي والشخصي ظالماً أو مظلوماً ، في مقابل المطيبين وغيرهم ، ولا علاقة لحلفهم بحرمة الكعبة وحمايتها ونصرة المظلوم !

قال اليعقوبي في تاريخه: ٢٤٨/١: (ولما رأت قريش أن عبد المطلب قد حاز الفخر طلبت أن يحالف بعضها بعضاً ليعزّوا ، وكان أول من طلب ذلك بنو عبد الدار لما رأت حال عبد المطلب ، فمشت بنو عبد الدار إلى بني سهم فقالوا: إمنعونا من بني عبد مناف... فتطيب بنو عبد مناف (وأسد) وزهرة ، وبني تيم ، وبني الحارث بن فهر ، فسموا حلف المطيبين . فلما سمعت بذلك بنو سهم ذبحوا بقرة وقالوا: من أدخل يده في دمها ولحق منه فهو منا ! فأدخلت أيديها بنو سهم وبني عبد الدار ، وبني جمح ، وبني عدي ، وبني مخزوم ، فسموا اللعقة) . انتهى .

وفي المنمق لا بن حبيب/ ٣٣: (فأخرجت عاتكة بنت عبد المطلب جفنة فيها طيب ، فغمسوا أيديهم فيه فسموا المطيبين ، ونحر الآخرون جزراً فغمسوا أيديهم في دمها فسموا الأحلاف ولعقة الدم ، لأن الأسود بن حارثة العدوي لعق من الدم ولعقت معه بنو عدي ! فلما كادوا يفشلون عُيِّيت كل قبيلة لقبيلة ، فعبيت بنو عبد مناف لبني سهم ، وبني عبد الدار لبني أسد ، وبني مخزوم لبني تيم ، وبني جمح لبني زهرة ، وبني عدي لبني الحارث بن فهر ، ثم إنهم مشوا في الصلح على أن تعطى بنو عبد مناف السقاية وبني أسد الرفادة وترك الحجابة والندوة واللواء لبني عبد الدار) . وفي المعبر لابن حبيب/ ١٦٧: (ثم تناهدوا للقتال فمشت السفراء بينهم حتى اصطلحوا على أن لبني عبد مناف السقاية والرفادة ، ولبني عبد الدار بن قصي اللواء والحجابة) . انتهى .

أقول: تقرأ بين السطور القرشية أن عبد المطلب استطاع أن يواصل عمل عمه المطلب وجده هاشم رضي الله عنهم ، فصار سيد مكة والعرب ووضع حداً لطغيان بني عبد الدار وأمثالهم من قبائل قريش ، وظلمهم للناس خاصة في موسم الحج ، فكانت ردة فعلهم أنهم تحالفوا ضده مع بني سهم فبادر هو الى حلف

المطيين ، وأجابوه هم بحلف لعقة الدم ، وتهيؤوا لقتاله !

وفي عام حرب الفجار ضجَّ التجار والحجاج من اليمن وغيرها من ظلم بعض قبائل لعقة الدم خاصة بني سهم وكانت لهم قصص في الظلم ، حتى أن أحد بني زيد صعد جبل أبي قبيس وصاح شعراً يستنكر ظلم العاص بن وائل السهمي له وأكله لثمن بضاعته جهاراً نهاراً ، وقد ناصره زعماء قريش من بني عبد الدار وغيرهم ! (فأعظم الزبير بن عبد المطلب ذلك وقال: يا قوم إني والله لأخشى أن يصيبنا ما أصاب الأمم السالفة من ساكني مكة فمشى إلى ابن جدعان وهو يومئذ شيخ قريش فقال له في ذلك وأخبره بظلم بني سهم وبغيهم). (الأناعي: ٢٩٩/١٧).

وجمع الزبير رؤساء قبائل حلف الفضول في دار ابن جدعان وجدده ، وحضر الجلسة النبي ﷺ وكان عمره الشريف عشرين سنة ، وقال عنه: (شهدت حلف المطيين مع عمومتي وأنا غلام فما أحب أن لي به حمر النعم). (مسند أحمد: ١٩٠/١) ومستدرك الحاكم: ٢٢٠/٢ ، وصححه ، وسنن البيهقي: ٣٦٧/٦ ، والطبقات: ١٢٨/١ ، وأدب البخاري/ ١٢٥ ، الآحاد والمثاني للضحاك: ٤٩/١ ، وصحيح ابن حبان: ٢١٦/١٠ ، ومسند أبي يعلى: ١٥٧/٢ ، وصححه ، وفتح الباري: ٤١٩/١٠ ، ومسند الشاشي: ٢٧١/١ ، وتهذيب الأسماء: ١٨١/٣ ، وسير الذهبي: ١٧٠/١٢ ، وأنساب الأشراف: ١١ ، واليعقوبي: ٢٤٨/١ ، و: ١٧/٢ ، والتنبيه والإشراف: ١٨٠ ، وسيرة ابن كثير: ١٠١/١ ، و٢٥٧ ، وأخبار مكة للفاكهي: ١٧٥/٥ والمنق: ٥٢ ، و١٨٦ ، والفايق للزمخشري: ٣١٢/٢ وفيه: وفي رواية: لقد شهدت في دار ابن جدعان حلفاً لو دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت). انتهى. قال ابن تيمية في قاعدة في المحبة: ١٢٤: (والتحالف عام لبني آدم وهم في جاهليتهم تارة يتحالفون تحالفاً يحبه الله كما قال النبي (ص): لقد شهدت حلفاً مع عمومتي في دار عبد الله بن جدعان ما يسرني بمثله حمر النعم ، أو قال ما يسرني حمر النعم وأن أنقضه ، ولو دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت).

وقال ابن قيم في حاشيته: ١٠١/٨: (فهذا والله أعلم هو حلف المطيين حيث

تحالفت قريش (!) على نصر المظلوم وكف الظالم ونحوه). انتهى.

وقد اضطر الخلفاء بعد النبي ﷺ بسبب مدحه لحلف الفضول وتأكيده على شرعيته واستمراره ، أن يأخذوه في اعتبارهم في تدوين قبائل العرب في ديوان العطاء ، فبدؤوا ببني هاشم ثم بقبائل حلف الفضول ثم بقية قريش ! (الأم للشافعي: ٤/ ١٦٦ ، وسنن البيهقي: ٣٦٤/٦ ، والنووي: ٣٨١/١٩ ، وستعرف أن بني أسد ليسوا من حلف الفضول).

١٥- هدف الإمام الحسين عليه السلام من إحياء حلف الفضول

أحيا الإمام الحسين عليه السلام حلف الفضول في ظلامتين تعرض لهما: أولاهما أن معاوية كان من سياسته إفقار بني هاشم فأراد والي المدينة ابن أخيه السيطرة على بستان كبير كان استنبط ماءه وأنشأه أمير المؤمنين عليه السلام في وادي القرى (تيماء) ! قال مصعب بن عمير: (خرج الحسين من عند معاوية فلقي ابن الزبير والحسين مغضب فذكر الحسين أن معاوية ظلمه في حق له فقال له الحسين: أخيره في ثلاث خصال والرابعة الصلیم (الحرب): أن يجعلك أو ابن عمر بيني وبينه ، أو يقر بحقي ثم يسألني فأهبه له ، أو يشتريه مني ! فإن لم يفعل فوالذي نفسي بيده لأهتفن بحلف الفضول ! فقال ابن الزبير: والذي نفسي بيده لئن هتفت به وأنا قاعد لأقومنّ ، أو قائم لأمشين ، أو ماش لأشتدن ، حتى تفنى روحي مع روحك ، أو ينصفك ! قال: ثم ذهب ابن الزبير إلى معاوية فقال: لقيني الحسين فخيرني في ثلاث خصال والرابعة الصلیم ! قال معاوية: لا حاجة لنا بالصليم إنك لقيته مغضباً فهات الثلاث خصال، قال: تجعلني أو ابن عمر بينك وبينه ، فقال قد جعلتك بيني وبينه أو ابن عمر أو جعلتكما جميعاً ، قال: أو تقر له بحقه وتسأله إياه ، قال فأنا أقر له بحقه وأسأله إياه ، قال: أو تشتريه منه ، قال: فأنا أشتريه منه ! قال: فما انتهى إلى الرابعة ، قال لمعاوية كما قال للحسين إن دعاني إلى حلف الفضول أجبته !

قال معاوية: لا حاجة لنا بهذه). (تاريخ دمشق: ١٨٠/٥٩، وأنساب الأشراف/ ١٤).

أقول: هدف ابن الزبير من حماسته للإمام الحسين عليه السلام أن يثبت أن قبيلته بني أسد عبد العزى عضو في حلف الفضول ، والصحيح أنهم ليسوا منه ففي التذكرة الحمدونية/ ٦١٠، ونحوه في الأغاني: ٣٠٠/١٧: (فتحالف بنو هاشم وبنو المطلب وبنو زهرة وبنو تميم: بالله إنا ليدٌ واحدة على الظالم حتى يَرُدَّ الحق ، وخرجت سائر قريش من هذا الحلف . إلا أن ابن الزبير ادعاه لبني أسد في الإسلام . وسأل معاوية جبير بن مطعم عن دعوى ابن الزبير في ذلك فقال جبير: هذا هو الباطل) !

والحادثة الأهم عندما منعه أن يزور بجنازة أخيه عليه السلام قاتل النبي ﷺ! ومعنى ندائه عليه السلام بحلف الفضول أنه وقف وشهر سيفه ونادى: يا لحلف الفضول ، أو نادى: يا أصحاب حلف الفضول . فهذه عادة العرب في الدعوة بالحلف .

وقد بينت رواياتهم من استجاب له ففي تاريخ دمشق: ٢٩١/١٣: (وصاح مروان في بني أمية ولقُّها وتلبسوا السلاح وقال مروان: لا كان هذا أبداً! فقال له حسين: يا ابن الزرقاء ما لك ولهذا أوأل أنت؟ قال: لا كان هذا ولا يخلص إليه وأنا حي! فصاح حسين بحلف الفضول فاجتمعت بنو هاشم ، وقيم ، وزهرة ، وأسد ، وبنو جعونة بن شعوب من بني ليث قد تلبسوا السلاح . وعقد مروان لواء ، وعقد حسين بن علي لواء ، فقال الهاشميون: يدفن مع النبي (ص) حتى كانت بينهم المراماة بالنبل ! وابن جعونة بن شعوب يومئذ شاهر سيفه ! فقام في ذلك رجال من قريش: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، والمسور بن مخزومة بن نوفل ، وجعل عبد الله بن جعفر يُلحُّ على حسين وهو يقول: يا ابن عم ألم تسمع إلى عهد أخيك إن خفت أن يهراق في محجمة من دم فادفني بالبيع مع أمي أذكرك الله أن تسفك الدماء ! وحسين يأبى دفنه إلا مع النبي (ص) وهو يقول ويعرض

مروان لي ماله ولهذا؟! قال فقال المسور بن مخرمة: يا أبا عبد الله إسمع مني قد دعوتنا بحلف الفضول وأجبتك ، تعلم أنني سمعت أخاك يقول قبل أن يموت بيوم: يا ابن مخرمة إني قد عهدت إلى أخي أن يدفني مع رسول الله (ص) إن وجد إلى ذلك سبيلاً ، فإن خاف أن يهراق في ذلك محجم من دم فليدفي مع أُمي بالبقيع ، وتعلم أنني أذكرك الله في هذه الدماء ! ألا ترى ما هاهنا من السلاح والرجال ، والناس سراع إلى الفتنة . قال: وجعل الحسين يأبى وجعلت بنو هاشم والحلفاء يلغظون ويقولون لا يدفن إلا مع رسول الله (ص) ! قال الحسن بن محمد سمعت أبي يقول لقد رأيته يومئذ وإني لأريد أن أضرب عنق مروان ، ما حال بيني وبين ذلك أن لا أكون أراه مستوجباً لذلك ، إلا أنني سمعت أخي يقول إن خفتم أن يهراق في محجم من دم فادفنوني بالبقيع ! فقلت لأخي: يا أبا عبد الله وكنت أرفقهم به: إنا لا ندع قتال هؤلاء جنباً عنهم ولكننا إنما نتبع وصية أبي محمد ، إنه لو قال والله أدفنوني مع النبي ﷺ لمتنا من آخرنا أو ندفنه مع النبي ، ولكنه خاف ما قد ترى ! فقال: إن خفتم أن يهراق في محجم من دم فادفنوني مع أُمي ، فإنما نتبع عهده وننفذ أمره). (ورواه ابن سعد في القسم غير المطبوع من الطبقات ، في ترجمة الإمام الحسن عليه السلام وقد طبعه السيد الطباطبائي رحمه الله/٨٦).

وأبناء جعونة بن شعوب الذين كان كبيرهم شاهراً سيفه مع الحسين عليه السلام ، عدّهم ابن حبيب في المنمق/٢٤٩ والسدوسي في نسب قريش/١١ في (من دخل في قريش في الإسلام بغير حلف إلا بصهر أو بصدقة أو برحم أو بجوار أو ولاء) وأصلهم من بني ليث من قبيلة عامر بن صعصعة ، ومن مواليتهم نافع الأصفهاني صاحب القراءة المشهورة . (الأنساب للسمعاني: ٤/٢٣٤).

وقد حقق الإمام الحسين عليه السلام هدفه من استنفار حلف الفضول ، فأكد بذلك

شرعيته واستمراره ، وبعث برسالة الى معاوية والسلطة ، واختبر مع علمه استجابة هذه القبائل عملياً لنداء أهل البيت ﷺ ، فكان أقوى حضور لبني جعونة بن شعوب من بني ليث وهم حلفاء خاصون لبني هاشم ، يليه حضور بني زهرة بقيادة المسور بن مخرمة ، ومعه الى حد ما سعد بن أبي وقاص ! بينما غابت شخصيات بني تيم ما عدا عائشة التي حضرت في الجانب الآخر !

كما ادعى عبدالله بن الزبير من بني أسد عبد العزى ، أنه من حلف الفضول ، وروى ابن سعد في ترجمة الإمام الحسن ﷺ من طبقاته ٨٧/ (لما دعا الحسين حلف الفضول جاءه عبد الله بن الزبير فقال: هذه أسد بأسرها قد حضرت فقال معاوية بعد ذلك لابن الزبير: وحضرت مع حسين بن علي ذلك اليوم؟ فقال: حضرت للحلف الذي تعلم دُعيت به فأجبت فسكت معاوية) . انتهى. ولوصح فإن حضوره كان شكلياً ، لأنه لم يرد عنه أي خبر في أحداث ذلك اليوم !

كما كشف الإمام ﷺ الغياب الكامل لبني تيم ! فريستهم عائشة في الجهة المعادية ! وغياب بني الحارث بن فهر قبيلة أبي عبيدة بن الجراح ومنها عقبة بن نافع وأولاد سهل بن بيضاء وأولاد عياض بن غنم فلم أر مصدراً ذكر حضورهم ! ومن الواضح أن هدف الإمام ﷺ من عوة قبائل حلف الفضول لنصرته لم يكن عسكرياً لأنه يعلم أنه لأمركة ، ولو كانت معركة محلية فبنو هاشم وحدهم كافون لهزيمة مروان ولقَّه وقد قالوا للحسين ﷺ: (دعنا وآل مروان ، فوالله ما هم عندنا كأكلة رأس ! فقال: إن أخي أوصالي إن لأأريق فيه محجمة دم). (تاريخ البغوي: ٢/٢٢٥) .

١٦- وساطات عدد من الصحابة والشخصيات

توسط عدة شخصيات مع الإمام الحسين ﷺ أن يصرف النظر عن زيارة جنازة الإمام الحسن ﷺ أو عن دفنه عند جده ﷺ ! وقد تقدم من ابن عساكر قول

المسور بن مخزومة: (يا أبا عبد الله إسمع مني قد دعوتنا بحلف الفضول وأجبتناك تعلم أنني سمعت أخاك يقول قبل أن يموت بيوم: يا ابن مخزومة إني قد عهدت إلى أخي أن يدفني مع رسول الله (ص) إن وجد إلى ذلك سبيلاً ، فإن خاف أن يهراق في ذلك محجم من دم...الخ). (ورواه ابن سعد في ترجمة الإمام الحسن عليه السلام ٨٦) .
 وذكروا وساطة سعد بن أبي وقاص: (فجعل سعد يكلم حسيناً يقول: الله الله ، فلم يزل بحسين حتى ترك ما كان يريد) . (تاريخ دمشق: ٢٩٣/١٣).

ووساطة جابر بن عبد الله الأنصاري: (قال جابر: فكلمت يومئذ حسين بن علي فقلت: يا أبا عبد الله إتق الله فإن أخاك كان لا يحب ما ترى فادفنه بالبيع مع أمه ، ففعل). (تاريخ دمشق: ٢٨٧/١٣) .

ووساطة أبي هريرة: (فقال له أبو هريرة: أنشدك الله ووصية أخيك ، فإن القوم لن يدعوك حتى يكون بينكم دماء !). (سير أعلام النبلاء: ٢٧٥/٣).

ووساطة عبد الله بن عمر قال: (حضرت موت حسن بن علي فقلت للحسين بن علي: إتق الله ولا تثر فتنة ولا تسفك الدماء وادفن أخاك إلى جنب أمه ، فإن أخاك قد عهد ذلك إليك ، فأخذ بذلك حسين). (تاريخ دمشق: ٢٨٨/١٣، و ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من الطبقات ٨٨) .

ووساطة عبد الله بن جعفر: (وجعل عبد الله بن جعفر يلح على حسين وهو يقول: يا ابن عم ألم تسمع إلى عهد أخيك إن خفت أن يهراق في محجمة من دم فادفني بالبيع مع أمي). (تاريخ دمشق: ٢٩١/١٣ ، وسير أعلام النبلاء: ٢٧٦/٣).

(فلما صلوا على حسن خشي عبد الله بن جعفر أن يقع في ذلك ملحمة عظيمة فأخذ بمقدم السرير ثم مضى نحو البقيع فقال له حسين: ما تريد؟ قال: عزم عليك بحقي أن لا تكلمني كلمة واحدة ، فصار به إلى البقيع فدفنه هناك رحمه

الله ، وانصرف مروان ومن معه) . (سير أعلام النبلاء: ٣/٢٧٥ ، وتاريخ دمشق: ١٣/٢٩١).

أقول: في هذه الروايات إشكالات ، أهمها أن رواية الخلافة دأبوا على تصوير الإمام الحسين عليه السلام وكأنه مصرّ على الحرب خلافاً لأخيه الحسن عليه السلام ! وهذا خطأ عام عندهم ، فهم يصورون الإمام الحسن عليه السلام مسالماً تقياً ، والإمام الحسين عليه السلام عنيفاً جريئاً على إراقة الدماء ! أما الواقع فهو أن الإمام الحسين نفذ وصية أخيه علياً حريفاً وحقق هدفهما من إظهار الرغبة في دفنه عند جده ﷺ ، لكنه يَبْنِ من أول الأمر أنها رغبة مشروطة بعدم إراقة الدماء ، ولا يمنع ذلك أنه استنفر بني هاشم ودعا بحلف الفضول ، لإثبات ظلامتهم وحقهم المشروع في الدفاع عنها ، وعندما اقترب الأمر من القتال وظهر للناس أن معاوية ومروان غاصبون دمويون ، فطمأن الإمام الحسين عليه السلام الشخصيات التي توسطت ، وهذا بني هاشم وحلفاءهم وأمرهم أن يكفوا سيوفهم ! ومن أدق النصوص في موقف الإمام الحسين عليه السلام ما كتبه ابن عبد الوهاب في كتابه (عيون المعجزات) الذي ألفه سنة ٤٤٨ هـ ، وقد تقدم بعضه في وصية الإمام الحسن عليه السلام قال في ٥٧: (فلما فرغ من شأنه وحمله ليدفنه مع رسول الله ﷺ ركب مروان بن الحكم طريد رسول الله ﷺ بغلة وأتى عائشة فقال لها: يا أم المؤمنين إن الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن مع رسول الله ، والله إن دفن معه ليذهبن فخر أبيك وصاحبه عمر إلى يوم القيامة ! قالت: فما أصنع يا مروان ؟ قال: إلحقي به وأمنعيه من أن يدفنه معه . قالت: وكيف ألحقه ؟ قال: إركبي بغلتي هذه فتزل عن بغلته وركبتها وكانت تُؤَوِّ الناس وبني أمية على الحسين عليه السلام وتحرضهم على منعه مما هم به ، فلما قربت من قبر رسول الله ﷺ وكانت قد وصلت جنازة الحسن عليه السلام فرمت بنفسها عن البغلة وقالت: والله لا يدفن الحسن هاهنا أبداً أو تُجَزَّ هذه ! وأومت بيدها إلى شعرها وفي رواية دلالة

الإمامة/١٦٠: حتى تحلق هذه ! وأخرجت ناصيتها) فأراد بنو هاشم المجادلة فقال الحسين عليه السلام: الله الله لاتضيعوا وصية أخي واعدلوا به إلى البقيع فإنه أقسم عليّ إن أنا منعت من دفنه مع جده عليه السلام أن لا أخاصم فيه أحداً وأن أدفنه بالبقيع مع أمه (فاطمة بنت أسد) فعدلوا به ودفنوه بالبقيع معها ، فقام ابن عباس وقال: يا حميراء ليس يومنا منك بواحد ، يوم على الجمل ويوم على البغلة ! أما كفاك أن يقال يوم الجمل حتى يقال يوم البغل ، يوم على هذا ويوم على هذا ! بارزة عن حجاب رسول الله عليه السلام تريدن إطفاء نور الله والله متم نوره ولو كره المشركون ! إن الله وأنا إليه راجعون ! فقالت له: إليك عني ، وأف لك وقومك) !

١٧- وصفهم احتشاد المسلمين في تشييع الإمام الحسن عليه السلام

(عن جهم بن أبي جهم قال: لما مات الحسن بن علي بعثت بنو هاشم إلى العوالي صائحاً يصيح في كل قرية من قرى الأنصار بموت حسن ، فنزل أهل العوالي ولم يتخلف أحد عنه... سمعت ثعلبة بن أبي مالك قال: شهدنا حسن بن علي يوم مات ودفناه بالبقيع ، فلقد رأيت البقيع ولو طرحت إبرة ما وقعت إلا على إنسان ! قال: عن ابن أبي نجيح عن أبيه قال: بُكِيَ على حسن بن علي بمكة والمدينة سبعاً النساء والصبيان والرجال) !

وفي المنتخب من ذيل المذيل للطبري/١٩ عن ابن سنان قال: (سمعت ثعلبة بن أبي مالك قال شهدنا حسن بن علي يوم مات ودفناه بالبقيع ، ولقد رأيت البقيع ولو طرحت فيها إبرة ما وقعت إلا على رأس إنسان) ! (تهذيب الكمال: ٢٥٦/٦، والإصابة: ٦٦/٢، ومذيل الطبري/١٩، وترجمة الإمام الحسن من الطبقات ٩٠، وتاريخ دمشق: ٢٩٧/١٣، ومستدرك الحاكم: ٣٧٣/٣). وقال ابن كثير: ٤٨/٨ (وقد اجتمع الناس لجنازته حتى ما كان البقيع يسع أحداً من الزحام وقد بكاه الرجال والنساء سبعاً واستمر نساء بني هاشم ينحن

عليه شهراً ، وحدث نساء بني هاشم عليه سنة). انتهى.
ومن بين كل هذه الحشود حضر شخص واحد من بني أمية ! (وشهدها خالد بن الوليد بن عقبة بعد أن ناشد بني أمية أن يخلوه يشهد الجنازة فتركوه ، فشهد دفنه في المقبرة) ! (سنن الداني: ١٦٤/١) .

١٨- صلاة والي المدينة على جنازة الإمام الحسن عليه السلام

في تاريخ دمشق: ٢٩٣/١٣: (فأطاع حسينٌ بعد أن ظننت أنه لا يطع ، فاحتملناه حتى وضعناه بالبقيع وحضر سعيد بن العاص ليصليَ عليه فقالت بنو هاشم: لا يصلي عليه أبداً إلا حسين ، قال: فاعتزل سعيد بن العاص فوالله ما نازعنا في الصلاة ، وقال: أنتم أحق بميتكم ، فإن قدمتموني تقدمت . فقال حسين بن علي: تقدم ، فلولا أن الأئمة تُقدم ما قدمناك) .

وفي تاريخ دمشق: ٢٩٣/١٣: (عن أبي حازم قال رأيت حسين بن علي قدم سعيد بن العاص على الحسن بن علي فصلى عليه ، ثم قال: لولا إنها سنة ما قدمته).

وفي رواية عن سالم عن أبي حفصة قال: (سمعت أبا حازم يقول: إني لشاهد يوم مات الحسن بن علي ، فرأيت الحسين بن علي يقول لسعيد بن العاص ويطعن في عنقه ويقول: تقدم فلولا إنها سنة ما قدمت ! وكان بينهم شيء ، فقال أبو هريرة أتنفسون على ابن نبيكم بتربة تدفونونه فيها ؟ وقد سمعت رسول الله يقول: من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني). (الحاكم: ١٧١/٣ ووفيات الأعيان: ٢/ ٦٦ ، والطبراني الكبير: ١٣٦/٣ ، ونحوه سير أعلام النبلاء: ٢٧٥/٣) .

أقول: روت عامة مصادرهم الفقهية تقديم الإمام الحسين عليه السلام لوالي المدينة في الصلاة على جنازة أخيه عليه السلام وأفتوا به ، لأنه لمصلحة الولاية . وتدل الرواية الأولى على أنه صلى عليه في البقيع: (فاحتملناه حتى وضعناه بالبقيع ، وحضر سعيد بن

العاص لبصلي عليه فقالت بنو هاشم...). وتقدم أن الإمام الحسين عليه السلام صلى عليه حسب وصيته في مصلى الجنائز ، قرب مسجد النبي صلى الله عليه وآله .

١٩- سجلوا (انتصارهم) على بني هاشم فرموا الجنازة بالسهام !

وصف رواة الخلافة استنفار بني أمية ولَقَّهم ، وبني هاشم وحلفائهم في حلف الفضول ، وأنهم اتخذوا مواقع للقتال وتراشقوا بالنبال !

ففي تاريخ دمشق: ٢٩١/١٣، وسير أعلام النبلاء: ٢٧٦/٣: (وعقد مروان لواءً وعقد حسين بن علي لواء ، فقال الهاشميون يدفن مع النبي (ص) حتى كانت بينهم المراماة بالنبل ! وابن جعونة بن شعوب يومئذ شاهر سيفه ! فقام في ذلك رجال من قريش...). انتهى. ولكنهم لم يرووا ماذا فعل بنو أمية بعد أن قبل الإمام الحسين عليه السلام وساطة شخصيات قريش وفتحوا باب الحجرة الشريفة وزارت جنازة الإمام الحسن عليه السلام قبر جده صلى الله عليه وآله واتجهوا بها الى البقيع !

فقد اكتفت رواياتهم بوصف مشي مروان خلف الجنازة باكياً ! (ومشى مروان في جنازة الحسن وبكى) (ست النجوم/ ٨٥٦). كما وصفوا احتشاد المسلمين في البقيع لتوديع سبط نبيهم الحبيب صلى الله عليه وآله ، وصلاة سعيد بن العاص على جنازته .

أما رواياتنا فتقول إن جلاوزة معاوية ومروان رموا جنازة الإمام الحسن عليه السلام برشقة سهام كثيفة ! وحكي أنه سُلَّ منها سبعون نبلاً ! (مناقب آل أبي طالب/ ٢٠٣/٣). وفي الصوامر المهركة للشهيد نور الله التستري/ ١٦١: (وآل الأمر إلى أن رموا جنازة الحسن عليه السلام ووصل بعض النصال إلى بدنه الشريف عليه السلام) ! وروي أنهم رموها بالأحجار أيضاً ! (فَلَك النجاة لفتح الدين الحنفي/ ٥٥)

ولا شئ من ذلك يبعيد على طبيعة بني أمية ومزرتقتهم ! خاصة وأن جنازة عثمان

أهينت ومنع المسلمون دفنها في مقابر المسلمين ! وعندما أمر علي عليه السلام بدفنها وحماها ، أرسل طلحة بن عبيد الله سفلةً فرموها بالحجارة !

قال الطبري في تاريخه: ٤٣٨/٣: (عن أبي بشير العادي قال: نبذ عثمان ثلاثة أيام لا يدفن ، ثم إن حكيم بن حزام القرشي ثم أحد بني أسد بن عبد العزى وجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف كلما علياً في دفنه وطلبوا إليه أن يأذن لأهله في ذلك ففعل وأذن لهم علي ، فلما سمع الناس بذلك قعدوا له في الطريق بالحجارة وخرج به ناس يسير من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يقال له حش كوكب ، كانت اليهود تدفن فيه موتاهم ! فلما خرج على الناس رجموا سريره وهموا بطرحه فبلغ ذلك علياً فأرسل إليهم يعزم عليهم ليكفَّنَّ عنه ففعلوا ، فانطلق حتى دفن في حش كوكب ! فلما ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتى أفضى به إلى البقيع فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل ذلك بمقابر المسلمين). انتهى.

وكان ينبغي لمروان يسجل شكره لعلي عليه السلام الذي أوقف حجارة طلحة التيمي عن جنازة عثمان ! ولكنه انتقم من ذلك بحجارة على جنازة الإمام الحسن عليه السلام الهاشمي ! ولا تفسير لذلك إلا أن مروان يكره عترة النبي ﷺ الأطهار عليه السلام بسبب أنه ملعون بن ملعون ! (المستدرک: ٥٢٦/٤ ، وصححه ، وصححه علماءهم).

ولا بد أن مروان بعد أن رجع من تشييع الإمام الحسن عليه السلام وجفت دموع عينيه ، شكر مرتزقته على رمي الجنازة بالسهام والحجارة وكافأهم ! كما شكره معاوية وكافأه ، فعزل سعيد بن العاص لأنه كان لئناً مع بني هاشم ، وعيَّنه والياً مكانه !

أما عائشة فرجعت الى بيتها على بغل مروان ولم تحضر التشييع ، ولا بد أن معاوية بعث اليها بالشكر والمكافأة ! لكن علاقة الود بينها وبين معاوية ومروان لم

تَظَلُّ ! فما هو إلا شهر أو نحوه حتى اضطر أخوها عبد الرحمن رئيس بني تيم ، أن يقف في المسجد النبوي مواجهاً لمروان رافضاً بيعة يزيد وقد شتمه وشم معاوية ويزيداً فشمته مروان وأمر بالقبض عليه ، فركض عبد الرحمن الى حجرة أخته عائشة ، فخرجت عائشة الى المسجد وصاحت بمروان وصكت وجهه ! معلنةً للمسلمين أنه وأباه مطرودان من النبي ﷺ وملعونان على لسانه ! وتفاقم صراعها مع معاوية ، حتى قتل أخوها مسموماً ، ثم ماتت هي بنحو مشكوك !

٢٠- تأييد الإمام الحسين عليه السلام ومحمد بن الحنفية لأخيها

في تاريخ البعقوبي: ٢٢٥/٢: (ولما لُفَّ في أكفانه قال محمد بن الحنفية: رحمك الله أبا محمد فوالله لئن عَزَّتْ حياتُكَ لقد هَدَّتْ وفاتُكَ ، ونعم الروح روحُ عُمَرَ به بدنك ونعم البدن بدن ضمه كفك ، لم لا تكون كذلك وأنت سليل الهدى وحلف أهل التقوى وخامس أصحاب الكسا ، غذتك كف الحق وربيت في حجر الإسلام وأرضعتك ثدي الإيمان فطب حياً وميتاً ، فعليك السلام ورحمة الله . وإن كانت أنفسا غير قالية لحياتك ولا شاكاة في الخيار لك) .

وفي مناقب آل أبي طالب: ٢٠٥/٣: (وقال الحسين لما وضع الحسن عليه السلام في لحدته:

أأدهنُ رأسي أم تطيبُ مجالسي ورأسك مغفورٌ وأنت سليلٌ
أواستمعُ الدنيا لشئٍ أحبه...ألا كلُّ ما أدنى إليك حبيب
فلا زلتُ أبكي ما تغتُ حمامة...عليك وما هبتُ صباً وجنوب
وما هملتُ عيني من الدمع قطرة...وما اخضرَّ في دوح الحجاز قضيب
بكائي طويلٌ والدموعُ غزيرة...وأنت بعيدٌ والمزارُ قريب
غريبٌ وأطرافُ البيوت تحوطه...ألا كل من تحت التراب غريب
ولا يفرح الباقي خلافاً الذي مضى... وكل فتى للموت فيه نصيب

فليس حربياً من أصيب بماله... ولكن من وارى أخاه حرب
نسيك من أمسى بناجيك طرفه... وليس لمن تحت التراب نسيب).

وفي تاريخ دمشق: ٢٩٦/١٣: (عن ابن السماك قال: قال الحسين بن علي عند قبر أخيه الحسن يوم مات: رحمك الله أبا محمد إذ كنت لناصر الحق مظانه ، تؤثر الله عند مداحض الباطل في مواطن التقية بحسن الروية ، وتستشف جليل معاصم الدنيا بعين لها حاقرة ، وتفيض عليها يدأ طاهرة ، وتردع ماردة أعدائك بأيسر المؤونة عليك وأنت ابن سلاله النبوة ورضيع لبان الحكمة ، والى روح وريحان وجنة نعيم ، أعظم الله لنا ولكم الأجر عليه ، ووهب لنا ولكم السلوة ، وحسن الأسى عليه) . انتهى .
ثم أورد رواية نسبها الى محمد بن الحنفية ، وكذا ابن الجوزي في التذكرة / ١٢٢ ، ورواها في المجالس الفاخرة/ ١٥١ ، بتفاوت ، ونسبها الى الإمام الحسين ﷺ .

٢١- الغزاء في المدينة ومكة أسبوعاً ، وحداد بني هاشم سنة !

في ترجمة الإمام الحسن ﷺ من الطبقات / ٩٠: (فلما مات أقام نساء بني هاشم عليه النوح شهراً) . وفي هامشه: ورواه الحافظ المزني في تهذيب الكمال: ٢٥٢/٦ وابن عساكر في تاريخه برقم ٣٣٨ كلاهما عن ابن سعد . وقال ابن الأثير في أسد الغابة: ١٦/١: ولما مات الحسن أقام نساء بني هاشم عليه النوح شهراً ، ولبسوا الحداد سنة . ورواه ابن كثير في تاريخه: ٤٣/٨ عن الواقدي كما هنا ، وقال في / ٤٤: وقد بكاه الرجال والنساء سبعاً ، واستمر نساء بني هاشم ينحن عليه شهراً ، وحدث نساء بني هاشم عليه سنة) . وفي منتخب مذييل الطبري / ١٩: (عن أم بكر بنت المسور قالت: كان الحسن بن علي سُمّ مراراً كل ذلك يَفْلَت حتى كانت المرة الآخرة التي مات فيها ، فإنه كان يُجْتَلَف (يُسْتَأْصَل) كبده ! فلما مات أقام نساء بني هاشم النوح عليه شهراً... مكث الناس يكون على الحسن بن علي سبعاً ما تقوم الأسواق.... حَدَّ نساء

بني هاشم على الحسن بن علي سنة). (تاريخ دمشق: ٢٩٥/١٣ وتهذيب الكمال: ٢٥٢/٦ والنهية: ٤٧/٨).
وفي تاريخ دمشق: ٢٩٧/١٣: (بكى على حسن بن علي بمكة والمدينة سبعاً
النساء والصبيان والرجال) ! (وترجمة الإمام الحسن عليه السلام من الطبقات/ ٩٠ والحاكم: ١٧٣/٣ ،
والنهية: ٤٣/٨ ، والإكمال ٣٩/٦). وينبغي الإلفات هنا الى أمرين:

الأول: أن أهل البيت عليهم السلام ومحبيهم يتميزون بعاطفة إنسانية جياشة لا توجد في
غيرهم ، لذلك نجد بعض رواة السلطة القرشية وعلماءها ينتقدونونهم بشكل
مبطن لحزنهم على أئمة أهل البيت عليهم السلام وكبار شخصياتهم ! بل وصل الأمر
ببعضهم الى السخرية أو إطلاق الخيال والفتاوى ! وكان الأخرى بهم أن يقدرُوا
هذه العواطف الإنسانية الراقية الممدوحة في الإسلام !

ففي العقد الفريد/ ١٨٣: (لما مات الحسن بن علي ضربت امرأته فسطاطاً على
قبره وأقامت حولاً ، ثم انصرفت إلى بيتها ، فسمعت قائلاً يقول: هل أدركوا ما
طلبوا ؟ فأجابه مجيب: بل ملوا فانصرفوا). أما بخاري فقد حشر هذه الرواية في
صحيحه حشراً مع أنها أثر وليست حديثاً ! ونسبها الى زوجة الحسن بن الحسن ،
والتي هي فاطمة بنت الحسين عليه السلام ! وأفتى بأن عملها مكروه لأنه من اتخاذ القبر
مسجداً ! قال في صحيحه: ٩٠/٢: (باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور:
ولما مات الحسن بن الحسن بن علي ضربت امرأته القبة على قبره سنة ثم رفعت ،
فسمعوا صائحاً يقول: ألا هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه آخر: بل يشسوا فانقلبوا).

وقال في فتح الباري: ١٦١/٣: (ومناسبة هذا الأثر لحديث الباب أن المقيم في
الفسطاط لا يخلو من الصلاة هناك ، فيلزم اتخاذ المسجد عند القبر ، وقد يكون
القبر في جهة القبلة فتزداد الكراهة). انتهى.

وعليه فمعنى كلام بخاري أن فاطمة بنت الحسين أو زوجة الحسن عليه السلام قد

اتخذت القبر مسجداً فشملتها لعنة النبي ﷺ ! وقد حكم شراحه بأن المنادي من الملائكة أو مؤمني الجن وأنهم نواصب ينتقدون هذا العمل لأنه لا يعيد الميت الى الحياة ! وهو نموذج من جفاف العواطف وقبول الأساطير !

ومن خشونتهم انتقادهم وفاء الرباب بنت امرئ القيس لزوجها الإمام الحسين عليه السلام حيث آلت على نفسها أن لا تستظل بظل بعد أن قتل عطشاً على رمضاء كربلاء: (وقد خطبها بعده خلق كثير من أشراف قريش فقالت: ما كنت لأتخذ حمواً بعد رسول الله ﷺ!) والله لا يؤويني ورجلاً بعد الحسين سقفاً أبداً! ولم تزل عليه كمدة حتى ماتت!) (النهاية: ٢٢٩/٨، وكامل ابن الأثير: ٤٤٠/٣، وتاريخ دمشق: ١٢٠/٦٩).

والأمر الثاني: أن أهل البيت عليه السلام تعمدوا أن يقيموا مجالس العزاء والبكاء والنوح على شخصياتهم وعامتهم ، وقد أوصى عدد منهم بذلك وأن يكون في المدينة أو منى في موسم الحج ، من أجل تأصيل هذه الحالة الإنسانية الإسلامية وتعميمها على المسلمين ، ولیدحضوا بها الخشونة البدوية التي تزعم أن الإسلام نهى عن البكاء على الميت ، وأن بكاء الشخص على ميتة يوجب عذابه ! ويبطلوا سياسة السلطة التي استعملتها ضدهم بعد وفاة النبي ﷺ !

٢٢- العزاء على الإمام الحسن عليه السلام في البصرة

(قال أبو الحسن المدائني: وصل نعي الحسن رضي الله عنه إلى البصرة في يومين وليلتين ، فقال الجارود بن أبي سبرة:

إذا كان شراً سار يوماً وليلة وإن كان خيراً أخر السير أربعاً
إذا ما يريد الشر أقبل نحونا بإحدى الدواهي الرّبد سار وأسرعا

(شرح النهج: ١٦/١٤)

ورواه في تاريخ دمشق: ٢٩٣/١٣، وقال: (فنعاه زياد لجلسائه ، فخرج الحكم

بن أبي العاص الثقفي فنعاه للناس فبكوا ، فسمع أبو بكره البكاء فقال لميسة بنت شحام امرأته وهو مريض: ما هذا ؟ قالت نُعي الحسن بن علي فاستراح الناس من شر كثير ! قال: ويحك ! بل أراحه الله من شر كثير ، وفقد الناس خيراً كثيراً .

قال: وأخبرني عمي مصعب بن عبد الله أن النجاشي قال يرثي الحسن رضي الله عنه:

يا جَعْدُ بَكِّيهِ وَلَا تَسْأَمِي	بكاء حقّ ليس بالباطل
على ابن بنت الطاهر المصطفى	وابن ابن عم المصطفى الفاضل
كان إذا شَبَّتْ له ناره	يوقّدها بالشرف القابل
لكي يراها بانسٍ مُرْمَلٌ	أو فردٌ حيٌّ ليس بالآهل
لم تُغلقِ باباً على مثله	في الناس من حافٍ ومن ناعل
أعني فتىً أسلمه قومه	للزمن المسترحج الماحل
نعم فتى الهيجاء يومَ الوغا	والسيدِ القاتلِ والفاعل).

٢٣- فرح معاوية بقتله للإمام الحسن عليه السلام !

روت كافة المصادر ارتفاع صوت الفرحة من قصر معاوية بقتل الإمام الحسن عليه السلام! ففي وفيات الأعيان: ٦٧٢: (ولما كتب مروان إلى معاوية بشكاته كتب إليه: أن أقبل المطي إلي بخبر الحسن ، ولما بلغه موته سمع تكبيراً من القصر ، فكبر أهل الشام لذلك التكبير ! فقالت فاختة زوجة معاوية: أقر الله عينك يا أمير المؤمنين ما الذي كبرت له ؟ قال: مات الحسن . قالت: أعلى موت ابن فاطمة تكبير ؟ قال: والله ما كبرتُ شماتةً بموته ، ولكن استراح قلبي !

وكان ابن عباس بالشام فدخل عليه فقال يا ابن عباس هل تدري ما حدث في أهل بيتك؟ قال: لا أدري ما حدث إلا أنني أراك مستبشراً وقد بلغني تكبيرك وسجودك ! قال: مات الحسن . قال: إنا لله يرحم الله أبا محمد ثلاثاً ، ثم قال: والله

يا معاوية لا تسدُّ حفرتَه حفرتك ، ولا يزيد نقص عمره في يومك ، وإن كنا أصبنا بالحسن لقد أصبنا بإمام المتقين وخاتم النبيين ، فسكَّن الله تلك العبرة وجبر تلك المصيبة ، وكان الله الخلف علينا من بعده .

وفي أخبار الدولة العباسية/٤٢: (عن معمر عن إدريس ومحمد بن إسحاق قال: ثم إن مروان بن الحكم كتب إلى معاوية يخبره بمرض الحسن بن علي وأنه رأى أن به السل ! فكتب إليه معاوية: لا تغيبني خبره يوماً فكان يأتي خبره معاوية كل يوم ! فقال رجل من قريش: إني الباب في اليوم الذي جاء فيه نعي الحسن بن علي ﷺ إذ مرَّ يزيد بن معاوية داخلًا على أبيه فأدخلني فما مر بباب إلا قالوا: مرحباً بابن أمير المؤمنين حتى انتهى إلى البيت الذي فيه معاوية ، وإذا امرأته بنت قرظة تعطره وتسرح لحيته ، فلما رأتنا امرأته قالت: وا سؤأتها أتدخل علينا الرجال؟ فقال لها: أسكتي وإلا عزمت على أمير المؤمنين أن يتزوج أربع قرشيات كلهن يأتيين بغلام يبايع له بالخلافة ! فقال لها معاوية: أسكتي فلو عزم عليَّ يزيد لم أجد بداً من إنفاذ عزمته ! فقامت فلم تقدر على النهوض حتى وضعت يدها على الأرض ثم ارتفعت ، فلما ولت قال معاوية: ما كنا نُغيِّرُها . قال يزيد: وما كنت لأعزم عليك إنما قلت ما قلت لأذعرها ! فإنا كذلك إذ دخل شيخ طوال كان على الصائفة فسأله معاوية عن أمر الناس والجند ، فبينما نحن كذلك إذ دخل غلام معاوية فقال: يا أمير المؤمنين بشرايَ ! قال: وما ذلك ؟ قال: في هذه الصحيفة ما تحب . قال: لك بشراك ، فدفعها إليه ولما قرأها خرَّ ساجداً ثم رفع رأسه ، فعرفنا السرور في وجهه فنعى الحسن بن علي ، فبكى الشيخ وانتحب ووضع يده على (فمه) ينتحب فقال له الغلام: أسكت أيها الشيخ فقد شققت على أمير المؤمنين ! هل الحسن إلا أحد رجلين: إما منافق أراح الله منه ، وإما برٌّ فما عند الله خير

للأبرار ! ثم إن معاوية قال لحاجبه: إئذن للناس وأخرِ إذن ابن عباس..).

وفي مناقب آل أبي طالب: ٢٠٣/٣، وبعضه في تاريخ أبي الفداء/٢٣١: (ربيع الأبرار عن الزمخشري ، والعقد لابن عبد ربه: أنه لما بلغ معاوية موت الحسن بن علي عليه السلام سجد وسجد من حوله وكبر وكبروا معه ! فدخل عليه ابن عباس فقال له: يا ابن عباس أمات أبو محمد ؟ قال: نعم رحمه الله ، وبلغني تكبيرك وسجودك ! أما والله ما يسد جثمانه حفرتك ، ولا يزيد انقضاء أجله في عمرك ! قال: حسبته ترك صبية صغاراً ولم يترك عليهم كثير معاش ! فقال: إن الذي وكلهم إليه غيرك ، وفي رواية: كنا صغاراً فكبرنا ! قال: فأنت تكون سيد القوم ؟ قال: أما وأبو عبد الله الحسين بن علي باق فلا . وقال الفضل بن عباس:

أصبح اليوم ابنُ هند آمنأ ظاهرَ النخوة إذ مات الحسنُ

رحمة الله عليه إنما طالما أشجى ابن هند وأرت

استراح القوم منه بعده إذ ثوى رهنا لأحداث الزمن

فارتع اليوم ابنُ هند آمنأ أينما يَقمُصُ بالعر السمن).

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١٥٠/١: (فلما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً ، حتى سجد وسجد من كان معه ، فبلغ ذلك عبد الله بن عباس وكان بالشام يومئذ فدخل على معاوية ، فلما جلس قال معاوية: يا بن عباس هلك الحسن بن علي ، فقال ابن عباس: نعم هلك إنا لله وإنا إليه راجعون ترجيعاً مكرراً ، وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته ! أما والله ما سد جسده حفرتك ، ولا زاد نقصان أجله في عمرك ، ولقد مات وهو خير منك ولئن أصبنا به لقد أصبنا بمن كان خيراً منه ، جده رسول الله صلى الله عليه وآله . فجبر الله مصيبته وخلف علينا من بعده أحسن الخلافة . ثم شهق ابن عباس وبكى وبكى من حضر المجلس وبكى

معاوية ، فما رأيت يوماً أكثر باكياً من ذلك اليوم ! فقال معاوية: بلغني أنه ترك بنين صغاراً.. الى آخر ما مر . (ونحوه تاريخ دمشق: ٢٩٥/١٣، ومروج الذهب: ٦٦١).

٢٤- أقام ابن عباس مجلس العزاء في الشام

وصف في أخبار الدولة العباسية/٤٢ ، فرح معاوية بموت الإمام الحسن عليه السلام وجواب ابن عباس كما تقدم ثم جاء فيه: (قال معاوية: أصبحت سيد أهل بيتك يا أبا العباس . قال: أما ما أبقي الله أبا عبد الله الحسين بن علي فلا ! قال: ثم نهض وعينه تدمع فلما ولي قال معاوية: لله دره والله ما هيئناه قط إلا وجدناه مُعداً . فلما رجع ابن عباس إلى رحله جلس بفنائنه وجاءه الناس يعزونه ، وجاءته خيل كللما جاءه إنسان نزل ووقف حتى جاءه يزيد بن معاوية ، فأوسع له ابن عباس فأبى أن يجلس إلا بين يديه مجلس المعزي ، فذكر الحسن في فضله وسابقته وقرابته فأحسن ذكره وترحم عليه ثم قام فركب ، فأتبعه ابن عباس بصره فلما ولي قال: إذا ذهب بنو حرب ذهب حلماء قريش . انتهى.

وروى في تاريخ دمشق: ٤٠٥/٦٥ ، عدة روايات في ذلك ومنها: (ثم ذكر الحسن فقال: رحم الله أبا محمد أوسع الرحمة وأفسحها وعظم أجرك وأحسن عزاءك وعوضك من مصابك ما هو خير لك ثواباً وخير عقبى . ثم قام فأتبعه ابن عباس بصره فقال: إذا ذهب آل حرب ذهب حلماء قريش). انتهى.

أقول: يمدح ابن عباس بني حرب من بني أمية وهم فرع معاوية ، بأنهم عندهم حلم أي (ديلماسية) ويفضلهم على بني العاص فرع أبي أحيحة ، وعلى بني أبي العاص فرع عثمان ومروان ، ويقصد أن بني حرب يحفظون الحد الأدنى مع أعدائهم كإرسال معاوية ولده يزيد لكي يعزيه بالإمام الحسن عليه السلام بعد أن قتله وأعلن فرحه بمقتله ! وقد أراد ابن عباس أن يصل كلامه الى معاوية مع

أنه يعرف أن غرضه من إرسال يزيد أن يقول له: اشترطتم عليّ أن يكون الحسن خليفة بعدي ، وقد قتلت من أجل هذا الذي جاء يعزيك به !

٢٥- رثاء الشعراء للإمام الحسن عليه السلام

أول من رثاه نثراً وشعراً الإمام الحسين عليه السلام ثم الفضل بن العباس ، والنجاشي الشاعر وهو قيس بن عمرو من بني الحارث بن كعب ، وكذلك رثاه كثير عزة وغيره من شعراء عصره وما بعده ، وفيه قصائد ومقطوعات بليغة ولوحات أدبية ، وهي مليئة بالحقائق العقيدية والتاريخية . ولا يتسع لها المجال .



٢٦- جريمة سُمِّ الإمام الحسن عليه السلام ثابتة في رقبة معاوية

لم يقنع رواة الخلافة ومحبو معاوية بشهادة الإمام الحسن عليه السلام نفسه وإجماع الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم ، وشهادة العديد من المؤرخين والمحدثين ، بأن سُمِّ جُعدة للإمام الحسن عليه السلام كان بأمر معاوية . فقاموا بأعمال متعددة لتغطية الجريمة وتضييع الحقيقة وكانت مهمتهم صعبة لأنه انتشر في الناس أن الإمام عليه السلام سَقِيَ السم مراراً وبقي آخر مرة يعاني منه مدة طويلة ! ومن الواضح أن المستفيد من قتله معاوية ليجعل الخلافة لابنه يزيد ، وينقض عهده ومواريقه للإمام الحسن عليه السلام أن يكون الخليفة بعده ! وهذه خلاصة الآراء في القضية:

الإنجاه الأول ، إجماع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم على أن معاوية قتله بواسطة جعدة بنت الأشعث ! ووافقهم عدد مهم من الرواة والمحدثين السنيين كما يأتي.
ففي الكافي ١٦٧/٨، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إن الأشعث بن قيس شرك في

دم أمير المؤمنين عليه السلام وابنته جعدة سمت الحسن عليه السلام ومحمد ابنه شرك في دم الحسين عليه السلام . وفي الكافي: ٤٦٢/١ ، عنه عليه السلام قال: (إن جعدة بنت أشعث بن قيس الكندي سمت الحسن بن علي وسمت مولاة له ، فأما مولاته فقأت السم وأما الحسن فاستمسك في بطنه ثم انتفط (التفط حالة كالجدري) به فمات) .

وفي كمال الدين للصدوق: ٥٤٦: (مات الحسن عليه السلام مسموماً ، سمته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي لعنها الله ، دساً من معاوية) .

وفي الإرشاد للمفيد رحمته الله: ٧/٢: (من الأخبار التي جاءت بسبب وفاة الحسن عليه السلام وما ذكرناه من سم معاوية له ، وقصة دفنه وما جرى من الخوض في ذلك والخطاب: ما رواه عيسى بن مهران قال: حدثنا عبيد الله بن الصباح قال: حدثنا جرير ، عن مغيرة قال: أرسل معاوية إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس: أني مزوجك يزيد ابني على أن تسمي الحسن وبعث إليها مائة ألف درهم ، ففعلت وسمت الحسن عليه السلام فسوغها المال ولم يزوجها من يزيد ، فخلف عليها رجل من آل طلحة فأولدها ، فكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام عيروهم وقالوا: يا بني مُسمّة الأزواج) . (ونحوه في المناقب والمثالب للقاضي النعمان/ ٢٣١ ، ومناقب آل أبي طالب: ٢٠٢/٣ ، وشرح الأخبار: ١٢٣/٣ ، وفيه: فحملها ما كان بينها وبين الحسن عليه السلام وما تخوفت من طلاقه إياها ، وما عجله لها معاوية وما وعدا به ، على أن سقته ذلك السم فأقام أربعين يوماً في علة شديدة) . (ونحوه في الإحتجاج: ١٢/٢ ودلائل الإمامة/ ١٦٠) .

الإتجاه الثاني، تشبّع بعض محدثيهم ومؤرخيهم فوافقوا أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم ، ورووا عن ثقاتهم أن الجريمة ثابتة في رقبة معاوية:

١- كالزمخشري في ربيع الأبرار/ ٩٠٧ ، قال: (جعل معاوية لجعدة بنت الأشعث امرأة الحسن مائة ألف حتى سمته ومكث شهرين وإنه ليرفع من تحته كذا طستاً

من دم . وكان يقول: سقيت السم مراراً ما أصابني فيها ما أصابني في هذه المرة
لقد لفظت كبدي فجعلت أقلبها بعود كان كان في يدي). (والغدير: ١١/١١)

٢- وقال أبو الحسن المدائني: (كانت وفاته في سنة ٤٩ هـ وكان مريضاً أربعين
يوماً ، وكان سنه سبعاً وأربعين سنة ، دس إليه معاوية سماً على يد جعدة بنت
الأشعث زوجة الحسن وقال لها: إن قتلتيه بالسم فلك مائة ألف وأزوجك يزيد
ابني . فلما مات وفي لها بالمال ولم يزوجها من يزيد وقال: أخشى أن تصنعي
بابني ما صنعت بابن رسول الله .) (شرح النهج: ١١/١٦).

٣- وقال الشعبي: (إنما دس إليها معاوية فقال: سُمِّي الحسن وأزوجك يزيداً
وأعطيك مائة ألف درهم ، فلما مات الحسن بعثت إلى معاوية تطلب إنجاز الوعد
فبعث إليها بالمال وقال: إنني أحب يزيد وأرجو حياته ، ولولا ذلك لزوجتك إياه !
وقال الشعبي: ومصدق هذا القول: أن الحسن كان يقول عند موته وقد بلغه ما
صنع معاوية: لقد عملتُ شربته وبلغتُ أمنيته ، والله لا يفني بما وعد ، ولا يصدق
فيما يقول) . (الغدير: ١٠/١١ ، عن تذكرة ابن الجوزي . والانتصار للمؤلف: ٣٣/٨).

٤- وقال السدي: (دس إليها يزيد بن معاوية أن سمي الحسن وأتزوجك .
فسمته ظمناً ماسداً سَلِتَ إلى يزيد تستله الوفاء بالوعد فقال: أنا والله ما أرضاك
للحسن ، أفترضاك لأنفسنا ؟) (الغدير: ١١ / ١ ، عن تذكرة ابن الجوزي/ ١٢١)

٥- طائفة من العلماء ، ذكرهم في الاستيعاب: ١٤١/١ ، وفي طبعة: ٣٨٩ / ١ : قال
قتادة ، وأبو بكر بن حفص: سُمَّ الحسن بن علي ، سمته امرأته بنت الأشعث بن
قيس الكندي . وقالت طائفة: كان ذلك منها بتدسيس معاوية إليها وما بذل لها في
ذلك وكان لها ضرائر . فالله أعلم). انتهى. ولم يعين من هم أولئك الطائفة !

٦- ابن الأعمش في كتاب الفتوح: ٣١٨/٤ ، قال: (وأرسل مروان بن الحكم إلى

المدينة وأعطاه منديلاً مسموماً وأمره بأن يوصله إلى زوجة الحسن جعدة بنت الأشعث بن قيس بما استطاع من الحيل).

٧- وفي مقاتل الطالبين/٣١: (ودس معاوية إليه حين أراد أن يعهد إلى يزيد بعده وإلى سعد بن أبي وقاص ، سُمّاً فماتا منه في أيام متقاربة ! وكان الذي تولى ذلك من الحسن ﷺ زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس لمال بذله لها معاوية) .
وهم يَعدُّون أبا الفرج الأموي النسب شيعياً ، ولكنه شيعي بالمعنى الأعم .

٨- الطبري في تاريخه ، وابن سعد في طبقاته ، وابن الجوزي في المنتظم !
فقد نقل ذلك عنهم بعض علماء السنة ، ولكن طباعها الموجودة خالية منه !

٩- اعترف به ابن تيمية لكنه برر فعل معاوية فقال: (فمعاوية حين أمر بسم الحسن فهو من باب قتال بعضهم بعضاً) . (منهاج السنة: ٢/٢٢٥) وابن تيمية يعترف بذلك وهو يعلم: أن معاوية قتله بعد الصلح ، وبعد العهود والأيمان والمواثيق ، وشهادة الضامين لوفائه بالشروط ، وأن يكون الحسن الخليفة بعده ، وأن لا يبغي له ولا لأخيه الحسن غائلة !

١٠- الحافظ ابن عقيـل في النـصائح الكافية لمحمد بن عقيـل ٨٦/ ، ونقله عن ابن عبد البر.

١١- وكان الحصين بن المنذر الرقاشي رئيس ربيعة قبائل يقول: (والله ما وفي معاوية للحسن بشئ مما أعطاه ، قتل حجراً وأصحاب حجر وبائع لابنه يزيد وسم الحسن) . (شرح ابن أبي الحديد: ١٧/١٦) .

١٢- والمسعودي في مروج الذهب/ ٦٥٩ ، قال: (ذكر الذي سمعه وذكر أن امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي سقته السم ، وقد كان معاوية دس إليها إنك إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمائة ألف درهم ، وزوجتك

من يزيد ، فكان ذلك الذي بعثها على سمه ، فلما مات وفي لها معاوية بالمال ، وأرسل إليها: إنا نحب حياة يزيد ، ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه) .

١٣- وقال الهيثم بن عدي: دس معاوية إلى ابنة سهيل بن عمرة امرأة الحسن مائة ألف دينار على أن تسقيه شربة بعث بها إليها ، ففعلت). (أنساب الأشراف/٧٤٧)
ويجد المتتبع شهادات أخرى لعلمائهم ، فقد قال ابن حجر في الصواعق: ٤١٣/٢:
(وبموته مسموماً شهيداً جزم غير واحد من المتقدمين ، كقتادة وأبي بكر بن حفص ، والمتأخرين كالزبير العراقي في مقدمة شرح التقریب) .

٢٧- من تحريفات أتباع معاوية للتغطية على جريمته !

أ- فقد حذفوا قسماً من تاريخ الطبري أو حرفوه: نقرأ في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة/١٥٤ قوله: (وفي تاريخ الطبري أن الحسن بن علي رضي الله عنهما مات مسموماً في أيام معاوية ، وكان عند معاوية كما قيل دهاء فُدس إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس وكانت زوجة الحسن رضي الله عنه شربة وقال لها: إن قتلت الحسن زوجتك بيزيد ! فلما توفي الحسن بعثت إلى معاوية تطلب قوله فقال لها في الجواب: أنا أضن بيزيد ! وقال كثيرٌ يرثي الحسن رضي الله عنه...يا جعد إبكيه ولا تسأمي.. الخ). انتهى.

. وترجع الى تاريخ الطبري فلا نجد ذلك في أي من مجلداته الستة ! بل تتعجب عندما نجد تفصيلاً في أحداث سنة خمسين هجرية لمقتل حجر بن عدي رضي الله عنه في ٢٥ صفحة ، ولا نجد ذكراً لشهادة الإمام الحسن عليه السلام ! ولا تجد في أحداث سنة ٤٩ إلا صفحة واحدة ! وأما ذيل تاريخ الطبري ففيه صفحة واحدة فيمن مات سنة خمسين ، فيها عدة سطور عن وفاة الإمام الحسن عليه السلام !

فهل أن الطبري لم يكتب ذلك ، أم حذفه من طبعته الفعلية أو من نسخته المعروفة؟ أم أن ابن أبي أصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ ، قد أخطأ ، وهو المؤرخ المعروف والطبيب المشهور والإمام عندهم ؟ وقد اعتمد على كتبه وتاريخه أنتمهم الكبار كالذهبي ونقلوا عنها كثيراً؟! (الأعلام: ١٩٧/١) .

كلا ، بل المرجح عندنا أنهم غيبوا من الطبري كثيراً من سيرة الإمام الحسن وسير أهل البيت ﷺ وأخبارهم ، التي تكشف جرائم بني أمية وأسيادهم !

ب - حرف المتمسلفون كتاب المنتظم لابن الجوزي من أجل معاوية ! فقد حذفوا منه تصريحه بذلك ! قال ابن الدمشقي في جواهر المطالب: ٢٠٩/٢: (قال الإمام ابن الجوزي في تاريخه المنتظم: والصحيح أن الذي سمه هي جعدة بنت الأشعث بن قيس وكانت تحت الحسن فدرس إليها معاوية أن سمي الحسن وأزوجك يزيد . وكان معاوية قد جعل ولاية العهد بعده للحسن فسمه ليكون الأمر بعده لابنه يزيد . فلما فعلت ذلك أرسلت إليه تطالبه بما عاهدها عليه وتذكره بالعهد والوفاء ! فأجابها معاوية: لا نفعل وقد فعلت بالحسن ما فعلت فكيف آمنتك على يزيد) ! انتهى.

وقال في هامشه: (كلام ابن الجوزي هذا ما وجدته فيما أورده ابن الجوزي حول شهادة الإمام الحسن ﷺ حوادث العام (٤٩) من النسخة المطبوعة سنة ١٤١٢ من تاريخ المنتظم: ٢٢٥/٥ ط المكتبة العلمية ببيروت . والظاهر أن أنصار الشجرة الملعونة أسقطوه منه سترأ على مخازي المنافقين) ! انتهى.

ج- ويظهر أنهم فعلوا ذلك في طبقات ابن سعد ! فهي ترجمة الإمام الحسن ﷺ محذوفة من طبعتها ، حتى طبعها السيد عبد العزيز الطباطبائي رحمه الله .
وها هو سبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ يقول في تذكرته ٢١١/١: (وقال ابن سعد

في الطبقات: سمه معاوية مراراً لأنه كان يقدم عليه الشام هو وأخوه الحسين).
(الغدير: ١١/١١). ولا وجود له الآن في نسخة الطبقات !!

الإتجاه الثالث، حاول منهم أن يجعلوا الجريمة في رقبة يزيد ويبرئوا معاوية!
قال في عون المعبود: ١٢٧/١١: (وكان وفاة الحسن رضي الله عنه مسموماً، سمته زوجته جعدة بإشارة يزيد بن معاوية سنة تسع وأربعين أو سنة خمسين أو بعدها).
وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء/١٥٠، وفي طبعة/١٩٢: (توفي رضي الله عنه بالمدينة مسموماً سمته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس، دس إليه يزيد بن معاوية أن تسمه فيتزوجها ففعلت، فلما مات الحسن بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها فقال: إنا لم نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا وكانت وفاته سنة تسع وأربعين). (ونحوه في تاريخ دمشق: ٢٨٤/١٣، والمنتظم: ٢٢٦/٥، والصواعق المحرقة: ١٣/٢، تهذيب الكمال: ٢٥٣/٦، وسمط النجوم: ١٠٢/٣، وغيرها).

الإتجاه الرابع، أظهر بعضهم التوقف في الأمر! فقال لا نعلم هل قتله معاوية أو يزيد!! كما فعل أبو الفداء في تاريخه/٢٣١: (وتوفي الحسن من سم سقته زوجته جعدة بنت الأشعث، قيل فعلت ذلك بأمر معاوية وقيل بأمر يزيد بن معاوية، ووعدها أنه يتزوجها إن فعلت ذلك فسقته السم وطالبت يزيد أن يتزوجها فأبى...). انتهى. وبعضهم أبهم خوفاً من المعاوين وتكلم بصيغة المبني للمجهول كما فعل الحاكم في المستدرک: ١٧٦/٣، قال: (سمت ابنة الأشعث بن قيس الحسن بن علي وكانت تحته ورُشيت على ذلك مالا)!

الإتجاه الخامس، اكتفى بعضهم بنقل الأقوال: قيل، يقال، سمعنا أنه معاوية!
كما فعل ابن قتيبة في المعارف/٢١٢: (ويقال إن أمرته جعدة بنت الأشعث بن قيس سمته). وفي تاريخ دمشق: ٢٢٩/٤: (وروي عن محمد بن المرزبان أن يزيداً

دس إليها السم ، وعن عبد الله بن الحسن قد سمعت من يقول إنه معاوية). وأضعف منه الذهبي في سيره: ٢٧٤/٣، قال: (قال الواقدي: فقال الطيب: هذا رجل قد قطع السم أمعاءه ، وقد سمعتُ بعض من يقول: كان معاوية قد تلتطف لبعض خدمه أن يسقيه سمًا). (ومثله في تهذيب الكمال: ٢٥١/٦).

وفي سمت النجوم العوالي/ ٨٥٤: (وذكر (المسعودي) بأن امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي قد بعث إليها يزيد: إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك مائة ألف درهم وتزوجتك ، فكان هذا الذي بعثها على سمه ، فلما مات وفي لها بالمال وأرسل إليها: إنا لم نرضك للحسن فكيف نرضاك لأنفسنا؟! والله أعلم بصحة ذلك).

وفي البدء والتاريخ: ٥/٦: (واختلفوا في سبب موته فزعم قوم أنه زج ظهر قدمه في الطواف بزج مسموم! وقال آخرون: إن معاوية دس إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس بأن تسم الحسن ويزوجها يزيد فسمته وقتلته ، فقال لها معاوية: إن يزيد منا بمكان وكيف يصلح له من لا يصلح لابن رسول الله وعوضها منه مائة ألف درهم).

وفي أنساب الأشراف للبلاذري/ ٧٤٧: (وقد قيل أن معاوية دس إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس امرأة الحسن وأرغها حتى سمته وكانت شائنة له . وقال الهيثم بن عدي: دس معاوية إلى ابنة سهيل بن عمرة امرأة الحسن مائة ألف دينار على أن تسقيه شربة بعث بها إليها ، ففعلت).

الإنجاه السادس ، شكك بعضهم في أن تكون جعدة سمته بأمر يزيد أو معاوية ! بحجة أنه قولٌ قيل أو سُمع سماعاً! قال الصفدي في الوافي بالوفيات: ١٢/ ٦٨: (قيل إن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس أمرها بذلك يزيد بن معاوية

لتكون ولاية العهد له ووعداها أن يتزوجها فلما مات الحسن قال يزيد: والله لم نرضك للحسن فكيف نرضاك لأنفسنا! ولم يتزوجها).

الإتجاه السابع ، تبرئة يزيد لعدم الدليل ! وتبرئة معاوية لأنه حاشاه أن يفعل ذلك ! وقد انفرد بذلك بعض المتأخرين مثل ابن كثير وابن خلدون !

قال في النهاية: ٤٣/٨: (وروى بعضهم أن يزيد بن معاوية بعث إلى جعدة بنت الأشعث أن سُمِّي الحسن وأنا أتزوجك بعده ففعلت فلما مات الحسن بعثت إليه فقال: إنا والله لم نرضك للحسن أفرضاك لأنفسنا . وعندي أن هذا ليس بصحيح وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأخرى).

وقال ابن خلدون في تاريخه: ٦٤٩/٢: (وما ينقل من أن معاوية دس إليه السم مع زوجه جعدة بنت الأشعث فهو من أحاديث الشيعة وحاشا لمعاوية من ذلك)! أقول: والحقيقة ظاهرة حتى لذي عين واحدة ! وعملهم الذي رأيته في هذه المسألة الواضحة نموذج لأساليبهم في تجميع الحقائق وتضييعها !



٢٨ - معاوية يكافئ مروان بولاية المدينة !

روى المؤرخون رسالة مروان الى معاوية مفتخراً ! قال في تاريخ دمشق: ١٢٧/٢١: (لما مات الحسن بن علي بعث مروان بن الحكم إلى معاوية يخبره أنه مات . قال: وبعث سعيد بن العاص رسولاً آخر يخبره بذلك . وكتب مروان يخبره بما أوصى به حسن من دفنه مع رسول الله (ص) وأن ذلك لا يكون وأنا حي! ولم يذكر ذلك سعيد ، فلما دفن حسن بن علي بالقيع أرسل مروان بربداً آخر يخبره بما كان من ذلك ومن قيامه ببني أمية ومواليهم: وإني يا أمير المؤمنين عقدت لوائي وتلبسنا

السلح ، وأحضرت معي من اتبعني ألفي رجل ! فلم يزل الله بمنه وفضله يدرأ ذلك أن يكون مع أبي بكر وعمر ثالثاً أبداً حيث لم يكن أمير المؤمنين عثمان المظلوم ، وكانوا هم الذي فعلوا بعثمان ما فعلوا !!

فكتب معاوية إلى مروان يشكر له ما صنع ، واستعمله على المدينة ونزع سعيد بن العاص وكتب إلى مروان: إذا جاءك كتابي هذا فلا تدع لسعيد بن العاص قليلاً ولا كثيراً إلا قبضته ! فلما جاء الكتاب إلى مروان بعث به مع ابنه عبد الملك إلى سعيد بخبره بكتاب أمير المؤمنين ، فلما قرأه سعيد بن العاص صاح بجارية له: هات كتابي أمير المؤمنين ، فطلعت عليه بكتابين ! فقال لعبد الملك: إقرأهما ، فإذا فيهما كتاب من معاوية إلى سعيد بن العاص يأمره حين عزل مروان بقبض أموال مروان التي بذى المروة ، والتي بالسويداء ، والتي بذى خشب ، ولا يدع له عذقاً واحداً ! فقال: أخبر أباك !! فجزأه عبد الملك خيراً ، فقال سعيد: والله لولا أنك جئتني بهذا الكتاب ما ذكرت ما ترى حرفاً واحداً ! قال: فجاء عبد الملك بالخبر إلى أبيه ، فقال: هو كان أوصل لنا منا له). (والمنتظم: ٢٦٧/٥).

أقول: غرض معاوية إيقاع العداوة بين مروان وسعيد حتى يحتاجا اليه ولا ينافسا يزيداً على الخلافة ، وله قصص متعددة في الفتنة بينهما ! وروى ابن عساكر وغيره أن معاوية أخر عزل سعيد ، لكنه لا يصح بل عزله وولى مروان بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام مباشرة ، وأمره أن يأخذ البيعة ليزيد فلم يستطع ، فعزله وأعاد سعيداً ، فخرج مروان من المدينة غاضباً !

هذا وقد أقر مروان بانحطاطه وبأن سعيد بن العاص أوصل منه لرحمه ! وقد ذكرنا أن مروان آل من فرع بني العاص ، وسعيد بن العاص من فرع أبي أحيحة ، وهم أرقى نوعية من مروان لكنهم أكثر بغضاً لأهل البيت عليهم السلام منه ! وقد روي أن

الإمام الصادق عليه السلام يرجع مرواناً على سعيد ، فروى عنه في تاريخ دمشق: ٢٤٧/٥٧:
 (كان مروان يعذلنا بلسانه ويصلنا ، وكان سعيد بن العاص لا يعذلنا ولا يصلنا .
 فقلت له: أيهما كان أحب إليكم؟ قال مروان كان خيراً لنا في السر من
 سعيد). انتهى. ولكن يصعب قبول ذلك في حق مروان !



الفصل السابع

خمس مسائل حول الحجرة النبوية الشريفة

المسألة الأولى: قداسة الحجرة النبوية الشريفة وأهميتها !

إن قبر النبي ﷺ وترته الشريفة قضية كبيرة ، تتعلق بأمة النبي ﷺ بكاملها ، وما كان الله تعالى ليترك أمرها بدون تدبير وتخطيط ! فالذي تكفل تسديد منطلق نبيه ﷺ فبرأه عن الهوى والخطأ ، وجعله لا ينطق إلا وحياً محسوباً ، لا بد أن يتكفل بكل أموره ومنها قبره الشريف ومستقبل موقعه في أمته .

وقد تواصل نزول جبرئيل عليه في مرض وفاته ، ولا بد أنه علمه كل ما ينبغي له من أمر أمته ومرضه ووفاته وقبره وأين يكون في مرضه ، وأين يدفن وما يوصي به من مراسم جنازته. (كان جبرئيل ينزل على النبي ﷺ في مرضه الذي قبض فيه في كل يوم وفي كل ليلة). (جامع أحاديث الشيعة: ١٠٩/٣، عن علي عليه السلام).

وقد بلغ ﷺ أمته منظره من الأحكام شرعية لتعامل الأمة مع عترة نبيه ﷺ وقبره وبيته وآثاره، فعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: (كان فيما أوصى به رسول الله ﷺ أن يدفن في بيته ويكفن بثلاثة أثواب أحدها يمان ، ولا يدخل قبره غير علي عليه السلام ثم قال: يا علي كن أنت وفاطمة والحسن والحسين ، وكبروا خمساً وسبعين تكبيرة ، وكبر خمساً وانصرف ، وذلك بعد أن يؤذن لك في الصلاة .

قال علي عليه السلام: ومن يأذن لي بها ؟ قال: جبرئيل يؤذنك بها ثم رجال أهل بيتي يصلون على أفواجاً أفواجاً ثم نسائهم، ثم الناس من بعد ذلك . قال: ففعلت).

(وسائل الشيعة: ٧٧٩/٢ ، ومستدرک الوسائل: ٢٠٦/٢) . كما روينا أنه ﷺ أوصى علياً عليه السلام أن يغسله بسبع قرب من بئر غرس ، وأن يحنطه بحنوط أتاه به جبرئيل عليه السلام ويأخذ بقبته له ولفاطمة والحسين عليه السلام ، وأمره إذا أكمل مراسم غسله وتكفينه أن يجلسه

ويسأله عما يريد ويكتب ما يقول ، وأن يدفنه في البقعة التي يقبض الله فيها روحه الشريفة. (تهذيب الأحكام: ٢/٦ ، وبصائر الدرجات/ ٣٠٤ ، وشرح الأخبار: ٤١٩/٢ ، ودعائم الإسلام: ٢٣٤/١).

وقد غاب الطلقاء وزعماءهم عن مراسم تجهيز النبي ﷺ والصلاة عليه ودفنه لانشغالهم بالسقيفة والتردد الى بيوت الأنصار المتباعدة لإقناعهم ببيعة أبي بكر ، وكان غيابهم فرصة مناسبة لعلي عليه السلام والعترة النبوية لتنفيذ وصية الحبيب المصطفى ﷺ على أحسن وجه ، ولم يترك علي عليه السلام جنازته ووصيته ويذهب الى السقيفة ليخاصم الطامعين في سلطان النبي ﷺ !

أما بعد انتهاء المراسم فقال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ٢٩/١: (وخرج علي كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله (ص) على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به ، فيقول علي كرم الله وجهه: أفكنت أدعُ رسولَ الله في بيته لم أدفنه وأخرج أنازع الناس سلطانه؟! فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ، ولقد صنعوا ما الله حسيهم وطالبهم) ! (والاحتجاج: ٩٦/١).

لهذا السبب ، فإن أي رواية في مراسم دفن النبي ﷺ ومكانه ، ينبغي أن تأخذها الأمة من أهل بيت النبي ﷺ فهم مضافاً الى وصية النبي ﷺ بهم ، أخبر الناس بما يجب ولا يجب في هذا المراسم ، وأخبر بما جرى وأين دفن النبي ﷺ ، أما غيرهم فكانوا غائبين عن ذلك مشغولين بالسقيفة والذهاب الى منازل الأنصار المتباعدة ، من ساعة وفاته ﷺ يوم الإثنين الى يوم الجمعة أو السبت ، وقد دفن النبي ﷺ ليلة الأربعاء !

وقد اتفقت رواياتهم على أن عائشة وأباها وحفصة وأباها كانوا غائبين ! قال في الطبقات: ٢/٢٦٢: (عن جابر بن عبد الله الأنصاري أن كعب الأحبار قام زمن عمر فقال ونحن جلوس عند عمر أمير المؤمنين: ما كان آخر ما تكلم به رسول الله ؟ فقال عمر: سل علياً ، قال أين هو؟ قال: هو هنا ، فسأله فقال علي: أسندته إلى صدري فوضع رأسه على منكبي فقال: الصلاة الصلاة . فقال كعب: كذلك آخر عهد الأنبياء وبه أمروا وعليه يبعثون . قال: فمن غسله يا أمير المؤمنين؟ قال: سل علياً ، قال فسأله فقال: كنت أغسله وكان العباس جالساً و كان أسامة وشقران يختلفان إليَّ بالماء).

وقال الخطيب في الإكمال/٢١: (أخرج ابن أبي شيبة (المصنف: ١٤/٥٦٨) أن أبا بكر وعمر لم يشهدا دفن النبي (ص) وكانا في الأنصار فدفن رسول الله (ص) قبل أن يرجعا . والخبر صحيح).

وروى أحمد: ٦٢/٦: (عن عائشة قالت ما علمنا بدفن رسول الله (ص) حتى سمعنا صوت المساحي من آخر الليل ليلة الأربعاء). (وابن هشام: ٤/١٠٧٨، والبيهقي: ٣/٤٠٩).

وفي الدرر لابن عبد البر/٢٧١: (ودفن يوم الثلاثاء وقيل بل دفن ليلة الأربعاء ولم يحضر غسله ولا تكفينه إلا أهل بيته ! غسله علي وكان الفضل بن عباس يصب عليه الماء والعباس يعينهم). انتهى . لكن مع ذلك زعم رواة الخلاف أن أبا بكر أشار عليهم أن يدفن في المكان الذي توفي فيه ، ثم كذبوا أنفسهم ورووا أن النبي ﷺ أمر بذلك ! لذلك قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: ١٣/٣٩: (قلت: كيف اختلفوا في موضع دفنه وقد قال لهم (فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبوري) وهذا تطريح بأنه يدفن في البيت الذي جمعهم فيه وهو بيت عائشة (!) فإما أن يكون هذا الخبر غير صحيح أو يكون الحديث الذي تضمن

أنهم اختلفوا في موضع دفنه وأن أبا بكر روى لهم أنه قال (الأنبياء يدفنون حيث يموتون) غير صحيح ، لأن الجمع بين هذين الخبرين لا يمكن).

تُرى أين صارت هذه المنظومة الشرعية للتعامل مع قبر النبي ﷺ وعترته ؟
لقد أَقْصِيَتْ كلها بفعل موجة الطلقاء التي فرضت خليفة السقيفة ، وهاجمت بيت علي وفاطمة ﷺ والمعترضين وهددتهم بإحراق البيت عليهم إن لم يبايعوا ! ثم سارعت السلطة الى فرض سيطرتها على المسجد النبوي والقبر الشريف ، خوفاً من أن يعود بنو هاشم بقبر النبي ﷺ مطالبين بحقهم في الخلافة فوضعت يدها على مسجد النبي ﷺ وبيته وقبره وأعلنت (الأحكام العرفية) ومنعت الصلاة والجلوس عند القبر الشريف والتجمع ، بحجة أن النبي ﷺ نهى عن ذلك !

وفي وقت لاحق ادعت عائشة بنت رئيس السلطة أن هذه الحجرة التي دفن فيها النبي ﷺ لها ، وأنه أعطها إياها في حياته ، مع أن غرفتها من الجهة الثانية من المسجد كما ستعرف !

ومع أن عائشة وحفصة تركتا جنازة النبي ﷺ من لحظات وفاته ، ولم تقوما بالحداد الواجب على زوجهما ﷺ ! فقد كانت عائشة بعد ذلك تتحسّر لفوز علي ﷺ بمراسم تجهيز النبي ﷺ وتقول: (لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله إلا نساؤه) ! (أحكام الجنائز للألباني/٤٩ وقال: أخرجه أبو داود: ٦٠/٢ ، وابن الجارود في المنتقى ٢٥٧ ، والحاكم: ٥٩/٣ وصححه على شرط مسلم ، وأحمد: ٧٢٦/٦ ، بسند صحيح) .

إنها قضايا كبيرة وخطيرة لكن ما نريد قوله هنا: إننا نعتقد أن الحجرة الشريفة ملكٌ للنبي ﷺ وعلى من يدعي انتقال ملكيتها الى أحد أن يثبت ذلك . وستعرف أنهم لا دليل عندهم على أن الحجرة الشريفة هي غرفة عائشة ، ولا على انتقال ملكيتها من النبي ﷺ إليها . وقد دل الدليل القطعي عند الجميع على

الفصل السابع : خمس مسائل حول الحجرة النبوية الشريفة..... ٢٨٩

أن النبي ﷺ أوصى بها لعلي والأئمة بعده عليه ، فقاعدة: من كنت مولاه فعلي عليه مولاة ، وأدلة ولاية العترة الطاهرة عليه المتواترة تشمل ما كان النبي ﷺ ولياً عليه ومنه أوقاف النبي ﷺ وصدقائه ومسجده وبقعته الشريفة ﷺ .
بل نعتقد أن هذه الولاية لعلي عليه تشمل لقب أمهات المؤمنين وحق الحصانة الذي جعله الله لنساء النبي ﷺ فله أن ينزعه عنمن تستوجب ذلك منهن !



المسألة الثانية: ادعاؤهم وراثه عائشة أو ولايتها على الحجرة النبوية
قال بعض من خالفنا إن النبي ﷺ دُفن في غرفة عائشة ، وهي ملكٌ للنبي ﷺ لكن عائشة لها حق فيها لأنها وراثه !
نقول: منعوا الزهراء عليه أن ترث أباهما ﷺ وادعى أبو بكر أن الأنبياء عليه ترثهم الدولة ولا يرثهم ورثتهم الشرعيون ، وأيده عمر وعائشة ! فما هذا التناقض ؟
وعلى فرض أن عائشة ترث من بيت النبي ﷺ فسهمها التسع من الثمن لأنها واحدة من تسع زوجات لهن جميعاً الثمن ! فلماذا يجب أن تُستأذن دون بقية ورثته ؟ ولماذا لا يحق للإمام الحسن عليه أن يدفن في سهم أمه عليه وهي البنت الوحيدة للنبي ﷺ وسهمها أكثر من سهم زوجاته جميعاً ؟!
قالوا: إن الحجرة النبوية الشريفة إما ملك عائشة أو لها الولاية عليها ، حيث أعطاهما إياها أبو بكر وأقرها عمر: (أرسل إلى عائشة إنذني لي أن أدفن مع صاحبي فقالت: إي والله قال وكان الرجل إذا أرسل إليها من الصحابة قالت: لا والله لا أوثرهم بأحد أبداً). (البخاري: ١٥٣/٨) .

والجواب: أن هذه الولاية لها غير شرعية ، ولو سلمنا صحتها فقد انتهت بموت

أبي بكر ، فلماذا لم يجددها عمر ولا عثمان ، ولا أعطاها معاوية لها ! فلو صحت لوجب عليها أن تقول للإمام الحسن عليه السلام : إستئذن معاوية فهو متولي الوقف ولا مانع عندي ! أو تتكلم بمستوى أرفع فتقول: إن ولايتنا لاتشملكم يا ابن رسول الله فالييت بيتكم ، والنبى ﷺ قال: من كنت مولاه فعلى مولاه ، وأنتم أحب اليه مني ! ففي خصائص علي عليه السلام للنسائي/١٠٨: (استأذن أبو بكر على النبي (ص) فسمع صوت عائشة عالياً وهي تقول: لقد علمت أن علياً أحب إليك مني ! فأهوى لها ليلطمها وقال لها: يا بنت فلانة أراك ترفعين صوتك على رسول الله !). (وصحه الزوائد: ٢٠١/٩).



المسألة الثالثة: ردُّ ادعائهم بأن الحجرة النبوية ملك لعائشة ؟!

وقال بعضهم إن الحجرة ملك لعائشة ، والأدلة الممكنة لهم هي:
الأول: أن عائشة حلفت بالله تعالى أن النبي ﷺ أعطها إياها في حياته فقالت:
(والله إنه لبيتي أعطانيه رسول الله (ص) في حياته ، وما دفن فيه عمر وهو خليفة إلا بأمرى وما أثر على عندنا بحسن). (تاريخ دمشق: ٢٩٣/١٣).

وفي تاريخ اليعقوبي: ٢٢٥/٢: (وقالت: بيتي لا آذن فيه لأحد). وفي الكافي: ٨/
٣٠٢: (فخرجت مبادرة على بغل بسرج فكانت أول امرأة ركبت في الإسلام
سرجاً فوقفت وقالت: نَحُوا ابنكم عن بيتي فإنه لا يدفن فيه شئ).

والجواب: أنهم لا يستطيعون أن يأخذوا بقول عائشة ويصدقوها بدون شهود ،
لأنهم إن فعلوا وجب أن يأخذوا بقول فاطمة الزهراء عليها السلام التي تشهد عائشة بأنها
أصدق منها . فقد روى الحاكم: ١٦٠/٣ وصحه على شرط مسلم أن عائشة (كانت
إذا ذكرت فاطمة بنت النبي ﷺ قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة منها إلا

أن يكون الذي وكدها ﷺ ! (ووافقه الذهبي ، ورواه في سيره: ١٣١/٢ ، ومجمع الزوائد: ٩/ ٢٠١ وصححه مع شبيه له ، والإستيعاب: ١٨٩٦/٤ ، وأبو يعلى: ١٥٣/٨ وسبل الهدى: ٤٧/١١ وصححه) .
وأخذهم بقول فاطمة ؓ يكلفهم كثيراً ، فهو يبدأ بإرجاع مزرعة فدك التي صادروها ، ويصل الى الخلافة التي قالت إن النبي ﷺ أوصى بها لعلي ؓ !
وهذا هو السبب في مطالبتهم الزهراء ؓ بشهود على دعواها . وفي أن الذهبي لم يقبل رواية ادعاء عائشة بملكية الحجرة الشريفة وقال عنه في سيره: ٢٧٦/٣: (إسناده مظلم) ! ومضافاً الى ظلمته عندهم وكلفته إرجاع الخلافة ، فهو يتضمن الطعن في عدالة النبي ﷺ لأنه أعطى عائشة دون بقية زوجاته وابنته ؓ العزيرة !
والدليل الثاني: أن عمر استأذن من عائشة لدفنه في الحجرة الشريفة ، وقد استدلت به عائشة ! لكن عمر غير معصوم وقوله وفعله ليسا حجة كالنبي ﷺ ! بل يرد عليه الإشكال لاستئذانه من غير الولي والوصي الشرعي ، وهو علي ؓ .
ثم ، إن استئذان عمر أعم من الشهادة بالملكية ، فقد يكون من باب الإحترام لعائشة ، أو لأنها وضعت يدها ولا يريد فتح مشكلة معها ، أو لأي سبب آخر .
قال العلامة الحلي في نهج الحق/ ٣٦٤: (كيف يجوز لأبي بكر أن يقول أنا ولي رسول الله ﷺ وكذا لعمر ، مع أن رسول الله ﷺ مات وقد جعلهما من جملة رعايا أسامة بن زيد !؟) . انتهى.

والدليل الثالث: نسبة البيوت الى نساء النبي ﷺ في القرآن ، واستئذان الإمام الحسن ؓ . وقد استدل بهما القاضي عبد الجبار في المغني ، وأجابه الشريف المرتضى رحمه الله في الشافي: ١٦٨/٤ . وسبب بحثهم للمسألة أن الشيعة أشكلوا على دفن أبي بكر وعمر عند قبر النبي ﷺ وأنه حرام شرعاً لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ... وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ

تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا» (الأحزاب: ٥٣) وحرمة النبي ﷺ بعد وفاته كحرمة في حياته !

فأجاب القاضي عبد الجبار بأن الموضع كان ملكاً لعائشة وهي حجرتها التي كانت تسكن فيها ، قال: (وقد بينا أن هذه الحجر كانت أملاًكاً لنساء الرسول وأن القرآن ينطق بذلك في قوله تعالى: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ، وذكر أن عمر استأذن عائشة في أن يدفن في ذلك الموضع حتى قال: إن لم تأذن فادفوني في البقيع وعلى هذا الوجه يحمل ما روي عن الحسن أنه لما مات أوصى أن يدفن إلى جنب رسول الله (ص) فإن لم يُترك ففي البقيع ، فلما كان من مروان وسعيد بن العاص ما كان دفن بالبقيع . وإنما أوصى بذلك بإذن عائشة ، ويجوز أن يكون علم من عائشة أنها جعلت الموضع في حكم الوقف فاستباحوا ذلك لهذا الوجه) . وقال الألوسي في تفسيره: ٢١٩/٤ ، تبعاً لعبد الجبار: (ومن الشيعة من أورد هنا بحثاً وهو أن النبي (ص) إذا لم يورث أحداً فلم أعطيت أزواجه الطاهرات حجراتهن؟ والجواب: أن ذلك مغالطة لأن إفراز الحجرات للأزواج إنما كان لأجل كونها مملوكة لهن لا من جهة الميراث ، بل لأن النبي (ص) بنى كل حجرة لواحدة منهن فصارت الهبة مع القبض متحققة وهي موجبة للملك . وقد بنى النبي (ص) مثل ذلك لفاطمة وأسامة وسلمه إليهما ، وكان كل من بيده شيء مما بناه له رسول الله (ص) يتصرف فيه تصرف المالك على عهده . ويدل على ما ذكر ما ثبت بإجماع أهل السنة والشيعة أن الإمام الحسن لما حضرته الوفاة استأذن من عائشة وسألها أن تعطيه موضعاً للدفن جوار جده المصطفى ، فإنه إن لم تكن الحجرة ملكاً أم المؤمنين لم يكن للاستئذان والسؤال معنى . وفي القرآن نوع إشارة إلى كون الأزواج المطهرات مالكات لتلك الحجر حيث قال سبحانه: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ

(الأحزاب: ٣٣) فأضاف البيوت إليهن ولم يقل في بيوت الرسول (ص) .
ومن أهل السنة من أجاب عن أصل البحث بأن المال بعد وفاة النبي (ص) صار
في حكم الوقف على جميع المسلمين ، فيجوز لخليفة الوقت أن يخص من شاء
بما شاء كما خص الصديق جناب الأمير بسيف ودرع وبغلة شهباء تسمى الدلدل
مع أن الأمير كرم الله تعالى وجهه لم يرث النبي (ص) بوجه ، وقد صح أيضاً أن
الصديق أعطى الزبير بن العوام ومحمد بن مسلمة بعضاً من متروكاته). انتهى.
وأجاب السيد المرتضى رحمته الله فقال: (يقال له: ليس يخلو موضع قبر النبي صلى الله عليه وآله من
أن يكون باقياً على ملكه أو يكون انتقل في حياته إلى عائشة على ما ادعاه ، فإن
كان الأول لم يخلُ من أن يكون ميراثاً بعده أو صدقة ، فإن كان ميراثاً فما كان
يحل لأبي بكر ولا لعمر من بعده أن يأمرأ بدفنها فيه ، إلا بعد إرضاء الورثة
الذين هم على مذهبنا فاطمة عليها السلام وجماعة الأزواج وعلى مذهبهم هؤلاء والعباس .
ولم نجد واحداً منهما خاطب أحداً من هؤلاء الورثة عن ابتياع هذا المكان ، ولا
استنزله عنه بضمن ولا غيره ! وإن كان صدقة فقد كان يجب أن يرضي عنه جماعة
المسلمين ويتباعه منهم هذا إن جاز الابتاع لما يجري هذا المجرى . وإن كان
انتقل في حياته فقد كان يجب أن يظهر سبب انتقاله والحجة فيه ، فإن
فاطمة عليها السلام لم يقنع منها في انتقال فذك إلى ملكها بقولها ولا شهادة من شهد لها !!
فأما تعلقه بإضافة البيوت إلى ملكهن بقوله تعالى: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ، فمن
ضعيف الشبهة لأننا قد بينا فيما مضى من الكتاب أن هذه الإضافة لا تقتضي الملك
وإنما تقتضي السكنى ، والعادة في استعمال هذه اللفظة فيما ذكرناه ظاهرة قال الله
تعالى: لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ . ولم يُرد
تعالى إلا حيث يسكنن وينزلن دون حيث يملكن بلا شبهة .

وأطرف من كل شئ تقدم قوله: إن الحسن استأذن عائشة في أن يدفن في البيت حتى منعه مروان وسعيد بن العاص، لأن هذه مكابرة منه ظاهرة، فإن المانع للحسن عليه السلام من ذلك لم يكن إلا عائشة، ولعل من ذكر من مروان وسعيد وغيرهما أعانها واتبع في ذلك أمرها! وروي أنها خرجت في ذلك اليوم على بغل حتى قال ابن عباس: يوماً على بغل ويوماً على جمل! فكيف تأذن عائشة وهي في ذلك مالكة للموضع على قولهم، ويمنع منه مروان وغيره ممن لا ملك له في الموضع ولا شركة ولا يد! وهذا من قبيح ما يرتكب). انتهى.

وقد كرر الآلوسي مقولة القاضي عبد الجبار وأغمض كلتا عينيه عن جواب الشريف المرتضى رحمته الله! ولا بد أنه قرأ كتابه الشافي لأنهما بغداديان، ولأن الآلوسي استشهد مرات عديدة بأقوال الشريف المرتضى اللغوية والعلمية وذكر أسماء بعض كتبه، منها في مجلدات تفسيره: ٢٠٧/١، و٧٦/٦، و١١٢، و١٦٨/٧: ١٩٧، و٢٠، و١٠٠٨/١٢: ١٠١، و١٤٥ و١٤٠، و٢١٦/١٣، و٢٩ و٥٠ و٢٥٨ و١٤: ٢٩، و١٣٣/١٥: ٢٤٩ و٩٩/١٨، و٢٠٥، و١٥٩/٢١: ١٦٠، و٢٠١/٢٣: ٩٧ و١٧٨ و١٤٥/٢٩: ٧/٣٠، و٥٢ و١٣٩ و٢٠٩!

ومعنى كلام الآلوسي الأخير: أن أبا بكر خصَّ عائشة بالحجرة الشريفة كما خص علياً عليه السلام والزبير ومحمد بن مسلمة، بشئ من تركة النبي صلى الله عليه وآله! ثم ألبهم دعواه كما فعل غيره، ولم يبين هل ملَّك أبو بكر الحجرة الشريفة لعائشة ملكية شخصية فانتقلت الى ورثتها، كما انتقلت تلك الأشياء الى ورثة من ذكرهم؟!!

ولو سلمنا أن تركة النبي صلى الله عليه وآله وقف بيد الدولة، فما هو الدليل على حق رئيس الدولة في أن يملك شيئاً منها بنته أو غيرها فيكون قبر النبي صلى الله عليه وآله ملكاً شخصياً يباع ويشتري؟! ولماذا لم يُعط عمر بنته غرفتها كما أعطى أبو بكر؟! ولم يعط عثمان أو معاوية أم حبيبة الأموية غرفتها؟!!

إن سؤال الشيعة عن المستند الشرعي لتصرف عائشة وأبيها في بيوت النبي ﷺ وحجرته الشريفة سؤال قويّ ، وليس مغالطة كما زعم الألوسي ! بل المغالطة ادعاؤه ولاية أبي بكر على تركة النبي ﷺ وحقه في أن يعطي منها الحجرة التي فيها قبره الشريف ملكاً شخصياً لبنته ، بلا دليل ولا أثارة من علم ! فهذه أحاديث تركة النبي ﷺ مدونة في مصادرهم ، وقد كتب حماد بن زيد المتوفى سنة ٢٦٧ كتاباً باسم (تركة النبي) ولم يذكر شيئاً مما ادعاه الألوسي !

أما مصادرنا فأكدت أن استثناء الأنبياء ﷺ من قانون التوريث كذب من السلطة لتسيطر على أملاكه وأوقافه ﷺ وتغصبها من ابنته وارثته الوحيدة وزوجها علي ﷺ الذي عينه النبي ﷺ وصياً عليها !

كما يردُّ ما ذكره من تمليك عمر لعلي ﷺ شيئاً من تركة النبي ﷺ ما رواه أبو يعلى وأحمد: ١٣/١، قال: (خاصم العباس علياً في أشياء تركها رسول الله (ص) فقال أبو بكر: شئ تركه رسول الله فلم يحركه فلا أحرکه ! فلما استخلف عمر اختصما إليه فقال: شئ لم يحركه أبو بكر فلست أحرکه ، قال فلما استخلف عثمان اختصما إليه ، قال: فأسكت عثمان ونكس رأسه ، قال ابن عباس: فخشيت أن يأخذه فضربت بيدي بين كتفي العباس ، فقلت: يا أبت أقسمت عليك الا سلمته لعلي . قال فسلمه له). (ووثقه في الزوائد: ٤/٢٠٧) . فهذا الموثق عندهم على إشكالنا فيه ، يردُّ إعطاء أبي بكر لعلي ﷺ شيئاً أو غيره ، بل يحرمه .

أما زعمه أن النبي ﷺ (بنى كل حجرة لواحدة منهن فصارت الهبة مع القبض متحققة) فهو رجم بالغيب لتبرير ما فعلته السلطة من إعطائهن غرفهن ! وقد طلق النبي ﷺ اثنتين منهن هما عمرة والشبابة فلم تطالبا بشئ ؟!

بل الصحيح أن النبي ﷺ اشترى أرض مسجده وبيته وبناهما بماله وبمساعدة

المسلمين كما روى الجميع ومنهم بخاري: ١١١/١، ثم اشترى بيوتاً حسب حاجته من حارثة بن النعمان ، أو بناها كما تقدم من الطبقات: ١٦٦/٨ ! فهي ملكه وتنقل الى ورثته وحسب وصيته ، ولا دليل على أنه مَلِكٌ شيئاً منها الى أزواجه .

ثم لو صح كلام الآلوسي من أن النبي ﷺ مَلِكٌ كل واحدة من زوجاته غرفته فإن ابنته الزهراء ؑهاجرت معه وكانت عنده سنتين قبل زواجها من علي ؑ فأين الغرفة التي ملكها إياها ، ولماذا منعوا دفن الإمام الحسن ؑ فيها ؟

أما استدلال آلوسي على ملكية عائشة للحجرة باستئذان الإمام الحسن ؑ منه فلو سلمنا وقوعه فهو لا يعتبر اعترافاً بملكيتها ، بل كان بسبب تسلطها من زمن أبيها وعمر على الحجرة الشريفة ! والاستئذان من المتسلط ليس إقراراً !

ومن قرأ رأي الإمام الحسن ؑ في عائشة وأبيها وفي عمر يعرف أنه ؑ لا يرى لهم ملكية ولا ولاية ، بل كان يراهم متسلطين ! وقد نص على ذلك قول الإمام الحسين ؑ لعائشة في الكافي: ٣٠٠/١: (قديماً هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله ﷺ) وأدخلت عليه بيته من لا يحب قربه وإن الله سائلك عن ذلك يا عائشة).

وأخيراً ، كرر آلوسي استدلال عبد الجبار بالقرآن فقال: (وفي القرآن نوع إشارة إلى كون الأزواج المطهرات مالكات لتلك الحجر حيث قال سبحانه: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ (الأحزاب: ٣٣) فأضاف البيوت إليهن ، ولم يقل في بيوت الرسول) . انتهى .

فأي إشارة لملكيتهن في الآية ، وإنما أضاف الله البيوت لهن لسكنانهن فيها؟! ولماذا لم يقرأ الآلوسي عالم التفسير نسبة الله تعالى البيوت الى النبي ﷺ في قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ... (الأحزاب: ٥٣) ؟

أو تعبير النبي ﷺ ببיתי في قوله: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ! وقول عائشة في البخاري: ١٤٩/٣: (يا رسول الله هذا رجل يستأذن في بيتك) ؟!

فكل واحدة من هذه التعابير على مبناه إقرار من عائشة بملكية النبي ﷺ وعدم ملكيتها ، أو قول عبدالله بن عمرو في البخاري ٤٦٤: (قام النبي خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: ها هنا الفتنة ثلاثاً ، من حيث يطلع قرن الشيطان) ! فعبر بالمسكن ، ولم يقل بيت عائشة ! فهو على رأيه إشارة الى عدم ملكيتها ؟!

والصحيح أن باب الإضافة في العربية واسع فهي تصح بأدنى سبب ، ولا تشير الى ملكية ولا الى سلبها ، وإلا لكانت كل مطلقة تملك البيت الذي تسكن فيه كما أشار المرتضى ﷺ في قوله تعالى: لَا تُخْرِجُوهُمْ مِنْ بَيْوتِهِمْ وَلَا تَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ! ولا يحكم أحد بملكية المطلقات للبيوت لإضافتها إليهن ؟!

ادعاء عائشة لم يكن معروفاً في القرن الثاني !

روى القطب الراوندي في الخرائج: ٢٤٥/١، مناظرة بين أبي حنيفة وفضال بن الحسن بن فضال ، وأنه سأل أبا حنيفة: (قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ، منسوخ أو غير منسوخ؟ قال: هذه الآية غير منسوخة . قال: ما تقول في خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر أم علي بن أبي طالب ؟ فقال: أما علمت أنهما ضجيعا رسول الله (ص) في قبره ، فأبي حجة تريد أوضح في فضلهما من هذه ؟ فقال له الفضال: لقد ظلما إذ أوصيا بدفنهما في موضع ليس لهما فيه حق ، وإن كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله ﷺ لقد أساء إذا رجعا في هبتهما ونكثا عهدهما ! وقد أقررت أن قوله تعالى: لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ، غير منسوخة !

فأطرق أبو حنيفة ثم قال: لم يكن له ولا لهما خاصة ، ولكنهما نظرا في حق عائشة وحفصة فاستحقا الدفن في ذلك الموضع لحقوق ابنتيهما .

فقال له فضال: أنت تعلم أن النبي ﷺ مات عن تسع حشايا ، وكان لهن الثمن

لمكان ولده فاطمة ، فنظرنا فإذا لكل واحدة منهن تسع الثمن ، ثم نظرنا في تسع الثمن فإذا هو شبر في شبر ، والحجرة كذا وكذا طولاً وعرضاً ، فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك؟ وبعد ، فما بال عائشة وحفصة يرثان رسول الله وفاطمة بنته منعت الميراث ؟ فالمناقضة ظاهرة في ذلك من وجوه كثيرة . فقال أبو حنيفة: نحوه يا قوم عني ، فإنه والله رافضي خبيث) . (الصوارم المهركة للشهد الستري/١٥) .

وهذا يدل على أن ادعاء ملكية عائشة للحجرة الشريفة لم يكن متبنئاً عند السنة في زمن أبي حنيفة ، وأنهم كانوا يرون أن قول عائشة قولاً في الهواء !



المسألة الرابعة: تناقضات أقوال عائشة في الحجرة النبوية الشريفة !

المعروف في مصادر الحديث والتاريخ رواية بخاري: ٢٥٠/٤ التي تقول إن عمر بعد أن ضُرب أرسل الى عائشة يستأذنها فقال لابنه: (إنطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل يقرأ عليك عمر السلام ، ولا تقل أمير المؤمنين فإنني لست اليوم للمؤمنين أميراً ، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه ، فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه ؟ فقالت: كنت أريده لنفسي ولأثرته به اليوم على نفسي . فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء ، قال: إرفعوني فأسنده رجل إليه فقال: ما لديك ؟ قال الذي تحب يا أمير المؤمنين ، أذنت . قال: الحمد لله ما كان من شئ أهم إليَّ من ذلك ، فإذا أنا قضيت فاحملوني ثم سلم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب ؟ فإن أذنت لي فأدخلوني وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين! وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها ، فلما رأيناها قمنا

فولجت عليه فبكت عنده ساعة ، واستأذن الرجال فولجت داخلاً لهم ، فسمعنا بكاءها من الداخل ، فقالوا أوص يا أمير المؤمنين ، إستخلف . قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء نفر أو الرهط الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن). (وسنن البيهقي: ٥٨/٤ ، وابن أبي شيبة: ٢٣٠/٣ ، و: ٥٧٦/٨ ، وابن حبان: ٣٥٢/١٥ ، والطبقات: ٣٣٨/٣ ، وغيرهم).

لكنَّ رواية ابن سعد في الطبقات: ٣٦٣/٣ ، تدل على أن عمر رأى المكان قبل اغتياله وقاسه بالعصا ، لأنه قال أو قيل له لايسع قبراً ! قال: (فأذنت ، قال عمر: إن البيت ضيق ، فدعا بعضاً فأتي بها فقدرَ طوله ، ثم قال: إحفروا على قدره). انتهى . فلا بد أن يكون ذلك في حال صحته ، ولعل عائشة اعتذرت منه يومها بضيق المكان فجاء بنفسه وقاسه بالعصا فوجد فيه مكان قبر واحد ضيق !

ويؤيد ذلك ما رواه ابن الضياء في تاريخ مكة/ ٢٣٩ ، أن عمر بن عبد العزيز عندما سقط جدار الحجرة الشريفة: (أمر ابن وردان أن يكشف عن الأساس ، فبينما هو يكشفه إذ رفع يده وتنحى فقام عمر بن عبد العزيز فزعاً فرأى قدمين ورأى الأساس وعليها السعد ، فقال له عبد الله بن عبد الله بن عمر: أيها الأمير لا يروعك فهما قدما جدك عمر بن الخطاب ضاق البيت عنه ، فحفر له في الأساس ! فقال له ابن وردان: غطِّ ما رأيت ، ففعل). انتهى .

فماذا حدث حتى صار المكان ضيقاً ؟ والجواب أن الحجرة النبوية كانت واسعة ولها باب على المسجد ، لكن السلطة بنت جداراً عزلت فيه قبر النبي ﷺ عن المسجد بجدار كان قصيراً أول الأمر ، وقد تكون عزلت القبر من داخل الحجرة بجدار أيضاً ، وكانت عائشة تجلس في القسم الآخر من الحجرة بحجة أنها لها ، مع أن غرفتها في مكان آخر كما مرَّ ، ولكنها لم تكن تسكن عند قبر

النبي ﷺ ولا في حجرتها من جهة القبلة ، بل في بيت بعيد عن المسجد ، هو الذي ذهب اليه مروان وجاء بها على بغلة لمنع دفن الإمام الحسن عليه السلام !
فالمكان الذي قاسه عمر لا بد أن يكون قسماً من الحجرة الشريفة بعد أن بنوا لها جداراً من جهة المسجد ، وجداراً آخر من جهة البيت النبوي !

وقد التفت شرح بخاري الى تناقض كلام عائشة فقال في فتح الباري: ٢٠٥/٣: قال ابن التين: قول عائشة في قصة عمر: كنت أريده لنفسي ، يدل على أنه لم يبق ما يسع إلا موضع قبر واحد ، فهو يغاير قولها عند وفاتها: لا تدفني عندهم ! فإنه يشعر بأنه بقي من البيت موضع للدفن ! انتهى.

وليس هذا هو التناقض الوحيد ففي أقوالها وتصرفها في الحجرة النبوية عدة تناقضات ! منها أنها وهبت مكاناً لعثمان ليدفن فيه لكن المسلمين لم يرضوا بدفنه في مقابر المسلمين ! فقد روى ابن شبة في تاريخ المدينة: ١١٣/١ ، عن عمر بن عبد العزيز ، وكان أمير المدينة ، قال: (اتكأ الوليد (الخليفة) على يدي حين قدم المدينة فجعل يطوف المسجد ينظر إلى بنائه ، ثم إلى بيت النبي فوقف عليه ثم أقبل عليّ فقال: أمعه أبو بكر وعمر؟ قلت: نعم . قال: فأين أمير المؤمنين عثمان؟ قال: والله يعلم أنني لظننت أنه لا يبرح حتى يخرجهما ! فقلت: يا أمير المؤمنين إن الناس كانوا حين قتل عثمان في فتنة وشغل، فذاك الذي منعهم من أن يدفوه معهم . فسكت) ! كما روى حديثاً آخر طويلاً جاء فيه: (ثم أخرجناه لنصلي عليه فقلت المصرية: والله لا يصلي عليه... ثم أرادوا دفنه مع نبي الله وكان قد استوهب من عائشة موضع قبر فوهبت له فأبوا وقالوا: ما سار بسيرتهم فيدفن معهم؟!) انتهى.
ومعنى (المصرية) الوفد المصري الذي جاء شاكياً ظلم الوالي الأموي فلم يسمع لهم عثمان ، وشاركوا في محاصرته وقتله ، كما تقدم في المجلد الأول .

وقد دل هذا النص على أن عائشة وهبت مكاناً في الحجرة النبوية لعثمان !
ثم وهبت لعبد الرحمن بن عوف مكاناً ولكنه لم يقبله ! فقد كان يهدي هدايا كبيرة الى نساء النبي ﷺ وخاصة عائشة (الترمذي: ٣١٢/٥ ، والطبقات: ١٣٢/٣) ، ورووا عن ثروته المليونية: (وكان فيما ترك ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال منه). (الطبقات: ١٣٦/٣) وأن عائشة أرسلت اليه: (حين نزل به الموت: أن هلم إلى رسول الله (ص) وإلى أخويك ، فقال: ما كنت مضيقاً عليك بيتك إني كنت عاهدت ابن مظعون ، أيّنا مات دفن إلى جنب صاحبه). (الرياض النضرة ٥٢٩ ، وتاريخ المدينة: ١١٥/١ ، وفيه: هذا موضع قد حبسته لك مع رسول الله فخذ به) .

ثم أذنت عائشة أن يدفن الإمام الحسن عليه السلام إلى جنب جده ﷺ وقالت: (نعم بقي موضع قبر واحد قد كنت أحب أن أدفن فيه وأنا أوثرك به)! وقد تقدم .

وبعد عشرات السنين كان يوجد مكان قبر واحد في الحجرة النبوية الشريفة ! وقد عرضه الراوي عن عائشة على عمر بن عبد العزيز ، فلم يقبل عمر لأنه لا يرى نفسه أهلاً لذلك: قال في تاريخ دمشق: ١٦٩/٤٠: (أتي عمر بن عبد العزيز يوماً بتمر فقال: كأن هذا من تمر المدينة سقياً للمدينة ، وكان يحبها ، فقال له عراك بن مالك: يا أمير المؤمنين لو سرت حتى تنزلها فإن في بيت عائشة موضع قبر ، فإن أصابك قدرك دفنت فيه ! فقال: ويحك يا عراك ما كان من عذاب يعذب الله به أحداً من خلقه إلا وأنا أحب أن يصيبني من قبل أن يعلم الله أن منزلتي بلغت في نفسي أن أراها لذلك أهلاً). انتهى.

فهذه تصرفاتهم بالحجرة الشريفة وكأنها ملك لعائشة أو للسلطة ! وكلامهم في ملكيتها ومساحتها متهاف حسب الغرض السياسي !

هل باعت عائشة الحجرة النبوية أو وهبتها لأحد؟!

تقدم قول ابن سعد في الطبقات: ١٦٥/٨: (واشترى معاوية من عائشة منزلها) .
وفي البيهقي: ٣٤/٦ ، وتاريخ دمشق: ١٩٠/٢٨: (أوصت له عائشة بحجرتها واشترى حجرة سودة) . أي لابن الزبير في مرض موتها !

فما الذي باعته وما الذي أوصت به ؟! إن كان الحجرة النبوية ، فوا مصيبتاه !
وإن كان حجرتها وبيتها فوامصيبة الكذابين ! لأن بيتها وحجرتها يكونان غير الحجرة النبوية التي لا تباع ولا تشتري ! مضافاً الى تناقض قولها وفعلها وقبولها ورفضها دفن الإمام الحسن عليه السلام عند جده عليه السلام .



المسألة الخامسة: أين دفن النبي ﷺ؟

رأي أتباع الخلافة القرشية:

اتفق أتباع الخلافة القرشية على قبول قول عائشة بأن النبي ﷺ مات وهو متكئ على صدرها ودفن في غرفتها ، فالرواية المعتمدة عندهم ما نقله بخاري: ١٦٢/١ عن عائشة قالت: (لما ثقل النبي واشتد وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذن له ، فخرج بين رجلين تخط رجلاه الأرض وكان بين العباس ورجل آخر . قال عبيد الله بن عبد الله: فذكرت ذلك لابن عباس ما قالت عائشة فقال لي: وهل تدري من الرجل الذي لم تسم عائشة؟ قلت: لا ، قال: هو علي بن أبي طالب).

وفي مسند أحمد: ٢٢٨/٦: (هو علي ، ولكن عائشة لا تطيب له نفساً).

وفي الطبقات: ٢٣٢/٢: (هو علي ، إن عائشة لا تطيب له نفساً بخير) .

والزمن الذي تحدثت عنه عائشة هو آخر يوم من حياة النبي ﷺ عندما بلغه أن

أبا بكر وقف يصلي بالمسلمين فجاء وصلى مكانه ، فهو اليوم الوحيد الذي يصح فيه وصفها: (فخرج بين رجلين تخط رجلاه الأرض وكان بين العباس ورجل آخر) . وكرر بخاري حديثه في: ١٣٤/٣، و: ٤٥/٤، و: ١٣٩/٥، و: ١٠٦/٢، و: ١٤١/٥، و ١٤٢، و: ١٥٥/٦، وكل رواياته عن عائشة وذكرت فيها تفاصيل لإثبات كلامها ، وفي بعضها تناقض مثل أن النبي ﷺ طلب أن يكون تريضه ووفاته في بيت عائشة فتنازل نساؤه لها ، وفي بعضها أن ذلك اليوم كان يومها ونوبتها . وفي بعضها أنها هيأت له سواكاً فاستاك به هو قبل موته وأعطاه إياه ، وفي بعضها أنها هي هيأته له وسنته ! الى آخر نقاط الضعف والتهافت ، ولا مجال لبحثها .

قال ابن حجر في فتح الباري: ١٠٦/٨: (والسَّخَرُ بفتح المهملة وسكون الحاء المهملة هو الصدر ، وهو في الأصل الرئة والنحر بفتح النون وسكون المهملة ، والمراد به موضع النحر... والمراد أنه مات ورأسه بين خنكها وصدرها... وهذا الحديث يعارض ما أخرجه الحاكم وابن سعد من طرق أن النبي (ص) مات ورأسه في حجر علي وكل طريق منها لا يخلو من شيعي ، فلا يلتفت إليهم) . انتهى .

وهذا تعصبٌ وهوىٌ من ابن حجر لأن الرواة الشيعة يملؤون مصادرهم ، وقد اعتمد البخاري في صحيحه على أكثر من مئة راوٍ شيعي ! على أنهم رووا حديث وفاة النبي ﷺ في حجر علي عليه السلام بطرق أخرى ليس فيها (شيعي) ! كما رووا طلب النبي لعلي عليه السلام ودعوة فلانة وفلانة لغيره وإعراض النبي ﷺ عنهم !

ففي مسند أحمد: ٣٥٦/١: (لما مرض رسول الله (ص) مرضه الذي مات فيه كان في بيت عائشة فقال ادعوا لي علياً ، قالت عائشة ندعو لك أبا بكر قال أدعوه . قالت حفصة يا رسول الله ندعو لك عمر قال أدعوه قالت أم الفضل يا رسول الله ندعو لك العباس قال ادعوه ! فلما اجتمعوا رفع رأسه فلم ير علياً فسكت فقال

عمر: قوموا عن رسول الله). انتهى. وفيه دلالة قوية وصفعة قوية لو يشعرون !

رأي أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم:

روت مصادرنا أحاديث عديدة عن وفاة النبي صلى الله عليه وآله ومراسم جنازته ودفنه ، كالذي رواه الصدوق رحمته الله في الأمالي/٧٣٥ عن آخر صلاة صلاها النبي صلى الله عليه وآله عندما عرف أن عائشة أرسلت الى أبيها ليصلي بالناس ! (فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وصلى بالناس وخفف الصلاة ثم قال: أدعوا لي علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد ، فجاء فوضع يده على عاتق علي والأخرى على أسامة ، ثم قال: إنطلقا بي إلى فاطمة فجاءا به حتى وضع رأسه في حجرها فإذا الحسن والحسين يبكيان ويصطرخان وهما يقولان: أنفستا لنفسك الفداء ووجوهنا لوجهك الوفاء . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من هذان يا علي؟ قال: هذان ابناك الحسن والحسين فعانقهما وقبلهما وكان الحسن أشد بكاءً فقال له: كف يا حسن ، فقد شققت على رسول الله . فنزل ملك الموت فقال: السلام عليك يا رسول الله . قال: وعليك السلام يا ملك الموت لي إليك حاجة ، قال: وما حاجتك يا نبي الله ؟ قال: حاجتي أن لا تقبض روحي حتى يجيئني جبرئيل فيسلم عليّ وأسلم عليه ، فخرج ملك الموت وهو يقول: يا محمداه ، فاستقبله جبرئيل في الهواء فقال: يا ملك الموت قبضت روح محمد؟ قال: لا يا جبرئيل سألتني أن لا أقبضه حتى يلقاك فتسلم عليه ويسلم عليك . فقال جبرئيل: يا ملك الموت أما ترى أبواب السماء مفتحة لروح محمد ، أما ترى الحور العين قد تزين لروح محمد؟ ثم نزل جبرئيل فقال: السلام عليك يا أبا القاسم فقال: وعليك السلام يا جبرئيل أدن مني حبيبي جبرئيل فدنا منه ، فنزل ملك الموت فقال له جبرئيل: يا ملك الموت إحفظ وصية الله في روح محمد... الى آخر الحديث) .

وجاءه جبرئيل عليه السلام بحنوط من الجنة فأعطاه النبي صلى الله عليه وآله لعل عليه السلام وقال له: (إقسم هذا أثلاثاً ، ثلثاً لي حنطني به ، وثلثاً لابنتي ، وثلث لك). (أمالى الطوسي/٥٥٣).

وقال لعل عليه السلام: (إذا أنا متُ فاستق لي ست قرب من ماء بثر غرس فغسلني وكفني وحنطني ، فإذا فرغت من غسلني فخذ بمجامع كفني وأجلسني ثم اسألني عما شئت ، فوالله لا تسألني من شيء ألا أجبتك). (بصائر الدرجات/٣٠٤).

وقال المفيد رحمته الله في الإرشاد: ١٨٤/١: (ثم نُقِلَ رسول الله صلى الله عليه وآله وحضره الموت ، فلما قرب خروج نفسه قال له: ضع رأسي يا علي في حجرك فقد جاء أمر الله عز وجل فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك ، ثم وجهني إلى القبلة وتول أمري وصل علي أول الناس ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي واستعن بالله عز وجل . وأخذ عليُّ رأسه فوضعه في حجره فأغمي عليه ، وأكبت فاطمة عليها السلام تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول:

وَأَيْضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثَمَّالُ الْيَتَامَى عَصِمَةً لِلْأَرَامِلِ

ففتح رسول الله صلى الله عليه وآله عينيه وقال بصوت ضئيل: يا بنية هذا قول عمك أبي طالب صلى الله عليه وآله لا تقولي ولكن قولي: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ! فبكت طويلاً فأوماً إليها بالدنو منه فدنت إليه فأسرَّ إليها شيئاً هَلَّلَ له وجهها ، ثم قضى صلى الله عليه وآله ويد أمير المؤمنين اليمنى تحت حنكه ففاضت نفسه فيها فرفعها إلى وجهه فمسحها بها ، ثم وجهه وغمضه ومد عليه إزاره واشتغل بالنظر في أمره). انتهى. (راجع أيضاً بصائر الدرجات/٣٣٣ ، والكافي/٢٩٦/١ ، والخصال/٦٤٢ ، وشبه بها في مسند أحمد: ٣٥٦/١ ، و: ٢١٤/٦ ، وابن ماجة: ٣٩١/١ ، وغيرها) .

وفي تهذيب الأحكام: ٢/٦: (فقال بعضهم: يدفن بالبقيع وقال: آخرون يدفن في صحن المسجد فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله لم يقبض نبيه إلا في أظهر البقاع

فينبغي أن يدفن في البقعة التي قبض فيها ، فانفتحت الجماعة على قوله ، ودفن في حجرته) .

الأدلة على صحة رأي أهل البيت عليهم السلام وبطلان غيره:

كتب الشيخ محمد برؤ بحثاً في مكان دفن النبي ﷺ ولم أجد كتابه ، وكتب الباحث السيد جعفر مرتضى العاملي بحثاً بعنوان (أين دفن النبي ﷺ) تجده في موقعه: <http://alhadith.org/Data/books/Html/makalat> استشهد فيه بنصوص مصادرهم وأثار إشكالات على تاريخ الحكومات ، واستدل بوجهه على أن النبي ﷺ دُفن في بيت علي وفاطمة عليهما السلام ، وقد أوردنا أهم أدلته .

والرأي الذي أختاره أن النبي ﷺ دفن في بيته في حجرته التي كان يستقبل فيها الناس ، والدليل الأول عليه: أنه كان للنبي ﷺ بيت مستقل عن بيوت نساءه بناه عندما قدم الى المدينة شرقي المسجد ، وفيه غرفة واسعة يستقبل فيها الناس وتسمى أحياناً الحجرة بدون إضافة ، وكان الى جنبها حجرة ابنته فاطمة عليها السلام التي هاجرت معه ، وكان فيه مكان لخدمته ، وفيه فناء أو صحن أو دار ، وكان هذا البيت بعيداً نسبياً عن بيوت نساءه التسع ، وأقرب البيوت اليه بيت علي وفاطمة عليهما السلام فباب دارهما الى جانب باب هذا البيت !

فقد روى ابن سعد: ١٦٦/٨ ، أن الزهراء عليها السلام سكنت بعد زواجها في بيت علي عليه السلام ثم أخذ لهما النبي ﷺ بيتاً قرب بيته قال: (لما قدم رسول الله (ص) المدينة وتزوج علي فاطمة وأراد أن يبنى بها قال له رسول الله (ص): أطلب منزلاً ، فطلب علي منزلاً فأصابه مستأخراً عن النبي قليلاً فبنى بها فيه ، فجاء النبي (ص) إليها قال: إني أريد أن أحولك إليّ ، فقالت لرسول الله: فكلّم حارثة بن النعمان أن يتحول عني تريد أن يتحول لي عن منزله ، فقال رسول الله: قد تحول حارثة عنا حتى قد

استحييت ! فبلغ حارثة فتحول وجاء إلى النبي (ص) فقال: يا رسول الله ، إنه بلغني أنك تُحول فاطمة إليك ، وهذه منازلتي وهي أسقب (أنسب) بيوت بني النجار بك ، وإنما أنا ومالي لله ولرسوله ! والله يا رسول الله للذي تأخذ مني أحب إلي من الذي تدع ! فقال رسول الله: صدقت بارك الله عليك فحولها إلى بيت حارثة) .

وفي صحيح بخاري: ٢٠٨/٤: (ثم سأله عن علي فذكر محاسن عمله قال: هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي ثم قال: لعل ذاك يسوءك؟ قال أجل! قال فأرغم الله بأنفك). وفي فتح الباري: ٥٩/٧: (وله من رواية العلاء بن عيزار قال: سألت ابن عمر عن علي فقال: أنظر إلى منزله من نبي الله ، ليس في المسجد غير بيته).

وفي الحاكم: ٥١/٣: (ثم قال: ألا أحدثك عن علي؟ هذا بيت رسول الله في المسجد وهذا بيت علي) ! انتهى.

وفي الكافي: ٥٥٥/٤ عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إذا دخلت من باب البقيع فبيت علي صلوات الله عليه على يسارك قدر ممر عترة من الباب ، وهو إلى جانب بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وباباها جميعا مقرونان) . انتهى.

أقول: فبيت علي وفاطمة (عليهما السلام) أقربها إلى بيت النبي (صلى الله عليه وآله) وفي دار كل منهما باب مفتوح على ساحة المسجد ، مضافاً إلى غرفة الزهراء (عليها السلام) التي بقيت باسمها في بيت أبيها . وستعرف أن بيوت نساء النبي (صلى الله عليه وآله) ومنها حجرة عائشة كانت تدور حول المسجد ، ابتداءً من بيت علي (عليه السلام) لكن باتجاه قبلي المسجد ، لا شرقيه .



وقد كان البيت بحجرته النبوية مركزاً لنشاطه (صلى الله عليه وآله) فكان يقضي الكثير من وقته فيه ويذهب ليلاً إلى غرفة إحدى نسائه ويعود فجراً إلى المسجد ، وربما رجع إلى غرفتها فتناول طعام الصباح عندها أو في بيته ، وربما تغدى أو تعشى في بيته

بل كان كثيراً من الليالي ينام فيه ، كما نصت أحاديث كثيرة عن ضيوفه وخدامه وغذائه ونومه ، وهذه نماذج منها:

(كان رسول الله في بيته ، فغدا إليه علي في الغداة ، فدخل فإذا النبي ﷺ في صحن الدار). (أمالي الطوسي/٦٠٤) . (كان يصلي ذات ليلة في حجرته (في شهر رمضان) فجاء أناس فصلوا بصلاته فخفف فدخل البيت ثم خرج). (مسند أحمد: ١٠٣/٣).

وعن أنس قال: (كنت أخدم رسول الله فقدم لرسول الله فرخ مشوي فقال: اللهم ائمني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير ! قال: فقلت اللهم اجعله رجلاً من الأنصار ، فجاء علي فقلت إن رسول الله على حاجة ! ثم جاء فقلت: إن رسول الله على حاجة ! ثم جاء فقال رسول الله: إفتح ، فدخل فقال رسول الله ما حبسك عليّ فقال: إن هذه آخر ثلاث كرات يردني أنس يزعم أنك على حاجة ! فقال: ما حملك على ما صنعت؟! فقلت: يا رسول الله سمعت دعاءك فأحببت أن يكون رجلاً من قومي ! فقال رسول الله: إن الرجل قد يحب قومه ! هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . (مسندك الحاكم: ١٣٠/٣).

(يا أنس إني أريد الصيام ، أطعمني شيئاً ، فأتيته بتمر وإناء فيه ماء ، وذلك بعد ما أذن بلال فقال: يا أنس أنظر رجلاً يأكل معي . (سنن النسائي: ١٤٧/٤) .

(كنت أبيت عند حجرة النبي (ص) فكنت أسمعه إذا قام من الليل يقول: سبحان الله رب العالمين) . (سنن النسائي: ٢٠٩/٣) .

فالنبي ﷺ كان يتغدى أو يتعشى أحياناً في بيته وحجرته ، لا في بيوت نسائه ! ومعنى ذلك أنه عندما يقال بيت النبي ومنزل النبي وحجرة النبي ﷺ ودار النبي وباب بيت النبي ﷺ.. فالمقصود به هذا البيت وهذه الحجرة ، وإلا لقال بيت عائشة أو حجرة عائشة ، أو بيت أم سلمة أو حجرتها . وقد كان لكل واحدة

منهن بيت فيه غرفة ودار صغيرة وتوابعها من مشربة أو مطهرة .

اقرأ كلام أنس يصف وليمة النبي ﷺ في حجرته وهي نفس هذه الحجرة: (فقال لي: هل بقي في المسجد أحد؟ قلت: لا ، قال: فانظر من كان في الطريق فادعهم قال فدعوت حتى امتلأت الحجرة فقال: هل بقي من أحد؟ قلت: لا يا رسول الله قال: هلم الثور فوضعه بين يديه فوضع أصابعه الثلاث فيه وغمره وقال للناس كلوا بسم الله...)(الطبقات: ١٠٤/٨) . فهي حجرة النبي ﷺ وليست حجرة لزوجته ! وهي نفس الحجرة التي تقول عنها أم سلمة رضي الله عنها: (سمعت رسول الله ﷺ في مرضه الذي قبض فيه يقول وقد امتلأت الحجرة من أصحابه: أيها الناس، يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم . ألا إني مخلف فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي . ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي ، خليفتان بصيران لا يفترقان حتى يردا عليّ الخوض فأسألهما ماذا خلفت فيهما) . (أماي الطوسي/٤٧٨).

وهي نفس الحجرة التي يقول عنها ابن حجر: (ثم اعلم أن لحديث التمسك بذلك (الكتاب والعترة) طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً... وفي بعض تلك الطرق أنه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة وفي أخرى أنه قاله بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه ، وفي أخرى أنه قال ذلك بغدير خم) . (الصواعق: ٤٤٠/٢) . فحجرة النبي ﷺ بعيدة عن حجرة عائشة !

وهي نفس الحجرة التي توفي فيها النبي ﷺ بنص مصادر السنة فقد جاء في حديث عمر عن المكان الذي توفي فيه النبي ﷺ: (فبينما نحن في منزل رسول الله (ص) إذا رجل ينادي من وراء الجدار أن أخرج إليّ يا ابن الخطاب... فإن الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، فأدركوهم قبل أن يحدثوا أمراً...). (فتح

الباري: ٢٣/٧ عن أبي يعلى ، وتاريخ دمشق: ٢٨٢/٣٠ ، وفي رواية ابن حبان: ١٥٥/٢: فيينا نحن في منزل رسول الله إذ رجل ينادي من وراء الجدار... انتهى.

فمنزل رسول الله هو بيت رسول الله ﷺ وفيه حجرته التي توفي فيها. ومعنى ذلك أن السلطة وضعت يدها على المسجد والقبر والبيت حتى لا يعوذ به بنو هاشم، ويحرجوها ! ثم ادعت عائشة بنت رئيس السلطة أن الحجرة التي دفن فيها النبي ﷺ أعطاهما لها وسيطرت عليها وعلى بيت النبي ﷺ ، وأبعدت ابنته فاطمة وعلياً مع أن حجرة عائشة من الجهة الثانية قبلي المسجد !

ولا بد أن يكون سبب سكوت علي وأهل البيت ﷺ عن تحريك المسلمين ضد السلطة وعائشة ، أن النبي ﷺ أوصاهم كما أوصاهم بشأن الخلافة ، أن لا يثيروا مشكلة حول قبره وبيته وتركته ، ويكتفوا بتسجيل ظلامتهم والمطالبة السلمية بحقوقهم ﷺ ! وأخبرهم أن ظلامته وظلامتهم ستبقى حتى يظهر ولده المهدي الموعود ﷺ فيكشف ما جرى على جده المصطفى ﷺ وآبائه الطاهرين ﷺ .



الدليل الثاني: اعتراف عائشة نفسها بأن النبي ﷺ لم يدفن في غرفتها ! فقد قالت: (لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشراً ولقد كانت في صحيفة تحت سريري ، فلما مات رسول الله (ص) وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها) ! (ابن ماجة: ٦٢٥/١ ، وأوسط الطبراني: ١٢/٨ ، وأبو يعلى: ٦٤/٨ ، والمحلى: ٢٣٦/١١ ، وقال: وهذا حديث صحيح . وفي لسان العرب: ٣٣/٧ ، ونهاية ابن الأثير: ٨٧/٢ ، وفيها: إن الرجم أنزل في الأحزاب وكان مكتوباً في خوصة في بيت عائشة فأكلتها شاتها). انتهى.

فلو كان تمرىض النبي ﷺ وموته في غرفتها فلا يمكن أن تكون فارغة وتدخل إليها سخله وتأكل الآيات المزعومة !؟

الدليل الثالث: أن النصوص ذكرت أنه كان لحجرة عائشة باب واحد يفتح

لجهة الشام أي جهة شمال المسجد ! (فسألته عن بيت عائشة فقال: كان بابه من وجهة الشام فقلت: مصراعاً كان أو مصراعين؟ قال: كان باباً واحداً. قلت: من أي شيء كان؟ قال: من عرعر أو ساج). الأدب المفرد لبخاري/١٦٨. وإمتاع الأسماع: ٩٢/١٠، وسبل الهدى: ٣٤٩/٣، وسمت النجوم/٢١٨، وفيه: وبنى بيتين لزوجتيه عائشة وسودة على نعت بناء المسجد من لبن وجريد ، وكان باب عائشة مواجهة الشام ، وكان بمصراع واحد من عرعر أو ساج). انتهى.

بينما حجرة النبي ﷺ تقع شرقي المسجد ويفتح بابها الى المسجد الى الغرب وكان لها بابان ! فعندما أراد السلمون أن يصلوا على جثمان النبي الطاهر ﷺ أمرهم علي عليه السلام أن يدخلوا مجموعات فتصلي المجموعة من باب وتخرج من باب آخر ! (قلوا كيف نصلي عليه؟ قال (عليه السلام): أدخلوا أرسالاً أرسالاً. قال: فكانوا يدخلون من هذا الباب فيصلون عليه ، ثم يخرجون من الباب الآخر). (مسند أحمد: ٨١/٥، وقال في مجمع الزوائد: ٣٧/٩: رجاله رجال الصحيح . وتاريخ دمشق: ٢٩٦/٤، وأسد الغابة: ٢٥٤/٥).

فهل حدثت معجزة لغرفة عائشة عندما توفي فيها النبي ﷺ، فصار لها بابان ؟!

الدليل الرابع: شهادة أنس بن مالك خادم النبي ﷺ التي رواها بخاري: ٢٦٨/٦، وأحمد: ١٦٨/٣، والطبقات: ١٠٤/٨، ووصف فيها وليمة النبي ﷺ بمناسبة زواجه من زينب وأنها كانت في بيته في الحجرة ، فأكلوا وبقي بعض الثفلاء جالسين في الحجرة يتحدثون: (فمشى رسول الله (ص) ومشينا معه حتى جاء عتبة حجرة عائشة وظن رسول الله (ص) أنهم خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا . فنزلت آية الحجاب وهي قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا). (الأحزاب: ٥٣).

فهذا نصٌّ على أن بيت عائشة ، كان بعيداً نسبياً عن بيت النبي ﷺ وحجرته التي يستقبل فيها الناس ، فقد مشى ﷺ حتى وصل الى عتبة !
قال في الطبقات: ١٦٦/٨: (وكانت لحارثة بن النعمان منازل قرب مسجد رسول الله (ص) وحوله ، وكلما أحدث رسول الله أهلاً تحول له حارثة بن النعمان عن منزله ، حتى صارت منازلها كلها لرسول الله وأزواجه). انتهى.

ومعناه أن بيت عائشة كان رابع بيت اشتراه النبي ﷺ من بيوت حارثة بن النعمان: (كانت زينب بنت خزيمة قبل أم سلمة ، فتوفيت زينب فأدخل أم سلمة في بيتها ، وفي تلك السنة تزوج زينب بنت جحش . وكانت سودة قبل عائشة في النكاح ، وقبل هؤلاء جميعاً). (الطبقات: ١٦٤/٨).



الدليل الخامس ، أن عائشة باعت منزلها ، ووهبت حجرتها الى ابن أختها عبدالله بن الزبير ، ولا يمكن أن يكون المباع والموهوب مكان قبر النبي ﷺ !
قال في الطبقات: ١٦٥/٨: (واشترى معاوية) من عائشة منزلها ، يقولون بمائة وثمانين ألف درهم ويقال بمائتي ألف درهم وشرط لها سكنها حياتها). انتهى.

فلا يصح القول إن هذا المنزل هو حجرتها وإن معاوية اشتراه لتوسيع المسجد النبوي أو للفخر مثلاً ، لأنه لم يوسع المسجد ، بل ستعرف أن بيتها بعيد عن المسجد حيث ذهب مروان اليه في مراسم جنازة الإمام الحسن عليه السلام وطلب منها ان تحضر بسرعة الى المسجد وتمنع دفن الإمام الحسن عليه السلام عند جده ﷺ ، وأنها تحيرت كيف تصل الى المسجد فأعطاهها بغله فركبته !

وفي تاريخ دمشق: ١٩٠/٢٨ وسنن البيهقي: ٣٤/٦: (وكان عبد الله بن الزبير يعتد بمكة مالا لا يعتد به أحد من الناس ، أوصت له عائشة بحجرتها ، واشترى حجرة سودة). انتهى. فهذه الحجرة التي أوصت بها غير الحجرة النبوية ، بل هي

حجرتها التي كانت الى جنب حجرة سودة ، كما في نص سمت العوالي .

الدليل السادس: أن حجرة عائشة تقع قبليّ المسجد والقبر النبوي شريقه !
قال السيد جعفر مرتضى: (مما يدل على أن بيت عائشة كان في جهة القبلة من المسجد من الشرق ما رواه ابن زبالة ، وابن عساكر ، عن محمد بن أبي فديك ، عن محمد بن هلال: أنه رأى حجر أزواج النبي(ص) من جريد مستورة بمسوح الشعر فسألته عن بيت عائشة فقال: كان بابه من جهة الشام . قلت: مصراعاً كان أو مصراعين؟ قال: كان باب واحد . وفي عبارة ابن زبالة: مستورة بمسوح الشعر ، مستطيرة في القبلة ، وفي المشرق والشام ليس في غربي المسجد شئ منها. الخ.. وقال ابن عساكر: وباب البيت شامي[٦] . فيستفاد من ذلك:

أ: ما قاله المحقق البحاثة السيد مهدي الروحاني: "قوله في الحديث (فسألته عن بيت عائشة) في هذا دلالة على أن الحجرة التي دفن فيها النبي ﷺ لم تكن بيت عائشة ، إذ فيه دلالة على أن السائل يعلم أن بيتها لم يكن في الموضع الذي دفن فيه النبي ﷺ.. ولذلك فهو يسأل عن موضع بيتها فيما عدا البيت الذي دفن فيه النبي(ص)ليعرفه أين يقع . انتهى.

ب: إن من المعلوم أن الجهة الشامية للمسجد هي الجهة الشمالية منه ، كما صرحت به الرواية آنفاً ، ويدل على ذلك أيضاً قول ابن النجار: قال أهل السير: ضرب النبي(ص) الحجرات ما بينه وبين القبلة والشرق إلى الشام ، ولم يضربها في غريبه ، وكانت خارجة عنه مديرة به ، وكان أبوابها شارعة في المسجد[٧].

وأيضاً: وجه المنبر ، ووجه الإمام إذا قام على المنبر بجهة الشام [٨].. ومن المعلوم أن الجالس على المنبر يكون ظهره إلى القبلة ووجهه إلى الجهة المقابلة لها). [٦] وفاء الوفاء: ٥٤٢/٣ و٤٥٩ و٤٦٠. [٧] راجع: وفاء الوفاء: ٤٣٥/٢ و٤٥٩ و٥١٧، وليراجع أيضاً

ص ٦٩٣، [٨] راجع: وفاة الوفاء: ٢/٤٣٥ و ٤٥٩ و ٥١٧، وليراجع أيضاً/٦٩٣. انتهى.

الدليل السابع: حديث الأمالي المتقدم/٧٣٥، وهو حديث بليغ مؤثر يصف آخر صلاة صلاها النبي ﷺ، وأنه عندما عرف أن عائشة أرسلت الى أبيها ليصلي بالناس خرج مغضباً يتوكأ على علي عليه السلام والعباس: (فخرج رسول الله ﷺ وصلى بالناس وخفف الصلاة ثم قال: أدعوا لي علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد، فجاء فوضع يده على عاتق علي والأخرى على أسامة ثم قال: إنطلقا بي إلى فاطمة فجاءا به حتى وضع رأسه في حجرها فإذا الحسن والحسين يكيان ويصطرخان وهما يقولان: أنفسنا لنفسك الفداء ووجوهنا لوجهك الوفاء...الخ.) وشاهدنا منه قوله ﷺ: (إنطلقا بي إلى فاطمة، فجاءا به حتى وضع رأسه في حجرها فإذا الحسن والحسين يكيان)، وفاطمة عليها السلام حينذاك إما أن تكون في بيتها وبيت علي عليه السلام كما يرى السيد جعفر مرتضى، أو في بيت النبي ﷺ في الغرفة التي يستقبل فيها الناس وتسمى الحجرة على الإطلاق بدون إضافة، وهو ما أراه وفيها توفي النبي ﷺ! ويدل عليه أن بيت علي وفاطمة عليها السلام جرت فيه أحداث كثيرة وروتها نصوص عديدة، فقد اعتصم فيه أهل البيت عليها السلام ومن معهم ضد السقيفة وهاجمهم أهل السقيفة. وعاشت فيه فاطمة الزهراء عليها السلام بقية حياتها، وعاش فيه أمير المؤمنين والحسان عليهما السلام. ويتضح من رواياته أنه بيت مستقل عن بيت النبي ﷺ وقبره، وإن كان باب داره ملاصقاً لباب دار النبي ﷺ. قال الصدوق رحمه الله في الفقيه: ٥٧٢/٢: (فلما فرغت من زيارة رسول الله ﷺ قصدت إلى بيت فاطمة عليها السلام وهو من عند الأسطوانة التي تدخل إليها من باب جبرئيل عليه السلام إلى مؤخر الحظيرة التي فيها النبي ﷺ فقممت عند الحظيرة ويساري إليها وجعلت ظهري إلى القبلة واستقبلها بوجهي وأنا على غسل، وقلت...). ولا مجال للتفصيل

الفصل الثامن

معاوية يستमित لأخذ البيعة ليزيد !

لولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي !

قال في مقاتل الطالبين/٤٧: (وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد فلم يكن شئ أثقل عليه من أمر الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص فدرس إليهما سماً فماتا به). انتهى. وكان معاوية أزاح من طريق ابنه العقبات الفرعية مثل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، الذي كان يحبه أهل الشام و ارادوا أن يجعله ولي عهده ، فسارع الى قتله بالسم ، وعندما انكشف قتله له لم يتبرأ منه بل تنبه ! وكذلك أزاح سعد بن وقاص لأنه من أعضاء الشورى وهو طامح الى الخلافة ، وغيره !

لكن أكبر عقبة أمامه على الإطلاق وأثقل شئ عليه بتعبير رواية أبي الفرج كان الإمام الحسن عليه السلام لأنه سبط النبي ﷺ وكل الأمة تحبه ، ولأن الخلافة له بعد معاوية بموجب معاهدة الصلح ، فيكفي أن يسوت معاوية لتتجه الأمة الى الإمام الحسن عليه السلام فتبایعه ، مضافاً الى تعيينه إماماً بنص جده ﷺ وأبيه عليه السلام ! لذلك تخيل معاوية أنه بقتل الإمام الحسن عليه السلام يصفو له الجو فيأخذ البيعة ليزيد بلا منازع !

وقد اعترف معاوية بأن إصراره على استخلاف يزيد جلب له المتاعب ! فقد خرج الى الناس في آخر أيامه وقد أصابته لُفُوَّة وانحرف فمه الى تحت عينه ، وهو معصبٌ وجهه فكان يبكي ويقول: (رحم الله عبداً دعا لي بالعافية... ولولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي) ! (تاريخ دمشق/٥٩/١٤١٦).

لكنه لم ينتفع بهذا الاعتراف ولا صحح خطأه بل اكتفى بإعلانه وهو يبكي ! وأحسن وصف له قول أمير المؤمنين عليه السلام: (ومن عشق شيئاً أعشى بصره وأمراض قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع بأذن غير سمیعة ! قد خرقت الشهوات

عقله وأمات الدنيا قلبه وولعت عليها نفسه فهو عبد لها ولمن في يده شئ منها
حيثما زالت زال إليها، وحيثما أقبلت أقبل عليها ! لا يزدجر من الله بزازجر ولا
يتعظ منه بواعظ ! (نهج البلاغة: ٢١١/١).

لذلك ظل معاوية حتى آخر عمره راكباً رأسه عاقصاً قرنيه ، مسكوناً بمادية بني
أمية واليهود ، وبعد قتله الإمام الحسن عليه السلام نشط في التمهيد ليزيد ، وكان برنامجه:
مواصلة قتل من يقف في وجه خلافة يزيد .

وتلميع يزيد بإرساله الى الحج ، وإرساله باسم الجهاد وغزو القسطنطينية.
ثم ترتيب بيعة أهل الشام ، وإرسال الرسائل الى عماله ولالة الأمصار ليأخذوا
البيعة من شخصيات بلدهم ، والبيعة العامة من الناس في صلاة الجمعة .
واستقدام وفود الأمصار الى الشام لإعلان بيعة يزيد !

وإذا احتاج الأمر وامتنع بقية الصحابة والشخصيات عن البيعة كما في الحجاز
فيجب أن يذهب معاوية بنفسه بألف فارس أو ألفين ، لإخضاعهم وأخذ البيعة
منهم بالتهديد ، أو تصفية من يخالف جهاراً نهاراً على أعين الناس ، أو بالسُّم !



نَصَحَهُ الصَّحَابَةُ وَالْمَشْفِقُونَ عَلَى أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ

نصحه أبو أيوب الأنصاري:

في تاريخ دمشق: ٣١٩/٤٣: (وقال له أبو أيوب الأنصاري: إتق الله ولا تستخلف
يزيد ! قال: أمرؤ ناصح وإنما أشرت برأيك ، وإنما هم أبناؤهم فابني أحب إليَّ
من أبنائهم ! ثم قال: يا أبا أيوب أرايت الفرس اللقاء التي كان من أمرها يوم
كذا وكذا ، من قتل صاحبها؟ قال: أنا قتلت صاحبها ، وأنت وأبوك يومئذ
بأيديكما لواء الكفر ! قال معاوية: عمرك الله ما أردت هذا .) انتهى.

أقول: تلاحظ أن منطق معاوية قبلي مادي محض ، وكأنه لا يوجد دين ولا رسول ولا إسلام ! وحقته في تعيين يزيد خليفة ، أن البديل له إنما هم أولاد الصحابة ، والصحابة مثله أخذوا الخلافة وأولادهم يريدونها ، ويزيد أحب إليه منهم ! فالمسألة عنده شخصية قبلية ولا حساب عنده لدين ، ولا لنص قرآني أو نبوي ، ولا لمصلحة الأمة الإسلامية !
ونصحه الأحنف بن قيس:

في تهذيب الرياسة للقلمي/٣٦٦: (وقيل إنه استشار الأحنف بن قيس فقال: أدخل على يزيد فأدخله عليه ، فلما خرج قال له معاوية: كيف رأيت يزيد ؟ فقال: رأيت شباباً وجلداً ونشاطاً . ثم قال: نخافكم إن صدقنا ونخاف الله إن كذبنا ، وأنت أعلم يا أمير المؤمنين بليله ونهاره ومدخله ومخرجه وسره وجهاره ، وإيراده وإصداره ! فإن كنت تعلم أن فيه لله رضى ، ولهذه الأمة صلاحاً فلا تشاور الناس ، وإن كنت تعلم منه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت عائد إلى الآخرة . وإنما علينا السمع والطاعة. فقال معاوية: جزاك الله عن الطاعة خيراً).

أقول: الأحنف من عقلاء زعماء العرب ، ويظهر من كلامه تحفظه الشديد على بيعة يزيد ، وخوفه من سطوة معاوية ، فهو يتكلم بأقصى ما يمكنه مع تجنب إرهاب معاوية وسطوته !
ونصحه زياد بن أبيه:

وفي تاريخ الطبري: ٢٢٤/٤: (لما أراد معاوية أن يبايع ليزيد ، كتب إلى زياد يستشير ، فبعث زياد إلى عبيد بن كعب النميري فقال: إن لكل مستشير ثقة ، ولكل سر مستودع.... وقد دعوتك لأمر اتهمت عليه بطون الصحف . إن أمير المؤمنين كتب إليّ يزعم أنه قد عزم على بيعة يزيد ، وهو يتخوف نفرة الناس

ويرجو مطابقتهم ويستشيرني ، وعلاقة أمر الاسلام وضمانه عظيم ، ويزيد صاحب رسالة وتهاون ، مع ما قد أولع به من الصيد ، فالتق أمير المؤمنين مؤدياً عني فأخبره عن فعلات يزيد ، فقل له رويدك بالأمر فأقمن أن يتم لك ما تريد ولا تعجل فإن دركا في تأخير خير من تعجيل عاقبته الفوت). انتهى.

وفي تاريخ البعقوبي: ٢٢٠/٢ ، أن رسول زياد قال لمعاوية: (يا أمير المؤمنين إن كتابك ورد علي بكذا ، فما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد ، وهو يلعب بالكلاب والقروء ، ويلبس المصيف ، ويدمن الشراب ، ويمشي على الدفوف ، وبحضرتهم الحسين بن علي ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر ، ولكن تأمره ، ويتخلق بأخلاق هؤلاء حولاً وحولين ، ففسانا أن نموه على الناس . فلما صار الرسول إلى معاوية وأدى إليه الرسالة قال: ولي علي ابن عبيد ! لقد بلغني أن الحادي حدا له أن الأمير بعدي زياد ، والله لأردنه إلى أمه سمية ، وإلى أبيه عبيد) ! انتهى. وقد تقدم في فصل (الذين قتلهم معاوية) أن معاوية غضب من نصيحة زياد واعتبرها طمعاً منه بالخلافة فقتله !

وما ذكرناه نماذج من نصيح الناصحين ، وأولهم الإمام الحسين عليه السلام ، لكن معاوية ظل مصراً على هواه! وكانت نتيجته أن يزيداً دمر نفسه وعائلة أبي سفيان !

تلميع معاوية ليزيد بتأميره على الحج !

أراد معاوية بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام أن يظهر إيمان ابنه يزيد وصلاحيته للخلافة ، فأخذه معه الى الحج ثم أمره على الحج عدة سنوات ، فكانت تصرفاته في مكة والمدينة فضائح سببت ردة فعل عند بقية الصحابة والتابعين !

قال الطبري في تاريخه: ١٧٩/٤: (واختلف فيمن حج بالناس في هذه السنة (خمسین) فقال بعضهم: حج بهم معاوية وقال بعضهم: بل حج بهم ابنه يزيد) .

وفي تاريخ دمشق: ١٢٥/٢١: (ثم حج بالناس معاوية بن أبي سفيان سنة خمسین ، ثم حج بالناس يزيد بن معاوية سنة إحدى وخمسين وسنة اثنتين وخمسين وسنة ثلاث وخمسين ، ثم حج بالناس مروان سنة وخمسين وسنة خمس وخمسين).

أقول: يظهر أن يزيداً كان مع أبيه في سنة خمسین ! وكان معاوية حريصاً على أن يقدمه الى الصحابة والتابعين بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام ليروا يزيداً ويحيوه ويعطيهم الجوائز ويتألفهم ! ففي تاريخ دمشق: ٤٠٦/٦٥: (عن عمر بن شبة قال: لما حج الناس في خلافة معاوية جلس يزيد بالمدينة على شراب ، فاستأذن عليه ابن عباس والحسين بن علي فأمر بشرابه فرفع ! وقيل له: إن ابن عباس إن وجد ریح شرابك عرفه ، فحجبه وأذن للحسين بن علي ، فلما دخل وجد رائحة الشراب مع الطيب فقال لله در طيبك هذا ما أطيبه ، وما كنت أحسب أحداً يتقدمنا في صنعة الطيب ، فما هذا يا ابن معاوية ؟ فقال: يا أبا عبد الله هذا طيب يصنع بالشام ، ثم دعا بقدر فشربه ثم دعا بآخر ! فقال: إسق أبا عبد الله يا غلام . فقال الحسين: عليك شرابك أيها المرء لا عين عليك مني ، فشرب يزيد وقال:

ألا يا صاح للعجب دعوتك ثم لم تجب
إلى القينات والشهوات والصهباء والطرب
وباطية مكلّلة عليها سادة العرب
وفيهنّ التي تَبَلَّتْ فؤادك ثم لم تُبْ

فنهض الحسين وقال: بل فؤادك يا ابن معاوية تَبَلَّتْ. ثم قال ابن عساكر: (هذه

الحكاية منقطعة: عمر بن شبة بينه وبين يزيد زمان). (وكامل ابن الأثير: ٣/٣٦٤).

أقول: معنى ذلك أن ابن عساكر لا يكذب أمثالها عن يزيد ! لكن إشكاله أن عمر بن شبة متأخر زمنًا عن يزيد ، وهو إشكال غير وارد لأن عمر بن شبة مؤرخ موثوق عندهم ، على أن غيره روى القصة كأبي الفرج في الأغاني: ١٥/٢٨١ ، وابن الأثير في كامله: ٣/٤٦٥ ، ورواها القاضي النعمان بأشد من ذلك في المناقب والمثالب ص ٢٩٥ ، وجاء فيها: فقال الحسين: أعطي الله عهداً لئن خلص الأمر إليك وأنا في الحياة ، لا أعطيتك إلا السيوف بعد أن شهدت عليك بهذا المشهد ! وقام فخرج معه عبد الله بن جعفر). انتهى.

ويظهر من مجموع الروايات أن معاوية أراد أن تكون هذه السفرة تمهيداً واستطلاعاً لآراء الصحابة والتابعين في يزيد ! وأنه واجه معارضة شديدة من أغلب الشخصيات خاصة عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير والإمام الحسين (عليه السلام) ، فأثر أن يتحمل منهم ويؤخر طرحبيعة يزيد حتى يقوم بمزيد من التمهيد ، ثم ينقض على الصحابة ومعه جيش من الشام !

تزوير معاوية(غزوة القسطنطينية)من أجل يزيد !

ركود الفتوحات في عهد معاوية

تَبَعَتْ حركة الفتوحات التي قام بها معاوية في مدة خلافته من سنة أربعين الى ستين للهجرة ، فوجدتها لتأكد تذكر ! ذلك لأن الفتوحات الأساسية كانت قد تمت في خلافة عثمان ، وقام علي عليه السلام بفتوحات تكميلية في إيران والهند . وثانياً ، لأن معاوية انشغل في العراق وإيران وغيرها بحرب الخوارج ، الذين بدأت مجموعاتهم بحربه بعد صلحه مع الإمام الحسن عليه السلام مباشرة ، وتواصلت حروبهم سنين طويلة . وثالثاً ، لأن قادة الفتوحات الميدانيين الشجعان كانوا شيعة علي عليه السلام إلا عدداً قليلاً جداً ، وقد قتل أكثرهم في صفين ، أو هزموا ، أو كانوا معادين لمعاوية . وهذه حقيقة تحتاج الى دراسة خاصة .

ورابعاً ، لأن فتوحات معاوية التكميلية في إيران والهند تعثرت وفشلت ، ولم يتواصل منها إلا فتوحات موسى بن نصير وعقبة بن نافع الشيعيين .

وخامساً ، كان معاوية ليناً مع الروم موادعاً لهم (إن الروم صالحت معاوية على أن يؤدي إليهم مالاً وارتهن معاوية منهم رهناً فوضعهم بيبعلك) (فتوح البلدان: ١٨٧/١) . وفي الصحيح من السيرة: ٢٥٥/٩: (صالح معاوية ملك الروم على الكف عن ثغور الشام بمال دفعه إليه ، ذكره أبو عبيدة قال السهيلي: قيل: كان مئة ألف دينار).

غزوة يزيد المزعومة للقسطنطينية

أهم أعمال معاوية في الفتوحات غزوته الدعائية للقسطنطينية التي رتبها باسم ولده يزيد ليعطيه صفة المجاهد في سبيل الله فيقبل الناس بيعته بولاية العهد !

وهي غزوة مأساوية مضحكة في طريقتها ونتيجتها وكثرة تطليل الأمويين وأتباعهم لها ، ووضعهم حديثاً لها رواه بخاري يزعم أن جيشها مغفور لهم !
فقد أرسل معاوية جيشاً (دقيقاً) وأعلن أنه بقيادة يزيد الى جهة القسطنطينية (استانبول) فتأقل عنه يزيد وتأخر ، مفضلاً لهوه وخمره في دير مُرَّان قرب دمشق ، فسكت عنه معاوية !

وانتظر جيش الجهاد قائده العتيد حتى أصابهم الجوع والمرض ومات كثير منهم وأخذ الروم بعضهم أسرى ، ومات أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه !
ولما بلغ الخبر يزيد حمد الله لأنه لم يكن معهم ! فغضب معاوية وأصرَّ عليه أن يذهب فذهب يزيد على مضض والتحق بهم ورجع بدون قتال ، وقالوا إنه وصل الى باب القسطنطينية ولمسه بيده الباب ، أو ضربه بسيفه ، أو بعمود حديد وأن ضربته خرقت ذلك الباب العظيم ! وهذه بعض نصوصها:

قال الضحاك في الآحاد والمثاني: ٤٤٠/٣: (وغزا يزيد بن معاوية في سنة إحدى وخمسين الصائفة حتى بلغ القسطنطينية وأخذ بحلقتهها ، ومات أبو أيوب) .

وقال يعقوبي: ٢٢٨/٢: (وقال عبد الله بن عمر: نبايع من يلعب بالقروود والكلاب ويشرب الخمر ويظهر الفسوق ! ما حُجِّتْنَا عند الله؟! وقال عبد الله بن الزبير: لاطاعة لمخلوق في معصية خالق ، وقد أفسد علينا ديننا...وحج معاوية تلك السنة فتألف القوم ولم يكرههم على البيعة (ليزيد) !

وأغزى معاوية يزيد ابنه الصائفة ومعه سفيان بن عوف العامري فسبقه سفيان بالدخول إلى بلاد الروم (وانتظروا طويلاً) فقال المسلمون في بلاد الروم حمى وجدري ! وكانت أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر تحت يزيد بن معاوية وكان لها محباً ، فلما بلغه ما نال الناس من الحمى والجدرى قال:

ما إن أبالي بما لاقتُ جموعَهُمُ
بالغذقذونة من حمى ومن موم
إذا اتكأتُ على الأنماط في غرف
بدير مُرَّانٍ عندي أم كلثوم
فبلغ ذلك معاوية فقال: أقسم بالله لتدخلن أرض الروم فليصيبك ما أصابهم ،
فأردف به ذلك الجيش فغزا به حتى بلغ القسطنطينية !!

وفي تاريخ دمشق: ٤٠٤/٦٥: (بعث معاوية جيشاً إلى الروم فزلوا منزلاً يقال له
الفرقدونة ، فأصابهم بها الموت وغلاء شديد فكبر ذلك على معاوية ، فاطلع يوماً
على ابنه يزيد وهو يشرب وعنده قينة تغنيه...الخ. فقال: أقسم عليك يا يزيد
لترحلن حتى تنزل مع القوم وإلا خلعتك ، فتهياً يزيد للرحيل وكتب الى أبيه:
تجنّى لا تزالُ تُعدُّ ديناً ليقطع وصل حبلك من حبالى

فيوشك أن يريحك من بلائى نزولي في المهالك وارتحالى). انتهى.
والصحيح مصطبحاً بدل مرتفقاً كما في الأغاني وغيره ، والغذقذونة بدل
الفرقدونة ، كما في معجم البلدان: ١٨٨/٤ .

وقد روت المصادر غزوة يزيد القائد وتأخره عنها للشراب مع جواريه وزوجته
أم كلثوم بنت كرز وأوردت أكثر المصادر بيتيه الأولين ، والظاهر أن أصلهما:

إذا اتكأتُ على الأنماط مرتفقاً بدير مُرَّانٍ عندي أم كلثوم
فما أبالي بما لاقتُ جموعهم بالغذقذونة من حمى ومن موم
ولا بد أن بعض الشعراء نظمهما ليزيد ! كما روى عدد من المصادر البيتين
الذين يعتب فيهما على أبيه لأنه يريد إرساله الى الحرب وتعريضه للهلاك !
كأنساب الأشراف/ ١١٤٩ ، والأربعين البلدانية لابن عساكر: ٥٣٣/٢ وفيه: (ودير مُرَّان
بضم أوله بلفظ ثنية والذي بالحجاز مُرَّان بالفتح. قال الخالدي: هذا الدير بالقرب
من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة وبنائوه بالجص ،

وأكثر فرشه بالبلاط الملون ، وهو دير كبير وفيه رهبان كثيرة وفي هيكله صورة عجيبة دقيقة المعاني والأشجار محيطة به . وفيه قال أبو بكر الصنوبري: أمرٌ بدير مُرَّانٍ فأحيا... وأجعل بيت لهوي بيت لهما..). في أبيات تصف جو الدير !!

وفي الأغاني: ٢١١/١٧: (فأصابهم جدري فمات أكثر المسلمين ، وكان ابنه يزيد مصطبحاً بدير مران مع زوجته أم كلثوم ، فبلغه خبرهم فقال... البيت).

والموم أو البرسام: التهاب رئوي يسمى ذات الجنب ، وفسره بعضهم بالجدري (لسان العرب: ٤٦/١٢ ، والعين: ٤٢٢/٨) وادعت رواية أبي الفرج أن يزيداً وصل الى استانبول: (وضرب باب القسطنطينية بعمود حديد كان في يده فهشمه حتى انخرق ، فضرب عليه لوح من ذهب فهو عليه إلى اليوم) ! انتهى.

ولم تذكر الرواية لماذا لم يدخل الجنود من مكان ضربة يزيد التي خرقت باب السور ! وهل خاف الروم من هول الضربة فهربوا من الباب الثاني !

وفي أنساب الأشراف/ ١١٤٩: (وأمر يزيد بالغزو فتناقل واعتل فأمسك عنه ! وأصاب الناس في غزاتهم جوع وأمراض ، فأنشأ يزيد يقول.. البيت.. فلحق به فُرس أنطاكية وبعلبك ، وجماعة أنهضهم معه فبلغ بالناس الخليج وضرب بسيفه باب الذهب وهزم الروم (!) وخرج وسفيان بالناس). (وابن خلدون: ٩/٣).

غفروا ليزيد مجزرة كربلاء والحرّة وضرب الكعبة !

لا يحتاج الباحث الى جهد ليكتشف الدعاية في غزوة يزيد ! لكنه يتعجب لمدى نفوذ الأمويين على الرواة وكيف حولوا كذبهم الى حديث نبوي موضوع خصيصاً لمدح معاوية ويزيد معاً ، ورووه في أصح كتاب عند أتباع الخلافة !

قال بخاري في صحيحه: ٢٣٢/٣: (فحدثنا أم حرام أنها سمعت النبي(ص) يقول:

أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا . قالت أم حرام: قلت يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم . ثم قال النبي (ص): أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم ! فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: لا). انتهى.

وقصدهم أن معاوية أول من غزا في البحر لفتح قبرص فقد أوجب ، أي استحق الجنة فلا يضره بعد ذلك خروجه على علي عليه السلام وقتله مئات الألوف من المسلمين ليتأمر عليهم ! كما أن يزيداً كان قائد أول جيش غزا القسطنطينية فهو مغفورٌ له ولا يضره بعدها قتله الحسين عليه السلام وأصحابه في كربلاء ، وقتله خيار الصحابة والتابعين واستباحته المدينة في وقعة الحرة ، ثم رميه الكعبة بالمنجنيق !

قال في فتح الباري: ٧٤/٦: (قال المهلب: في هذا الحديث منقبة لمعاوية لأنه أول من غزا البحر ، ومنقبة لولده يزيد لأنه أول من غزا مدينة قيصر). انتهى.

وقد كذبوا في غزوة معاوية لقبرص ، كما كذبوا في غزوة يزيد ، ثم كذبوا في هذا الحديث لجعل الكذبتين منقبتين !

وقد فرح ابن تيمية بهذه المنقبة ليزيد ، فقد (وجد) شهادة من النبي ﷺ تسقط عن صاحبه جميع جرائمه في سفك دماء أهل البيت والصحابة ومهاجمة الكعبة فكرر حديث الغفران ليزيد في كتبه ! قال منهاج السنة: ٥٤٤/٤: (فإنه غزا القسطنطينية في حياة أبيه معاوية وكان معهم في الجيش أبو أيوب الأنصاري وذلك الجيش أول جيش غزا القسطنطينية ، وفي صحيح البخاري عن ابن عمر عن النبي (ص) أنه قال أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم). وقال في: ٥٧١/٤: (وأول جيش غزاها كان أميرهم يزيد والجيش عدد معين لا مطلق ، وشمول المغفرة لآحاد هذا الجيش أقوى من شمول اللعنة لكل واحد واحد من الظالمين فإن هذا أخص والجيش معينون ، ويقال إن يزيد إنما غزا القسطنطينية لأجل هذا

الحديث). وقال في مجموع الفتاوى: ٤١٣/٣: (ومع هذا فإن كان فاسقاً أو ظالماً فالله يغفر للفاسق والظالم لاسيما إذا أتى بحسنات عظيمة ، وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر أن النبي قال: أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له . وأول جيش غزاها كان أميرهم يزيد بن معاوية). (وقال نحوه في: ٤/ ٤٨٦ ، و: ٣٥٢/١٨ وفي كتابه رأس الحسين عليه السلام ٢٠٧ ، وكتابه الجواب الصحيح: ١١٧/٦).

والجواب الصحيح على مزاعمهم نفس نصوصهم عن غزوة يزيد المدعاة فهي ناطقة بفداحة التزوير ، بل عندهم نصوص صحيحة تنفي أن يكون يزيد وصل الى القسطنطينية أصلاً ! ولعله رواتهم بسببه يؤكدون على أنه وصل إليها وضرب باب سورها بسيفه فقده ! أو بعمود حديد فظهرت في ضربته كرامة !

إن أقوى ما يستدلون به على وصوله الى القسطنطينية أن أبا أيوب الأنصاري مات في تلك الغزوة ودفن عند سورها . لكن الصحيح أنه مات ﷺ قرب أنطاكية حيث كان الجيش ينتظر يزيداً وأوصاهم أن يحملوا جنازته داخل بلاد الروم ويدفنوه في أقرب نقطة ممكنة من القسطنطينية ، وأنهم ساروا بجنازته (يوماً) حسب روايتهم وربما ساروا أياماً ، أو دفعوا للروم مالاً حتى سمحوا لهم !

فقد روى عبد الرزاق: ٢٧٩/٥ عن معمر عن ابن سيرين، وهو سند صحيح عندهم أن يزيداً زار أبا أيوب وهو مريض (فقال له: حاجتك؟ قال: إذا أنا مت فُسرّ بي في أرض العدو ما استطعت ثم ادفني . قال: فلما مات سار به حتى أوغل في أرض الروم يوماً أو بعض يوم ، ثم نزل فدفنه). انتهى . بل تدل رواية عدد من المصادر على أن أبا أيوب ﷺ أوصى المسلمين وليس يزيداً كما زعموا !

وهذا يعني أنهم كانوا خارج أرض العدو كلياً أوفي طرفها بعيداً عن العاصمة ! ومعناه أن يزيداً لم يصل الى سور القسطنطينية ولم يضرب باب سورها بسيفه أو

بعمود كما كذبوا ! وربما يكون وصل الى (الغذقدونة) القريبة من أنطاكية وكانت معسكر الجيش ومقبرة من مات منه !

وفي رواية أحمد: ٤٢٣/٥ ، وتعجيل المنفعة: ٤٥٢/١: (غزا أبو أيوب مع يزيد بن معاوية قال فقال: إذا أنا متُ فأدخلوني أرض العدو فإدنونني تحت أقدامكم حيث تلقون العدو) ! وسند هذه الرواية صحيح عندهم وهي تشير الى أن معسكرهم كان خارج بلاد العدو قرب أنطاكية كما في شعر يزيد ، وكذا رواية المستدرک: ٤٥٧/٣: (إذا أنا مت فاركب ثم اسع في أرض العدو ما وجدت مساعاً فإذا لم تجد مساعاً فادفني ثم ارجع). وفي الاستيعاب: ١٦٠٧/٤: (فليركبوا له ثم يسيروا في أرض العدو حتى إذا لم تجدوا مساعاً فادفوني) وفي النهاية: ٥٩/٨: (ولينطلقوا فيبعدوا بي في أرض الروم ما استطاعوا) (ونحوه تاريخ دمشق: ٥٩/١٦، والإصابة: ٢٠٠/٢، وغريب الحديث: ٧١٣/٢، وأسد الغابة: ٨٢/٢، وسير الذهبي: ٤٠٤/٢، والطبقات: ٣/٨٥ ، وفي رواية أخرى: ولينطلقوا بي فليبعدوا ما استطاعوا... فانطلقوا بجنازته ما استطاعوا . وفي الروض الأنف: ٩٤/٤: فركب المسلمون به حتى إذا لم يجدوا مساعاً دفنوه). انتهى . وكل ذلك يدل على أن يزيداً لم يصل الى القسطنطينية بل بقي في الأراضي المفتوحة ولم يدخل أرض العدو أصلاً ، إلا في الإعلام الأموي !

ووضعوا حديثاً لتبرير فشل غزوة يزيد !

قال ابن حجر في الإصابة: ١٠٧/٣: (كنا مع سفيان بن عوف الغامدي سارين بأرض الروم فأغار على باب الذهب حتى خرج أهل القسطنطينية فقالوا: والله ما ندري أخطأتم الحساب أم كذب الكتاب أم استعجلتم المقدر ؟ فإننا وأنتم نعلم أنها ستفتح ولكن ليس هذا زمانها). (ونحوه فتن ابن حماد: ٥٠٣/٢، وسنن الداني: ٥٠٣/٢) . وسفيان هذا هو الذي قاد جيش يزيد وعسكر قرب أنطاكية بانتظاره ! فهم

يقولون إن القضاء والقدر هو الذي منع يزيد من فتحها ، وإلا لفتحها !

وحديثاً لتعزية الذين ماتوا من جيش يزيد !

وقد يكون عدد الجيش خمسين ألفاً لأنهم وصفوه بأنه جيش كثيف ! والذين ماتوا منه قد يبلغون ألوفاً ! ولذلك وضعوا رواية في أن الغزوة الأولى للقسطنطينية ستكون بلاء وشدة على المسلمين ! ففي كتاب الفتن للنعمان بن حماد: (٤٣٨/٢): (عن عبد الله بن عمرو قال: تغزون القسطنطينية ثلاث غزوات الأولى يصيبكم فيها بلاء والثانية تكون بينكم وبينهم صلحاً). وفي: (٤٧٢/٢): (فتلقون بلاء وشدة والغزوة الثانية يكون بينكم وبينهم صلح...والغزوة الثالثة يفتحها الله لكم بالتكبير) . ونحوه: (٤٨٣/٢) ، ومعناه: لكم العزاء أيها المسلمون بمن طال انتظارهم لقائدهم يزيد فأصابهم الجوع والأمراض وماتوا ! فإن النبي ﷺ أخبر أن الغزوة الأولى للقسطنطينية ستكون بلاء وشدة على المسلمين ، أي مرضاً وموتاً وخيبة ! فالمهم سلامة رأس يزيد وتلميذه وجعله مجاهداً في سبيل الله من أجل بيعته بالخلافة !

وختاماً ، فقد أجاب السيد الميلاني على دعوى ابن تيمية توبة يزيد والمغفرة له بسبب غزوة القسطنطينية فقال في دراسات في منهاج السنة/٩١: (أقول: أولاً: إذا كان يزيد لم يأمر بقتل الحسين عليه السلام يهن الكعبة وكان في وقعة الحرة معذوراً ، فأَي ذنب له حتى يتوب منه؟! وثانياً: كم واحد من لمسلمين صدر منه ما صدر من يزيد حتى يقال: نحن نعلم أن أكثر المسلمين لا بد لهم من ظلم؟ وثالثاً وهو المهم....وإذا كان يزيد مغفوراً له بحكم الحديث الصحيح ! فلماذا أوجب أحمد بن حنبل وابن الجوزي والتفتازاني وكثيرون غيرهم لعن يزيد والبراءة منه؟! وتجد كلماتهم في الشرح). انتهى.

هذا ، وأبو أيوب رضي الله عنه من خيار الصحابة وفرسان شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وله

الفصل الثامن : معاوية يستमित لأخذ البيعة ليزيد !..... ٣٣١

موقف سلمي من معاوية وقد هاجره فلم يكلمه ! وقد عقد الحاكم: ٤٥٧/٣ ، وغيره أبواباً لمناقبه عليه السلام. وفي الطبقات: ٤٨٥/٣: (فلقد بلغني أن الروم يتعاهدون قبره ويرمونه ويستقون به إذا قحطوا). انتهى. وللحديث عنه عليه السلام مجال آخر .



غزوة معاوية لقبرص مكذوبة كغزوة ابنه يزيد !

قال بخاري في صحيحه: ٢٠١/٣ ، وكررها بضع مرات في صحيحه ! عن أنس: (كان رسول الله (ص) يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه ، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت ، فدخل عليها رسول الله (ص) فأطعمته وجعلت تُقَلِّي رأسه ! فنام رسول الله (ص) ثم استيقظ وهو يضحك ! قالت: فقلت وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتي عَرَضُوا عَلَيَّ غَزَاةً في سبيل الله ، يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة ، أو مثل الملوك على الأسرة ، شك إسحاق ، قالت فقلت: يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم ، فدعا لها رسول الله (ص)، ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك ، فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتي عَرَضُوا عَلَيَّ غَزَاةً في سبيل الله كما قال في الأول ، قالت: فقلت يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم . قال: أنت من الأولين ، فركبت البحر في زمن معاوية بن أبي سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت). (وفي: ٢٠٣/٣)

و ٢٢١ ، و: ١٤٠/٧ ، و: ٢٠٣/٣ ، و: ٧٣/٨ ، وفيه: (قالت نام النبي يوماً قريباً مني ثم استيقظ يتبسم) ! وروته عامة مصادرهم . وتقدم قول ابن حجر في فتح الباري: ٧٤/٦: (في هذا الحديث منقبة لمعاوية ، لأنه أول من غزا البحر ، ومنقبة لولده يزيد لأنه أول من غزا مدينة قيصر). انتهى.

وهذه ملاحظات ضرورية على هذا الحديث المزعوم:

الأولى، أنه لا يمكن لعاقل أن يصدق حديث بنت ملحان وأمثالها وزعمها أن النبي ﷺ كان يزورها في بيتها فتطعمه وتغلي رأسه كابنها أو أخيها كأن رأس النبي ﷺ فيه قمل كرؤوس رجالهم ! ثم ينام في بيتها قريباً منها وهي امرأة أرملة عزباء أو زوجة لأبي طلحة ! ثم يرى في المنام رؤيا تتعلق بها ، لم يروها أحدٌ غيرها ! فكل ذلك فيه إشكال وغرابة على سلوك النبي ﷺ مع امرأة أجنبية ، بل على سلوك صحابي عادي يحترم نفسه ! لكنك تجد عند الشراح الأمويين العجب العجائب من التخطي والكلام الركيك ! فقد تبرع بعضهم وجعل بنت ملحان خالة النبي ﷺ ! وتبرع آخر وقال إن تلك التصرفات المحرمة حلالٌ للنبي ﷺ ! وادعى النووي الإجماع على ما استنبطه من أحكام شرعية من الحديث ! قال في شرح مسلم: ٥٨/١٣: (فيه جواز قُلِّي الرأس وقتل مافيه....وفيه جواز ملامسة المحرم في الرأس وغيره مما ليس بعورة ، وجواز الخلوة بالمحرم والنوم عندها ، وهذا كله مجمع عليه) ! وقال ابن حجر في فتح الباري: ٦٥/١١: (وفيه جواز قائلة الضيف في غير بيته بشرطه كالإذن وأمن الفتنة ، وجواز خدمة المرأة الأجنبية الضيف بإطعامه والتمهيد له ونحو ذلك... وفيه خدمة المرأة الضيف بتغليته رأسه ، وقد أشكل هذا على جماعة فقال ابن عبد البر: أظن أن أم حرام أرضعت رسول الله (ص) أو أختها أم سليم فصارت كل منهما أمه أو خالته من الرضاعة فلذلك كان ينام عندها ، وتناول منه ما يجوز للمحرم أن يتناوله من محارمه). انتهى. وأجابه ابن قدامة في المغني: ٣٧٠/١٠: (ولم نَرِ هذا عن أحد سواه ! وأظنه إنما قال هذا لأن النبي كان ينام في بيتها وينظر إلى شعرها ولعل هذا كان قبل نزول الحجاب) ! وفي مواهب الجليل: ١٧/٥: (ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام جواز خلوته

بالأجنبية... وقال الشيخ جلال الدين في المباحات: واختص (ص) بإباحة النظر للأجنبيات والخلوة بهن وإردافهن). أي إركابهن خلفه على بعير أو دابة !!

وقال ابن حجر: ١٧٤/٩: (والذي وضع لنا بالأدلة القوية أن من خصائص النبي (ص) جواز الخلوة بالأجنبية والنظر إليها ! وهو الجواب الصحيح عن قصة أم حرام بنت ملحان في دخوله عليها ونومه عندها وتفليتها رأسه ! ولم يكن بينهما محرمة ولا زوجية). وقال في: ٦٦/١١: (جرت العادة بمخالطة المخدوم خادمه وأهل خادمه ورفع الحشمة التي تقع بين الأجانب عنهم). انتهى.

أقول: كل ما ذكره لا يصح ولا يعقل ! فلم تكن بنت ملحان أو الرمضاء أو أم سليم أو أم أنس ، مَحْرَمًا على النبي ﷺ بل هي أم خادمه أنس وهذا الحديث من تخيلات أو تخيلات ولدها أنس ! ويظهر أن أنساً كذبه بعد وفاة أمه في قبرص ولم يروه أحد غيره ! ولو كان صحيحاً لشاع عنها وعن أنس قبل أن تموت ، خاصة وأن عمر حرّم غزو البحر ولم يستجب للضغوط عليه وحاجة المسلمين اليه ، وعاقب عليه العلاء الحضرمي لأنه جاء بسفن من البحرين وفتح قسماً من جنوب إيران ، وكان أنس وأمه موجودين يومذاك في المدينة ، فلماذا لم يقولوا لعمر إن رسول الله ﷺ مدح غزاة البحر وبشر أم أنس أنها منهم !

إن مشكلة هؤلاء الشراح أنهم فرضوا صحة الحديث لأن فيه منقبة لمعاوية ن ولأن البخاري رواه ! ولولا ذلك لتنازلوا عنه وانتقدوه !

الثانية، أن نصوص الحديث المزعوم متفاوتة الى حد التناقض كالذي رواه الطبراني في الكبير: ١٣٢/٢٥: (أنس بن مالك عن بنت ملحان قالت: كنت نائمة عند النبي (ص) وأنا منه غير بعيدة فاستيقظ وهو يسبح فسألته فقال....) الخ. فقد تغير مشهد القصة ، وصارت هي النائمة في بيت النبي ﷺ !! الخ.

الثالثة، المتهم عندنا في الحديث ابنها أنس بن مالك فقد كان عمره عندما هاجر النبي ﷺ الى المدينة عشر سنين ، فاستأجره النبي ﷺ خادماً ثم طلب الأنصار أن لا ينفرد بخدمته ، فكان يخدمه كل يوم شاب من الأنصار ، وكان منزل أنس وأمه في قُباء وليس في المدينة وكانت تكنى أمه (أم سليم) وهي رملة بنت ملحان وتلقب بالرمضاء ، والرمض مرض في العيون ، وكانت أرملة فخطبها أبو طلحة الأنصاري فقالت: (لا أتزوج حتى يبلغ أنس ويجلس في المجالس فيقول جزى الله أمني عني خيراً لقد أحسنت ولايتي). (الطبقات: ٤٢٦/٨) فتزوجته عندما كبر أنس ، وزعم أنس أن صداق أمه كان أن يسلم أبو طلحة ، ثم طلقها أبو طلحة لأنه توفي بعدها سنة ٥١ ، فتزوجت عبادة بن الصامت وتوفيت كما روي في قبرص نحو الثلاثين هجرية .

وزعم أنس أن أمه تدخل الجنة قبل النبي ﷺ ! روى عنه ﷺ: (دخلتُ الجنة فسمعت خشفة فقلت من هذا؟ قالوا هذه الغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك) (صحيح مسلم: ١٤٥/٧، ومسند أحمد: ٩٩/٣، و١٠٦، و١٢٥، والطبقات: ٤٣٠/٨، وأوسط الطبراني: ٢/ ٣٦٨، وفيه: ورأيتُ أم سليم بنت ملحان في الجنة ، وفصائل الصحابة للنسائي/ ٨٥، وشرح مسلم للنووي: ١١/١٦، وفسر الخشفة بحركة المشي وصوته ، ومنتخب عبد بن حميد/ ٣٩٩ ، وفيض القدير: ٦٩٠/٣، وفيه أنه رآها في الجنة مرتين ! وكثر العمال: ١٤٦/١٢، وقال: (حم ، م ، ، عن أنس) . أما بخاري فجعل ذلك مناماً: ١٩٨/٤، قال: (رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشفة فقلت من هذا ؟ فقال هذا بلال . ورأيت قصراً بفنائنه جارية فقلت لمن هذا؟ فقال: لعمر ، فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك ! فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله عليك أغار) !!

ثم إن أنس اعترف في حديث الطبري بأنه كذب ثلاث مرات ففي المستدرک: ١٣٠/٣: (عن أنس بن مالك قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ فقدم لرسول الله فرخ مشوي

فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير ، قال: فقلت اللهم اجعله رجلاً من الأنصار ، فجاء علي فقلت إن رسول الله على حاجة ، ثم جاء فقلت إن رسول الله على حاجة ، ثم جاء فقال رسول الله: إفتح فدخل فقال رسول الله: ما حبسك علي؟ فقال إن هذه آخر ثلاث كرات يردني أنس يزعم أنك على حاجة ! فقال: ماحملك على ما صنعت؟ فقلت يا رسول الله سمعت دعاءك فأحببت أن يكون رجلاً من قومي ! فقال رسول الله: إن الرجل قد يحب قومه ! هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقد رواه عن أنس جماعة من أصحابه زيادة على ثلاثين نفساً ! ثنا ثابت البناني أن أنس بن مالك كان شاكياً فأتاه محمد بن الحجاج يعوده في أصحاب له ، فجرى الحديث حتى ذكروا علياً فتنقصه محمد بن الحجاج فقال أنس: من هذا أقعدوني فأقعدوه ، فقال: يا ابن الحجاج لا أراك تنقص علي بن أبي طالب ! والذي بعث محمداً بالحق لقد كنت خادم رسول الله بين يديه ، وكان كل يوم يخدم بين يدي رسول الله غلام من أبناء الأنصار ، فكان ذلك اليوم يومي ، فجاءت أم أيمن مولاة رسول الله بطير فوضعت بين يدي رسول الله فقال رسول الله: أم أيمن ما هذا الطائر؟ قالت هذا الطائر أصبته فصنعت لك ، فقال رسول الله: اللهم جثني بأحب خلقك إليك واليَّ يأكل معي من هذا الطائر ! وضُرب الباب فقال رسول الله: يا أنس أنظر من على الباب ، قلت اللهم اجعله رجلاً من الأنصار ، فذهبت فإذا علي بالباب ، قلت: إن رسول الله على حاجة ، فجثت حتى قمت مقامي ، فلم ألبث أن ضرب الباب فقال: يا أنس أنظر من على الباب فقلت اللهم اجعله رجلاً من الأنصار فذهبت فإذا علي بالباب ، قلت: إن رسول الله على حاجة ، فجثت حتى قمت مقامي ، فلم ألبث أن ضُرب الباب فقال رسول الله: يا أنس إذهب فأدخله ، فلست بأول رجل

أحب قومه ليس هو من الأنصار ! فذهبت فأدخلته فقال: يا أنس قرب إليه الطير ، قال فوضعته بين يدي رسول الله فأكلها جميعاً ! قال محمد بن الحجاج: يا أنس كان هذا بمحضر منك؟ قال: نعم . قال أعطي بالله عهداً أن لا انتقص عليك بعد مقامي هذا ، ولا أعلم أحداً ينتقصه إلا أشنت له وجهه!! (راجع أمالي الصدوق/٧٥٣ واعتراف أنس بكذبه ودعاء علي عليه السلام . ونفحات الأزهار للسيد الميلاني: ١٦/١٣ ، وهو مجلد خاص بحديث الطائر المشوي وعجائبه ، وعجائب القوم فيه) .

وفوق شهادة أنس على نفسه وكلامه غير المعقول عن تعامل النبي ﷺ مع والدته ، شهادة الإمام محمد الباقر عليه بأنه يكذب للحكام ! قال عليه السلام: (إن أول ما استحل الأمراء العذاب لكذبة كذبها أنس بن مالك على رسول الله ﷺ أنه سمر يد رجل إلى الحائط! ومن ثم استحل الأمراء العذاب)!(علل الشرائع: ٥٤١/٢) .

الرابعة، لو سلمنا صحة الحديث المزعوم وأن معاوية كان في غزوة قبرص ، فإن أول من غزا في البحر ليس هو بل العلاء بن الحضرمي عامل النبي ﷺ على البحرين ! فقد اتفقت مصادر الحديث والسيرة على أن عمر كان يخاف من ركوب البحر فنهى عنه ، لكن العلاء الحضرمي رضي الله عنه خالفه فغزا فارس بالسفن من البحرين وفتح الأهواز واصطخر ، فغضب عليه عمر وعزله !

ففي تاريخ الطبري: ١٧٧/٣: (واستعمله عمر ونهاه عن البحر فلم يقدر في الطاعة والمعصية وعواقبهما ، فندب أهل البحرين إلى فارس ففسرعو إلى ذلك ، وفرقهم أجناداً على أحدهما الجارود بن المعلی ، وعلى الآخر السوار بن همام ، وعلى الآخر خليل بن المنذر بن ساوى ، وخليد بن جماعة الناس ، فحملهم في البحر إلى فارس بغير إذن عمر وكان عمر لا يأذن لأحد في ركوبه غازياً ، يكره التغرير بجنده استئناً بالنبي (ص) وبأبي بكر ! لم يغز فيه النبي (ص) ولا أبو بكر ،

فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس فخرجوا في إصطخر وبازائهم أهل فارس ، وعلى أهل فارس الهربذا اجتمعوا عليه ، فحالوا بين المسلمين وبين سفنهم ، فقام خليلد في الناس فقال: أما بعد فإن الله إذا قصي أمراً جرت به المقادير حتى تصيبه ، وإن هؤلاء القوم لم يزيدوا بما صنعوا على أن دعوكم إلى حربهم ، وإنما جئتم لمحاربتهم ، والسفن والأرض لمن غلب فاستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ، فأجابوه إلى ذلك ، فصلوا الظهر ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالاً شديداً في موضع من الأرض يدعى طاوس ، وجعل السوار يرتجز يومئذ ويذكر قومه ويقول:

يا آل عبد القيس للقرع قد حفل الإمداد بالجراع
وكلهم في سنن المصاع بحسن ضرب القوم بالقطاع....

ولما بلغ عمر الذي صنع العلاء من بعثه ذلك الجيش في البحر ألقى في روعه نحو من الذي كان ، فاشتد غضبه على العلاء وكتب إليه يعزله وتوعده وأمره بأثقل الأشياء عليه وأبغض الوجوه إليه بتأمر سعد عليه ! وقال: إلحق بسعد بن أبي وقاص فيمن قبلك فخرج بمن معه نحو سعد ، وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان أن العلاء بن الحضرمي حمل جنداً من المسلمين فأقطعهم أهل فارس وعصاني ، وأظنه لم يرد الله بذلك ! فخشيت عليهم أن لا ينصروا وأن يغلبوا وينشوا ، فاندب إليهم الناس واضممهم إليك من قبل أن يُجتاحوا . فندب عتبة الناس وأخبرهم بكتاب عمر ، فانتدب عاصم ابن عمرو وعرفجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن ، ومجزأة بن ثور ونهار بن الحارث....). انتهى.

وتُصورُ هذه الرواية أن جيش العلاء قد غلق داخل فارس ، لكن روايات أخرى ذكرت أنه انتصر في تلك المعركة المهمة ، وفتح مدناً وكتب مع أهلها عهد

الصلح ومنها اصطخر . وهو خارج عن موضوعنا .

كما أن رواياتهم في أن النبي ﷺ نهى عن الغزو في البحر تكذيبها رواية بخاري موضوع البحث ، بل كل القضية أن أبا بكر وعمر كانا يخافان من البحر !

وقد روت عامة مصادرهم غزوة العلاء مثل: الطبقات: ٣٦١/٤ ، وتاريخ دمشق: ٣٧/٦٠ ، وأسد الغابة: ٧/٤ ، وسير الذهبية: ٢٦٤/١ ، والإصابة: ٢٨٨/٢ ، وفتح البلاذري: ١٠٤/١ ، والنهاية: ١٤٦٧/١ ، وابن خلدون: ٢٤٠/٧ ، وحلية الأولياء: ٨/١ ، والإستيعاب: ١٠٨٧/٣ ، والمنظوم: ٢٤٢/٤ ، والإكتفاء من مغازي رسول الله للكلاعي: ٣١٧/٤ ، والتراتب الإدارية: ٣٧٠/١ ، وغيرها .

فأين ذهبت منقبة معاوية وغزوته المزعومة ، التي كانت بعد غزوة العلاء بعشر سنين وأكثر ! لأنها في سنة ٢٨ عندما أذن لهم عثمان بركوب البحر !

لكن عين محبي معاوية لم تنكسر بغزوة العلاء ، فتراهم يصرون على تعسفهم ليجعلوا معاوية أول من غزا في البحر ! قال ابن حجر في فتح الباري: ٦٣/١١ و ٥٧/٦ : (ومعاوية أول من ركب البحر للغزاة وذلك في خلافة عثمان) .

مع أنه شكك بعدها في أن معاوية قائد الغزوة أم لا ؟ قال في: ٦٥/١١ : (في حديث أم حرام أن أمير الغزوة كان معاوية وفي رواية أخرى أن أميرها كان المنذر بن الزبير). انتهى . وكذا شكك فيه ابن عبد البر قال في الإستيعاب: ١٩٣١/٤ : (ويقال إن معاوية غزا تلك الغزاة بنفسه ، ومعه أيضاً امرأته فاختة بنت قرظة .) وفي التجوم الزاهرة: ٢٣٥/١ عن موسى بن نصير: (في سنة تسع عشرة ولاء معاوية بن أبي سفيان غزو البحر فغزا قبرس وبنى بها حصوناً) .

الخامسة، الصحيح أن معاوية لم يكن قائداً لأي غزوة أو معركة في الفتوحات ولا غيرها ، ولا شارك في قتال أبداً حتى في صفين ! ويشير النص التالي الى أن معاوية كان في غزوة قبرص ينتظر الجيش في الساحل بطرسوس !

ففي مسند الشاميين للطبراني: ٧٣/٢ عن جبير بن نفير قال: (أخرج معاوية غنائم قبرس إلى الطرسوس من ساحل حمص ، ثم جعلها هناك في كنيسة يقال لها كنيسة معاوية ، ثم قام في الناس فقال: إني قاسم غنائمكم على ثلاثة أسهم: سهم لكم ، وسهم للسفن ، وسهم للقبط ، فإنه لم يكن لكم قوة على غزو البحر إلا بالسفن والقبط . فقام أبو ذر فقال: بايعت رسول الله على أن لا تأخذني في الله لومة لائم: أتقسم يا معاوية للسفن سهماً وإنما هي فيؤنا ، وتقسم للقبط سهماً وإنما هم أجراؤنا ، فقسمها معاوية على قول أبي ذر) . (ونحوه في: ١٢٠/٢ ، وتاريخ دمشق: ١٩٣/٦٦ ، وحلية الأولياء: ١٣٤/٥ ، وغيرها) . ولهذا فإن تسمية فتح قبرص بالغزوة غير دقيق ، فأهل قبرص لم يكونوا يريدون الحرب فذهب جنود المسلمين لعرض قوتهم وكتابة عقد الصلح وجاؤوا بهدايا أو غنائم .

ويؤيد ذلك أن الروم بعد معركة اليرموك أصابهم انهيار واسع ، شمل سوريا وفلسطين ومصر ، فهو يشمل قبرص التي تقابل طرابلس وحمص وهي قريبة من الساحل حتى أنه قد يسمع منهما صياح ديوكها ، وكانت معركة اليرموك قرب حمص ، حيث برز بطل اليرموك المظلوم مالك الأشتر رضي الله عنه إلى ماهان بطل الروم الذي يعد بألف فارس ، فهزمه وقلب ميزان المعركة وانهزم الروم هزيمة شنيعة ! وقد اتفق المؤرخون والمحدثون على أنه: (لما بلغ هرقل خبر أهل اليرموك وإيقاع المسلمين بجنده ، هرب من أنطاكية إلى قسطنطينية ، فلما جاوز الدرب قال: عليك يا سورية السلام ! ونعم البلد هذا للعدو ، يعني أرض الشام لكثرة مراعيها . وكانت وقعة اليرموك في رجب سنة خمس عشرة) . (فتوح البلاذري: ١٦٢/١ وتاريخ الطبري: ٢٩٣/٢ ، و٦٢٨) .

وقد وصف الواقدي في فتوح الشام: ٥/٢ ، انهيار الروم وهروب هرقل من أنطاكية

الى عاصمته القسطنطينية وخوفه من مهاجمة المسلمين لها ، وهو يدل على أن التوغل في بلاد الروم كان مفتوحاً أمام المسلمين . قال الواقدي: (إن الملك هرقل لما ركب البحر وخرج من أنطاكية ووصل الى قسطنطينية ، قصدته الروم من كل مكان من المنهزمين وغيرهم ، وبلغه أن أنطاكية قد فتحت صلحاً وأنه قتل من كان فيها من المقاتلة ، فصعب عليه وبكى ثم قال: السلام عليك يا أرض سوريا الى يوم اللقاء ! وقد تجمع عنده من البطارقة والحجاب وغيرهم خلق كثير فقال لهم: إني أخاف من العرب أن ترسل في طلبنا ، ثم إنه جهز ثلاثين ألفاً مع ثلاثة بطارقة ، وأمرهم أن يحفظوا له الدروب). انتهى.

وعليه فلم تكن للروم مقاومة للمسلمين في قبرص وحتى في أنطاكية وغيرها . قال ابن قدامة في الخراج/٣٠٦: (وذلك في سنة ثمان وعشرين فلما صار المسلمون إلى قبرص فأرقوا(١).) إلى ساحلها ، بعث إليهم صاحبها يطلب الصلح وأذعن أهلها فصالحهم معاوية على سبعة آلاف ومائتي ديناراً يؤدونها في كل سنة ، وفارقهم الروم على مثل ذلك ، واشترط المسلمون عليهم مع أداء الإتاوة النصيحة وإنذار المسلمين بسير الروم إليهم). (ونحوه: ٢١٩/٢ ، والاستقصاء: ٩٤/١ ، والطبري: ٣١٨/٣ ، وفيه: وعليهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم وعلى أن يُيَطْرَقَ إمام المسلمين عليهم منهم) .

السادسة، زعموا في بعض التفاسير أن معاوية اكتشف أهل الكهف في غزوته للروم ! وقد اتضح كذب ذلك بما تقدم ، ولا نطيل فيه . راجع الكشف: ٤٧٦/٢ ، تفسير الرازي: ١١٣/٢١ ، وتفسير القرطبي: ٣٨٩/١٠ .

قائمة بفعاليات معاوية لبيعة يزيد وقمع المعارضين

- ١- بدأ معاوية بالتمهيد (لبيعة) يزيد بقتل المعارضين الذين يمكن أن يعرقلوا مشروعه ، واستعرضنا عدداً منهم في المجلد الثاني . ثم قام بتأمر يزيد على الحج كما أعطاه دوراً في قصره ، فكان يقبل رأيه ويأمر بتنفيذ أوامره .
وآخر ما أعدَّ به يزيداً للبيعة أنه اخترع له غزوة القسطنطينية وأعلن أنها بقيادته ، فتخلف عنها يزيد لانشغاله بالشرب والجواري في دير مُرَّان ، فطال انتظار جنود الفتح لقائدهم يزيد حتى هلك العديد منهم بالجوع والطاعون ، كما تقدم !
- ٢- كانت أكبر عقبة أمامه وجود الإمام الحسن عليه السلام فما أن تمكن من قتله حتى شرع بأخذ البيعة ليزيد: (كان معاوية قد أشار بالبيعة ليزيد في حياة الحسن وعرض بها ولكنه لم يكشفها ولا عزم عليها إلا بعد موت الحسن). (الإستيعاب: ١٤٢/١).
أقول: اتفق المؤرخون على أن شهادة الإمام الحسن عليه السلام كانت سنة خمسين للهجرة ، ولا يعبأ بالقول الشاذ أنها في سنة تسع وأربعين .
كما اتفقوا على أن معاوية جاء الى المدينة في عمرة رجب لأخذ البيعة ليزيد ، واختلفوا في سنة مجيئه في رجب ، فالمشهور كما في الطبري: ٢٢٣/٤ ، وابن الأثير: ٣٤٩/٣ ، وتاريخ دمشق: ١٢٠/٥٩ ، وغيرهم أن سفره كان في سنة ست وخمسين ، وروى ابن الأعمش: ٣٣٢/٤ أن معاوية كان في هذه المدة: (يروض الناس في كل سنة وفي كل موسم يدعوهم إلى بيعة يزيد فلم يزل على ذلك سبع سنين).
لكني أرجح رأي ابن خياط ١٦٠ ، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ١٥٣ ، أن سفره

معاوية كانت في رجب سنة ٥١ ، فوفاة عبد الرحمن بن أبي بكر كانت عند منصرف معاوية الى الشام ، وقد نص عدد على أنها سنة إحدى وخمسين ، قال ابن حجر في أسد الغابة: ٩٩/٤: (وتوفي بالمدينة سنة إحدى وخمسين وقيل سنة أربع وخمسين وقيل سنة ثلاث وخمسين... والصحيح أنه توفي بعد الخمسين لأن محمد بن سيرين روى أنه كلم معاوية بكلام شديد لما أراد البيعة ليزيد). وكذلك قال في عمرو بن زيد الأنصاري، وقال المزي في تهذيب الكمال: ٥٦٠/١٦: بعد نقل الأقوال في وفاة عبد الرحمن: (وقال أبو زرعة الدمشقي: توفي بعد منصرف معاوية من المدينة في قدمته التي قدم فيها لأخذ البيعة... ثم توفيت عائشة بعد ذلك بيسير ..). انتهى. وهذا يتناسب مع عجلة معاوية في أخذ البيعة ليزيد ، فقد قُتل عبد الرحمن بن خالد سنة ثلاث وأربعين ، وفي أبعد الأقوال سنة ست وأربعين (الطبري: ١٧٢/٤). فالنتيجة أن معاوية قتل الإمام الحسن عليه السلام في صفر سنة خمسين ، ثم حج في تلك السنة واستمزج رأي الصحابة والشخصيات ، ثم عاد في رجب من سنة إحدى وخمسين لأخذ البيعة ليزيد .

٣- بدأ بأخذ البيعة من أهل الشام بمساعدة رجال القصر ، خاصة وزيره الخاص الضحاك بن قيس ، فأحضر وجوه الناس وتكلم وذكر ما أمر الله به من طاعة ولاية الأمر ، ثم ذكر يزيد وفضله في قریش وعلمه بالسياسة ، فعارضه الضحاك بن قيس وقال: يا أمير المؤمنين إنه لا بد للناس من وال بعدك وولي عهدك ، فإنه قد بلونا الجماعة والفرقة فوجدنا الجماعة والألفة أحقن للدماء وآمن للسبل وخيراً في العاجلة والآجلة ، والأيام عوج رواجع والله في كل يوم أمر وشأن ولا تدري ما يختلف به العصران وينقلب فيه الحدثنان ، ويزيد ابن أمير المؤمنين في هديه وقصد سيرته من أفضلنا حليماً وأكرمنا علماً ، فوله عهدك واجعله لنا علماً بعدك

يكون مفزعاً نلجأ إليه ، وخليفة نعول عليه تسكن به القلوب ونأمن به الفتن . وقام عمرو بن سعيد الأشدق وقال: أيها الناس والله إن يزيد لطويل الباع واسع الصدر رفيع الذكر ، إن صرتم إلى عدله وسعكم ، وإن لجأتم إلى جوده أغناكم ، وهو خلف لأمر المؤمنين ولاخلف منه . فقال له معاوية: أجلس أبا أمية فقد أوسعت وأحسن). (فتوح ابن الأعمش بتصرف بسيط: ٣٣٣/٤). (فقال معاوية للضحاك بن قيس: إني جالس من غد للناس فأتكلم بما شاء الله ، فإذا فرغت من كلامي فقل في يزيد الذي يحق عليك وادع إلى بيعته فإني قد أمرت عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن عضاة الأشعري وثور بن معن السلمي أن يصدقوك في كلامك وأن يجيبوك إلى الذي دعوتهم إليه ، فلما كان من الغد قعد معاوية فأعلم الناس بما رأى من حسن رعية يزيد ابنه وهديه وأن ذلك دعاه إلى أن يوليه عهده ، ثم قام الضحاك بن قيس فأجابه إلى ذلك وحض الناس على البيعة ليزيد وقال لمعاوية: إعزم على ما أردت ، ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن عضاة الأشعري وثور بن معن فصدقوا قوله). (مروج الذهب/٦٨٣).

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١٣٥/١: (قال فلما اجتمعت عند معاوية وفود الأمصار بدمشق وفيهم الأحنف بن قيس ، دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري فقال له إذا جلست على المنبر وفرغت من بعض موعظتي وكلامي فاستأذني للقيام ، فإذا أذنت لك فاحمد الله تعالى واذكر يزيد وقل فيه الذي يحق له عليك من حسن الثناء عليه ثم ادعني إلى توليته من بعدي ، فإني رأيت وأجمعت على توليته فأسأل الله في ذلك وفي غيره خيرة وحسن القضاء...).

٤- أجبر معاوية شخصيات بني أمية المنافسين ليزيد على أن يبايعوه أمام

الناس وكان أبرزهم مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبدالله بن عامر بن كريض: (كان يزيد بن معاوية يؤثر مسكيناً الدارمي ويصله ويقوم بحوائجه عند أبيه فلما أراد معاوية البيعة ليزيد تهيب ذلك وخاف ألا يمالئه عليه الناس لحسن البقية فيهم وكثرة من يُرشح للخلافة ، وبلغه في ذلك ذرء وكلام كرهه من سعيد بن العاص ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر ، فأمر يزيد مسكيناً أن يقول أبياتاً وينشدها معاوية في مجلسه إذا كان حافلاً وحضره وجوه بني أمية ، فلما اتفق ذلك دخل مسكين إليه وهو جالس وابنه يزيد عن يمينه وبنو أمية حواله وأشراف الناس في مجلسه ، فمثل بين يديه وأنشأ يقول

إن أدع مسكيناً فإني ابن معشر من الناس أحمي عنهم وأذود
إليك أمير المؤمنين رَحَلْتُهَا تثير القطا ليلاً وهنٌ هجود
وهاجرة ظلت كأن ظباءها إذا ما اتقتها بالقرون سجود
ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر ومروان أم ماذا يقول سعيد
بني خلفاء الله مهلاً فإنما يبوئها الرحمن حيث يريد
إنا المحمدي الغربي خلاه ربه فإن أمير المؤمنين يزيد
على الطائر الميمون والجذ صاعد لكل أناس طائر وجدود
فلا زلت أعلى الناس كعباً ولا تزل وفود تسامها إليك وفود
ولا زال بيت الملك فوقك عالياً تُشَيِّدُ أطناب له وعمود
قدور ابن حرب كالجوابي وتحتها أناف كأمثال الرئال ركود

فقال له معاوية: ننظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله ! قال: ولم يتكلم أحد من بني أمية في ذلك إلا بالإقرار والموافقة ، وذلك الذي أراده يزيد ليعلم ما عندهم ثم وصله يزيد ووصله معاوية فأجزلا صلته . (الأغاني: ٢٠/٢٢٧).

٥- استقدم معاوية الى الشام وفوداً من العراق ومصر من رؤساء القبائل والشخصيات (فكتب إلى أهل الأمصار أن يقدموا عليه فقدم عليه قوم من أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل مكة والمدينة وأهل مصر والجزيرة ومن جميع البلاد) فخطب فيهم وبَيَّن صفات يزيد وميزاته وخطبوا مؤيدين متملقين وبايعوا ، وأعطى معاوية لقب (سيد الخطباء) ليزيد بن المقنق الكندي لأنه اختصر خطبته فجرد سيفه وقال: (أيها الناس، إن أمير المؤمنين هذا وأشار بيده إلى معاوية . فإذا مات فوارث الملك هذا وأشار بيده إلى يزيد ، فمن أبي فهذا وأشار بيده إلى السيف ! فقال له: أجلس فأنت سيد الخطباء). (الكامل: ٣٥٢/٣ ، والمستطرف: ١/ ١٣٨ والعقد الفريد/ ١٠٨٢، والبيان والتبيين/ ١٤٠، ونهاية الإرب/ ٤٤٦٦، وفوتج ابن الأعمش: ٣٣٣/٤).

٦- أرسل الى عماله في مصر والكوفة والبصرة أن يأخذوا البيعة ليزيد ، فأخذوها تحت السيف ولم تواجههم عقبة مهمة .

٧- حجَّ معاوية سنة ٥٠ واستمزج الصحابة في المدينة لبيعة يزيد بولاية العهد وكانت له مع كبارهم مناقشات صريحة ، لكنه لم يطرح ذلك عليهم وأراد أن يكمل التمهديد بعد قتل الإمام الحسن عليه السلام بتلميع يزيد بغزوة القسطنطينية ! (وحج معاوية تلك السنة فتألف القوم ولم يكرههم على البيعة ، وأغزى معاوية يزيد ابنه الصائفة) . (تاريخ (اليعقوبي: ٢٢٨/٢، ثم ذكر تخلف يزيد عن الغزو وشعره في ذلك) .

وفي تاريخ دمشق: ٤٠٦/٦٥: (وأقام الحج يعني سنة خمسين يزيد بن معاوية بعد أن قفل من أرض الروم... لما حج الناس في خلافة معاوية جلس يزيد بالمدينة على شراب.. وذكر قصته المتقدمة مع الإمام الحسين عليه السلام)!

(ثم أرسل إلى عبد الله بن الزبير فدعاه ثم شاوره في أمر يزيد ، فقال له: يا أمير المؤمنين ! أنا أناجيك ولا أناديك وإن أخاك من صدقك ، فانظر قبل أن تقدم

وفكر قبل أن تندم ، فإن النظر قبل التقدم والتفكر قبل التندم . قال: فتبسم معاوية ضاحكا ثم قال: يا بن أخ ! إنك تعلمت السجاعة على رأس الكبير إن دون ما سجعت به على أخيك يكفيك . قال: ثم أرسل إلى الأحنف بن قيس فدعاه ، ثم شاوره في أمر يزيد فقال: يا أمير المؤمنين ! إننا نخافكم إن صدقنا ونخاف الله إن كذبنا ولكن عليك بغيري . قال: فأمسك عنه معاوية وجعل يروض الناس في كل سنة وفي كل موسم يدعوهم إلى بيعة يزيد) . (فتوح ابن الأعمش: ٢٣١/٤).

(ثم تكلم الأحنف بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين أنت أعلمنا بيزيد في ليله ونهاره وسره وعلايته ومدخله ومخرجه فإن كنت تعلمه الله رضا ولهذه الأمة فلا تشاور الناس فيه وإن كنت تعلم منه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة فإنه ليس لك من الآخرة إلا ما طاب . واعلم أنه لا حجة لك عند الله إن قدمت يزيد على الحسن والحسين وأنت تعلم من هما وإلى ما هما ، وإنما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . قال صاحب العقد: فافتقر الناس ولم يذكروا إلا كلام الأحنف) . (جمهرة خطب العرب: ٢٤٥/٢).

وما أن تم له قتل الإمام الحسن عليه السلام في شهر صفر سنة ٥٠ ورتب غزوة يزيد المزورة ، حتى بدأ بأخذ البيعة ليزيد في الشام وغيرها ، وأرسل الى مروان عامله على المدينة أن يأخذ له البيعة من الصحابة والأنصار ، فحاول معهم فرفضوا واثارت عليه مشاكل خاصة مع عبد الرحمن بن أبي بكر وعائشة وابن الزبير ، فكتب الى معاوية يرفضهم فعزله وعين مكانه سعيد بن العاص ، فترك مروان المدينة مغاضباً ! وبذل سعيد كل جهده: (دعا الناس إلى البيعة ليزيد وأظهر الغلظة وأخذهم بالعزم والشدة وسطا بكل من أبطأ عن ذلك ! فأبطأ الناس عنها إلا اليسير لاسيما بني هاشم فإنه لم يجبه منهم أحد ، وكان ابن الزبير من أشد الناس

إنكاراً لذلك ورداً له .) (الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١٥٣/١).

٨- كتب سعيد بن العاص بذلك إلى معاوية فكتب معاوية الى المعارضين الأربعة: الإمام الحسين عليه السلام وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير يطلب منهم البيعة ليزيد وخلط فيها اللين بالشدّة ، وأمر سعيد بن العاص أن يوصلها إليهم ويبحث بجواباتها). (الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١٥٣/١).

٩- لم يستطع سعيد بن العاص ولا رسائل معاوية أن تقنع الصحابة والأنصار ببيعة ليزيد ، وعارضوا ذلك بشدة لأن يزيد فاسق خليع لايجوز توليته على المسلمين (فكتب سعيد بن العاص إلى معاوية: أما بعد: فإنك أمرتني أن أدعو الناس لبيعة يزيد ابن أمير المؤمنين وأن أكتب إليك بمن سارع ممن أبطأ ، وإنني أخبرك ان الناس عن ذلك بطاء لاسيما أهل البيت من بني هاشم فإنه لم يجبني منهم أحد وبلغني عنهم ما أكره . وأما الذي جاهر بعداوته وإبائه لهذا الأمر فعبد الله بن الزبير ، ولست أقوى عليهم إلا بالخييل والرجال ، أو تقدم بنفسك فترى رأيك في ذلك والسلام). (الإمامة والسياسة: ١٥٣/١).

١٠- قصد معاوية المدينة بنفسه غاضباً في ألف فارس فاستقبله شخصيات الصحابة لكنه كان معهم متمرداً شرساً يشتم ويهدد من لايباع يزيد ! (وفي هذه السنة اعتمر معاوية في شهر رجب وسار إلى الحجاز في ألف فارس ، فلما دنا من المدينة لقيه الحسن بن علي رضي الله عنهما أول الناس ، فلما نظر إليه معاوية قال: لا مرحباً ولا أهلاً ! بُدْنَةٌ يترقق دمه والله مهريقه ! قال: مهلاً فإنني لست بأهل لهذه المقالة ! قال بلى ولشر منها . ثم لقيه عبد الله بن الزبير فقال له: لا مرحباً ولا أهلاً ! خَبٌّ صَبٌّ تلعة يُدخل رأسه فيضرب بذنيه ويوشك والله أن يؤخذ بذنيه

وَيَدَقَّ ظهره ، نَحْيَاهُ عني فضرب وجه راحلته ! ثم لقيه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فقال له معاوية: لا مرحباً ولا أهلاً ! شيخ قد خرف وذهب عقله . ثم أمر بضرب وجه راحلته . ثم فعل بآبن عمر نحو ذلك . فأقبلوا معه لايتلفت إليهم حتى دخل المدينة) . (نهاية الإرب/٤٤٦٧) .

وفي اليوم الأول: (دخل على عائشة وكان قد بلغها أنه ذكر الحسين وأصحابه وقال: لاقتلنهم إن لم يبايعوا فشكاهم إليها فوعظته وقالت له بلغني أنك تتهدهم بالقتل فقال يا أم المؤمنين هم أعز من ذلك ولكني بايعت ليزيد وبايعه غيرهم أفتري أن أنقض بيعته قد تمت قالت فارفق بهم فإنهم يصيرون إلي ما تحب إن شاء الله قال أفعل) . (كامل ابن الأثير: ٣٥٣/٣) .

وفي اليوم الأول أيضاً استدعى معاوية الإمام الحسين عليه السلام وابن عباس وابن الزبير وابن عمر وابن أبي بكر ، واستعمل معهم كل دهائه لكنه لم يستطع إقناعهم ببيعة يزيد بل كان ردهم شديداً واصطدم بعبد الرحمن بن أبي بكر بشدة ! وقد نقل اليعقوبي: ٢٢٨/٢ ، كلمتين لابن عمر وابن الزبير تُرجح أنهما قالاهما في سفرة معاوية هذه: (وقال عبد الله بن عمر: نبايع من يلعب بالقرود والكلاب ويشرب الخمر ويظهر الفسوق ! ما حجتنا عند الله ؟! وقال عبد الله بن الزبير: لا طاعة لمخلوق في معصية خالق ، وقد أفسد علينا ديننا) . انتهى .

وفي اليوم الثاني جلس معاوية مجلساً رسمياً ، وبدأه بخولة مفردة مع بني عبد مناف الذين يعتبرهم مع بني أمية العائلة المالكة في قريش ، ولا يرضى أن يقيسهم بغيرهم كابن عمر العدوي ، أو ابن أبي بكر التيمي ، أو ابن الزبير من أسد عبد العزى ! (فلما كان صبيحة اليوم الثاني أمر بفراس فوضع له وسويت مقاعد الخاصة حوله وتلقاه من أهله ، ثم خرج وعليه حلة يمانية وعمامة دكناء وقد

أسبل طرفها بين كتفيه وقد تغلى وتعطر فقعد على سريره وأجلس كتابه منه بحيث يسمعون ما يأمر به ، وأمر حاجبه أن لا يأذن لأحد من الناس وإن قرب ، ثم أرسل إلى الحسين ثم جلس معاوية صبيحة اليوم الثاني ، وأجلس كتابه بحيث يسمعون ما يأمر به وأمر حاجبه أن لا يأذن لأحد من الناس وإن قرب ، ثم أرسل الى الحسين بن علي وعبد الله بن عباس فسبق ابن عباس فلما دخل وسلم أقعده في الفراش عن يساره فحدثه ملياً ثم قال: يا ابن عباس لقد وفر الله حظكم من مجاورة هذا القبر الشريف ودار الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقال ابن عباس: نعم أصلح الله أمير المؤمنين وحظنا من القناعة بالبعض والتجافي عن الكل أوفر فجعل معاوية يحدثه ويحيد به عن طريق المجاورة ، ويعدل إلى ذكر الأعمار على اختلاف الغرائز والطبائع ، حتى أقبل الحسين بن علي فلما رآه معاوية جمع له وسادة كانت على يمينه فدخل الحسين وسلم ، فأشار إليه فأجلسه عن يمينه مكان الوسادة ، فسأله معاوية عن حال بني أخيه الحسن وأسنانهم فأخبره ثم سكت . قال ثم ابتدأ معاوية فقال: أما بعد فالحمد لله ولي النعم ومنزل النقم وأشهد أن لا إله إلا الله المتعالي عما يقول الملحدون علواً كبيراً وأن محمداً عبده المختص المبعوث إلى الجن والإنس كافة لينذرهم بقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . فأدى عن الله وصدع بأمره وصبر على الأذى في جنبه حتى وضع دين الله وعز أولياؤه وقمع المشركون وظهر أمر الله وهم كارهون ، فمضى صلوات الله عليه وقد ترك من الدنيا ما بذل له ، واختار منها الترك لما سخر له زهادة واختياراً لله وأنفةً واقتداراً على الصبر ، بغياً لما يندوم ويبقى ، فهذه صفة الرسول (ص) ثم خلفه رجلان محفوظان وثالث مشكور وبين ذلك خوض طال ما عالجنه مشاهدة ومكافحة ومعاناة وسماعاً . وأنا أعلم منه

فوق ما تعلمان ، وقد كان من أمر يزيد ما سبقتم إليه وإلى تجويزه وقد علم الله ما أحاول به في أمر الرعية من سد الخلل ولم الصدع بولاية يزيد بما أيقظ العين وأحمد الفعل ، هذا معناني في يزيد . وفيكما فضل القربة وحظوة العلم وكمال المروءة ، وقد أصبت من ذلك عند يزيد على المناظرة والمقابلة ما أعينني مثله عندكما وعند غيركما ، مع علمه بالسنة وقراءة القرآن والحلم الذي يرجح بالصم الصلاب ، وقد علمتما أن الرسول المحفوظ بعصمة الرسالة قدم على الصديق والفاروق ومن دونهما من أكابر الصحابة وأوائل المهاجرين يوم غزوة السلاسل من لم يقارب القوم ولم يعاندهم برتبة في قرابة موصولة ولا سنة مذكورة ، فقادهم الرجل بأمره وجمع بهم صلاتهم وحفظ عليهم فيأهم وقال فلم يقل معه . وفي رسول الله أسوة حسنة ، فمهلاً بني عبد المطلب فأنا وأنتم شعبا نفع وجدّ ، وما زلت أرجو الإنصاف في اجتماعكما فما يقول القائل إلا بفضل قولكما ، فردّاً على ذي رحم مستعتب ، ما يحمد به البصيرة في عتابكما وأستغفر الله لي ولكما .

قال فتيسر ابن عباس للكلام ونصب يده للمخاطبة ، فأشار إليه الحسين وقال على رسلك فأنا المراد ونصبي في التهمة أوفر ، فأمسك ابن عباس فقام الحسين فحمد الله وصلى على الرسول ثم قال: أما بعد يا معاوية فلن يؤدي القائل وإن أطنب في صفه الرسول ﷺ من جميع جزء ، وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله من إيجاز الصفة والتكبر عن استبلاغ النعت ! وهيهات هيهات يا معاوية فضح الصبح فحمة الدجى وبهرت الشمس أنوار السرج ، ولقد فضّلت حتى أفرطت ، واستأثرت حتى أجحفت ، ومنعت حتى محلت ، وجُزت حتى جاوزت ، ما بذلت لذي حق من اسم حقه بنصيب ، حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر ونصيبه الأكمل . وفهمتُ ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة

محمد ﷺ تريد أن توهم الناس في يزيد ، كأنك تصف محجوباً أو تنعت غائباً أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص ! وقد دل ذلك من نفسه على موقع رأيه فخذ ليزيد فيما أخذ فيه من استقرائه الكلاب المهارشة عند التهارش والحمام السبق لأترابهن ، والقيان ذوات المعارف وضرب الملاهي ، تجده باصراً ، ودع عنك ما تحاول فما أغناك أن تلقى الله من وزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه ، فوالله ما برحتَ تقدح باطلاً في جور وحقناً في ظلم حتى ملأتَ الأسقية ، وما بينك وبين الموت إلا غمضة ، فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود ولات حين مناص ! ورأيتك عرضت بنا بعد هذا الأمر ومنعتنا عن آباءنا تراثاً ! ولقد لعمر الله أوروثنا الرسول ﷺ ولادةً . وجئت لنا بما حججتم به القائم عند موت الرسول فأذعن للحجة بذلك وورده الإيمان إلى النصف ، فركبتم الأغاليل وفعلتم الأفاعيل وقلتم كان ويكون حتى أتاك الأمر يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك ، فهناك فاعتبروا يا أولي الأبصار !

وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله ﷺ وتأميره له وقد كان ذلك ، ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصحبة الرسول وبيعته له ، وما صار لعمر الله يومئذ مبعثهم حتى أنف القوم إمرته وكرهوا تقديمه وعدوا عليه أفعاله فقال ﷺ : لاجرم معشر المهاجرين لا يعمل عليكم بعد اليوم غيري ، فكيف تحتج بالمنسوخ من فعل الرسول في أوكد الأحكام ، وأولاها المجمع عليه من الصواب ، أم كيف صاحبت بصاحب تابعاً وحولك من لا يؤمن في صحبته ولا يعتمد في دينه وقرابته ، وتتخطاهم إلى مسرف مفتون تريد أن تُلَيِّسَ الناس شبهة يسعد بها الباقي في ديناه وتشقى بها في آخرتك ! إن هذا لهو الخسران المبين ، وأستغفر الله لي ولكم .

قال فنظر معاوية إلى ابن عباس فقال: ما هذا يا ابن عباس ، ولما عندك أدهى

ه امر! فقال ابن عباس: لعمر الله إنها لذرية الرسول وأحد أصحاب الكساء وفي بيت المطهر قالة عما تريد ، فإن لك في الناس مقنعاً حتى يحكم الله بأمره وهو خير الحاكمين . فقال معاوية: أَعُوذُ الْحِلْمَ التَّحَلُّمُ ، قال: وخيره التحلم عن الأهل انصرفا في حفظ الله . ثم أرسل معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر وإلى عبد الله بن عمر وإلى عبد الله بن الزبير فجلسوا فحمد الله وأثنى عليه معاوية ثم قال: يا عبد الله بن عمر قد كنت تحدثنا أنك لا تحب أن تبيت ليلة وليس في عنقك بيعة جماعة وأن لك الدنيا وما فيها ! وإني أحذرك أن تشق عصا المسلمين وتسعى في تفريق ملتهم وأن تسفك دماءهم ، وإن أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء وليس للعباد خيرة من أمرهم ، وقد وكَّد الناس بيعتهم في أعناقهم وأعطوا على ذلك عهودهم ومواثيقهم ، ثم سكت . فتكلم عبد الله بن عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد يا معاوية لقد كانت قبلك خلفاء وكان لهم بنون ليس ابنك بخير من أبنائهم فلم يروا في أبنائهم ما رأيت في ابنك ، فلم يُحابوا في هذا الأمر أحداً ولكن اختاروا لهذه الأمة حيث علموهم ، وإنك تحذرني أن أشق عصا المسلمين وأفرق ملأهم وأسفك دماءهم ، ولم أكن لأفعل ذلك إن شاء الله ، ولكن إن استقام الناس فسأدخل في صالح ما تدخل فيه أمة محمد .

فقال معاوية: يرحمك الله ليس عندك خلاف . ثم قال معاوية لعبد الرحمن بن أبي بكر نحو ما قاله لعبد الله بن عمر ، فقال له عبد الرحمن: إنك والله لوددت أنا نكلك إلى الله فيما جسرت عليه من أمر يزيد ، والذي نفسي بيده لتجعلنها شورى أو لأعيدنها جذعة ، ثم قام ليخرج فتعلق معاوية بطرف رداثه ثم قال: على رسلك اللهم اكفنيه بما شئت ! ثم قال له: لانتظرون لأهل الشام فإنني أخشى عليك منهم ! ثم قال لابن الزبير نحو ما قاله لابن عمر ، ثم قال له: أنت ثعلب رواغ كلما

خرجت من حجر انجحرت في آخر ! أنت أَلْبَتَ هذين الرجلين وأخرجتهما إلى ما خرجا إليه ! فقال ابن الزبير: أتريد أن تباع ليزيد ، أرايت إن بايعناه أيكما نطيع أنطيعك أم نطيعه ! إن كنت مللت الخلافة فاخرج منها وباع ليزيد فنحن نبايعه ، فكثير كلامه وكلام ابن الزبير حتى قال له معاوية في بعض كلامه: والله ما أراك إلا قاتلاً نفسك ولكأني بك قد تخبطت في الحباله ، ثم أمرهم بالانصراف ، واحتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يخرج ، ثم خرج فأمر المنادي أن ينادي في الناس أن يجتمعوا لأمر جامع فاجتمع الناس في المسجد وقعد هؤلاء حول المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر يزيد وفضله وقراءته القرآن ثم قال: يا أهل المدينة ، لقد هممت ببيعة يزيد وما تركت قرية ولا مدرة إلا بعثت إليها في بيعته فبايع الناس جميعاً وسلموا ، وأخرت المدينة بيعته وقتلُ بيضته وأصله ومن لا أخافهم عليه ، وكان الذين أبوا البيعة منهم من كانوا أجدر أن يصله ، والله لو علمت مكان أحد هو خير للمسلمين من يزيد لباعته له . فقام الحسين فقال: والله لقد تركت من هو خير منه أباً وأماً ونفساً ! فقال معاوية كأنك تريد نفسك؟ فقال الحسين: نعم أصلحك الله . فقال معاوية: إذا أخبرك ، أما قولك خير منه أما فلعمري أملك خير من أمه ، ولو لم تكن إلا أنها امرأة من قريش لكان لنساء قريش فضلهن فكيف وهي ابنة رسول الله ، ثم فاطمة في دينها وسابقتها فأملك لعمر الله خير من أمه ، وأما أبوك فقد حاكم أباه إلى الله ففوضى لأبيه على أبيك ، فقال الحسين: حسبك جهلك آثرت العاجل على الآجل ! فقال معاوية: وأما ما ذكرت من أنك خير من يزيد نفساً فيزيد والله خير لأمة محمد منك ، فقال الحسين: هذا هو الإفك والزور ، يزيد شارب الخمر ومشترى اللهو خير مني ! فقال معاوية: مهلاً عن شتم ابن عمك فإنك لو ذكرت عنده بسوء لم يشتبك ! ثم التفت معاوية إلى الناس وقال: أيها

الناس قد علمتم أن رسول الله قبض ولم يستخلف أحداً فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر وكانت بيعته بيعة هدى فعمل بكتاب الله وسنة نبيه ، فلما حضرته الوفاة رأى أن يستخلف عمر فعمل عمر بكتاب الله وسنة نبيه فلما حضرته الوفاة رأى أن يجعلها شورى بين ستة نفر اختارهم من المسلمين ، فصنع أبو بكر ما لم يصنعه رسول الله ، وصنع عمر ما لم يصنعه أبو بكر ، كل ذلك يصنعونه نظراً للمسلمين فلذلك رأيت أن أبايع ليزيد لما وقع الناس فيه من الاختلاف ، ونظراً لهم بعين الإنصاف . قال: وذكروا أن عبد الله بن الزبير قام إلى معاوية فقال: إن رسول الله قبض فترك الناس إلى كتاب الله فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر ، ثم رأى أبو بكر أن يستخلف عمر وهو أقصى قریش منه نسباً ، ورأى عمر أن يجعلها شورى بين ستة نفر اختارهم من المسلمين ، وفي المسلمين ابنه عبد الله وهو خير من ابنك ، فإن شئت أن تدع الناس على ما تركهم رسول الله فيختارون لأنفسهم ، وإن شئت أن تستخلف من قریش كما استخلف أبو بكر خير من يعلم وإن شئت أن تصنع مثل ما صنع عمر تختار رهطاً من المسلمين وتزويها عن ابنك فافعل . فنزل معاوية عن المنبر وانصرف ذاهباً إلى منزله . (الإمامة والسياسة: ١/١٦١، وفي طبعة: ١٤٩/١، و: ٢١٠/١) .

أقول: ذكر ابن قتبية هنا أن معاوية وكل بكل رجل منهم شخصين من حرسه وأمرهم أن يضربوا عنقه إن رد عليه بكلمة ، وخطب وأعلن أنهم جميعاً بايعوا يزيداً فلم يستطيعوا عمل شيء ! لكن الصحيح أن هذه العملية كانت في مكة ، ومن البعيد أن معاوية كررها . بل سافر الى مكة وهو غاضب ، وكان المعارضون سافروا قبله لعمره رجب ، فاخترع لهم البيعة المزورة تحت السيف كما سيأتي ! هذا ، وفي خطبة الإمام الحسين عليه السلام مواضع مهمة لا يتسع المجال لبحثها .

ويظهر أن مارواه ابن الأثير وغيره من خطبة معاوية كان في ذلك المجلس: (وخطب معاوية في المدينة فمدح يزيداً وقال: من أحق منه بالخلافة في فضله وعقله وموضعه؟! وما أظن قوماً بمتهين حتى تصيبهم يوائقُ تجتثُ أصولهم ، وقد أنذرت إن أغتت النذر ! ثم أنشد متملاً:

قد كنت حذرتك آل المصطلقُ وقلتُ يا عمرو أطمعني وانطلقُ
إنك إن كلفتني ما لم أطق ساءك ما سرَّك مني من خلق
دونك ما استسقيته فأحس وذق).

(كامل ابن الأثير: ٣/٣٥٣، ونهاية الإرب: ٤٤٦٨).

وفي الإصابة لابن حجر: ٢٧٦/٤: (خطب معاوية فدعا الناس إلى بيعة يزيد فكلّمه الحسين بن علي وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر فقال له عبد الرحمن: أهرقَليّة ؟ كلما مات قيصر كان قيصر مكانه ! لا نفعل والله أبداً ! وبسند له إلى عبد العزيز الزهري قال: بعث معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر بعد ذلك بمائة ألف فردّها وقال: لا أبيع ديني بدنياي ! وخرج إلى مكة فمات بها قبل أن تتم البيعة ليزيد ، وكان موته فجأة من نومه نامها بمكان على عشرة أميال من مكة ، فحمل إلى مكة ودفن بها ، ولما بلغ عائشة خبره خرجت حاجّة (معتمرة) فوقفت على قبره فبكت وأنشدت أبيات متمم بن نويرة في أخيه مالك ، ثم قالت: لو حضرتك دفتك حيث مت ولما بكيتك). انتهى.

أي ما بكيتك حتى آخذ بثارك ! وقد تقدم في المجلد الثاني أن معاوية قتله بالسّم ، وأن عائشة ماتت على أثره ، الأمر الذي يبعث الشك .

قال ابن الأعمش في الفتوح: ٣٣٦/٤: (فطلعت أثقال معاوية ورحل إلى المدينة فلما تقارب منها خرج الناس يلاقونه وفيمن خرج إليه عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين بن علي... فصعد المنبر فحمد الله وأثنى

عليه ، ثم ذكر ابنه يزيد في خطبته وقال: من أحق بالخلافة من ابني يزيد في فضله وهديه ومذهبه وموضعه من قریش ! والله إني لأرى قوماً يعيونه وما أظنهم بمقلعين ولا منتهين حتى يصيبهم مني بوائق تجب أصولهم... قال: ثم ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين بن علي وقال: والله لئن لم يبايعوا ليزيد لأفعلن ولأفعلن ! قال: ثم نزل عن المنبر ودخل إلى منزله ، وبلغ ذلك عائشة فأقبلت حتى دخلت مغضبة عليه وقالت: يا معاوية ! ما كفاك أنك قتلت أخي محمد بن أبي بكر وأحرقت بالنار حتى قدمت المدينة وأخذت بالوقعة في أبناء الصحابة وأنت من الطلقاء الذين لاتحل لهم الخلافة وكان أبوك من الأحزاب ! فخبرني ما كان يؤمنك مني إن أبعث إليك من يقتلك بأخي محمد وأخذ بثأري ! قال فقال لها معاوية: يا أم المؤمنين ! أما أخوك محمد فلم أقتله ولم آمر بذلك... فقالت عائشة: لعمري أنت في بيت أمان ولكن بلغني عنك أنك تهددت أخي عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن أخت عبد الله بن الزبير والحسين بن فاطمة، وليس مثلك من يتهدد مثل هؤلاء ! فقال معاوية: مهلا يا أم المؤمنين ! فهو أعز علي من بصري لكني أخذت البيعة لابني يزيد وقد بايعه كافة المسلمين أفتريني أنقض بيعة قد ثبتت وتأكدت وأن يخلع الناس عهودهم ! فقالت عائشة: إني لا أرى ذلك ولكن عليك بالرفق والتأني...

ثم أرسل إلى عبد الله بن عباس فدعاه فلما دخل عليه قرب مجلسه ثم قال: يا بن عباس ! أنتم بنو هاشم وأنتم أحق الناس بنا وأولاهم بمودتنا لأننا بنو عبد مناف وإنما بعد بيننا وبينكم هذا الملك ، وقد كان هذا الأمر في تيم وعدي فلم يعترضوا عليهم ولم يظهروا لهم من المباحدة ..). الى آخر المناقشات الطويلة .

١١- خرج معاوية من المدينة غاضباً ، بعد أن وزع العطاء المقرر من بيت

المال لقبائل قريش والأنصار ، فلم يعط بني هاشم شيئاً ! فغاض ذلك ابن عباس فلحقه في الطريق واستعمل معه ديلماسيته ومنطقه فأقنعه بأن يعطيهم ، ومما قاله له: (نحن بنو عبد مناف وأنتم أحق الناس بمودتنا وأولاهم بنا ، وقد مضى أول الأمر بما فيه فأصلح آخره فإنك صائر إلى ما تريد ، وأما ما ذكرت من عطيتك إيانا فلعمري ما عليك في جود من عيب وأما قولك: ذهب علي أفترجون مثله؟ فمهلاً يا معاوية رويداً لا تعجل ! فهذا الحسين بن علي حي وهو ابن أبيه ، واحذر أن تؤذيه يا معاوية فيؤذيك أهل الأرض ، فليس على ظهرها اليوم ابن بنت نبي سواه . فقال معاوية: إني قد قلبت منك يا بن عباس). (فتوح ابن الأعمش: ٤/٣٣٨).

١٢- ثم سافر معاوية الى مكة فاستقبله شخصياتها ومنهم المعارضون الأربعة الذين كانوا سبقوه الى العمرة ، فغير أسلوبه معهم الى النقيض وأظهر تجليلهم واحترامهم ! قال ابن خياط في تاريخه/١٦٠: (لما كان قريباً من مكة فلما راح من مَرَّ قال لصاحب حرسه: لا تدع أحداً يسير معي إلا من حملته أنا ! فخرج يسير وحده حتى إذا كان وسط الأراك لقيه الحسين بن علي فوقف وقال: مرحباً وأهلاً يا بن بنت رسول الله ، سيد شباب المسلمين. دابة لأبي عبد الله يركبها ، فأتي بيرذون فتحول عليه . ثم طلع عبد الرحمن بن أبي بكر فقال: مرحباً وأهلاً بشيخ قريش وسيدها وابن صديق هذه الأمة ، دابة لأبي محمد فأتي بيرذون فركبه . ثم طلع ابن عمر فقال: مرحباً وأهلاً بصاحب رسول الله وابن الفاروق وسيد المسلمين ، ودعا له بدابة فركبها ، ثم طلع ابن الزبير فقال له: مرحباً وأهلاً يا بن حواري رسول الله وابن الصديق وابن عمه رسول الله ، ثم دعا له بدابة فركبها . ثم أقبل يسير بينهم لا يسايره غيرهم حتى دخل مكة ثم كانوا أول داخل وآخر خارج ، ليس في الأرض صباح إلا لهم فيه حياء وكرامة ، لا يعرض لهم بذكر شيء مما

هو فيه حتى قضى نسكه وترحلت أثقاله وقرب مسيره إلى الكعبة وأنيخت رواحله ، فأقبل بعض القوم على بعض فقالوا: أيها القوم لاتخذعوا إنه والله ما صنع بكم لحبكم ولا كرامتكم وما صنعه إلا لما يريد فأعدوا له جواباً).

وفي فتوح ابن الأعم: ٣٣٨/٤: (وساروا وسار معهم معاوية وجعل يحدثهم ويضاحكهم حتى دخل مكة ، ثم بعث إلى كل واحد منهم بصلة سنية وفضل عليهم الحسين بن علي بكسوة حسنة ، فلم يقبلها الحسين منه .

وأقام معاوية بمكة لا يذكر شيئاً من أمر يزيد ، ثم أرسل إلى الحسين فدعاه ، فلما جاءه ودخل إليه قرب مجلسه ثم قال: أبا عبد الله ! اعلم أنني ما تركت بلداً إلا وقد بعثت إلى أهله فأخذت عليهم البيعة ليزيد ، وإنما أخرت المدينة لأنني قلت هم أصله وقومه وعشيرته ومن لا أخافهم عليه ، ثم إنني بعثت إلى المدينة بعد ذلك فأبى بيعته من لا أعلم أحداً هو أشد بها منهم ، ولو علمت أن لأمة محمد خير من ولدي يزيد لما بعثت له . فقال له الحسين: مهلاً يا معاوية ! لا تقل هكذا ، فإنك قد تركت من هو خير منه أمأ وأبأ ونفساً ، فقال معاوية: كأنك تريد بذلك نفسك أبا عبد الله ! فقال الحسين: فإن أردت نفسي فكان ماذا ؟ فقال معاوية: إذا أخبرك أبا عبد الله ، أما أمك فخير من أم يزيد ، وأما أبوك فله سابقة وفضل وقربته من رسول الله ليست لغيره من الناس ، غير أنه قد حاكم أبوه أباك فقضى الله لأبيه على أبيك ، وأما أنت وهو فهو والله خير لأمة محمد منك . فقال الحسين: من خير لأمة محمد ! يزيد الخمر والفجور ! فقال معاوية: مهلاً أبا عبد الله ! فإنك لو ذكرت عنده لما ذكر منك إلا حسناً . فقال الحسين: إن علم مني ما أعلمه منه أنا فليقل فيّ ما أقول فيه ! فقال له معاوية: أبا عبد الله ، إنصرف إلى أهلِكَ راشداً واتق الله في نفسك واحذر أهل الشام أن يسمعوا منك ما قد سمعته

فإنهم أعداؤك وأعداء أهلك . قال: فانصرف الحسين إلى منزله). انتهى.

كان وراء تغيير معاوية لأسلوبه مع الصحابة المعارضين خطة جهنمية ، سجلتها مصادر الجميع ووصفت كيف احتال عليهم وأعلن بيعتهم بحضورهم تحت التهديد! قال ابن خياط في تاريخه/١٦٠: (فدخلوا فتكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: قد علمتم سيرتي فيكم وصلتي لأرحامكم وصفحي عنكم وحلمي لما يكون منكم ، ويزيد بن أمير المؤمنين أخوكم وابن عمكم وأحسن الناس فيكم رأياً ، وإنما أردت أن تقدموه باسم الخلافة وتكونون أنتم الذين تنزعون وتؤمنون ، وتجبون وتقسمون لا يدخل عليكم في شئ من ذلك ، فسكت القوم فقال: ألا تجيبوني؟ فسكتوا ، فأقبل على بن الزبير فقال: هات يا بن الزبير فإنك لعمري صاحب خطبة القوم . قال: نعم يا أمير المؤمنين نخيرك بين ثلاث خصال أيها ما أخذت فهو لك رغبة . قال: لله أبوك أعرضهن . قال: إن شئت صنعت ما صنع رسول الله وإن شئت صنعت ما صنع عمر فهو خير هذه الأمة بعد رسول الله ، وإن شئت صنعت ما صنع أبو بكر فهو خير هذه الأمة بعد أبي بكر... قال: فهل عندك غير هذا ؟ قال: لا . قال: فأنتم ؟ قالوا: ونحن أيضاً ، قال: أما لا ، فإنني أحببت أن أتقدم إليكم أنه قد أعذر من أنذر ، وإنه قد كان يقوم منكم القائم إلي فيكذبني على رؤوس الناس فأحتمل له ذلك وأصفح عنه ، وإنني قائم بمقالة إن صدقتُ فلي صدقي وإن كذبتُ فلي كذبي ، وإنني أقسم لكم بالله لئن رد عليّ منكم إنسان كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمته حتى يسبق إليّ رأسه ، فلا يرعين رجل إلا على نفسه ، ثم دعا صاحب حرسه فقال: أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين من حرسك ، فإن ذهب رجل يرد علي كلمة في مقامي هذا بصدق أو كذب فليضرباه بسيفيهما ، ثم خرج وخرجوا معه حتى إذا رقي

المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم ، لا نستبدُّ بأمر دونهم ولا نقضي أمراً إلا عن مشورتهم ، وإنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد بن أمير المؤمنين من بعده فبايعوا بسم الله ، فضربوا على يديه ثم جلس على راحلته وانصرف ، فلقاهم الناس فقالوا: فما منعكم أن تردوا على الرجل إذ كذب؟! وفي رواية: فراح معاوية فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنا وجدنا أحاديث الناس ذوات عوار ، زعموا أن ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر الصديق لم يبايعوا يزيد قد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له ، فقال أهل الشام: لا والله لا نرضى حتى يبايعوا على رؤوس الناس وإلا ضربنا أعناقهم فقال: مه سبحان الله ما أسرع الناس إلى قريش بالسوء ، لا أسمع هذه المقالة من أحد بعد اليوم ثم نزل . فقال الناس: بايع ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر ، ويقولون: لا والله ما يبايعنا . ويقول الناس: بلى لقد بايعتم ، وارتحل معاوية فلحق بالشام ...

وفي رواية: ثم خرج وخرجوا معه حتى رقي المنبر(عند الكعبة) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم ، لا يئتز أمرٌ دونهم ولا يقضى إلا عن مشورتهم وإنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد فبايعوا على اسم الله ! فبايع الناس وكانوا يتربصون بيعة هؤلاء نفر ، ثم ركب رواحله وانصرف ، فلقى الناس أولئك نفر فقالوا لهم: زعمتم أنكم لا تبايعون فلم؟! أرضيتم وأعطيتم وبايعتم؟! قالوا: والله ما فعلنا . فقالوا: ما منعكم أن تردوا على الرجل؟ قالوا: كاذبنا وخفنا القتل.(تاريخ ابن خياط/١٦٠، وتاريخ الخلفاء/١٥٤ والإمامة والسياسة: ١/١٦١، وطبعة: ١٤٩/١: ٢١٠، والعواصم/٢٢٣ والمنظم: ٢٨٦/٥، وفتح ابن الأعمش: ٣٣٩/٤). أقول: هذه روايات المحبين لمعاوية وأمثاله ! الذين جعلوهم ميزاناً يتولون المسلمين عليهم ، ويكفرون الذين يتبرؤون منهم !

إنهم هنا ينسون ماكتبوه في فقههم من أنه لا يصح بيع السلعة بالإكراه وأن أي تصرف تحت الإكراه والإجبار باطل ! فيفتون هنا بأن البيعة بالإكراه تحت سيوف الطلقاء في المدينة وتحت سيوف أهل الشام في مكة ، شرعيةٌ صحيحة ! بل زادوا علاوةً فصار إعلان معاوية للبيعة بالحيلة والتزوير صحيحاً شرعاً حتى مع تكذيب (المبايعين) وصياحهم ! فهل يبقى عندك شك في أن الأساس الذي أسسته قريش بعد النبي ﷺ باطل ظالم ؟!

١٣- استعمل معاوية الرشوة على بيعة يزيد كعادته ، فقد طلب من المغيرة بن شعبة أن يوفد اليه وفداً يطالبونه ببيعة يزيد فأوفد (أربعين من وجوه أهل الكوفة وأمر عليهم ابنه عروة بن المغيرة فدخلوا على معاوية فقاموا خطباء فذكروا أنه إنما أشخصهم إليه النظر لأمة محمد(ص) فقالوا: يا أمير المؤمنين كبرت سنك وتخوفنا الإنتشار من بعدك . يا أمير المؤمنين، أعلمُ لنا علماً وحُداً لنا حداً تنتهي إليه . قال: أشيروا عليّ ، قالوا: نشير عليك بيزيد بن أمير المؤمنين . قال: وقد رضيتموه ؟ قالوا: نعم . قال: وذاك رأيكم ؟ قالوا: نعم ورأي من بعدنا ، فأصغى(أي أسر) إلى عروة وهو أقرب القوم منه مجلساً فقال: لله أبوك بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال بأربعمائة . قال: لقد وجد دينهم عندهم رخيصاً ! (تاريخ دمشق: ٢٩٨/٤٠ ، وكامل ابن الأثير: ٣٥٠/٣ ، ونهاية الإرب/٤٤٦٤)

وأعطى معاوية شخصيات وفد البصرة جوائز كل واحد مئة ألف درهم ، وكان فيهم الحنات التميمي وكان عثمان بن الهوى فأعطاه سبعين ألفاً: (فرجع إلى معاوية فقال ما ردك يا أبا مُنازل؟ قال فضحتني في بني تميم أما حسبي صحيح أو لست ذا سن أو لست مطاعاً في عشيرتي؟ قال: معاوية بلئى ، قال: فما بالك خَسَسْتُ بي دون القوم؟ فقال: إني اشتريت من القوم دينهم ووكلتك إلى دينك ورأيك في

عثمان بن عفان وكان عثمانياً . قال: وأنا فاشتر مني ديني ! فأمر له بتمام جائزة القوم ، وطعن في جائزته فحبسها معاوية . أي مات قبل أن يقبضها ، وفي رواية مات بعد أسبوع ! (تاريخ دمشق: ٢٧٨/١٠، وتاريخ الطبري: ١٨٠/٤، وكامل ابن الأثير: ٣٢٢/٣ والغارات: ٧٥٤/٢، وأنساب الأشراف/ ١١٥٤).



وفي مستدرك الحاكم: ٤٧٦/٣: (بعث معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بمائة ألف درهم بعد أن أبى البيعة ليزيد بن معاوية فردها عبد الرحمن وأبى أن يأخذها وقال: لا أبيع ديني بدنياي . وخرج إلى مكة حتى مات بها). (وتاريخ دمشق: ٣٦٣/٣٥، والإصابة: ٢٧٦/٤، والنهاية: ٩٦/٨، وسنن البيهقي: ١٥٩/٨، وفيه: (أترون هذا أراد أن ديني إذا عندي لرخيص . وأسد الغابة: ٣٠٦/٣ وفصل موت عبد الرحمن على أثرها)!



وفي كامل ابن الأثير: ٣٥١/٣: (عزم معاوية على البيعة لابنه يزيد فأرسل إلي عبد الله بن عمر مائة ألف درهم فقبلها ، فلما ذكر البيعة ليزيد قال ابن عمر: هذا أراد أن ديني عندي إذن لرخيص ، وامتنع). انتهى.

وقوله(امتنع)غير صحيح ، فقد بايع يزيداً ، وقد يكون أعطاه معاوية أكثر ! وقد حاول بعضهم أن يوهم أنه رد المئة ألف أو امتنع عن البيعة فأبهموا ذلك ، كما في سنن البيهقي: ١٥٩/٨، وطبقات ابن سعد: ١٨٢/٤ وسير الذهبي: ٢٢٥/٣ !

لكن البخاري نص على أنه بايع فقال في صحيحه: ٩٩/٨: (لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده فقال: إني سمعت النبي(ص)يقول ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة ، وأنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله...الخ.). ونص في فتح الباري: ٦٠/١٣، على أنه أخذ المال ، قال: (فأرسل إليه معاوية بمائة ألف درهم فأخذها...).



الفصل التاسع

مواقف الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة معاوية

خط الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام واحدًا لا يتجزأ !

كان الإمام الحسين دائماً الى جانب أخيه الحسن عليهما السلام في حربه وصلحه ، وهذا مقتضى العصمة التي أخبر عنها جدهما عليه السلام بأنهما سيد شباب أهل الجنة ، وإمامان قاما بالأمر أو قعدا عنه . وهو مقتضى اعتقاد الإمام الحسين بإمامة أخيه الحسن عليهما السلام ، فقد قال له بعد الصلح: (قم فبايع فقام فبايع ثم قال: يا قيس قم فبايع فالتفت إلى الحسين ينظر ما يأمره ، فقال: يا قيس إنه إمامي ، يعني الحسن عليهما السلام) . (اختيار معرفة الرجال: ١/ ٣٢٥) . و(لما بويع معاوية خطب فذكر علياً فقال منه ونال من الحسن فقام الحسين ليرد عليه فأخذ الحسن بيده فأجلسه ثم قام فقال: أيها الذاهر علياً أنا الحسن وأبي علي وأنت معاوية وأبوك صخر... الخ) . (مقاتل الطالبين: ٤٦) .

وقد نصت أحاديث العترة الطاهرة عليهم السلام أنه لا يكون إمامان إلا وأحدهما صامت ، ففي بصائر الدرجات ٥٣٦: (عن عبيد بن زرارة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: تُترك الأرض بغير إمام؟ قال: لا ، قلنا: تكون الأرض وفيها إمامان؟ قال: لا ، إلا إمامان أحدهما صامت لا يتكلم ويتكلم الذي قبله . والإمام يُعرف الإمام الذي بعده) . (ونحوه ٥٣١ ، والكافي: ١/ ١٧٨ ، ورواه عن الإمام الرضا عليه السلام: ٣٢١/١ ، وفيه: فقلت له: هو ذا أنت ليس لك صامت ، ولم يكن ولد له أبو جعفر بعد فقال لي: والله ليجمعن الله مني ما يثبت به الحق وأهله ويمحق به الباطل وأهله ، فولد له بعد سنة أبو جعفر عليه السلام) . انتهى . والمتتبع لسيرة الإمام الحسين يجد مواقفه متحدة مع مواقف أخيه الحسن عليهما السلام وخطهما الوفاء بالصلح واحد ، وفي نفس الوقت مواجهة ظلم معاوية وخططه ضد الإسلام . وهذه مجموعة من مواقفه عليهما السلام:

١- عرضنا جانباً من مواجهته لمعاوية ورفضه بيعة يزيد .

٢- وموقفه من عائشة ومروان في جنازة الحسن عليه السلام وقد كان معاوية وراهما !

٣- موقفه ضد معاوية في حرب صفين ، ففي نهج البلاغة: ١٨٦/٢: (وقال عليه السلام في بعض أيام صفين وقد رأى الحسن عليه السلام يتشرع إلى الحرب: إملكوا عني هذا الغلام لا يهدني فإنني أنفس بهذين (يعني الحسن والحسين) على الموت لثلا ينقطع بهما نسل رسول الله ﷺ). (لما رأى علي بن أبي طالب الحسين رضي الله عنهما يسرعان إلى الحرب في بعض أيام صفين قال: أيها الناس إملكوا عني هذين الغلامين فإنني أنفس بهما على القتل ، أخاف أن ينقطع بهما نسل رسول الله (ص) . (شرح النهج: ١/ ٢٤٤، وشرح إحقاق الحق: ٣١٨/١٩ ، عن الإشراف للسهمودي/ ٥١ ، وكشف الغمة: ٢٣٥/٢، وفيه: وقيل لمحمد بن الحنفية رحمة الله عليه: أبوك يسمح بك في الحرب ويشعُّ بالحسن والحسين؟ فقال: هما عيانه وأنا يده ، والإنسان يقي عينيه بيده). انتهى.

وللإمام الحسين عليه السلام خطبة يحث فيها أهل الكوفة على الجهاد رواها ابن مزاحم في صفين/ ١١٥، وشرح النهج: ١٨٦/٣، أولها: (يا أهل الكوفة أنتم الأحبة الكرماء والشعار دون الدثار ، فجدوا في إحياء ما دثر بينكم...).

٤- موقفه الثابت مع أخيه عليه السلام في عدم نقض الصلح

دخل معاوية الكوفة بجيشه وأعلن أنه يضع كل بنود الصلح تحت قدمه ! فغضب عدد من شخصياتها وطالبوا الإمام الحسن عليه السلام أن يعلن رد الصلح فلم يستجب لهم ، ثم كانوا كلما عضتهم سياسات معاوية يهرعون الى المدينة ويشتكون الى الإمام الحسن عليه السلام مطالبين بإعلان بطلان الصلح فلا يستجيب لهم ، فيذهبون الى الحسين عليه السلام يجدون نفس الرد ويقول لهم: (هذا ما لا يكون ولا يصلح). وبعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام زادت مطالبتهم برؤ الصلح وجهاد معاوية ، وجاءت وفودهم وكتبهم الى الإمام الحسن عليه السلام وكان جوابه: (قد كان صلح

وكانت بيعة كنت لها كارهاً ، فانتظروا ما دام هذا الرجل حياً ، فإن يهلك نظرنا ونظرتم... ليكن كل امرئ منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام هذا الرجل حياً ، فإن يهلك وأنتم أحياء رجونا أن يخبر الله لنا ويؤتينا رشدنا). (أنساب الأشراف/ ٧٨٦).

كان عليه السلام يعلم أن القوم ليسوا أهل جهاد ولا حرب ، لكن المانع له ليس كذبهم أو صدقهم ، بل الوفاء بصلح أخيه مع معاوية وبيعتهم له ، والوفاء قيمة لا يتنازل عنها الإمام الحسين عليه السلام ! ففي الأخبار الطوال للدينوري/ ٢٢٠ ، أن حجر بن عدي رضي الله عنه جاء الى الحسن عليه السلام وأراد منه أن يعلن بطلان الصلح لأن معاوية نقض الشروط، فلم يقبل: (قال فخرج من عنده ودخل على الحسين رضي الله عنه مع عبيدة بن عمرو ، فقالا: أبا عبد الله شريتم الذل بالعز وقبلتم القليل وتركتم الكثير ! أطينا اليوم واعصنا الدهر دع الحسن وما رأى من هذا الصلح واجمع إليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها وولني وصاحبي هذه المقدمة ، فلا يشعر ابن هند إلا ونحن نقارعه بالسيوف ! فقال الحسين: إنا قد بايعنا وعاهدنا ولا سبيل إلى نقض بيعتنا). انتهى. ولذلك قال الإمام الباقر عليه السلام: (والله للذي صنعه الحسن بن علي كان خيراً لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس ، والله لقد نزلت هذه الآية: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ، إنما هي طاعة الإمام ، وطلبوا القتال ، فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ مع الحسين عليه السلام قالوا: رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْ لَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ! أرادوا تأخير ذلك إلى القائم عليه السلام). (الكافي: ٣٣٠/٨).

وفي الأخبار الطوال/ ٢٢١ ، أن أهل الكوفة كتبوا له عليه السلام بعد شهادة أخيه الإمام الحسن عليه السلام رسالة جاء فيها: (فأقدم علينا فقد وطَّأ أنفسنا على الموت معلن . فكتب إليهم: أما أخي فأرجو أن يكون الله قد وفقه وسدده فيما يأتي ، وأما أنا فليس رأيي اليوم ذلك فالصقوا رحمكم الله بالأرض واكنموا في البيوت ،

واحترسوا من الظنة ما دام معاوية حياً ، فإن يحدث الله به حدثاً وأنا حي كتبت إليكم برأيي والسلام) . (ونحوه في العقوبي: ٢/٢٢٨).

وفي تاريخ دمشق: ٢٠٥/١٤: (وكان أهل الكوفة يكتبون إلى حسين بن علي يدعونه إلى الخروج إليهم في خلافة معاوية كل ذلك بأبي ، فقدم منهم قوم إلى محمد بن الحنفية فطلبوا إليه أن يخرج معهم فأبى ، وجاء إلى الحسين فأخبره بما عرضوا عليه فقال: إن القوم إنما يريدون أن يأكلوا بنا ويشيطوا دماءنا) !

ثم ذكر ابن عساكر بعده أن الإمام الحسين عليه السلام قال لهم: (إني أرجو أن يعطي الله أخي على نيته في حبه الكف وأن يعطيني على نيته في حبي جهاد الظالمين) وأنه بسبب ذلك كتب مروان الى معاوية: (إني لست آمن أن يكون حسين مرصداً للفتنة وأظن يومكم من حسين طويلاً). فكتب معاوية إلى الحسين: (إن من أعطى الله صفقة يمينه وعهده لجدير بالوفاء ، وقد أثبت أن قوماً من أهل الكوفة قد دعوك إلى الشقاق ، وأهل العراق من قد جربت قد أفسدوا على أهلك وأخيك ، فاتق الله واذكر الميثاق... ! فكتب إليه الحسين: أتاني كتابك وأنا بغير الذي بلغك عني جدير والحسنات لا يهدي لها إلا الله ، وما أردت لك محاربة ولا عليك خلافاً ، وما أظن لي عند الله عذراً في ترك جهادك ، ولا أعلم فتنة أعظم من ولايتك أمر هذه الأمة ! فقال معاوية إن أثرتنا بأبي عبد الله إلا أسداً . وكتب إليه معاوية أيضاً في بعض ما بلغه عنه: إني لأظن أن في رأسك نزوة فوددت أني أدركها فأغفرها لك). انتهى.

أقول: بهذا تعرف أن رواة الخلافة يدسون السم عندما يفرقون بين موقف الإمامين الحسينين عليه السلام ليجدوا المبرر لمعاوية ويزيد في قتلها الإمام الحسين عليه السلام ! ولذلك أكثروا من أمثال الرواية التالية التي تتحدث عن تحير الإمام الحسين عليه السلام

هل يستجيب لدعوة أهل الكوفة وينقض الصلح مع معاوية أم لا ، وزعموا أن الصحابة نصحوه أن لا يفعل وأن معاوية كان حليماً معه وأوصى به يزيداً فكتب له: (أنظر حسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله فإنه أحب الناس إلى الناس ، فصل رحمه وارفق به يصلح لك أمره فإن يك منه شيء فإني أرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه). (نهاية ابن كثير: ١٧٤/٨، وسير الذهبي: ٢٩٣/٣، وتهذيب الكمال: ٦/٤١٣ وبغية الطلب: ٢٦٠٦/٦ وترجمة الطبقات ٥٥/ وغيرها).

بينما عرفت أن الإمام الحسين عليه السلام كان ملتزماً بالصلح مادام معاوية حياً ، وفي نفس الوقت يواصل عمله وعمل أخيه عليه السلام في نهى معاوية عن المنكر ، والوقوف في وجه مخططاته ضد الإسلام ، ومنها بيعته لابنه يزيد .

٥- غضبه على مروان عندما لعن أمير المؤمنين عليه السلام

فقد خطب مروان (والي معاوية) يوماً فذكر علياً عليه السلام ونال منه ، فتصدى له الإمام الحسين عليه السلام وشمته ! ففي مناقب آل أبي طالب: ١٨٤/٣ ، أنه قال له: (يا ابن الزرقاء أنت الواقع في علي) ! وفي تفسير فرات/ ٢٥٣: (قال له مروان: إنك صبي لا عقل لك . قال: فقال له الحسين: ألا أخبرك بما فيك وفي أصحابك وفي علي؟ قال: فإن الله تبارك وتعالى يقول: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ، فذلك لعلي وشيعته. فَإِنَّمَا يَسِرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ، فبشر بذلك النبي ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام. وَتَنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لَكُنَا. فذلك لك ولأصحابك). يقول عليه السلام له بذلك: إن خطبكم في تشويه شخصية علي عليه السلام وتبغيضه الى الناس لن تنجح بنص الله تعالى ونص رسوله ﷺ . على أنه بعض روايات تفسير فرات تضمنت التفريق بين موقفه وموقف الإمام الحسن عليه السلام فينبغي الالتفات الى ذلك .

وذكرت بعض الروايات أنه عليه السلام اصطدم مع مروان بأشد من هذا ، حيث قال له مروان يوماً: (لولا فخركم بفاطمة بمَ كنتم تفتخرون علينا ؟ فوثب الحسين عليه السلام وكان شديد القبضة فقبض على حلقه فعصره ولوى عمامته على عنقه حتى غشي عليه ثم تركه ، وأقبل على جماعة من قريش فقال: أنشدكم بالله إلا صدقتموني إن صدقت: أتعلمون أن في الأرض حبيبين كانا أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مني ومن أخي؟ أو على ظهر الأرض ابن بنت نبي غيري وغير أخي؟ قالوا: اللهم لا.. ثم وصمه بأنه لعين رسول الله وطريده ! (الإحتجاج: ٢٣/٢، مناقب آل أبي طالب: ٢٠٩/٣).

٦- مواجهته مرسوم معاوية بلعن علي بالتسمية باسم علي عليه السلام

(استعمل معاوية مروان بن الحكم على المدينة ، وأمره أن يفرض لشباب قريش (عطاء من بيت المال) ففرض لهم ، فقال علي بن الحسين عليه السلام: فأتيته فقال: ما اسمك؟ فقلت: علي بن الحسين؟ فقال: ما اسم أخيك؟ فقلت: علي . فقال: علي وعلي ، ما يريد أبوك أن يدع أحداً من ولده إلا سماه علياً ! ثم فرض لي فرجعت إلى أبي فأخبرته فقال: ويّلي علي ابن الزرقاء دبّاغة الأدم ! لو ولد لي مائة لأحببت أن لا أسمى أحداً منهم إلا علياً). (الكافي: ١٩/٦).

٧- معاوية يطلب من الإمام الحسين عليه السلام أن يخطب

في الإحتجاج: ٢٢/٢: (قيل لمعاوية: إن الناس قد رموا أبصارهم إلى الحسين فلو قد أمرته يصعد المنبر ويخطب فإن فيه حصراً أو في لسانه كلاله . فقال لهم معاوية: قد ظننا ذلك بالحسن فلم يزل حتى عظم في أعين الناس وفضحنا ، فلم يزالوا به حتى قال للحسين: يا أبا عبد الله لو صعدت المنبر فخطبت . فصعد الحسين عليه السلام على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله فسمع رجلاً

يقول: من هذا الذي يخطب؟ فقال الحسين عليه السلام: نحن حزب الله الغالبون ، وعتره رسول الله صلى الله عليه وآله الأقربون وأهل بيته الطيبون وأحد الثقلين اللذين جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثاني كتاب الله تبارك وتعالى الذي فيه تفصيل كل شيء ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والمعول علينا في تفسيره ، لا يبطنا تأويله ، بل نتبع حقايقه . فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة أن كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة ، قال الله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا . وقال: وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا . وأحذركم الإصغاء إلى هتوف الشيطان بكم فإنه لكم عدو مبين فتكونوا كأولياته الذين قال لهم: لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٌّ مِنْكُمْ ! فتلقون للسيوف ضرباً وللرمح ورداً وللعمد حطماً وللسهام غرضاً ثم لا يقبل من نفس إيمانها لَمْ تَكُنْ آمَنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ! قال معاوية: حسبك يا أبا عبد الله قد بلغت . وقد تفرد الطبرسي بنسبة هذه الخطبة الى الإمام الحسين ونسبها غيره الى الإمام الحسن عليه السلام بعد البيعة له ، كما في أمالي المفيد/ ٣٤٨ ، وأمالي الطوسي/ ١٢١ ، و٦٩١ ، والعدد القوية/ ٣٤ ، بتفاوت في بعض ألفاظها .

٨- جوابه لمعاوية عن يقين علي عليه السلام وشجاعته

(دخل الحسين بن علي عليه السلام على معاوية فقال له: ما حمل أباك على أن قتل أهل البصرة ثم دار عشياً في طرقتهم في ثوبين؟ فقال عليه السلام: حمله على ذلك علمه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه . قال: صدقت .) (الترجيد للصدوق/ ٣٧٥).

٩- رأي الإمام الحسين عليه السلام في تصنع معاوية و إظهاره الحلم
بلغ الحسين بن علي عليه السلام كلام نافع بن جبير في معاوية وقوله: إنه كان يسكته
الحلم وينطقه العلم فقال عليه السلام: بل كان ينطقه البطر ويسكته الحصر !

١٠- كلمه معاوية بدون احترام فلم يجبه الإمام عليه السلام
(عن حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية قال: قال معاوية يوماً لحسين: يا حسين
فقال عبد الله بن الزبير: يا أبا عبد الله إياك يريد ! فقال معاوية: أردت أن تغريه بي
أنني سميتك وأنتك كنيته ! أما والله ما أولع شيخ قوم قط بالرتاج إلا مات بينهما !
قال: الرتاج الغلق والباب). (تاريخ دمشق: ٣١١/١٢). يقصد معاوية أنك من بني أسد
عبد العزى ، فما دخلك بين بني عبد مناف ، كمن يدخل بين الباب وعَلَقَه ؟!

١١- موقفه عليه السلام عندما خطب معاوية بنت أخته ليزيد !
غرض معاوية من ذلك أن يقول للمسلمين إن يزيداً هو صهر رسول الله صلى الله عليه وآله
على حفيدته ، لأن أمها زينب الكبرى بنت فاطمة الزهراء عليها السلام !
ففي تاريخ دمشق: ٢٤٥/٥٧: (كتب معاوية إلى مروان وهو على المدينة أن يزوج
ابنه يزيد بن معاوية زينب بنت عبد الله بن جعفر ، وأمها أم كلثوم بنت علي وأم
أم كلثوم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله) ويقضي عن عبد الله بن جعفر دينه ، وكان
دينه خمسين ألف دينار ، ويعطيه عشرة آلاف دينار ، ويُصَدِّقها أربعمائة دينار ،
ويكرمها بعشرة آلاف دينار ! فبعث مروان بن الحكم إلى عبد الله بن جعفر
فأجابه واستثنى عليه برضا الحسين بن علي وقال: لن أقطع أمراً دونه مع أنني لست
أولى به منها وهو خال والخال والد ! قال: وكان الحسين يبين فقال له مروان: ما
انتظارك إياه بشئ فلو حزمت ؟ فأبى ، فتركه فلم يلبثوا إلا خمس ليال حتى قدم

الحسين ، فأتاه عبد الله بن جعفر فقال: كان من الحديث ما تسمع وأنت خالها ووالدها ، وليس لي معك أمر فأمرها بيدك ، فأشهد عليه الحسين بذلك جماعة . ثم خرج الحسين فدخل على زينب فقال: يا بنت أختي إنه قد كان من أمر أبيك أمر ، وقد ولاني أمرك وإنني لا ألوك حسن النظر إن شاء الله ، وإنه ليس يخرج منا غريبة فأمرك بيدي ؟ قالت: نعم بأبي وأمي ! فقال الحسين: اللهم إنك تعلم أنني لم أرد إلا الخير ، فقيضْ لهذه الجارية رضاك من بني هاشم ، ثم خرج حتى لقي القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب فأخذ يده فأتى المسجد وقد اجتمعت بنو هاشم وبنو أمية وأشراف قريش وهيؤوا من أمرهم ما يصلحهم !

فتكلم مروان فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: إن يزيد بن أمير المؤمنين يريد القرابة لطفاً وألحق عظماً ، ويريد أن يتلافى ما كان بصلاح هذين الحيين ، مع ما يحب من أثره عليهم ، ومع المعاد الذي لا غناء به عنه ، مع رضا أمير المؤمنين . وقد كان من عبد الله بن جعفر في ابنته ما قد حسن فيه رأيه وولى أمرها الحسين بن علي ، وليس عند الحسين خلاف لأمر المؤمنين إن شاء الله تعالى .

فتكلم الحسين: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الإسلام يرفع الخسيسة ويتم النقيصة ويذهب الملامة ، فلا لوم على امرئ مسلم إلا في أمر مأثم ، وإن القرابة التي أعظم الله حقها وأمر برعايتها وسأل الأجر في المودة عليها ، والحفاظة في كتاب الله تعالى قرابتنا أهل البيت ، وقد بدا لي أن أزوج هذه الجارية من هو أقرب إليها نسباً وألطف سبباً ، وهو هذا الغلام يعني القاسم بن محمد بن جعفر ، ولم أرد صرفها عن كثرة مال نازعتها نفسها ولا أبوها إليه ، ولا أجعل لامرئ في أمرها متكلماً ، وقد جعلت مهرها كذا وكذا منها في ذلك سعة إن شاء الله ! فغضب مروان وقال: أغدراً يا بني هاشم ؟ ثم أقبل على عبد

الله بن جعفر فقال: ما هذه بأيادي أمير المؤمنين عندك وما غبتَ عما تسمع ! فقال عبد الله: قد أخبرتك الخبر حيث أرسلت إليّ وأعلمتك أنني لا أقطع أمراً دونه ! فقال الحسين بن علي: على رسلك، أقبلْ عليّ ! فأولى الغدر منكم وفيكم ! إنتظر رويداً حتى أقول: نشدتكم الله أيها النفر ثم أنت يا مسورَ بن مخرمة أتعلم أن حسن بن علي خطب عائشة بنت عثمان حتى إذا كنا بمثل هذا المجلس من الإشفاء على الفراخ ، وقد ولوك يا مروان أمرها قلت: إنه قد بدا لي أنا أزوجهما عبد الله بن الزبير؟ هل كان ذلك يا أبا عبد الرحمن يعني المسور؟ قال: اللهم نعم ! فقال مروان قد كان ذلك ، أنا أجيبك وإن كنت لم تسألني! فقال الحسين: وأنتم موضع الغدر). انتهى. وفي هذه القصة دلالات متعددة منها أن الإمام الحسين عليه السلام وجد باباً للتخلص من يزيد ومعاوية ، وأن عبد الله بن جعفر عليه السلام تحمل الإحراج باعتذاره بأن أمر بناته بيد خالهن الإمام الحسين عليه السلام .

١٢- قصة أرينب أو زينب بنت إسحاق

قال الحافظ ابن عقال في كتاب النصائح الكافية لمن يتولى معاوية/١٢٨:
(ومن مخزياته الفاضحة: تفريقه بالحيلة بين عبد الله بن سلام القرشي وزوجته أرينب بنت إسحاق حين تعشقها خميرة يزيد ليزوجه بها معاونة له على الإثم والعدوان ، وقد روى القصة كلها ابن قتيبة رحمه الله تعالى في كتاب الإمامة ، ورواها عبد الملك بن بدرون الحضرمي الإشبيلي في كتابه أطواق الحمامة بشرح البسامة وغيرهما . وخلاصة رواية ابن قتيبة رحمه الله هي هذه قال: لما بلغ معاوية عشق يزيد وهيامه بأرينب بنت إسحاق من وصيف له يقال له رفيق ، فقال له معاوية: أكنم يا بني أمرك واستعن بالصبر فإن البوح غير نافع ، ولا بد مما هو كائن . وكانت أرينب مثلاً في أهل زمانها جمالاً وكمالاً وكثرة مال ، وكانت

تحت ابن عمها عبد الله بن سلام القرشي وكان له منزلة عند معاوية ، وقد استعمله بالعراق ، وقد امتلأ معاوية همًا وغماً بأمر يزيد ، فأخذ في الحيلة والنظر فيما يجمع بينهما حتى يرضى يزيد ، فاستدعى زوجها من العراق عجلًا يبشره بأمر له فيه كامل الخط ، فلما أنزله منزلاً حسناً ثم دعا معاوية أبا هريرة وأبا الدرداء وكانا بالشام فقال لهما: إني قد بلغت لي ابنة أردت نكاحها ليقتنى بي من بعدي فإني أخاف أن يعضل الأمراء بعدي نساءهم ، وقد رضيت لها عبد الله بن سلام لدينه وفضله وأدبه فاذكرا ذلك عني ، وإني كنت جعلت لها الشورى في نفسها غير أنني أرجو أن لاتخرج من رأيي ، فخرجنا إلى عبد الله بن سلام وأعلمناه بما قاله معاوية فسُرَّ به وفرح وحمد الله ودعا لمعاوية ، ثم بعثهما إلى معاوية خاطبين عليه فلما قدما قال لهما معاوية: إنكما تعلمان رضاي بذلك فأدخلها عليها وأعرضا عليها ما رضيت لها فدخلها وأعلمها بكل ما جرى ، وكان معاوية قد لقنهما ما يريد أن تجيب به فقالت: عبد الله بن سلام كفؤ كريم وقريب حميم ، غير أنه تحته أرينب بنت إسحاق وأنا خائفة أن تعرض لي غيرة النساء فأتولى منه ما يسخط الله ، ولست بفاعله حتى يفارقها ! فأخبرا عبد الله بن سلام بالأمر ففارق زوجته وأشهدهما على طلاقها فأظهر معاوية كراهيته طلاقها وقال: لا أستحسنه ولو صبر ولم يعجل كان أمره إلى مصيره ، فانصرفا في عافية ثم عودا لتأخذا رضاها ثم أخبر يزيد بما كان من طلاق أرينب ، ثم عادا إلى معاوية فأمرهما بالدخول إليها ليسألها فدخلها عليها وأعلمها بطلاق أرينب طلباً لمسررتها فقالت: إنه في قریش لرفیع وإن الزواج هزله جد والأناة في الأمور أوفق ، وإني سائلة عنه حتى أعرف دخيلة خبره ومستخيرة فيه ومعلمتكما بخيرة الله . ثم انصرفا وأعلمنا عبد الله بن سلام فقال: فإن يك صدرُ هذا اليوم ولى فإنَّ غدًا لناظره قريبُ

ولم يشك الناس في غدر معاوية إياه وتحذثوا به ثم استحسهما عبد الله بن سلام وسألهما الفراغ من أمره ، فأتياها فقالت لهما: إني سألت عن أمره فوجدته غير ملائم لي ولا موافق لما أريد لنفسي ! فعلم عبد الله أنه قد خدع فقال متعزياً: ليس لأمر الله رادٌ ، ولام الناس معاوية على خديعته وجرأته على الله .

ولما انقضت أقرأوها وجه معاوية أبا الدرداء إلى العراق خاطباً لها على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها وبها يومئذ الحسين بن علي فقدم أبو الدرداء زيارة الحسين والتسليم عليه على مهمته ، فرحب به الحسين وأجله وأخير أبو الدرداء بمهمته فقال الحسين: لقد ذكرت نكاحها فلم يمنعني إلا تخير مثلك فأخطبها عليّ وعليه وأعطها من المهر ما أعطها معاوية عن ابنه ، فلما دخل عليها أبو الدرداء قال: لها قد خطبك أمير هذه الأمة وابن الملك وولي عهده يزيد بن معاوية ، وابن بنت رسول الله الحسين بن علي فاختراري أيهما شئت ! فسكتت طويلاً ثم فوضت أمرها إليه فقال: أي بنية ، ابنُ بنت رسول الله أحبُّ إليّ وأرضاهما عندي ، فتزوجها الحسين وساق لها مهرأً عظيماً وبلغ معاوية ما فعل أبو الدرداء فتعاضمه جداً وقال: من يرسل ذا بلاهة وعمى يركب خلاف ما يهوى ، ورأيي كان من رأيه أسوأ ولقد كنا بالملامة أولى . وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل فراقه بدرات مملوءة درأً هو أعظم ماله وأحبه إليه ، وكان معاوية قد جفاه وقطع جميع روافده لنهمته إياه بالخديعة ، ولم يزل يقصيه حتى عيل صبره وقل ما في يده ، فخرج راجعاً إلى العراق يذكر ماله الذي كان استودعه أرنب ولا يدري كيف يصنع ويتوقع جحودها لطلاقه إياها من غير شئ أنكره ونقمه عليها ! ولما قدم لقي الحسين وسلم عليه وقال: قد علمت جعلت فداك ما كان من قضاء الله في طلاق أرنب و كنت استودعتها مالاً عظيماً درأً فذكرها أمري واحضضها على الرد فإن

الله يحسن عليك ، فلما انصرف الحسين إليها قال: لها قد قدم عبد الله بن سلام وهو يثني عليك ويذكر أنه استودعك مالا فأدّ إليه ماله ، فقالت: صدق وإنه لمطبوع عليه بطابعه ، ثم لقي ابن سلام فقال: ما أنكرت وزعمت أنها لكما دفعتها لها بطابعك ، ثم دخل عليها وقال: الحسين هذا عبد الله يطلب وديعته فأدها إليه فأخرجت البدرات فوضعتها بين يديه فشكرها وحثى لها من ذلك الدر حثوات واستعبرا جميعاً ، فقال الحسين: أشهد الله أنها طالق ثلاثاً . اللهم إنك تعلم أنني لم أتزوجها لمال ولا لجمال، ولكن أردت حبسها لبعليها وأرجو ثوابك على ذلك ! فتزوجها عبد الله بن سلام وحرّمها الله على يزيد). انتهى.

أقول: وهي قصة جسدت نبل الإمام الحسين عليه السلام وانحطاط معاوية ويزيد ، وقد روتها المصادر المختلفة واشتهر منها مثل: رُبَّ ساع لقاعد (مجمع الأمثال: ٣٠٠/١) الذي قاله معاوية لما فشلت خطته ، وروي أنه قال لأبي هريرة (يا حمار) !

١٣- مواجهته الحرب الإقتصادية على أهل البيت عليهم السلام

أجمع المسلمون على أن الله آل خص آل محمد عليهم السلام بميزانية خاصة ، ومنعهم أن يأخذوا من الزكاة التي يأخذ منها عامة الناس ، وذلك تشريعاً لهم وتوسعة عليهم ! وقد حسدتهم السلطة فصادت ما عندهم وحرمتهم سهمهم الذي فرضه الله لهم . وكان معاوية كالذين قبله يخطط لإفقار بني هاشم ، فقد نقض الشروط المالية في صلحه مع الإمام الحسن عليه السلام وكان يمنع عنهم العطاء ما استطاع ، ويغريهم بالإنفاق والسخاء الجنوني الذي يتصف به بعض العرب كما مر !

ثم حاول أن يستولي على مصادر ماليتهم وهي أوقاف النبي صلى الله عليه وآله وأوقاف فاطمة وأوقاف علي عليه السلام وهي مالية كبيرة وأهمها عيون غزيرة استنبطها علي عليه السلام في ينبع وتيماء أو أم القرى وغيرها ، وقد صارت في زمن الحسين عليه السلام بساتين واسعة .

ويظهر أن معاوية أمر ابن أخيه والي المدينة بذلك ! فقد روى ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٢١٠/٦٣: (تنازع الحسين بن علي والوليد بن عتبة بن أبي سفيان في أرض واليد يومئذ أمير على المدينة ، فينا حسين ينازعه إذ تناول عمامة الوليد عن رأسه فجذبها ! فقال مروان بن الحكم وكان حاضراً: إنا لله ما رأيت كالיום جرأة رجل على أميره ! قال الوليد: ليس ذاك بك ، ولكنك حسدتني على حلمي عنه ! فقال حسين: الأرض لك إشهدوا أنها له). انتهى .

لكن روي أن والي الأموي اعترف بأن الأرض كانت للحسين عليه السلام فأراد أن يغضبها ، ففي مناقب آل أبي طالب: ٢٢٤/٣: (فقال الوليد: والله ما قلت هذا غضباً لي ولكنك حسدتني على حلمي عنه ، وإنما كانت الضيعة له ! فقال الحسين عليه السلام: الضيعة لك يا وليد وقام). انتهى .



وقد روت المصادر نزاعاً آخر أشد من هذا حول ضيعة كانت للحسين عليه السلام في وادي القرى قطع بها معاوية لابن أخيه الوليد ، ففي سيرة ابن هشام: ٨٧/١: (كان بين الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان والوليد يومئذ أمير على المدينة أمره عليها عمه معاوية بن أبي سفيان ، منازعة في مال كان بينهما بذى المروة ، فكأن الوليد تحامل على الحسين رضي الله عنه في حقه لسلطانه ، فقال له الحسين: أحلف بالله لتتصفني من حقي أو لآخذن سيفي ثم لأقومن في مسجد رسول الله ثم لأدعون بحلف الفضول . قال فقال عبد الله بن الزبير وهو عند الوليد حين قال الحسين ما قال: وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفي ثم لأقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعاً . قال: فبلغت المسور بن مخزومة بن نوفل الزهري فقال مثل ذلك ، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقال مثل ذلك ، فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة

أنصف الحسين من حقه حتى رضي). انتهى.

وواضح من كلام الإمام الحسن عليه السلام أن معاوية كان هو الطرف في القضية وأن الإمام عليه السلام هدده بحلف الفضول وبلغه ذلك ابن الزبير . (راجع: شرح النهج: ١٥/٢٢٦ ، والنهاية: ٢/٣٥٧ ، والأغانى: ١٧/٢٩٨ ، وتذكرة ابن حمدون/ ٦١٠ ، وتاريخ دمشق: ٦٣/٢١٠).

ومن ذلك استغلال معاوية الظرف وعرضه أن يشتري منه أكبر بساتين أوقاف علي عليه السلام ! ففي الإصابة: ٣٤٣/٧: (إن الحسين احتاج لأجل دين عليه ، فبلغ ذلك معاوية فذفع له في عين أبي تيزر مائة ألف فأبى أن يبيعها وأمضى وقفها) . وفي الأربعين البلدانية لابن عساكر: ٤/١٧٦: (فحمل إليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار فأبى أن يبيع وقال: إنما تصدق بهما أبي ليقى الله وجهه حر النار ولست بائعها بشئ) . (وكذا في معجم البلدان: ٤/١٧٦ ، ومعجم ما استعجم: ٢/٦٥٦) .

وهذا يدل على وسعة مالية الأئمة عليهم السلام التي رتبها النبي صلى الله عليه وآله وعلي والزهراء عليهما السلام ، وعن اغتنام معاوية الفرصة لتضعيفها .

ولا مجال لتفصيل تكوين ماليتهم عليهم السلام فنكتفي بالقول: إن النبي صلى الله عليه وآله لما علم أن الأمة ستغدو بأهل بيته عليهم السلام وتقصيهم عن خلافته وتحرمهم مما فرض الله لهم من مالية ، رتب لهم مالية من عطاءاته وأوقافه ، وكانت فذكاً وسبعة بساتين .

ثم استطاع علي عليه السلام بعلمه بالأرض والمياه الجوفية أن يستنبط عدداً كبيراً من العيون في مناطق مختلفة ، وجعلها صدقات بيد الحسن والحسين عليهما السلام خاصة .

قال عمر بن شبة في تاريخ المدينة: ٢٢١/١: (لما أشرف علي رضي الله عنه على ينبع فنظر إلى جبالها قال: لقد وُضِعَتْ على نقي من الماء عظيم) . وعدد ابن شبة العيون التي استنبطها والبساتين التي أنشأها حولها فقال: (وكانت أموال علي رضي الله عنه عيوناً متفرقة بينع منها عين يقال لها (عين البحير) وعين يقال لها (عين أبي

نيزر) وعين يقال لها (عين نولا) وهي اليوم تدعى (العدر) وهي التي يقال لها أن علياً رضي الله عنه عمل فيها بيده... وعمل علي رضي الله عنه أيضاً بينع (البغيغات) وهي عيون منها عين يقال لها (خيف الأراك) ومنها عين يقال لها (خيف ليلي) ومنها يقال لها (خيف بسطاس) فيها خليج من النخل مع العين ، وكانت البغيغات مما عمل علي رضي الله عنه وتصدق به فلم تزل في صدقاته حتى.... ولعلي رضي الله عنه أيضاً ساقية على عين يقال لها (عين الحدث) بينع وأشرك على عين يقال لها (العصبية) موات بينع . وكان له أيضاً صدقات بالمدينة: الفقيرين بالعالية ، و بئر الملك بقناة ، والأدبية بالأضم...ولعلي رضي الله عنه في صدقاته (عين ناقة) بوادي القرى يقال لها (عين حين) بالبيرة من العلا.... وله بوادي القرى أيضاً (عين موات)... ولعلي رضي الله عنه أيضاً حق على (عين سكر) وله أيضاً ساقية على عين بالبيرة وهو في الصدقة . وله بحرة الرجلاء من ناحية شعب زيد واد يدعي الأحمر شطره في الصدقة ، وشطره بأيدي آل مناع من بني عدي منحة من علي... وله أيضاً بحرة الرجلاء واد يقال له البيضاء فيه مزارع وعفا وهو في صدقته . وله أيضاً بحرة الرجلاء أربع أبر يقال لها ذات كمات ، وذوات العشاء وقعين ومعيد " ورعوان ، فهذه الأبر في صدقته . وله بناحية فدك واد بين لآبتي حرة يدعى (رعية) فيه نخل ووشل من ماء يجري على سقا بزنونق فذلك في صدقته . وله أيضاً بناحية فدك واد يقال له الأسحن ، وبنو فزارة تدعى فيه ملكاً ومقاماً وهو اليوم في أيدي ولاية الصدقة في الصدقة . وله أيضاً ناحية فدك مال بأعلى حرة الرجلاء يقال له القصيبة... وهذه نسخة كتاب صدقة علي بن أبي طالب رضي الله عنه حرفاً بحرف...). (راجع: الإصابة: ٣٤٣/٧، و معجم البلدان: ١/ ٤٦٩ و ١٧٥، و معجم ما استعجم: ٦٥٦/٢، والأربعين البلدانية: ٤٦٩/١ وغيرها).

وعندما نقرأ محاولة معاوية شراء بساتين عين أبي نيزر في ينبع ، ومحاولة ابن أخيه مصادرة ضيعتين في وادي القرى ، يتضح أن برنامج الأمويين تضعيف مالية أهل البيت (عليه السلام) . وقد أبطل الإمام الحسين (عليه السلام) المحاولتين فهددهم بالنداء بحلف الفضول، كما لم يرض ببيع بساتين ينبع ، لتبقى بيد الإمام زين العابدين (عليه السلام) بعده .

١٤- الإمام الحسين (عليه السلام) يصادر قافلة من بيت المال لمعاوية

فأخذها وقسمها في أهل بيته ومواليه وكتب إلى معاوية: (من الحسين بن علي إلى معاوية بن أبي سفيان ، أما بعد ، فإن عيراً مرّت بنا من اليمن تحمل مالاً وحللاً وعنبراً وطيباً إليك ، لتودعها خزائن دمشق وتعلّ بها بعد النهل بني أبيك وإنني احتجت إليها فأخذتها ، والسلام . فكتب إليه معاوية: من عند عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الحسين بن علي: سلام عليك أما بعد ، فإن كتابك ورد على تذكر أن عيراً مرت بك من اليمن تحمل مالاً وحللاً وعنبراً وطيباً إليّ لأودعها خزائن دمشق ، وأعلّ بها بعد النهل بني أبي وأنك احتجت إليها فأخذتها ولم تكن جديراً بأخذها إذ نسبتها إليّ لأن الوالي أحقّ بالمال ، ثم عليه المخرج منه . وأيم الله لو تركت ذلك حتى صار إليّ لم أبخسك حظك منه ، ولكني قد ظننت يا ابن أخي أن في رأسك نزوة ، وبودي أن يكون ذلك في زماني فأعرف لك قدرك وأتجاوز عن ذلك ، ولكني والله أتخوف أن تبغى بمن لا ينظرك فواق ناقة). (شرح النهج: ٤٠٩/١٨ ، والفوائد الرجالية: ٤٧/٤) .

أقول: من الواضح أن معاوية يعرف أن الإمام الحسين (عليه السلام) قرر أن لا يخرج على معاوية بل ينتظر هلاكه ليخرج على يزيد ، ولذلك حذره وهدده !
أما عن مصادرة الإمام الحسين (عليه السلام) لقافلة بيت المال ، فاعتقادنا أن بيت المال بيد الإمام المعصوم (عليه السلام) وأن الصرف منه لإدارة شؤونه وشؤون من يتصل به من

الأولويات ، ومعاوية غاصب لمقام الإمامة السياسية وليت المال ، والغصب لا يغير الملكية والولاية ، فالإمام الحسين عليه السلام أخذ ما هو حقه وفي ولايته ، وكذلك فعل في زمن يزيد وهو في طريقه الى كربلاء ، فصادر قافلة قِيَمَة من اليَمَن . قال أبو مخنف الأزدي في مقتل الحسين عليه السلام : (ثم إن الحسين أقبل حتى مر بالتنعيم فلقى بها عبيراً قد أقبل بها من اليمن ، بعث بها بحير بن ريسان الحميري إلى يزيد بن معاوية وكان عامله على اليمن ، وعلى العير الورس والحلل ينطلق بها إلى يزيد فأخذها الحسين فانطلق بهم ، قال لأصحاب الإبل: لأكرهكم من أحب ان يمضي معنا إلى العراق أو فينا كراءه وأحسننا صحبته ، ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض ، قال: فمن فارقه منهم حوسب فأوفى حقه ومن مضى منهم معه أعطاه كراءه وكساه). (والأخبار الطوال/٢٤٥ مختصراً).

١٥- رده لَمَنَّة معاوية في العطاء من بيت المال

(دخل الحسن والحسين عليهما السلام على معاوية فأمر لهما في وقته بمأتي ألف درهم وقال: خذاها وأنا ابن هند ، ما أعطاهما أحد قبلي ولا يعطيها أحد بعدي ! قال: فأما الحسن فكان رجلاً سَكِيناً ، وأما الحسين عليه السلام فقال: والله ما أعطى أحدٌ قبلك ولا أحد بعدك لرجلين أشرف ولا أفضل منا) ! (تاريخ دمشق: ١١٣/١٤ ، و: ١٩٣/٥٩).

وقد تقدم أن الإمام الحسن عليه السلام رَدَّ عطية معاوية وقال له: لا حاجة لي فيها يا أبا عبد الرحمن ورددتها وأنا ابن فاطمة) ! (المستطرف: ٢٨٩/١ ، والتذكرة الحمدونية/٧٠٨ ، وغيرهما).

١٦- جوابه لمعاوية عندما افتخر بقتل حجر بن عدي عليه السلام

في الإحتجاج: ١٩/٢: (لما قتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه حج ذلك العام فلقى الحسين بن علي عليه السلام فقال: يا أبا عبد الله هل بلغك ما صنعنا بحجر وأصحابه

وأشباعه شيعة أبيك؟ فقال عليه السلام: وما صنعت بهم؟ قال: قتلناهم وكفناهم وصلينا عليهم . فضحك الحسين عليه السلام ثم قال: خَصَمَك القوم يا معاوية ، لكننا لو قتلنا شيعتك ما كفناهم ولا صلينا عليهم ولا قبرناهم ! ولقد بلغني وقيعتك في علي وقيامك ببغضنا واعتراضك بني هاشم بالعبوب ، فإذا فعلت ذلك فارجع إلى نفسك ثم سلها الحق عليها ولها ، فإن لم تجدها أعظم عيباً فما أصغر عيبك فيك ، وقد ظلمناك يا معاوية فلا توترن غير قوسك ولا ترمين غير غرضك ولا ترمنا بالعداوة من مكان قريب ، فإنك والله لقد أطعت فينا رجلاً ما قدم إسلامه ولا حدث نفاقه ولا نظر لك ، فانظر لنفسك أو دع ! يعني عمرو بن العاص) .

١٧- رسالة معاوية الى الإمام الحسين عليه السلام وجوابه

في تاريخ اليعقوبي: ٢٢٨/٢: (ولما توفي الحسن وبلغ الشيعة ذلك اجتمعوا بالكوفة في دار سليمان بن صرد وفيهم بنو جعدة بن هبيرة ، فكتبوا إلى الحسين بن علي يعزونه على مصابه بالحسن: بسم الله الرحمن الرحيم ، للحسين بن علي من شيعة وشيعة أبيه أمير المؤمنين سلام عليك ، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فقد بلغنا وفاة الحسن بن علي يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً.... فإن فيك خلفاً ممن كان قبلك وإن الله يؤتي رشدك من يهدي بهديك ، ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك المحزونة بحزنك المسرورة بسرورك ، السائرة بسيرتك ، المنتظرة لأمرك ، شرح الله صدرك ، ورفع ذكرك ، وأعظم أجرك).

وفي اختيار معرفة الرجال: ٢٥٠/١: (روي أن مروان بن الحكم كتب إلى معاوية وهو عامله على المدينة: أما بعد فإن عمرو بن عثمان ذكر أن رجلاً من أهل العراق ووجوه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن علي ، وذكر أنه لا يأمن وثوبه وقد بحثت عن ذلك فبلغني أنه يريد الخلاف يومه هذا ، ولست آمن أن

يكون هذا أيضاً لما بعده فاكتب إلي برأيك في هذا ، والسلام .
 فكتب إليه معاوية: أما بعد: فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من أمر
 الحسين ، فأياك أن تعرض للحسين في شيء وأترك حسيناً ما تركك ، فإننا لا نريد
 أن تعرض له في شيء ما وفي بيعتنا ولم يَنْزُ على سلطاننا ، فإكمن عنه ما لم يبد
 لك صفحته ، والسلام .

وكتب معاوية إلى الحسين بن علي عليه السلام: أما بعد ، فقد انتهيت إلي أمور عنك إن
 كانت حقاً فقد أظنك تركتها رغبة فدعها ، ولعمر الله إن من أعطى الله عهده
 وميثاقه لجدير بالوفاء . وإن كان الذي بلغني باطلاً فإنك أنت أعدل الناس لذلك
 وعظ نفسك فاذكره ولعهد الله أوف ، فإنك متى ما أنكرك تنكرني ومتى أكدك
 تكذني فاتق شقك عصا هذه الأمة وأن يردهم الله على يدك في فتنة ، وقد
 عرفت الناس وبلوتهم فانظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يستخفك
 السفهاء والذين لا يعلمون . فلما وصل الكتاب إلى الحسين عليه السلام كتب إليه:

أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر أنه قد بلغك عني أمور أنت لي عنها راغبٌ
 وأنا لغيرها عندك جدير ، فإن الحسنات لا يهدي لها ولا يرُدُّ إليها إلا الله . وأما
 ما ذكرت أنه انتهى إليك عني فإنه إنما رقاها إليك الملاقون المشاؤون بالنميم
 وما أريد لك حرباً ولا عليك خلافاً ، وأيم الله إنني لخائف لله في ترك ذلك وما
 أظن الله راضياً بترك ذلك ولا عاذراً بدون الإعذار فيه إليك وفي أوليائك
 القاسطين الملحدين حزب الظلمة وأولياء الشياطين !

أولستَ القاتل حجر بن عدي أخا كندة والمصلين العابدين الذين كانوا
 ينكرون الظلم ويستعظمون البدع ولا يخافون في الله لومة لائم ؟ ثم قتلهم ظلماً
 وعدواناً من بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة لاتأخذهم

بحدث كان بينك وبينهم ولا بإحنة تجدها في نفسك .

أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله ﷺ ، العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه وصفرت لونه بعدما آمنته وأعطيته من عهود الله وموائيقه ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل ، ثم قتله جراً على ربك واستخفافاً بذلك العهد !

أولست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد ثقيف ، فزعمت أنه ابن أبيك وقد قال رسول الله ﷺ : الولد للفراش وللعاهر الحجر ، فتركت سنة رسول الله ﷺ تعمداً وتبعته هواك بغير هدى من الله ، ثم سلطته على العراقيين يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم ويسمل أعينهم ويصلبهم على جذوع النخل كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك !

أولست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية إنهم كانوا على دين علي عليه السلام فكتب إليه أن اقتل كل من كان على دين علي فقتلهم ومثلهم ! ودين علي سرُّ الله الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك ، وبه جلست مجلسك الذي جلست ، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف أبيك الرحلتين !

وقلت فيما قلت: أنظر لنفسك ولديتك ولأمة محمد واتق شق عصا هذه الأمة وأن تردهم إلى فتنه ، وإنني لا أعلم فتنه أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها ولا أعظم نظراً لنفسي ولديني ولأمة محمد ﷺ وعلي أفضل من أن أجاهدك ! فإن فعلت فإنه قرابة إلى الله ، وإن تركته فإنني أستغفر الله لديني وأسأله توفيقه لإرشاد أمري .

وقلت فيما قلت: إنني إن أنكرت تنكرني وإن أكذك تكذني ! فكذني ما بدا لك فإنني أرجو أن لا يضرني كيدك فيّ ، وأن لا يكون على أحد أضرّ منه على

نفسك ، على أنك قد ركبت بجهلك تخرُصك عليّ نقض عهدك ، ولعمري ما وفيتَ بشرط ! ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والأيمان والعهود والمواثيق فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا ، ولم تفعل ذلك بهم إلا لذكركم فضلنا وتعظيمهم حقنا ، فقتلتهم مخافة أمر لملك لو لم تقتلهم متَّ قبل أن يفعلوا أو ماتوا قبل أن يدركوا ! فأبشر يا معاوية بالقصاص واستيقن بالحساب واعلم أن الله تعالى كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وليس الله بناسٍ لأخذك بالظنة وقتلك أوليائه على التهم ، ونقل أوليائه من دورهم إلى دار الغربة ، وأخذك للناس بيعة ابنك غلام حدث يشرب الخمر ويلعب بالكلاب ! لأعلمك إلا وقد خسرت نفسك وتبرت دينك وغششت رعيته وأخرجت أمانتك ، وسمعت مقالة السفية الجاهل وأخفت الورع التقى لأجلهم . والسلام .

فلما قرأ معاوية الكتاب قال: لقد كان في نفسه ضَبٌّ ما أشعر به ! فقال يزيد: يا أمير المؤمنين أجه جواباً تصغر إليه نفسه وتذكر فيه أباه بشئ فعله ، قال: ودخل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له معاوية: أما رأيت ما كتب به الحسين؟ قال وما هو ؟ قال فأقرأه الكتاب فقال: وما يمنعك أن تحجبه بما يُصَغَّرُ إليه نفسه ؟ وإنما قال ذلك في هوى معاوية ! فقال يزيد: كيف رأيت يا أمير المؤمنين رأيي ؟ فضحك معاوية فقال: أما يزيد فقد أشار عليّ بمثل رأيك ، قال عبد الله: فقد أصاب يزيد . فقال معاوية أخطأتما ! أرايتما لو أنني ذهبت ليعب عليّ محققاً ما عسيت أن أقول فيه ومثلي لا يحسن أن يعيب بالباطل وما لا يعرف ، ومتى ما عبت به رجلاً بما لا يعرفه الناس لم يُخَوَّلْ به صاحبه ولا يراه الناس شيئاً وكذبوه ! وما عسيت أن أعيب حسيناً، والله ما أرى للعيب فيه موضعاً ! وقد رأيت أن أكتب

إليه أتوعده وأتهدده ثم رأيت ألا أفعل ولا أفعله).

وفي الإحتجاج: ١٩/٢: (فما كتب إليه بشئ يسوؤه ولا قطع عنه شيئاً كان يصله به).

١٨- تحيّر معاوية في سياسته مع الحسين عليه السلام

في الأوائل للمسكري/١٣٣: (قدم معاوية حاجاً في عام واحد وخمسين ، وأذن لمروان وقال: أشر علي في أمر الحسين ، قال: أرى أن تخرجه معك فتقطعه عن أهل العراق وتقطعهم عنه ، قال: أردت والله أن تستريحَ منه ونحمل مؤونته على أن ينال مني ما ينال منك ، فإن انتقمت قطعت رحمه وإن صبرت صبرت على أذاه ، ثم أذن لسعيد بن العاص فقال: أشر علي في أمر الحسين ، قال: أرى أنك لا تخافه على نفسك وإنما تخافه على من بعدك ، وأنت تدع له قريباً إن قاتله قتله وإن ماكره ماكره فاترك حسيناً بمنبت النخلة ، يشرب من الماء ويذهب في الهواء لا يبلغ عنان السماء ! قال: أصبت ، لأخبرنكم عني يا بني أمية: لن يبرح هذا الأمر فيكم ما عظمت ملوككم ، فإذا تمناها كل امرئ منكم لنفسه وثب بنو عبد المطلب في أقطارها وقال الناس آل رسول الله ، فكانت الخلافة فيكم كحجر المنجنيق ، يذهب أمامه ولا يرجع وراءه) ! انتهى. وهذا يدل على أن معاوية يعرف أن الأمة تحب بني هاشم أكثر من بني أمية وتراهم أحق منهم بالخلافة !

١٩- حثه الشيعة على النهوض بمسؤوليتهم وعدم التخاذل

روى ابن شعبة الحراني في تحف العقول/٢٣٧، خطبة للإمام الحسين عليه السلام يحثُ فيها الشيعة على القيام بواجبهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتصحيح وضع الحكم ، وقال في الوسائل: ٤٠٢/١١ ، إنها تروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً. وقد يكون الإمام الحسين تعمد أن يقرأ خطبة والده عليه السلام ، وأولها: (إعتبروا أيها

الناس بما وعظ الله به أوليائه من سوء ثنائه على الأخبار إذ يقول: لَوْلَا يَنْهَاهُمْ الرِّبَايُونُ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ . وقال: لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ . وإنما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم ورهبة مما يحذرون ، والله يقول: فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ...الخ.

٢٠- إعدادة عليه السلام لبني هاشم والأنصار لكر بلاء في حياة معاوية

في الإحتجاج: ١٨/٢: (فلما كان قبل موت معاوية بستين حج الحسين بن علي عليه السلام وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس معه . وقد جمع الحسين بن علي عليه السلام بني هاشم رجالهم ونساءهم ومواليهم وشيعتهم من حج منهم ومن لم يحج ، ومن الأنصار ممن يعرفونه وأهل بيته ، ثم لم يدع أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أبنائهم والتابعين ، ومن الأنصار المعروفين بالصلاح والنسك إلا جمعهم ، فاجتمع عليه بنى أكثر من ألف رجل والحسين عليه السلام في سرادقه ، عامتهم التابعون وأبناء الصحابة ، فقام الحسين عليه السلام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد: فإن الطاغية قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم ، وإنني أريد أن أسألكم عن أشياء فإن صدقت فصدقوني ، وإن كذبت فكذبوني ، اسمعوا مقالتي واكتبوا قولتي (وفي نسخة: واكتبوا قولتي) ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم من أمتموه ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون، فإنني أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب ، والله مَتَمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . فما ترك الحسين شيئاً أنزل الله فيهم من القرآن إلا قاله وفسره ولا شيئاً قاله الرسول صلى الله عليه وآله

في أبيه وأمه وأهل بيته إلا رواه ، وكل ذلك يقول الصحابة: اللهم نعم قد سمعناه وشهدناه ، ويقول التابعون: اللهم قد حدثنا من نصده ونأتمنه . حتى لم يترك شيئاً إلا قاله ثم قال: أنشدكم بالله إلا رجعتم وحدثتم به من تثقون به ، ثم نزل وتفرق الناس على ذلك). انتهى.

ورواه سليم بن قيس/٣٢٠، وأضاف فيه: (فكان فيما ناشدهم الحسين عليه السلام وذكرهم أن قال: أنشدكم الله أعلمون أن علي بن أبي طالب كان أخا رسول الله ﷺ حين آخى بين أصحابه فأخى بينه وبين نفسه وقال: أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة ؟ قالوا: اللهم نعم . قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ اشترى موضع مسجده ومنزله فابتنه ثم ابتنى فيه عشرة منازل تسعة له وجعل عاشرها في وسطها لأبي ، ثم سد كل باب شارع إلى المسجد غير بابه فتكلم في ذلك من تكلم فقال ﷺ: ما أنا سددت أبوابكم وفتحت بابه ولكن الله أمرني بسد أبوابكم وفتح بابه ، ثم نهى الناس أن يناموا في المسجد غيره وكان يجنب في المسجد ومنزله في منزل رسول الله ﷺ، فولد لرسول الله ﷺ وله فيه أولاد؟ قالوا: اللهم نعم....

قال: أنشدكم الله ، أعلمون أن رسول الله ﷺ نصبه يوم غدير خم فنادى له بالولاية وقال: ليلغ الشاهد الغائب ؟ قالوا: اللهم نعم . قال: أنشدكم الله ، أعلمون أن رسول الله ﷺ قال له في غزوة تبوك: أنت مني بمنزلة هارون من موسى وأنت ولي كل مؤمن بعدي ؟ قالوا: اللهم نعم . قال: أنشدكم الله ، أعلمون أن رسول الله ﷺ حين دعا النصارى من أهل نجران إلى المباهلة لم يأت إلا به وبصاحبه وابنيه ؟ قالوا: اللهم نعم . قال: أنشدكم الله ، أعلمون أنه دفع إليه اللواء يوم خيبر ثم قال: لأدفعنه إلى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ، كرار غير فرار يفتحها الله على يديه؟ قالوا: اللهم نعم . قال: أعلمون أن رسول الله ﷺ بعثه ببراءة وقال: لا يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني ؟ قالوا: اللهم نعم .

قال: أعلمون أن رسول الله ﷺ لم تنزل به شدة قط إلا قدمه لها ثقة به ، وأنه لم

يدعه باسمه قط إلا أن يقول: يا أخي وادعوا لي أخي ؟ قالوا: اللهم نعم .

قال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ قضى بينه وبين جعفر وزيد فقال له: يا علي أنت مني وأنا منك وأنت ولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي ؟ قالوا: اللهم نعم .

قال: أتعلمون أنه كانت له من رسول الله ﷺ كل يوم خلوة وكل ليلة دخلة ، إذا سأله أعطاه وإذا سكت ابتداء ؟ قالوا: اللهم نعم . قال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ فضله على جعفر وحزمة حين قال لفاطمة ؑ: زوجتك خير أهل بيتي أقدمهم سلماً وأعظمهم حليماً وأكثرهم علماً؟ قالوا: اللهم نعم . قال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: أنا سيد ولد آدم وأخي علي سيد العرب وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، وابنائي الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة؟ قالوا: اللهم نعم . قال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ أمره بفلسه وأخبره أن جبرئيل يعينه عليه ؟ قالوا: اللهم نعم .

قال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال في آخر خطبة خطبها: أيها الناس إني تركت فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي فتمسكوا بهما لن تضلوا قالوا: اللهم نعم.

فلم يدع شيئاً أنزله الله في علي بن أبي طالب ؑ خاصة وفي أهل بيته من القرآن ولا على لسان نبيه ﷺ إلا ناشدهم فيه ، فيقول الصحابة: اللهم نعم قد سمعنا، ويقول التابعي: اللهم قد حدثني من أثق به فلان وفلان. ثم ناشدهم أنهم قد سمعوه ﷺ يقول: من زعم أنه يحبني ويغض علياً فقد كذب ، ليس يحبني وهو يغض علياً ! فقال له قائل: يا رسول الله ، وكيف ذلك ؟ قال: لأنه مني وأنا منه من أحبه فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ، ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله؟ قالوا: اللهم نعم ، قد سمعنا . وتفرقوا على ذلك). انتهى.

أقول: هذه الحركة من الإمام الحسين ؑ تمهيد سياسي قوي ، وإعداداً لخواص المسلمين أن ينشروا دعوته وينهضوا معه بمجرد هلاك معاوية !

الفصل العاشر

معاوية يهوي.. ويسلم أمبراطوريته الى غلام أهوج

آمال معاوية يزيد ومستقبل إمبراطوريته !

قال الطبري في تاريخه: ٢٤٨/٤: (قال معاوية: رجلان إن ماتا لم يموتا ، ورجل إن مات مات ! أنا ، إن متُ خلفني ابني ، وسعيد (بن العاص الأموي) إن مات خلفه عمرو ، وعبد الله بن عامر(بن كريب الأموي) إن مات مات ! فبلغ مروان فقال: أما ذكر ابني عبد الملك؟ قالوا: لا ، قال: ما أحب أن لي بابني ابنيهما). انتهى.

وفي فتوح بن الأعمش: ٣٤٦/٤: (ثم تكلم مسلم بن عَقبة فقال: يا أمير المؤمنين إنا نرى الناس ونسمع كلامهم ونرى أن الأمر في يزيد وهو أهمُّ له (أقدر عليه بهمة) وهو لهم رضى ، فبادر إلى تسميته من قبل أن يعتقل لسانك . فقال: صدقت يا مسلم إنه لم يزل رأيي في يزيد ، وهل تستقيم الناس لغير يزيد ، ليتها في ولدي وذريتي إلى يوم الدين وأن لا تعلق ذرية أبي تراب على ذرية آل أبي سفيان) ! أقول: صدقتُ فِراسةً مروان في يزيد ، وخابت خيالات معاوية وأحلامه ! فقد فشل يزيد في إدارة إمبراطورية بني أمية ، ووجه اليها في سنوات حكمه القليلة ضربة قاصمة ! ودفن نفسه وعائلة أبي سفيان إلى غير رجعة !

أما مروان فكان شبيهاً بأبي سفيان ، فقد أنقذ دولة الأمويين من موت محقق ، وكان ابنه عبد الملك شبيهاً بمعاوية ، فقد أرسى دولتهم وأجاد إدارة حروبها ، وإن كان هو وكل بني مروان عيالاً على سُفرة أبي سفيان ومعاوية وخططهما !

هلاك الطاغية وانتقال السلطة بسهولة الى ابنه

اتفق المؤرخون على أن السلطة انتقلت الى يزيد بيسر وسهولة ، وكان ذلك

نتيجة جهود معاوية الطويلة لتسليم دولة بلاد الفتوحات الواسعة الى ابنه .
قال في أنساب الأشراف/١١٩١: (توفي معاوية للنصف من رجب سنة ستين وله اثنتان وثمانون سنة)وفي رواية ست وسبعون سنة)فلما قبض صعد الضحاك بن قيس الفهري المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن معاوية أمير المؤمنين كان عود العرب وحدها ونائبها ، قطع الله به الفتنة وجمع به الكلمة ومملكه خزائم العباد وفتح له البلاد ، ألا وإنه قد مات وهذه أكفانه ونحن مدرجوه فيها ثم مدخلوه قبره ومخلون بينه وبين ربه ، ثم هو الهرج إلى يوم القيامة ، فمن كان يريد أن يشهده فليحضر عند الظهر). (ونحوه تهذيب الكمال: ٣٨٦/٣٥، سير الذهبي: ١٦١/٣).

وفي تاريخ دمشق: ٢٣١/٥٩: (وكان يزيد غائباً حين مات معاوية بحوارين ، فلما ثقل معاوية أرسل إليه الضحاك فقدم وقد مات معاوية ودفن ، فلم يأت منزله حتى أتى قبره فصلى عليه ودعا له ، ثم أتى منزله فقال:

جاء البريد بقرطاس يَخْبُ به فأوجس القلب من قرطاسه فزعا...الخ.

ثم خطب يزيد الناس فقال: إن معاوية كان عبداً من عبيد الله أنعم الله عليه ثم قبضه الله وهو خير ممن بعده ودون من قبله ، ولا أزكيه على الله وهو أعلم به إن عفا عنه فبرحمته وإن عاقبه فبذنبه ، وقد وليت الأمر من بعده ولست آسى على طلب ولا أعتذر من تغريط ، وإذا أراد الله شيئاً كان . أذكروا الله واستغفروه).

وفي: ٢٣٣/٥٩: (فكنت فيمن أتى المسجد فلما ارتفع النهار وهم سيكون في الخضراء ، وابنه يزيد غائب في البرية وهو ولي عهده ، وكان خليفته على دمشق الضحاك بن قيس إذ قعقع باب النحاس الذي يخرج إلى المسجد من الخضراء... ثم أخرجوا جنازة معاوية فدفنوه ، فلبثنا حتى كان مثل ذلك اليوم من الجمعة المقبلة فبلغنا أن ابن الزبير خرج من المدينة وحارب ، وكان معاوية قد غشي

عليه قبل ذلك غشية فركب به الركبان فلما بلغ ذلك ابن الزبير خرج .
ثم كان مثل ذلك اليوم الجمعة المقبلة صلى بنا الضحاك بن قيس الظهر ، ثم
أقبل علينا بوجهه فقال: تعلمون أن خليفتمك يزيد بن معاوية قد أظلمكم ونحن
خارجون غداً ومتلقوه ، فمن أحب منكم أن يتلقاه معنا فعل قال فلما صلوا الصبح
ركب وركبنا معه وكنت فيمن ركب فساروا إلى ثنية العقاب ، وما بين باب توما
وبين ثنية العقاب بيت مبني بقرى إلى قرى العجم (الفرس الذين كانوا يحكمون سورية)
فسرنا فلما صعدنا في ثنية العقاب إذا بأثقال يزيد بن معاوية قد تحدرت في الثنية
قال ثم سرنا غير كثير فإذا يزيد في ركب من كلب معه من أخواله وهو على
بختي له رحل ورائطة مثنية في عنقه ليس عليه سيف ولا عمامة، قال: وكان رجلاً
كثير اللحم عظيم الجسم كثير الشحم ، وفي نسخة كثير الشعر ، قال: وقد أجفل
شعره وشعث ، قال فأقبل الناس يسلمون عليه ويعزونه وقد دنا منه الضحاك).

أقول: هذا يدل على قوة النظام الأموي واستقراره ، لكن إن صح وصف
الضحاك للمرحلة بعده بقوله: (ثم هو الهرج إلى يوم القيامة) فهو يدل على أن
الضحاك كان يرى النار تحت الرماد ، وأن ضعف يزيد وحمقه عامله الأساسي .

وقد كان معاوية يشعر بأن قوى قرشية متعددة تنتظر موته لتقوم بحركتها !
ففي أنساب الأشراف/١١٩٠: (عن عوانة قال: بلغ معاوية وهو مريض أن قريشاً
ببابه تتباشر بموته ، فلما دخلوا عليه دعوا له فقال: أتباشرون بموتي إذا خلوتم؟!
وتدعون لي إذا حضرتم ! فاتنفوا من ذلك واعتذروا ، فقبل منهم).

وصية الأميراطور الطاغية الى ولده المدلل

روى الطبري في تاريخه: ٢٣٨/٤، عن ابن مخزوم: (أن معاوية لما مرض مرضته التي هلك فيها ، دعا يزيد ابنه فقال: يا بني إني قد كفيتك الرحلة والترحال ووطأت لك الأشياء وذلت لك الأعداء ، وأخضعت لك أعناق العرب وجمعت لك من جمع واحد . وإني لا أتخوف أن ينازحك هذا الأمر الذي استتب لك إلا أربعة نفر من قريش: الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر . فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذته العبادة وإذا لم يبق أحد غيره بايعك . وأما الحسين بن علي فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فإن له رحماً ماسة وحقاً عظيماً . وأما ابن أبي بكر فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثلهم ، ليس له همة إلا في النساء واللهو ! وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ويرواغك مراوغة الثعلب فإذا أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير! فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه إرباً إرباً. قال هشام قال عوانة: قد سمعنا في حديث آخر أن معاوية لما حضره الموت وذلك في سنة ٦٠ وكان يزيد غائباً فدعا بالضحاك بن قيس الفهري وكان صاحب شرطته ومسلم بن عقبة المري فأوصى إليهما فقال: بلغا يزيداً وصيتي: أنظر أهل الحجاز فإنهم أصلك فأكرم من قدم عليك منهم وتعاهد من غاب ، وانظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فأفعل ، فإن عزل عامل أحب إلى من أن تشهر عليك مائة ألف سيف . وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك ، فإن نابك شئ من عدوك فانتصر بهم فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم ، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم . وإني لست أخاف من قريش إلا ثلاثة: حسين بن علي وعبد الله

بن عمر وعبد الله بن الزبير . فأما ابن عمر فرجل قد وقذه الدين فليس ملتصقاً شيئاً قبلك ، وأما الحسين بن علي فإنه رجل خفيف وأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه وإن له رحماً ماسةً وحقاً عظيماً وقرابة من محمد(ص) ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فإن قدرت عليه فاصفع عنه ، فإنني لو أني صاحبه عفوت عنه . وأما ابن الزبير فإنه خبٌ ضبٌ فإذا شخص لك فالبد له إلا أن يلتمس منك صلحاً ، فإن فعل فاقبل واحقن دماء قومك ما استطعت .

ورواها بتفاوت: كامل ابن الأثير: ٣/٣٦٨ ، ونهاية الإرب: ٤٤٧٢ ، والآداب السلطانية: ٧٨ ، وسمت النجوم: ٨٩٧ ، وفتح ابن الأعمش: ٤/٣٤٨ ، والمنتظم: ٥/٣٢٠ ، وابن خلدون: ١٨٣/١ .

أقول: روت وصيته ليزيد هذه المصادر وغيرها ، واستشكل بعضهم بأنه ورد فيها ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر مع أن معاوية قتله قبل سنين من موته ، كما بينا في المجلد الثاني . وجوابه: أن معاوية بدأ بالتمهيد لبينة يزيد مبكراً وقتل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد سنة ٤٦ عندما طلب أهل الشام أن يجعله ولي عهده ، فلا مانع أن تكون وصية قبل قتل ابن أبي بكر ، ثم كررها في أول مرضه ليزيد لأن مرضه طال شهوراً ، ثم كررها قرب موته ، وأوصاهم أن يبلغوها ليزيد الذي كان غائباً في حوَّارين . نعم يرد الإشكال على تفاوت نصوصها في الشدة واللين لكن لا بد أن نعتبر أن التشدد في وصيته هو الأصل لأنه ثبت أنه كان سفاكاً للدماء وإن تظاهر بالحلم والعفو ، على أن الوصية كلها قد تكون من أجل الناس أما وصيته الحقيقية فهي بطش الجبارين الذي ارتكبه يزيد في كربلاء والحرّة ومكة ، وقد أثبت الحافظ محمد بن عقيل في كتابه القيم (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية) مسؤولية معاوية عن أعمال يزيد بشكل مباشر لأنه أوصاه بها ، أو غير مباشر لأنه ولاه سلطه على المسلمين بعده وهو يعرف بطشه وظلمه !

خطبة العرش: تعجيل المخصصات وتخفيض الفتوحات

(ثم نودي الصلاة جامعة لصلاة الظهر فاغتسل (يزيد) ولبس ثياباً نفيسة ثم جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر موت أبيه وقال: إنه كان يغزيكم البحر والبر ولست حاملاً أحداً من المسلمين في البحر . وإنه كان يشتيكم بأرض الروم ولست مشتياً أحداً بها ، وإنه كان يخرج لكم العطاء ثلاثاً وأنا أجمعه لكم كله . قال: فافترقوا وما يفضلون عليه أحداً) ! (سمت النجوم/٩٠٤، وسير الذهبي: ١٦١/٣، والنهاية: ١٥٣/٨، وأنساب الأشراف: ٥٠/٤، وتاريخ دمشق: ٣٧٧/١٦).

الهوية الشخصية ليزيد بن معاوية

١- الأم والخولة والشكل...

حكّم المسلمين ثلاث سنواتٍ عجافٍ وكسراً ، من سنة ٦٠ الى ٦٤ هجرية ، وهلك وهو ابن سبعٍ وثلاثين سنةً (وكان سعيد بن المسيب يسمي سني يزيد بن معاوية بالشؤم: في السنة الأولى قتل الحسين بن علي وأهل بيت رسول الله ﷺ والثانية استبيح حرم رسول الله و انتهكت حرمة المدينة ، والثالثة سفكت الدماء في حرم الله وحرقت الكعبة). (تاريخ البعقوبي: ٢/٢٥٣).

وأمه ميسون بنت بحدل الكلبية من بيت زعامة في نصارى العرب في الشام ، تزوجها معاوية في الوقت الذي تزوج فيه عثمان نائلة بنت الفرافصة من بيت زعامة في نصارى العراق . وذكر البلاذري في أنساب الأشراف/١١٨٩ أن ميسوناً كانت متزوجة من ابن عمها(زامل)فقتله أخوه، وربما تزوجت بآخر قبل معاوية .

قال في تاريخ دمشق: ٤٠٠/٦٥: (جلس معاوية) ذات يوم فقال لأصحابه: أيكم يدلني على جارية طرطبية أتزوجها ، فسكت القوم ولم يعرفوا ما قال . قال: فقام ابن بحدل الكلبي إلى منزله فقال: العجب لمعاوية قد تكلم بكلمة ما سمعتها في العرب قط ! قالت ابنته: وما الكلمة؟ قال: إن معاوية قال لنا: أما منكم رجل يدلني على جارية طرطبية أتزوجها؟ قالت ابنته: فأدلكه عليّ فإني التي وصف ، والطرطبية التي في نديها طول في دقة لاتكاد تلد أثنى . فمكث ابن بحدل زماناً ثم قال لمعاوية: إنك كنت تكلمت بكلمة لم أعرفها وكرهت أن أسأل عنها فانصرفت إلى منزلي فذكرت ذلك لبعض أهلي فسمعتني ابنتي فقالت: أدلكه

عليّ فإني من بغية ما وصف . قال معاوية: قد تزوجتها فزوجه وبنى بها فولدت له يعني يزيد). انتهى. لكن ميسوناً سرعان ما كرهت معاوية ولم تحبه ووصفته في أبيات بأنه: (عَلِجٌ مَّعْلُوف) ! لسمنه وكثرة أكله ، فطلقها وهي حامل بيزيد فرجعت الى قومها النصارى في بادية بني كلب وولدت يزيداً فنشأ بينهم وألف حياتهم وكان أكثر وقته بينهم حتى بعد أن صار خليفة ، حتى مات عندهم في حُوَّارين ، وتسمى القريتين وكان كل سكانها نصارى . قال في تاريخ دمشق: ١٣٤/٧٠ ، عن ميسون: (فبقيت عنده مديدة ! فسئمته فأنشأت تقول وحتت إلى وطنها:

ليت تخرق الأرواح (الرياح) فيه أحبُّ إلي من قصر منيف
وكلبٌ ينبج الطرّاق عني أحب إليّ من قط ألوف
وبكر يتبع الأظمان صعب أحب إليّ من بغل زفوف
ولبس عباءة وتقرّ عيني أحب إليّ من لبس الشفوف
وخرّق من بني عمي نحيف أحب إلي من علج عليف
وأصوات الرياح بكل فجح أحبُّ إلي من نقر الدفوف
خشونة عيشتي في البدو أشهى إلى نفسي من العيش الطريف
فما أبغي سوى وطني بديلاً فحسبي ذاك من وطن شريف

فقال معاوية جعلتني علجاً ! وطلقها وألحقها بأهلها).

وفي الحماسة البصرية/ ٢٤٤: (ما كفى أن جعلتني علجاً حتى جعلتني عليفاً).
وفي حياة الحيوان/ ٩٩٤: (طالق ثلاثاً ، مروها فلتأخذ جميع ما في القصر فهو لها ثم سيرها إلى أهلها بنجد ، وكانت حاملاً بيزيد فولدته بالبادية). انتهى. والصحيح بادية كلب المتصلة ببادية السماوة ونجد التي منها نائلة زوجة عثمان وقد برروا زواج معاوية بنصرانية على زوجاته المسلمات بزواج عثمان ، ففي تاريخ دمشق: ٧٠/ ١٣٨: (إن عثمان بن عفان تزوج نائلة بنت الفرافصة وهي نصرانية على نسائه).

الفصل العاشر : معاوية يهوي.. ويسلم أمراطوريته الى غلام أهوج..... ٤٠١

قال المسعودي في التنبيه والإشراف/٢٦٤: (وكان(يزيد)آدم شديد الأدمة عظيم الهامة بوجهه أثر جدري بَيْن ، يبادر ببلدته(اللدة الترب والمعنى: يغدر بمن يعيش معه) ويجاهر بمعصيته ، ويستحسن خطأه ويهوّن الأمور على نفسه في دينه ، إذا صحت له دنياه).

وقال الذهبي الأموي في سير أعلام النبلاء:٣٥/٤:(وكان ضخماً كثير الشعر شديد الأدمة بوجهه أثر جدري فقال الناس: هذا الأعرابي الذي ولي أمر الأمة). وحذف السيوطي من صفاته شدة السمرة والجدري فقال في تاريخ الخلفاء/١٦١: (كان ضخماً كثير اللحم كثير الشعر). وجعل القلقشندي سمرته عادية غير شديدة لكنه اعترف بأنه أجعد الشعر فقال في مآثر الإنافة:١١٥/١: (وكان آدم اللون طويلاً جعد الشعر أحور العينين ، بوجهه آثار جدري حسن اللحية خفيفها ، وكان قد أقام مع أمه ميسون في قومها بني كلب بالبادية فتعلم منهم الفصاحة). انتهى.

وجعودة شعر يزيد رغم بياض والده وزرقة والدته ، تفتح الباب لاحتمال صدق شهادة النسابة الكلبي القريب من عصره ، بأن أمه كان لها علاقة مع عبد أبيها ، وأن يزيداً منه ! قال ابن راشد في إلزام الناصب/١٦٩:(رووا أن أمه بنت بجدل الكلبية أمكنت عبد أبيها من نفسها فحملت بيزيد ، وإلى هذا المعنى أشار النسابة الكلبي يقول: فقد قتل الدعِي وعبدُ كلب بأرض الطف أولادَ النبيِّ

أراد بالدعِي عبيد الله بن زياد...ومراده بعبد كلب: يزيد بن معاوية لأنه من عبد بجدل الكلبي). انتهى. ويؤيده ما رويناه في تفسير قوله تعالى: وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبِّي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ. (غافر: ٢٦) فقد سأل أحدهم الإمام الباقر عليه السلام: من كان يمنع؟ قال: (منعته رشدته ، ولا

يقتل الأنبياء وأولاد الأنبياء عليهم السلام إلا أولاد الزنا) ! (المحاسن: ١٠٨/١، وعلل الشرائع: ٥٨/١)

٢- هُؤَايَات يَزِيد الشاذة واستهتاره

يقول العالم الأزهرى الشيخ عبدالله العلايلي في كتابه عن الإمام الحسين عليه السلام: سمو المعنى في سمو الذات/٥٩: (إذا كان يقيناً أو يشبه اليقين أن تربية يزيد لم تكن إسلامية خالصة أو عبارة أخرى: كانت مسيحية خالصة ، فلم يبق ما يستغرب معه أن يكون متجاوزاً مستهتراً مستخفاً بما عليه الجماعة الإسلامية ، لا يحسب لتقاليدهما واعتقاداتها أي حساب ولا يقيم لها وزناً). انتهى.

ويؤيد ذلك أن ندماءه وخاصته نصارى ، فكان سرجون النصراني صاحب أمره كما كان صاحب سر أبيه (تاريخ دمشق: ١٦١/٢٠). قال الشيخ باقر القرشي في حياة الإمام الحسين عليه السلام: ١٨٤/٢: (واصطفى يزيد جماعة من الخلعاء والماجنين فكان يقضي معهم لياليه الحمراء بين الشراب والغناء ، وفي طليعة ندمائه الأخطل الشاعر المسيحي الخليع فكانا يشربان ويسمعان الغناء وإذا أراد السفر صحبه معه . ولما هلك يزيد وآل أمر الخلافة إلى عبد الملك بن مروان قرّبه فكان يدخل عليه بغير استئذان وعليه جبة خز وفي عنقه سلسلة من ذهب والخمر يقطر من لحيته). (الأغاني: ١٧٠/٧).

وقال العالم الأزهرى الشيخ محمود أبو رية في كتابه شيخ المضيرة أبو هريرة/١٧٧: (كان يزيد هذا صاحب لهو وعبث مسرفاً في اللذات مستهتراً ، وكانت أمه ميسون نصرانية كنانة زوج عثمان... وانغمس في اللذات وأخذ منها ما شاء له هواه وفسقه ، وقد كانوا يسمونه: يزيد القروذ ويزيد الخمور). انتهى.

وقال ابن الطقطقي في الآداب السلطانية/٣٤: (وكان يزيد بن معاوية أشد الناس كلفاً بالصيد لايزال لاهياً به ، وكان يُلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب

الفصل العاشر : معاوية يهوي.. ويسلمُ امبراطوريته الى غلام أهوج..... ٤٠٣

والجلال المنسوجة منه ، ويهب لكل كلب عبداً يخدمه). انتهى.
ولا بد أن نضيف الى خمره وقروده وصيده: هوايته مهارشة الكلاب ، وصراع الديكة ، والأتن الوحشية ، والدباب ، والمعازف ، والرقص .
وأسوأ منه أنه كان لا يسمع بامرأة جميلة إلا وأرادها ! ومن أمثلة ذلك سلامة المغنية ، وأرينب زوجة ابن سلام القرشي والي البصرة ، وتقدمت قصتها .
وأسوأ منه أنه كان مفرطاً في هواياته مشغولاً بها ! فلايكاد يفيق من سكرة حتى يدخل في سكرة ! وقد شهدوا بأنه كان يتباهى بهواياته كأه ميسون التي تباغت بعشيقها البدوي وفضلته على معاوية ، وكان يتجاهر بسلوكه مستهتراً بالدين والأخلاق ، ويعمل لنشره في الأمة ويردد:

معشر الندمان قوموا واسمعوا صوت الأغاني
واشربوا كأس مدام واتركوا ذكر المثنائي
شغلتنني نغمة العيدان عن صوت الأذان
وتعوضت من الحور عجوزاً في الدنان
(فتوح ابن الأعمش: ٣٣٢/٤)

لكن مُحبيه كابن كثير يزعمون أن ذلك كان في حدائته ، وأن أباه نصحه فانتصح !
قال في النهاية: ٢٤٨/٨: (أمير المؤمنين أبو خالد الأموي... توفي في الرابع عشر من ربيع الأول سنة أربع وستين... وكان كثير اللحم عظيم الجسم كثير الشعر جميلاً طويلاً ضخماً الهامة محدد الأصابع غليظها مجدراً ، وكان أبوه قد طلق أمه وهي حامل به.... كان يزيد في حدائته صاحب شراب يأخذ مأخذ الأحداث فأحس معاوية بذلك فأحب أن يعظه في رفق فقال: يا بني ما أقدرك على أن تصل إلى حاجتك من غير تهتك يذهب بمروءتك وقدرك ويشمت بك عدوك ويسئ بك صديقك.. قلت: وهذا كما جاء في الحديث: من ابتلي بشئ من هذه

القاذورات فليستر بستر الله عز وجل). انتهى.

أقول: يريد ابن كثير أن يدافع عن إمامه يزيد بأنه كان يرتكب القاذورات في أول شبابه فقط ! لكن ماذا يصنع بالنصوص المتواترة بأن إمامه كان مدمناً لمنكراته وتهتكه ، وقد نص على بعضها الإمام الحسين عليه السلام وكذلك ابن عمر وابن أبي بكر وغيرهم في مناقشاتهم لمعاوية ! بل روى ثقاتهم أن يزيداً لم يستطع ترك الخمر يوماً واحداً في الحج ! وقصته مع الإمام الحسين عليه السلام مشهورة رواها في تاريخ دمشق: ٤٠٦/٦٥ وغيره وقد تقدمت في محاولة معاوية تلميع يزيد للخلافة ، وغرساله أميراً للحج !

وبسبب حبه ليزيد نسي ابن كثير هنا ما كتبه في المجلد السادس/٢٦٢، قال: (قلت: وكان سبب وقعة الحرة أن وفداً من أهل المدينة قدموا على يزيد بن معاوية بدمشق فأكرمهم وأحسن جائزتهم ، وأطلق لأمرهم وهو عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر قريباً من مائة ألف ، فلما رجعوا ذكروا لأهلهم عن يزيد ما كان يقع منه من القبائح في شربه الخمر ، وما يتبع ذلك من الفواحش التي من أكبرها ترك الصلاة عن وقتها بسبب السكر ! فأجتمعوا على خلعه ، فخلعوه عند المنبر النبوي) ! انتهى. فقد نص هو على استمرار يزيد خمره وقبائحه الى سنة الحرة وهي آخر سنة من عمره. وروى الطبري: ٤/٢١١ قول الشاعر أنه مات سكراناً:

أبني أمية إن آخر ملككم جسدٌ بخوَّارين ثم مُقيمٌ
طرقت منيته وعند سواده كوبٌ وزقٌّ راعفٌ مرثوم
ومُرثَةٌ تبكي على نشوانة بالصنح تقعد تارة وتقوم).

بل نقل البلاذري في أنساب الأشراف/١٢٧٧ شهادة جماعة من علماء السنة على أنه تبنى سياسة إشاعة هواياته السيئة في المسلمين ! قال: (حدثني العمري عن الهيثم

بن عدي عن ابن عياش ، وعوانة ، وعن هشام ابن الكلبي عن أبيه ، وأبي مخنف وغيرهما قالوا: كان يزيد بن معاوية أول من أظهر شرب الشراب والإستهتار بالغناء ، والصيد واتخاذ القيان والغلمان ، والتفكه بما يضحك منه المترفون من القروء والمعاقرة بالكلاب والديكة). انتهى.

وقال المسعودي في مروج الذهب: ٦٧/٣ ، وطبعة/٧١٧: (وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقروء وفهود ومنادمة على الشراب ، وجلس ذات يوم على شرابه وعن يمينه ابن زياد ، وذلك بعد قتل الحسين فأقبل على ساقيه فقال:

إسقتي شربة تُروِّي مشاشي ثم ملّ فاسق مثلها ابن زياد
صاحب السر والأمانة عندي ولتسديد مغنمي وجهادي

ثم أمر المغنين فغنوا به ! وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق ، وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهي وأظهر الناس شرب الشراب ! وكان له قرد يكنى بأبي قيس يُحضره مجلس منادمته ويطرح له متكأ ، وكان قرداً خبيثاً وكان يحمله على أتان وحشية قد رِيضت ودُلّت لذلك بسرج ولجام ، ويسابق بها الخيل يوم الحلبة فجاء في بعض الأيام سابقاً فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل ! وعلى أبي قيس قباء من الحرير الأحمر والأصفر مشمر ، وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشقائق ، وعلى الأتان سرج من الحرير الأحمر منقوش ملمع بأنواع من الألوان ! فقال في ذلك بعض شعراء الشام في ذلك اليوم:

تمسك أبا قيس بفضل عنانها فليس عليها إن سقطت ضمادُ
ألا من رأى القرد الذي سبقت به جيادُ أمير المؤمنين أتان).

٣- أهلك الأمة جَورُهُ ، وأهلكهُ فسقُهُ

قال ابن حجر في تعجيل المنفعة/٤٥١: (وكان منهمكاً في لذاته ، ومَقَّتَهُ أهل الفضل بسبب قتله الحسين رضي الله عنه ، ثم بسبب وقعة الحرَّة) .

وفي التنبيه والإشراف/٢٦٢: (وامتنع ابن الزبير من بيعة يزيد وكان يسميه السكَّير الخُمَّير ، وأخرج عامله عن مكة ، وكتب إلى أهل المدينة ينتقصه ويذكر فسوقه ويدعوهم إلى معاضدته على حربه وإخراج عامله عنهم) .

وقال ابن حبان في الثقات/٣١٤/٢: (وتوفي يزيد بن معاوية بخوَّارين قرية من قرى دمشق لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ، وهو يومئذ بن ثمان وثلاثين . وقد قيل إن يزيد بن معاوية سكر ليلة وقام يرقص فسقط على رأسه وتناثر دماغه فمات) . انتهى .

وخوَّارين بضم الحاء من قرى حلب وتسمى القريتين ، وأهلها كلهم نصارى . (معجم البلدان/٣٣٦/٤ ، والأربعين البلدانية/٣٣٦/٢) . وفي الأربعين البلدانية/٣١٦/٢ ، ومعجم البلدان/٣١٥/٢ ، من أبيات في ذم عمرو بن أبي معيط الأموي:

عليك بخوَّارين ناسبَ نبيطها فما لك في أهل الحجاز نسبُ) .

وقال البلاذري في أنساب الأشراف/١٢٧٧: (كان ليزيد بن معاوية قردٌ يجعله بين يديه ويكنيه أبا قيس ويقول هذا شيخ من بني إسرائيل أصاب خطيئة فمسخ ! وكان يسقيه النبيذ ويضحك مما يصنع... خرج يزيد يتصيد بخوَّارين وهو سكران فركب وبين يديه أتان وحشية قد حمل عليها قرداً وجعل يركض الأتان.... فسقط فاندقت عنقه) . وقال الذهبي محب الأمويين في سيره/٣٥/٤: (فكانت دولته أقل من أربع سنين ولم يمهلها الله على فعله بأهل المدينة لما خلعه ، فقام بعده

الفصل العاشر : معاوية يهوي.. ويسلمُ امبراطوريته الى غلام أهوج..... ٤٠٧

ولده نحواً من أربعين يوماً ومات... وكان (يزيد) ضخمًا كثير الشعر شديد الأدمة بوجهه أثر جدري... سكر يزيد فقام يرقص فسقط على رأسه فانشق وبدأ دماغه... قلت: كان قوياً شجاعاً ذا رأي وحزم وفطنة وفصاحة وله شعر جيد ، وكان ناصبياً فظاً غليظاً جلفاً يتناول المسكر ويفعل المنكر ! افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين واختتمها بواقعة الحرة فمقتة الناس ولم يبارك في عمره . وخرج عليه غير واحد بعد الحسين كأهل المدينة قاموا لله ، وكمرداس بن أدية الحنظلي البصري ونافع بن الأزرق وطواف بن معلى السدوسي وابن الزبير بمكة....
عن نوفل بن أبي الفرات قال: كنت عند عمر بن عبد العزيز فقال رجل: قال أمير المؤمنين يزيد ، فأمر به فضرب عشرين سوطاً) .



٤- عشق يزيد حوَّارين فجعلها عاصمته !

حوَّارين من هوايات يزيد ، رغم بعدها عن العاصمة والمراجعين من العراق والحجاز ومصر ! وكان يزيد فيها عندما مات أبوه فجاء الى دمشق بعد أسبوعين من دفنهما تقدم من تاريخ دمشق (والطبري: ٢٤٢/٤، وسير الذهبي: ١٦١/٣) وسرعان ما عاد من دمشق الى حوَّارين فنقل العاصمة اليها عملياً وأوكل العاصمة الى الضحاك يحكمها ويؤم فيها ، فكانت الوفود والقاصدون اليه يضطرون للذهاب الى حوَّارين ! وجاءه وفد المدينة الى حوَّارين وفيهم شخصيات الصحابة والتابعين: (فقدما على يزيد وهو بحوَّارين فنزلوا على الوليد بن عتبة فأقاموا عشرة أيام لم يصلوا إلى يزيد ! وانتقل يزيد من حوَّارين منتزهاً وشخصَ الوفد معه فأذن لهم يوم جمعة... واعتذر إليهم من تركه الإذن لهم عليهم وقال: لم أزل وجعاً من رجلي ، إن الذباب ليسقط عليها فيخيل إلي أن صخرة سقطت عليها... وأذن لهم في الإنصراف فرجعوا ذامين له مجمعين على خلعه). (تاريخ دمشق: ٢٥٨/٢٦).

وجاء وفد البصرة: (كنا مع المهلب حين وفد إلى يزيد بن معاوية فقدمت عليه وهو بحوَّارين قد خرج منتزهاً والناس في الفساطيط فغدا الناس وغدونا فوقنا ننظر الإذن فأبطأ فقال من قال من الناس: هو الآن يشرب). (تاريخ دمشق: ٢٨٢/٦١).

وجاء وفد الوليد بن روح (في جمع كثير فنزلوا بحوَّارين). (تاريخ دمشق: ٣٠٨/٥٧).

(وفدت مع أبي يزيد بن معاوية بحوَّارين). (تاريخ دمشق: ٣١٣/٤٦).

٥- لا قبر ليزيد في دمشق ولا حوارين ولا جثمان !

اتفقت رواياتهم على أنه هلك وهو سكران ، فقد كان يتفرج على فرد أركبه على حمارة وحشية ، أو عضته القردة ، أو كان يتصيد فوق عن فرسه واندقت عنقه ، أو كان يرقص وهو سكران فوق على صخر وانتثر دماغه..الخ. !
لكنك لاتجد خيراً عن جثته ولا قبره ، فهم يذكرون موته في حوارين ويسكتون ! ولا يذكرون كيف وقع عن فرسه والى أين نقلوه ، ومن غسل جثمانه وصلى عليه ودفنه ! الأمر الذي يقوي ما يتناقله الناس شفاهياً من أنه بعد أن وقع ، علقت رجله بالركاب وشرد به الفرس فتقطعت جثته ولم يبق منها أثر !
وقد زعم بعض محبيه أنه دفن في دمشق ، فروى ابن خياط في تاريخه/٢٥٥:
(وفيها مات يزيد بن معاوية بحوارين من بلاد حمص وصلى عليه ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية ليلة البدر في شهر ربيع الأول).

وفي أنساب الأشراف/١٣٢٤:(وقال الواقدي: دفن يزيد بدمشق في مقبرة الباب الصغير ومات بحوارين فحمل على أيدي الرجال إليها ، وفيها دفن أبوه معاوية) .
لكنها روايات لا تصح ، لأنها تزعم أن جثمانه وصل الى دمشق أو وصل ابنه الى حوارين في نفس يوم هلاكه مع أن بينهما نحو ٤٠٠ كلم ، ولو صح لوصفوا مسير نقل جثمانه والصلاة عليه ودفنه بروايات عديدة كما في معاوية !

فالصحيح ما نصت عليه روايات عديدة من أنه بقي في حوارين مدفوناً أو غير مدفون ! فمن أصدق الأخبار في ذلك رثائية صاحبه ونديمه الأخطل ! قال:
لعمري لقد دلى إلى اللحد خالدُ جنازة لا نكسُ الفؤاد ولا غمرُ

مقيمٌ بحوارين ليس يريمها سفته الغوادي من ثويٍّ ومن قبر
 وقال رجل من عنزة: يا أيها القبر بحوارينا ضمنت شر الناس أجمعينا).
 (مروج الذهب/٧٠٥ وأنساب الأشراف/١٣٢٥، وسمت النجوم:٢٠٩/٣، وطبعة ٩٤٥)
 وقال في العقد الفريد/١٠٨٥: (ودفن بحوارين خارجاً من المدينة). وهذا يؤكد
 أنه لا قبر له داخل حوارين ، بل ولا خارجها ! وإنما قالوه ليستروا عليه !
 وفي أنساب الأشراف/١٣٢٤: (قيل لأبي مسلم الخولاني يوم مات يزيد: ألا تصلي
 على يزيد؟ فقال: تصلي عليه ظباء حوارين ! وقال غيره: دفن بحوارين). انتهى.
 ومعناه أن المتدينين رفضوا حتى الصلاة عليه صلاة الغائب ! فقد اعتذر منهم
 الخولاني بأن يزيداً مات في برِّ حوارين في صيد الظباء ، فلا أصلي عليه !



الفصل الحادي عشر

لمحة عن جرائم يزيد الكبرى

كربلاء..ملحمة الهدى الإلهي مع الضلال البشري

(ملاحظة: بما أن منهجنا أن لانتوسع فيما كثرت فيه الكتابة ، لذا نكتفي بنقاط عن جرائم يزيد في كربلاء ، ثم في المدينة ، ثم في مكة).



عندما يسمع المسلم إسم يزيد ، يتبادر الى ذهنه أعظم جرائمه ، وهي إقدامه في كربلاء على قتل عتره النبي ﷺ وسيدهم سيد شباب أهل الجنة ﷺ .

فقد كان لفاجعة كربلاء وقع الصاعقة على جماهير المسلمين جميعاً ، لأنهم لم يتصوروا أن يُقدم بنو أمية على قتل ابن بنت النبي ﷺ وسفك دماء عترته صغاراً وكباراً لمجرد أنهم لم يبايعوا يزيداً ! خاصة وأن الأساليب الأموية التي نفذوا بها جريمتهم كانت سابقة في التاريخ ومخالفة لأعراف العرب !

لذلك كانت شهادة الإمام الحسين ﷺ الفجيعة هزةً لوجدان الأمة كلها ، وجريمة كبرى ، ومأساة ، وشهادة على الطاغوت ، وتجسيدا لقيم الإسلام ، وشعلة نبوية جديدة دخلت في ثقافة الأمة وضميرها .



وبسبب هذا التأثير الواسع لقضية كربلاء ، شكلت في عصرها سداً أمام تعاظم موجة بني أمية التي هي أخطر موجة على الأمة ، وفتحت في العصور التالية باباً جديداً للتحرك والنهضة والثورة على النظام الجائر ، كان مقفلاً أو يكاد منذ انهيار الأمة في عهد أمير المؤمنين وخلافة الإمام الحسن ﷺ !

فلولا ثورة الحسين ﷺ لأكمل بنو أمية مشروعهم في تخدير الأمة وتدريبها

على الذل والخضوع ، حتى تصل الى مرحلة العبودية الكافية لأن تحكمها
سلالات أموية كسلالات الفراعنة ، بل أشد سوءاً !

لقد أثبت الحسين عليه السلام للأمة أن كل ادعاءات الأمويين بالإسلام كاذبة ، فهم
حاضرون لأن يقتلوا أولاد نبيهم بل أن يقتلوا نفس نبيهم ﷺ إذا لم يخضع لهم !
وأثبت للأمة أن الأمويين لا يؤمنون بشئ من قيم العرب والعجم ، بل يمثلون
حضيض الانحطاط الذي قلما يصل اليه مخلوق بشري !

في المقابل رَسَمَ الحسين عليه السلام في عمق ذاكرة الأمة لوحات خالدة لمفاهيم
إسلامية ، كان من أبرزها التضحية بالنفس للعقيدة ، في مناقية إنسانية عالية .
كما صار عليه السلام أمثلة وقدوة للشعوب في نضالها من أجل حريتها وإنسانيتها .



وقد بلغ من قوة هزة كربلاء أنها وصلت الى البلاط الأموي ووجدان بعض
الأمرء الشباب الأمويين ! واستعرف أن الخليفة الجديد ابن يزيد أعلن تشيعه
وأراد أن يسلم الخلافة الى الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام ، فقتلوه !
وكان ثاني تأثيراتها أن الأمويين المروانيين الذين حكموا بعد يزيد اعتقدوا أن
زوال حكم آل أبي سفيان كان بسبب جريمة كربلاء ! روى البيهقي في المحاسن
والمساوي: ٣٩: (قال عبد الملك بن مروان للحجاج بن يوسف: جنبني دماء آل
أبي طالب، فأني رأيت بني حرب لما قتلوا الحسين نزع الله ملكهم). (ونحوه
أنساب الأشراف/ ١٧٩٤ ، والبصائر والذخائر/ ٥٤٦ ، ونثر الدرر/ ٣٨٥ ، واليعقوبي: ٣٠٤/٢ ، جواهر
المطلب: ٢٧٨/٢ والعقد الفريد/ ٩٦٦ و١٠٩٢ ، والإشراف لابن أبي الدنيا/ ٢٥٥ و٦٣) .

وفي مروج الذهب: ١٧٩/٣ ، وطبعة/ ٨١١: (فأني رأيت الملك استوحش من آل
حرب حين سفكوا دماءهم (بني عبد المطلب) ! فكان الحجاج يتجنبها خوفاً من

زوال الملك عنهم لآخوفاً من الخالق عز وجل) ! ورواه في العقد الفريد/١١٠٣ وقال: (فلم يتعرض الحجاج لأحد من الطالبين في أيامه). انتهى.

ولم ترو المصادر المتقدمة مناسبة هذا الكلام ، لكن غيرها كشف أنه كان جواباً على رسالة الحجاج الذي استأذنه في قتل الإمام زين العابدين عليه السلام لأنه خطر على ملكه ! ففي خاص الخاص للثعالبي/٦٦: (ووقع أيضاً إلى الحجاج وقد شكا إليه نفرأ من بني هاشم وحرّضه على قتلهم: جنبني دماء بني عبد المطلب..الخ). وفي الصراط المستقيم: ١٨٠/٢: (كتب الحجاج إلى عبد الملك: إن أردت أن يثبت ملكك فاقتل علي بن الحسين! فرد عليه: جنبني دماء بني هاشم وبعث بالكتاب إليه سرأ فجاء النبي ﷺ في النوم إلى علي بن الحسين عليه السلام وأعلمه فكتب إلى عبد الملك: إنه قد شكره الله لك وثبت به ملكك وزاد في عمرك ، فلما قرأه وجد تاريخ الكتاب واحداً) .

وفي الصواعق المحرقة: ٥٨٣/٢: (ثم كتب عبد الملك للحجاج أن يجتنب دماء بني عبد المطلب وأمره بكتّم ذلك ، فكوشف به زين العابدين فكتب إليه: إنك كتبت للحجاج يوم كذا سرأ في حقنا بني عبد المطلب بكذا وكذا ، وقد شكر الله لك ذلك وأرسل به إليه فلما وقف عليه وجد تاريخه موافقاً لتاريخ كتابه للحجاج ووجد مخرج الغلام موافقاً لمخرج رسوله للحجاج ! فعلم أن زين العابدين كوشف بأمره فسّر به وأرسل إليه مع غلامه بوقر راحلته دراهم وكسوة ، وسأله أن لا يخليه من صالح دعائه) .

وفي الخرائج والجرائح: ٢٥٦/١ ، بنحوه وفيه: (ففرح بذلك (عبد الملك) وبعث إليه بوقر دنانير وسأله أن يبسط إليه بجميع حوائجه وحوائج أهل بيته ومواليه . وكان في كتابه عليه السلام: إن رسول الله ﷺ أتاني في النوم فعرفني ما كتبت به إلى

الحجاج وما شكر الله لك من ذلك) ! انتهى.

وستعرف أن الذين كانوا على مذهب عبد الملك في هذه المسألة قلة من ملوك بني أمية وبني العباس وليس كلهم ، فالذي قتل الإمام عليه السلام هو ابنه الوليد !



إذا درسنا أول حركات النهضة والثورة على الظلم في الأمة ، نجد أنها وقعت بعد كربلاء ، وأن شعارها كان: (بالثارات الحسين عليه السلام) ! ومعناه أن أفكار كربلاء ومشاعرها انتشرت في بلاد الأمة بسرعة ، وظهرت في ثورة التوابين ثم في حركة المختار التي سيطرت على العراق نحو سنتين ، ثم في ثورة زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ، ثم في ثورة العباسيين ، وعشرات الثورات والحركات في أنحاء العالم الإسلامي . بل ما زلنا نرى الى عصرنا أن غالب الحركات والثورات الإسلامية وغير الإسلامية إن لم نقل كلها ، تحرص على تشبيه نفسها بنحو وآخر بالإمام الحسين عليه السلام وملحمة كربلاء ، وقيمها الإنسانية الخالدة .



حفيد قائد المشركين ينتقم من أنصار النبي ﷺ بموقعة الحرّة !

ينظر القرشيون الى الأنصار على أنهم بعد بني هاشم عدوهم الأول ، الذي قاتلهم في حروب النبي ﷺ وكان السبب في خسارتهم سبعين شخصية من أبطالهم وقادتهم في بدر ! فمعركة بدر ظل لها أسى ووقع خاص في نفوس القرشيين ! ولم يمح أثرها إسلامهم تحت السيف ! فهي عندهم كحائط المبكى عند بني يعقوب، غاية الأمر أن يبكى اليهود علني ومبكى قريش في الكوايس ! ثم زاد بغضهم للأنصار موقف زعيم الأنصار سعد بن عبادَة ضد السقيفة وخلافة أبي بكر وعمر ، وإصراره على موقفه حتى قتل في منفاه ! ثم جاء دور الأنصار في انتقاد عثمان وعدم الدفاع عنه ، حتى قتله الصحابة ! ثم دورهم المميز في حرب قريش مع علي عليه السلام في الجمل وصفين..الخ. وقد استعرضنا في المجلد الثاني حقد معاوية على الأنصار وجهره بذلك ، واستهزأه بقول النبي ﷺ لهم: (إنكم ستلقون بعدي أثرة) !

يظهر أن حركة الأنصار ضد يزيد ظهرت الى العلن بعد كربلاء مباشرة ، فأرسلوا وفداً من قادة الحركة بقيادة عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة ، ليعرفوا بيقين سلوك يزيد وهل يشرب الخمر ويرتكب المنكرات؟ (فقدّموا على يزيد وهو بخوّارين فنزلوا على الوليد بن عتبة فأقاموا عشرة أيام لم يصلوا إلى يزيد ! وانتقل يزيد من حوارين متزهاً وشخص الوفد معه فأذن لهم يوم الجمعة... واعتذر إليهم من تركه الإذن لهم عليه وقال: لم أزل وجعاً من رجلي إن الذباب ليسقط عليها فيخيل إلي أن صخرة سقطت عليها... وأذن لهم في الإنصراف فرجعوا ذامين له مجمعين على خلعه) ! (تاريخ دمشق: ٢٦/٢٥٨ ، والطبري: ٤/٣٨٠، مختصراً).

وفي الطبقات: ٦٦/٥: (أجمعوا على عبد الله بن حنظلة (غسيل الملائكة) فأسندوا أمرهم إليه فبايعهم على الموت وقال: يا قوم اتقوا الله وحده لا شريك له فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء ! إن رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات ، ويشرب الخمر ويدع الصلاة ، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاء حسناً ! فتوائب الناس يومئذ يبايعون من كل النواحي). (ونحوه تاريخ دمشق: ٤٢٩/٢٧ ، ونحوه في فتح الباري: ٦٠/١٣ ، وسير الذهبي: ٣٢٤/٣) .

○ ○

قال الحافظ محمد بن عقيل في النصائح الكافية/٦٠: (أخرج أحمد في مسنده والحاكم في المستدرک عن أبي بكر قال: قال رسول الله (ص): من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليه أحداً محاباةً فعليه لعنة الله ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم . وأخرج الحاكم في المستدرک عن ابن عباس عن النبي (ص): من استعمل رجلاً من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين . وأخرج البخاري في صحيحه عن معقل عن رسول الله (ص) قال: ما من والٍ يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاشٍ لهم إلا حزم الله عليه الجنة . فهل يبقى بعد سماع هذا الذي إيمانٌ يصدق بما جاء به من لا ينطق عن الهوى ، شكٌ في استحقاقه لعنة الله وأنه لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم ، وأنه خان الله ورسوله والمؤمنين وأنه مات غاشاً للأمة بيزيد؟ أم هناك تأويل يحاول به أنصاره رد الحديث الصحيح أو تضعيفه؟! اللهم غفرانك ! ...أكره المسلمين على البيعة ليزيد وأصرّ على ذلك إلى آخر نفس من أنفاسه ! كيف ووصاياه ليزيد وتعاليمه شاهدة عليه بإصراره وعدم مبالاته: نقل أبو جعفر الطبري في تاريخه وابن الأثير في الكامل والبيهقي في المحاسن والمساوي وغيرهم أن معاوية قال: ليزيد إن لك من أهل المدينة يوماً فإن فعلوا فارمهم

بمسلم بن عقبة (هو الذي سمي مسرفاً ومجرماً) فإنه رجل قد عرفت نصيحته . عرف معاوية أن مسلماً لا دين له فأمر يزيد أن يرمي به أهل المدينة وقد فعل يزيد ما أمره به أبوه ، وفعل مسلم بأهل المدينة ما أريد منه حيث قال له يزيد: يا مسلم لاتردنَّ أهل الشام عن شئ يريدون بعدوهم ! فسار بجيوشه من أهل الشام فأخاف المدينة واستباحها ثلاثة أيام بكل قبيح وافتضت فيها نحو ثلاثمائة بكر ، وولدت فيها أكثر من ألف امرأة من غير زوج ! وسماها ننتة وقد سماها رسول الله(ص)طيبة ، وقتل فيها من قريش والأنصار والصحابة وأبنائهم نحو من ألف وسبعمائة وقتل أكثر من أربعة آلاف من سائر الناس ، وباع المسلمين على أنهم عبيد ليزيد ومن أبى ذلك أمة مسلم على السيف.. إلى غير ذلك من المنكرات ! قال المحدث الفقيه ابن قتيبة في كتاب الإمامة والسياسة والبيهقي في المحاسن والمساوئ واللفظ للأول: قال أبو معشر: دخل رجل من أهل الشام على امرأة نفساء من نساء الأنصار ومعها صبي لها فقال لها: هل من مال؟ قالت: لا والله ما تركوا لي شيئاً ! فقال: والله لتخرجن إلي شيئاً أو لأقتلنك صبيك هذا ! فقالت له: ويحك إنه ولد أبي كبشة الأنصاري صاحب رسول الله(ص)ولقد بايعت رسول الله معه يوم بيعة الشجرة على أن لا أسرق ولا أزنّي ولا أقتل ولدي ولا آتي بهتان أفتره فما أتيت شيئاً فاتق الله ! ثم قالت: لا ، يا بني ! والله لو كان عندي شئ لأفتديك به ! قال: فأخذ برجل الصبي والثدي في فمه فجذبه من حجرها فضرب به الحائط فانتثر دماغه في الأرض ! قال: فلم يخرج من البيت حتى اسودَّ نصف وجهه وصار مثلاً ، وأمثال هذه من أهل الشام ومن مسلم نفسه كثيرة ! فمسلم في هذا كله منفذ لأمر يزيد ، ويزيد منفذ لأمر معاوية ، فكل هذه الدماء وكل هذه المنكرات الموبقات ودم الحسين ومن معه في عتق

معاوية أولاً ، ثم في عنق يزيد ثانياً ، ثم في عنق مسلم وابن زياد ثالثاً .
 أبعد هذا يتصور أن يقال لعله تاب ورجع ! كلا والله ولقد صدق من قال: أبقى
 لنا معاوية في كل عصر فئة باغية فهاهم أشياعه وأنصاره إلى يومنا هذا يقلبون
 الحقائق ويلبسون الحق بالباطل ! وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً! انتهى.
 وشهد ابن حجر أن معاوية أمر يزيداً باستباحة المدينة ! قال في فتح الباري: ٦٠/١٣:
 (وأخرج أبو بكر بن أبي خيثمة بسند صحيح إلى جوهرية بن أسماء سمعت
 أشياخ أهل المدينة يتحدثون أن معاوية لما احتضر دعا يزيد فقال له: إن لك من
 أهل المدينة يوماً فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فأني عرفت نصيحتة) !

هذا وقد أورد قصة الرضيع الذي ضرب الجندي رأسه بالحائط فقتله: (البيهقي
 في المحاسن/ ٤٩ ، والروض الأنف: ٤٠٩/٣ ، والسيرة الحلبية: ٢٦٨/١ ، وسمت النجوم/ ٩٤٠ ، والإمامة
 والسياسة: ١٨٤/١ ، والنصائح الكافية لمن يتولى معاوية/ ٦٢).

○ ○

وفي تاريخ يعقوبي: ٢٥٠/٢: (فأوقع بأهلها وقعة الحرة ، فقاتله أهل المدينة قتالاً
 شديداً وخندقوا على المدينة فرام ناحية من نواحي الخندق فتعذر ذلك عليه ،
 فخدع مروان بعضهم فدخل ومعه مائة فارس فأتبعته الخيل حتى دخلت المدينة
 فلم يبق بها كثير أحد إلا قتل ! وأباح حرم رسول الله(ص) حتى ولدت الأ Bakar لا
 يعرف من أولدهن ! ثم أخذ الناس على أن يبايعوا على أنهم عبيد يزيد بن
 معاوية فكان الرجل من قريش يؤتى به فيقال: بايع على أنك عبدٌ قُرَ ليزيد ،
 فيقول: لا ! فيضرب عنقه) .

وفي السيرة الحلبية: ٢٦٨/١: (وجالت الخيل في مسجد رسول الله(ص) وراثت
 بين القبر الشريف والمنبر ! واختفت أهل المدينة حتى دخلت الكلاب المسجد
 وبالت على منبره ! ولم يرض أمير ذلك الجيش من أهل المدينة إلا بأن يبايعوه

ليزيد على أنهم خولٌ أي عبيدٌ له إن شاء باع وإن شاء أعتق ! حتى قال له بعض أهل المدينة البيعة على كتاب الله وسنة رسوله فضرب عنقه) !

وفي فيض القدير للمناوي: ٥٨/١: (فقتل من فيها من بقايا المهاجرين والأنصار وخيار التابعين وهم ألف وسبعمائة ، ومن الأخلاط عشرة آلاف ! قال السهمودي: قال القرطبي: وجالت الخيل في المسجد النبوي وبالت وراثت بين القبر والمنبر، وخَلَّتْ المدينة من أهلها وبقيت ثمارها للعوافي) !

وفي الإمامة وأهل البيت ﷺ لليومي: ٤٠٥/١: (ويقول ابن حزم: وجالت الخيل في مسجد رسول الله (ص) وبالت وراثت بين القبر والمنبر) !

وفي شرح منهاج الكرامة: ٥٦٧/١: (وقتل جمع من وجوه الناس فيها من قريش والأنصار والمهاجرين بما بلغ عددهم سبعمائة . قتل من لم يعرف من عبد أو حر أو امرأة عشرة آلاف ! وخاض الناس في الدماء حتى وصلت الدماء إلى قبر رسول الله ﷺ وامتألت الروضة والمسجد).

○ ○

وفي سير الذهبي: ٣٢٤/٣: (قال أبو هارون العبيدي: رأيت أبا سعيد الخدري مُمَعَّطَ اللحية ! فقال: هذا ما لقيت من ظَلَمَة أهل الشام ! أخذوا ما في البيت ثم دخلت طائفة فلم يجدوا شيئاً ، فأسفوا وأضجعوني فجعل كل واحد منهم يأخذ من لحيتي خصلة ! قال خليفة: أصيب من قريش والأنصار يومئذ ثلاث مئة وستة رجال ثم سماهم . وعن أبي جعفر الباقر قال: ما خرج فيها أحد من بني عبد المطلب لمزموا بيوتهم ، وسأل مسرف عن أبي فجاءه ومعه ابنا محمد بن الحنفية فرحب بأبي وأوسع له وقال: إن أمير المؤمنين أوصاني بك). انتهى.

وفي الطبقات: ٢١٥/٥ أن الإمام الباقر ﷺ سئل: (هل خرج فيها أحد من أهل بيتك؟ فقال ما خرج فيها أحد من آل أبي طالب ولا خرج فيها أحد من بني عبد

المطلب لزموا بيوتهم ، فلما قدم مسرف وقتل الناس وسار إلى العقيق سأل عن أبي علي بن حسين أحاضر هو؟ ف قيل له: نعم ، فقال: ما لي لا أراه ، فبلغ أبي ذلك فجاءه ومعه أبو هاشم عبد الله والحسن ابنا محمد بن علي بن الحنفية ، فلما رأى أبي رحب به وأوسع له على سريره ثم قال له: كيف كنت بعدي؟ قال: إني أحمد الله إليك ، فقال مسرف: إن أمير المؤمنين أوصاني بك خيراً فقال أبي: وصل الله أمير المؤمنين ، قال: ثم سألتني عن أبي هاشم والحسن ابني محمد فقلت: هما ابنا عمي فرحب بهما ، وانصرفوا من عنده). انتهى.

○ ○

وكان عدد مقاتلي أهل المدينة ألفين (الإمامة والسياسة: ٢٤٣/١) ، وعدد جيش يزيد: (خمسة آلاف رجل: من فلسطين ألف رجل عليهم روح بن زنباع الجذامي ومن الأردن ألف رجل عليهم حبش بن دلجة القيني ، ومن دمشق ألف رجل عليهم عبد الله بن مسعدة الفزاري ، ومن أهل حمص ألف رجل عليهم الحصين بن نمير السكوني ، ومن قنسرين ألف رجل عليهم زفر بن الحارث الكلابي). (تاريخ اليعقوبي: ٢٥٠/٢) . (وكانت وقعة الحرة في ذي الحجة من سنة ٦٣ يوم الأربعاء لليلتين بقيتا منه). (تاريخ الطبري: ٣٧٤/٤).

○ ○

في نهاية ابن كثير: ٢٤٢/٨: (قال المدائني عن شيخ من أهل المدينة . قال: سألت الزهري كم كان القتلى يوم الحرة؟ قال: سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ، ووجوه الموالى وممن لا أعرف من حر وعبد وغيرهم عشرة آلاف . قال: وكانت الوقعة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين ، وانتهبوا المدينة ثلاث أيام . قال الواقدي وأبو معشر: كانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين) .

وفي هامشه: (في مروج الذهب: ٨٥/٣: قتل من آل أبي طالب اثنان ومن بني هاشم ثلاثة وبضع وتسعون رجلاً من سائر قريش ، ومثلهم من الأنصار ، وأربعة آلاف من سائر الناس ، دون من لم يعرف ! وقال ابن الأعمش: ٢٩٥/٥: قتل من أولاد المهاجرين ألف وثلاثمائة ، وقاتل من أبناء الأنصار ألف وسبعمائة ، ومن العبيد والموالي وسائر الناس ثلاثة آلاف وخمسمائة . وفي الإمامة والسياسة: ٢١٦/١: قتل من أصحاب النبي ثمانون رجلاً ، ومن قريش والأنصار سبع مئة ، ومن سائر الناس من الموالي والعرب والتابعين عشرة آلاف. وفي: ١٨٤/١: عشرة آلاف ، سوى النساء والصبيان) !

○ ○

وروت المصادر أن يزيداً عندما قدموا له رأس الحسين عليه السلام أخذ ينكت ثغره بالقضيب وتمثل بأبيات ابن الزبيرى ، وكذلك عندما وصله استباحته جيشه للمدينة النبوية ! وهي أبيات يفتخر بها المشركون بانتصارهم على النبي ﷺ في أحد وأنهم أخذوا ثأرهم منه في بدر ، وقد نفى محبو يزيد البيت قبل الأخير:

ليت أشياخي بيدر شهدوا جزع الخرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من أشياخهم وعدلناه بيدر فاعتدل
لمبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم انتقم من بني أحمد ما كان فعل
(الصحيح من السيرة: ٨١/٥ ، وراجع سيرة ابن هشام: ٦٤٥/٣).

كما روى استشهاد يزيد بها وهو ينكت على فم الحسين عليه السلام: ابن الأعمش في الفتوح: ١٢٩ والنهية: ٢٢٢/٨ ، والبدء والتاريخ: ١٢/٦ ، والمنظوم: ٣٤٣/٥ ، وشذرات الذهب: ٦٩/١ ، والصواعق المحرقة: ٦٣٠/٢ ، والعقد الفريد: ١٠٩٥/٥ ، وأنساب الأشراف: ١٣١٠/٥ ، وغرر الخصائص: ٣٢٥ ، وسمت النجوم: ٩٢٢ ، وجواهر المطالب: ١٥/١ ، وبلغات النساء لابن طيفور: ٢١ . وأمالى الصدوق: ٢٣٠ ، وروضة الواعظين: ١٩١ ، ومقاتل الطالبين: ٨٠ ، والاحتجاج: ٣٤/٢ ، والخرائج: ٥٨٠/٢ ، ومناقب آل أبي طالب: ٢٦١/٣ ، وتفسير القمي: ٢/٨٦ ، والفصول المهمة: ١٢٩/١ ، وشرح نهج الحق للميلاني: ١٦٤/١. وروت عامة مصادرنا ، وابن

حمدون في تذكروته/١٣٧٨و٢١٤٢، والآبي في نثر الدرر/٥٣٥، ردّ السيدة زينب عليها السلام على يزيد وجاء فيه: (أقول: ليت أشياخي ببدر شهدوا غير متأثم ولا مستعظم ! وأنت تنكت ثنايا أبي عبد الله بمخضرتك؟ ولم لا تكون كذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة بإهراقك دماء ذرية محمد عليه السلام ونجوم الأرض من آل عبد المطلب)؟! كما روت المصادر استشهاد يزيد بها بعد وقعة الحرة: أنساب الأشراف: ٤٢/٥ والأخبار الطوال/٢٦٧، وشرح النهج: ١٥/١٧٨، والمسترشد/٥١٠، والنص والإجتهاد/٤٦٧، والغدير: ١٠/٣٥). واتفقت المصادر على أن المروانيين كانوا يحبون هذه الأبيات ويتغنون بها ! ففي تاريخ الطبري: ٦/٣٣٧ وتاريخ دمشق: ٥٢/٢٣٥، عن الفرزدق أن الوليد بن يزيد الخليفة كان مع ندمايه في مجلس خمر الصباح ، فأمر المغني أن يغني بشعر ابن الزبرعى فرفض فهدده بالقتل: (قال فغناه فقال: أحسنت والله إنه لعلى دين ابن الزبرعى يوم قال هذا الشعر) !!

وقال الحافظ ابن عقيل في النصائح الكافية/٦٤: (فأوقع بأهل الحرة الواقعة التي لم يكن في الإسلام أشنع منها ولا أفحش مما ارتكب من الصالحين فيها وشفى بذلك عند نفسه وغليلة وظن أن قد انتقم من أولياء الله وبلغ النوى لأعداء الله فقال مجاهراً بكفره ومظهراً الشرية: ليت أشياخي ببدر شهدوا....هذا هو المروق من الدين وقول من لا يرجع إلى الله ولا إلى دينه ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله ، ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله) .

وقال في النهاية: ٨/٢٤٥: (فهذا إن قاله يزيد بن معاوية فلعنة الله عليه ولعنة اللاعنين ، وإن لم يكن قاله فلعنة الله على من وضعه عليه ليشنع به عليه ! وسيدكر في ترجمة يزيد بن معاوية قريباً وما ذكر عنه وما قيل فيه وما كان يعانيه من الأفعال والقبائح والأقوال في السنة الآتية(سنة ٦٤)). وهذا أسلوب ابن كثير ومحبي بني أمية ، فعندما يُخرجون الأمر قضية فرضية ليشككوا في مخازي أئمتهم !

الملك عقيم.. ولامقدسات عند صاحبه حتى الكعبة !

تحصن ابن الزبير في المسجد الحرام والكعبة ، فأمر يزيد جيشه أن يحاصروهم ويضرب المسجد والكعبة بالمنجنيق وقنابل النفط ! فقصده جيشه المدينة أولاً واستباحها ، ثم قصد مكة فحاصر الكعبة وقام بضربها سنة ٦٤ ، وفي أثناء حصارها هلك يزيد فانسحب جيشه الذي كان يحاصر الكعبة ويضربها ، فهدم ابن الزبير ما بقي من الكعبة وجدد بناءها .

وفي سنة ٧٣ عاود عبد الملك بن مروان محاصرة ابن الزبير ، وضرب المسجد والكعبة بالمنجنيق فهدمها أو كاد ! وبعد قتل ابن الزبير أعاد عبد الملك بناءها ! وقد روت عامة مصادر الحديث والتاريخ ضرب الكعبة وهدمها وحرقتها: ابن ماجة: ٦٢٣/١ ، وفتح الباري: ٣/٣٥٤ ، و: ٨/٢٤٥ ، وتاريخ دمشق: ١٤/٣٨٥ ، وفيه: ورمى الكعبة بالمنجنيق فسترت بالخشب فاحترقت . وتعجل المنفعة/٤٥٣ ، وفيه: واستبيحت المدينة لجهلة أهل الشام ثم سارت الجيوش إلى مكة لقتال ابن الزبير فحاصروه بمكة وأحرقت الكعبة بعد أن رميت بالمنجنيق . وتهذيب التهذيب: ٢/١٨٥ و: ١٠/١٤١ ، ونبائع المودة: ٣/٣٥ ، وشرح منهاج الكرامة: ١/٥٦٧ ، والأربعين البلدان: ٢/٢٤٩ ، وشرح الزرقاني: ٣/١٥٨ ، وبغية الطلب: ٦/٢٨٢ ، والتحفة اللطيفة: ١/٢٦٦ ، وشذرات الذهب: ١/٧٢ ، والسيرة الحلبية: ١/٢٩٠ ، والصواعق المحرقة: ٢/٦٣٧ ، ومروج الذهب: ٧٢٠ ، ونهاية الإرب/٤٦٣٩ ، والآداب السلطانية/٨٥ ، وسمت النجوم/٩٤٦ .

وفي تاريخ اليعقوبي: ٢/٢٥١ : (وكان عبد الله بن عمير الليثي قاضي ابن الزبير إذا تواقف الفريقان قام على الكعبة فنادى بأعلى صوته: يا أهل الشام هذا حرم الله الذي كان مأمناً في الجاهلية يأمن فيه الطير والصيد فاتقوا الله يا أهل الشام ! فيصيح الشاميون: الطاعة الطاعة ! الكرة الكرة ! الرواح قبل المساء ! فلم يزل على

ذلك حتى أحرقت الكعبة فقال أصحاب ابن الزبير: نطفئ النار فمنعهم وأراد أن يغضب الناس للكعبة ! فقال بعض أهل الشام: إن الحرمه والطاعة اجتمعتا فغلبت الطاعة الحرمه ! وكان حريق الكعبة في سنة ٦٣ . انتهى.

ومعنى كلام قادة جيش يزيد أن الكعبة حرمه ، ودماء المسلمين بمن فيهم أهل البيت عليهم السلام حرمه ، وتنفيذ أوامر يزيد طاعة لولي الأمر ، والطاعة مقدمة شرعاً على الحرمه ! فهذا هو (فقه الإسلام) الذي ابتدعه لهم علماء البلاط الأموي ، ومعناه أنه تجب طاعة المخلوق حتى في معصية الخالق ، واستباحة المقدسات !

الفصل الثاني عشر

انهيار الدولة الأموية الأولى

هلاك يزيد وتزلزل الدولة الأموية

كان موت يزيد حدثاً مفاجئاً وهزّة قوية للنظام الأموي ، خاصة أن ولي عهده اتخذ في أول خلافته موقفاً غريباً ! فاختلف أركان النظام الأموي وانقسموا واقتتلوا ، وسارع عبدالله بن الزبير الى اغتنام الفرصة فأعلن نفسه خليفة وسيطر على الحجاز واليمن وفلسطين ، بل سقطت عاصمة الأمويين بيده لفترة لأن وزير معاوية وحاكم عاصمته بايعه ، واضطر الأمويون أن يهربوا منها الى تدمر ! وتحرك زعماء القبائل والحكام المحليون في البلاد ، وطرّدوا الحاكم الأموي ودعوا الى أنفسهم ، أو انضموا الى ابن الزبير .

كما تحرك الشيعة في العراق طلباً بثأر الإمام الحسين وعترته النبي ﷺ ، فقامت حركة التوابين بقيادة الصحابي سليمان بن صرد الخزاعي ، وبعدها بسنة حركة المختار الثقفي وإبراهيم بن مالك الأشتر ... ثم تواصل تأثير ثورة كربلاء في ضمير الأمة ، فصارت أنموذجاً للقيم ، وشعلة للتحرك ومناهضة الظلم . كما تحرك الخوارج في نجد وإيران وغيرهما فأوجدوا اضطرابات وشغلوا الحكام والزعماء المحليين .

ابن يزيد يكشف جرائم جده وأبيه ويعلن تشييعه !

قال ابن سعد في الطبقات: ٣٩/٥: (وقد كان عقد لابنه معاوية بن يزيد بالعهد بعده فبايع له الناس وأتته بيعة الآفاق ، إلا ما كان من بن الزبير وأهل مكة ، فولي ثلاثة أشهر ويقال أربعين ليلة ، ولم يزل في البيت لم يخرج إلى الناس وكان مريضاً!) فكان يأمر الضحّاك بن قيس الفهري يصلي بالناس بدمشق ، فلما ثقل معاوية بن يزيد قيل له: لو عهدت إلى رجل عهداً واستخلفت خليفة؟ فقال: والله ما نفعني

حيّاً فأثقلدها ميتاً... ولكن إذا متُ فليصل عليّ الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وليصل بالناس الضحّاك بن قيس حتى يختار الناس لأنفسهم ويقوم بالخلافة قائم فلما مات صلى عليه الوليد وقام بأمر الناس الضحّاك بن قيس ، فلما دفن معاوية بن يزيد قام مروان بن الحكم على قبره فقال أتدرون من دفنتم؟ قالوا: معاوية بن يزيد فقال: هذا أبو ليلى ! فقال أزنم الفرازي:

إني أرى فتناً تغلي مراجلها فالملك بعد أبي ليلى لمن غلبا

واختلف الناس بالشام فكان أول من خالف من أمراء الأجناد ودعا إلى ابن الزبير: النعمان بن بشير بجمص ، وزفر بن الحارث بقنسرين ، ثم دعا الضحّاك بن قيس بدمشق الناس سرّاً ، ثم دعا الناس إلىبيعة بن الزبير علانية فأجابه الناس إلى ذلك وبايعوه له). انتهى .

وقال يعقوبي في تاريخه: ٢٥٣/٢: (ثم ملك معاوية بن يزيد بن معاوية ، وأمه أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة ، أربعين يوماً وقيل بل أربعة أشهر ، وكان له مذهب جميل فخطب الناس فقال: أما بعد حمد الله والثناء عليه أيها الناس ، فإننا بلينا بكم ويليتم بنا ، فما نجعل كراحتكم لنا وطعنكم علينا ، ألا وإن جدي معاوية بن أبي سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه في القرابة برسول الله وأحق في الاسلام ، سابق المسلمين ، وأول المؤمنين ، وابن عم رسول رب العالمين ، وأبا بقية خاتم المرسلين ، فركب منه ما تعلمون وركبتم منه ما لا تنكرون ، حتى أتته منيته وصار رهناً بعمله . ثم قلد أبي وكان غير خليق للخير فركب هواه واستحسن خطأه وعظم رجاءه ، فأخلفه الأمل وقصر عنه الأجل ، فقلّت منعته ، وانقطعت مدته ، وصار في حفرته ، رهناً بذنبه وأسيراً بجرمه . ثم بكى وقال: إن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وقبح منقلبه ، وقد قتل عترة الرسول وأباح الحرمه وحرّق الكعبة ، وما أنا المتقلد أمورك ولا المتحمل تبعاتكم فشأنكم أمركم ، فوالله لئن كانت الدنيا مغنماً

لقد نلنا منها حظاً ، وإن تكن شراً فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها !
فقال له مروان بن الحكم: سُنّها فينا عُمرية ! قال: ما كنت أتقلدكم حياً وميتاً
ومتى صار يزيد بن معاوية مثل عمر ومن لي برجل مثل رجال عمر ! وتوفي وهو
ابن ثلاث وعشرين سنة وصلى عليه خالد بن يزيد بن معاوية ، وقيل بل عثمان
بن محمد بن أبي سفيان ، ودفن بدمشق وكان بها ينزل).

وقال ابن خياط في تاريخه/٢٥٥: (فأقر عمال أبيه ولم يولّ أحداً ، ولم يزل
مريضاً حتى مات... وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان).

وأورد في تاريخ دمشق: ٢١١/٦٣ روايات محاولة بني أمية أن يقبل الوليد الخلافة
بعد معاوية الثاني فلم يقبلها ، وأنه في أثناء الصلاة على جنازته وقع ميتاً !
وقال البلاذري في فتوحه: ٢٧٠/١: (فلما كبر الثانية(الوليد) طعن فسقط ميتاً قبل تمام
الصلاة فقدم عثمان بن عتبة بن أبي سفيان).

وقال في التنبيه والإشراف: ٢٦٥: (وإنما كُنِّيَ أبا ليلى تقريباً له لعجزه عن القيام
بالأمر ، وكانت العرب تفعل ذلك بالعاجز من الرجال.. يبيع في اليوم الذي هلك
فيه أبوه يزيد... وكان ربعة من الرجال نحيفاً يعتربه صفار).

وفي لسان العرب: ٦٠٩/١١: (وقال المدايني: يقال إن القرشي إذا كان ضعيفاً يقال
أبو ليلى ، وإنما ضعف معاوية لأن ولايته كانت ثلاثة أشهر. قال: وأما عثمان بن
عفان فيقال له أبو ليلى لأن له ابنة يقال لها ليلى). انتهى. ولم أجد ليلى في بنات
عثمان ! فلعلهم اخترعوا ليبعدوا عنه تهمة الضعف !

قتلهم الوحشي لأستاذه يكشف عن قتلهم له !

قال في البدء والتاريخ: ١٦/٦: (وكان قدرياً ، لأنه أشخص عمراً المقصوص
فعلمه ذلك فدان به وتحققه ، فلما بايعه الناس قال للمقصوص: ما ترى؟ قال: إما
أن تعتدل وإما أن تعتزل . فخطب معاوية فقال: إنا بلينا بكم وابتليتم بنا وإن جدي

معاوية نازع الأمر من كان أولى به وأحق فركب منه ما تعلمون حتى صار مرتهاً بعمله ثم تقلده أبي ولقد كان غير خليق به فركب ردعه واستحسن خطاه ، ولا أحب أن ألقى الله ببتعاتكم فشأنكم وأمركم ولوه من شتم ، فوالله لئن كانت الخلافة مغنماً لقد أصبنا منها حظاً وإن كانت شراً فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها ! ثم نزل وأغلق الباب في وجهه وتخلّى للعبادة حتى مات بالطاعون في سنة أربع وستين عن اثنتي وعشرين سنة... فوثب بنو أمية على عمرو المقصوص وقالوا أنت أفسدته وعلمته ! فظمروه ودفنوه حياً !!

تناقض الأمويين والرواة في أمر معاوية الثاني !

الصورة التي قدمها أكثر الرواة لمعاوية الثاني ، أنه ضعيف الشخصية زاهد في الحكم ، اختار الإنزواء والعبادة ، ومرض ومات ورفض أن يوصي الى أحد ! لكن ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ١٠/٢، قدّم صورة أخرى مختلفة تماماً ! قال: (فلما مات يزيد بن معاوية استخلف ابنه معاوية بن يزيد ، وهو يومئذ ابن ثمانين عشرة سنة فلبث والياً شهرين وليالي محجوباً لا يرى ، ثم خرج بعد ذلك فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إني نظرت بعدكم فيما صار إلي من أمركم وقلدته من ولايتكم فوجدت ذلك لا يسعني فيما بيني وبين ربي أن أتقدم على قوم فيهم من هو خير مني وأحقهم بذلك وأقوى على ما قلدته ، فاختاروا مني إحدى خصلتين: إما أن أخرج منها وأستخلف عليكم من أراه لكم رضاً ومقتعاً ، ولكم الله عليّ ألا ألوكم نصحاً في الدين والدنيا. وإما أن تختاروا لأنفسكم وتخرجوني منها . قال: فأنف الناس من قوله وأبوا من ذلك وخافت بنو أمية أن تزول الخلافة منهم فقالوا: ننظر في ذلك يا أمير المؤمنين ونستخير الله ، فأمهلنا . قال: لكم ذلك وعجلوا عليّ .

قال فلم يلبثوا بعدها إلا أياماً حتى طعن (مرض مرض الموت) فدخلوا عليه فقالوا له: إستخلف على الناس من تراه لهم رضاءاً . فقال لهم: عند الموت تريدون ذلك؟ لا والله لا أتزودها ! ما سعدت بحلاوتها فكيف أشقى بمرارتها ، ثم هلك رحمه الله ولم يستخلف أحداً) .

معاوية الثاني شتم مروان بن الحكم وطرده

من الأمور الملفتة ثقة معاوية الثاني بالوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وكان أكبر بني أمية سناً ، فقد أوصى أن يصلي على جنازته (كما تقدم ، وفي تاريخ دمشق: ٢٩٩/٥٩) . والأمر الأهم موقفه من مروان ، فقد ورد ذكر مروان في عدة أحداث تدل على دوره في تلك الأيام ، فعندما أعلن معاوية أنه يريد التخلص من الحكم طلب منه مروان أن يعين شورى أموية ليدخل فيها وواصل الإلحاح على طلبه فلم يقبل ورده بعنف ! قال في تاريخ دمشق: ٣٠٢/٥٩: (ومات معاوية بن يزيد في طاعون كان وقع في الشام!) وجهده به مروان أن يجعل لهم عهداً فأبى ! ولما توفي صلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان) . انتهى .

وتواصل إصرار مروان وإهانته للخليفة الجديد فشتمه وطرده ! قال البلاذري في أنساب الأشراف/ ١٣٢٨ ، بسند صحيح عندهم: (وحدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم قال: دخل مروان بن الحكم على معاوية بن يزيد فقال له: لقد أعطيت من نفسك ما يعطي الذليل المهين ثم رفع صوته فقال: من أراد أن ينظر في خالفة آل حرب بن أمية فلينظر إلى هذا ! فقال له معاوية: يا ابن الزرقاء ! أخرج عني لا قبل الله لك عذراً يوم تلقاه) . انتهى .

وهي حادثة تدل على نظرة معاوية الثاني السلبية الى مروان حيث دعا عليه أن يدخله الله النار بجرائمه ولا يقبل له عذراً ! وتدل على أنه يعتقد بما وصف به

النبي ﷺ وأهل البيت عليه السلام مروان بأنه ابن الزرقاء ، وهو طعن في نسبه !
فقد روى ابن حماد في الفتن: ١/١٢٩: (عن راشد بن سعد أن مروان بن الحكم
لما ولد دفع إلى رسول الله (ص) ليدعو له فأبى أن يفعل ثم قال: ابنُ الزرقاء !؟
هلاك عامة أمتي على يديه ويدي ذريته) !! وقد وصفه بذلك الإمامان
الحسان عليه السلام (تاريخ دمشق: ١٣/٢٩٢) والإمام زين العابدين عليه السلام (الكافي: ٦/١٩٦) والأحنف
بن قيس (الطبقات: ٧/٩٦ وتاريخ دمشق: ١/٣٦٠ والطبري: ٤/٢٥١) .

وهذا يشير الى أن ثقافة معاوية بن يزيد شيعية، فالزرقاء لقب لأُم مروان واسمها
أرنب أو أمية لُقِّبَتْ به لأنها كانت بغية ! ففي هامش البحار: ٤٩/٢٥٣: (قال سبط ابن
الجوزي في التذكرة: ١١٩: ذكر هشام بن محمد الكلبي عن محمد بن إسحاق قال:
بعث مروان بن الحكم وكان والياً على المدينة رسولاً إلى الحسن عليه السلام فقال له:
يقول لك مروان: أبوك الذي فرق الجماعة وقتل أمير المؤمنين عثمان وأباد
العلماء والزهاد-يعنى الخوارج- وأنت تفخر بغيرك ، فإذا قيل لك من أبوك
تقول خالي الفرس ! فلما سمعها الحسين عليه السلام قال للرسول: قل له يقول لك
الحسين بن علي بن فاطمة: يا ابن الزرقاء الداعية إلى نفسها بسوق ذي المجاز
صاحبة الراية بسوق عكاظ ، ويا ابن طريد رسول الله ولعينه ! إعرف من أنت
ومن أمك ومن أبوك؟ إلى أن قال: قال الأصمعي: أما قول الحسين يا ابن الداعية
إلى نفسها فذكر ابن إسحاق أن أم مروان اسمها أمية وكانت من البغايا في
الجاهلية وكان لها راية مثل راية البيطار تعرف بها ، وكانت تسمى أم حبتل
الزرقاء) . (ونحوه مناقب آل أبي طالب: ٣/١٨٤ ، وقال في المستقصى في أمثال العرب: ١/٢٠٢:
وهي إحدى أمهات مروان اسمها أرنب كانوا يُسَبِّونَ بها) .

وقد شهدت بذلك عائشة فشتمه به في نزاعها معه من أجل أخيها عبد الرحمن

٤٣٥ الفصل الثاني عشر : انهيار الدولة الأموية الأولى

(تاريخ دمشق: ٣٦/٣٥، والإشراف لابن أبي الدنيا: ٢١٩، والمنظوم: ٣٢٣/٥) .
والصحابي أبو سعيد الأنصاري (الطبراني الكبير: ٣٠٦/٢٢، ومسند الشاميين: ٣٢٥/٢) .
والضحاك في الآحاد والمثاني: ٣٩٤/١، و: ٢٤٧/٤) .

كما وصفهم به عمرو بن سعيد الأشدق الأموي عندما أراد عبد الملك أن يقتله
(تاريخ الطبري: ٥٩٩/٤، والنهاية: ٢٧٢/٦، والمنظوم: ٩١/٦، وابن الأثير: ٨٨/٤)

وكما حرف أتباع الأمويين لغنة النبي ﷺ لمروان وجعلوها فضيلة له ، كذلك
حرفوا وصمة النبي ﷺ له با ابن الزقاء فجعلوه مدحاً لأمه ! ففي الآحاد والمثاني:
٣٩٤/١: (وكانت تسمى الزرقاء من حسن عينيها) ! وهي محاولة زرقاوية مكشوفة !

○ ○

هذا الموقف من الخليفة الجديد ، ومطلبه أن يقبلوا بمن يعينه لهم خليفة ،
ورفضه أن يعين أحداً منهم ، يعني أنه قويٌّ جداً وصاحب مشروع جريٍّ ! وأن
خطته كانت أن يأخذ تعهداً من أركان الأسرة الحاكمة بقبول (شخص) يراه أكفاً
منه للخلافة ، ليعلن خلافته ويعزل نفسه ، وقد أبقي إسم ذلك الشخص سراً ، لأن
بني أمية لم يقبلوه لخوفهم أن يكون من غيرهم !

فمن هو ذلك (الشخص) ياترى؟! من المؤكد أنه لم يكن أموياً ، لأنهم حاولوا
معه كثيراً أن يستخلف شقيقه خالد فلم يقبل ! ولأنه بين في كلامه ومواقفه
شروطاً لهذا الخليفة الذي يريد إعلانه لهم، لانتطبق إلا الإمام زين العابدين عليه السلام .

هل قتلت أم معاوية بن يزيد أو توفيت !

قال في تاريخ دمشق: ٣٠٣/٥٩: (وسألت أمه بثدييها) أفسمت عليه بحلييها) أن يستخلف
أخاه خالد بن يزيد بن معاوية فأبى وقال: لأتحملها حياً وميتاً. انتهى.

ويقصد بأمه هنا أم خالد زوجة يزيد التي تزوجها بعده مروان وقتلته !
لكن ذلك لا يصح لأن أم خالد ليست أم أخيه معاوية بن يزيد بل هي خالته ،

فأمه هي أم هاشم بنت عتبة ، وردت تسميتها أم حبيب وأم عبدالله ، وروى ذلك في تاريخ دمشق: ٢٩٩/٥٩ ، قال: (وكد أبو هاشم بن عتبة: عبد الله وأم حبيب وأم خالد ، وكانت أم حبيب عند يزيد بن معاوية فولدت له معاوية وعبد الله ، ثم خلف على أختها أم خالد بنت أبي هاشم ، فولدت له خالد بن يزيد بن معاوية) . ومثله: ٧٠/ ٢٠٩ ، وقال قبله: (أم حبيب بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية العشمية زوج يزيد بن معاوية ولدت له معاوية وعبد الله بن يزيد . كتبت إلى النعمان بن بشير تسأله عن قصة زيد بن خارجة الأنصاري الذي تكلم بعد موته ، فكتب إليها بذلك ، وكانت تكنى أم عبد الله بابنها عبد الله) . وقال البلاذري في أنساب الأشراف/١٣٢٧: (وسمعت الوليد بن مسلم يقول: كانت أم معاوية بن يزيد وهي أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس امرأة برزة عاقلة ، فدعا يزيد يوماً بمعاوية بن يزيد وأمه حاضرة فأمره بأمر فلما ولي قالت له: لو وليت معاوية عهدك ، فقال: أفعل).

شباب في مستقبل العمر ضحى بأمبراطوريته وبدمه !

يتضح مما تقدم أن قصده بعدم تحمل الخلافة حياً وميتاً ، أنه ليس مستعداً لأن يغصبها أو يعطيها لغير أهلها ! وأنه ترك رئاسة أمبراطورية واسعة مدى العمر ، وعرض حياته لخطر محقق من أجل أن يوصل الخلافة الى صاحبها الشرعي ! وهذا غاية في البذل والتضحية والشجاعة !

ولهذا يترجح عندنا أنه كان شيعياً وأنه أراد أن يعطي الخلافة للإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام ، فهذا مقتضى مفردات عقيدته التي أعلنها في علي والعترة عليهم السلام والتي شهد بها له أستاذه الشهيد ، فهي لا تتفق إلا مع التشيع .

أما اتهامهم له بأنه قدرى فهي تهمة جاهزة لمن خالف السلطة ، ومعناها أنه

لا يقول بالجبرية والقدر الذي يقولون به ! وقد اتهموا بها كثيرين ، ومنهم شيعة مثل ابراهيم بن أبي يحيى الأسلمي أستاذ مالك بن أنس. (سير الذهبي: ٤٥٠/٨)

الدميري والدمشقي يرويان تشيع معاوية

ويتضح تشيعه من خطبته التي رواها الدميري في حياة الحيوان: ٩٨/١ ، وابن الدمشقي في جواهر المطالب: ٢٦١/٢ ، واللفظ للأول: (وذكر غير واحد أن معاوية بن يزيد لما خلع نفسه صعد المنبر فجلس طويلاً ، ثم حمد الله وأثنى عليه بأبلغ ما يكون من الحمد والثناء ، ثم ذكر النبي(ص) بأحسن ما يذكر به ، ثم قال: يا أيها الناس، ما أنا بالرغب في الإتيان عليكم لعظيم ما أكرهه منكم، وإني لأعلم أنكم تكرهوننا أيضاً لأننا بليتنا بكم وبليتم بنا ! ألا إن جدي معاوية قد نازع في هذا الأمر من كان أولى به منه ومن غيره لقربته من رسول الله وعظم فضله وسابقته ، أعظم المهاجرين قدراً وأشجعهم قلباً وأكثرهم علماً وأولهم إيماناً وأشرفهم منزلة وأقدمهم صحبة ابن عم رسول الله وصهره وأخوه ، وزوجه النبي ابنته فاطمة وجعله لها بعلأً باختياره لها وجعلها له زوجة باختيارها له أبو سبطيه سيدي شباب أهل الجنة وأفضل هذه الأمة ، تربية الرسول وابني فاطمة البتول من الشجرة الطيبة الطاهرة الزكية ، فركب جدي منه ما تعلمون وركبتم معه ما لا تجهلون، حتى انتظمت لجدي الأمور.

فلما جاءه القدر المحتوم واخترمت أيدي المنون بقي مرتهنأً بعمله فريداً في قبره ، ووجد ما قدمت يده ورأى ما ارتكبه واعتاده !

ثم انتقلت الخلافة إلى يزيد أبي فتقلد أمركم لهوى كان لأبيه فيه، ولقد كان أبي يزيد بسوء فعله وإسرافه على نفسه غير خليق بالخلافة على أمة محمد ، فركب هواه واستحسن خطاه ، واقتحم على ما أقدم من جرأته على الله ، وبغيه

على من استحل حرمة من أولاد رسول الله، فقلت مدته وانقطع أثره، وضاجع عمله وصار حليف حفرته رهين خطيئته، وبقيت أوزاره وتبعاته وحصل على ما قدّم، وندم حيث لا ينفعه الندم، وشغلنا الحزن له عن الحزن عليه، فليت شعري ماذا قال وماذا قيل له هل عوقب بإساءته وجوزي بعمله وذلك ظني ! ثم خنفته العبرة فبكي طويلاً وعلا نحيبه ثم قال: وصرت أنا ثالث القوم والساخط عليّ أكثر من الراضي، وما كنت لأتحمل آثامكم، ولا يراني الله جلت قدرته متقلداً أوزارك وألقاه بتبعاتكم، فشأنكم أمركم فخذوه، ومن رضيت به عليكم فولوه، فلقد خلعت بيعتي من أعناقكم . والسلام . فقال له مروان بن الحكم وكان تحت المنبر: أسنة عمرية يا أبا ليلى؟ فقال أغد عني ! أعن ديني تخدعني؟ فوالله ما ذقت حلاوة خلافتكم فأتجرع مرارتها ! إئتني برجال مثل رجال عمر، على أنه (ما) كان حين جعلها شورى وصرفها عمن لا يشك في عدالته ظلوماً . والله لئن كانت الخلافة مغنماً لقد نال أبي منها مغرمًا ومأثماً، ولئن كانت سوءً فحسبه منها ما أصابه . ثم نزل فدخل عليه أقاربه وأمه فوجدوه يبكي فقالت له أمه: ليتك كنت حيضة ولم أسمع بخبرك . فقال: وددت والله ذلك، ثم قال: ويلى إن لم يرحمني ربي . ثم إن بني أمية قالوا لمؤدبه عمر المقصوص: أنت علمته هذا ولقنته إياه وصددته عن الخلافة، وزينت له حب علي وأولاده، وحملته على ما وسّمنا به من الظلم، وحسّنت له الباع حتى نطق بما نطق وقال ما قال ! فقال: والله ما فعلته ولكنه مجبول ومطبوع على حب علي ! فلم يقبلوا منه ذلك وأخذوه ودفنوه حياً حتى مات) ! انتهى.

وفي جواهر المطالب: (ثم نزل فدخل الخضراء فقالت له أمه: ليتك كنت حيضة ! فقال: والله لوددت أن كنت ذلك ولم أعلم أن الله ناراً يعذب بها من عصاه، إن لم

يرحم الله أبي وجدي فويلٌ لهما . ثم إنه مات بعد أربعين يوماً فوثب بنو أمية على مؤدبه المعروف بعمر المقصوص وقالوا له: أنت علمته هذا ! فقال: لا والله وإنه لمطبوع عليه ، والله ما حلف قط إلا بمحمد وآل محمد ، وما رأيته أفرد محمداً منذ عرفته) ! (وبهامشه: من أول الخطبة إلى هاهنا رواه اليعقوبي بمغايرة طفيفة لفظية في حوادث سنة ٦٤ من تاريخه: ٢٤٠/٢. وذيل الكلام رواه أيضاً المسعودي في حوادث سنة ٦٤ من كتاب مروج الذهب: ٧٣٣ . ورواه في كتاب الأضواء ١١٦ عن كتاب حياة الحيوان: ٦١/٢. ورواه بأتم منهم ابن العبري في كتابه تاريخ مختصر الدول/ ١١١ ، ثم قال في ذيل القصة: فوثب بنو أمية على عمر المقصوص وقالوا أنت أفسدته وعلمته ! فطمروه ودفنوه حياً ! وانظر ترجمة عمر بن نعيم العنسي من النسخة الأردنية من تاريخ دمشق: ٣٦٥/١٣. ورواه موجزاً ابن حجر في كتاب الصواعق/ ١٣٤).

أقول: ولا يعارض الحكم بتشيعه المفاهيم التي تضمنتها روايتهم لكلامه ، فلا يُعتمد على ما رواه في هذه النقطة لأن مقصودهم التعقيم ، وكثير من روايتهم يستحلون الكذب لتغطية فضائل أهل البيت عليه السلام ومدح مخالفينهم ! وقد رأيت تفاوت روايتهم في رأيه في عمر بن الخطاب ، وقد وضعانا (ما) بين قوسين لأن المعنى يستقيم بدونها ولا يستقيم بها ، فالمظنون أنهم زادوها في الرواية .

أستاذة عالم شامي يروي عن أبي ذر رضي الله عنه

ترجمته مصادر الجرح والتعديل فهو عمر بن نعيم العنسي الملقب بالمقصوص معلم أولاد يزيد ، وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان ، وهو يروي عن أسامة النخعي عن أبي ذر ، ومعناه أن أستاذة أسامة بن سلمان النخعي تلميذ أبي ذر رضي الله عنه فقد قضى أبو ذر نحو عشرين سنة في بلاد الشام .

قال ابن حجر في تعجيل المنفعة/ ٣٠٤: (عمر بن نعيم العنسي شامي ، عن أسامة بن سلمان وعنه مكحول ، وثقة بن حبان وقال: عداة في أهل الشام ، وتبع في ذلك البخاري كابن أبي حاتم). (ونحوه في الإكمال لرجال أحمد/ ٣١٠).

وقال في تعجيل المنفعة/٢٧: (أسامة بن سلمان النخعي شامي روى عن أبي ذر وابن مسعود ، وعنه عمر بن نعيم العنسي وغيره ، ذكره ابن حبان في الثقات . قلت: لم يذكر البخاري ولا ابن أبي حاتم فيه جرحاً ولم يذكروا له راوياً غير عمر ، ولكن قال بن عساكر: قيل روى عنه مكحول أيضاً).

وفي تاريخ دمشق:٣٥١/٤٥: (عمر بن نعيم العنسي ويقال القرشي معلم بني يزيد بن معاوية من أهل دمشق ، روى عن معاوية وأسامة بن سلمان النخعي اللدشمقي ، روى عنه مكحول . أخبرتنا أم المجتبى بنت ناصر قالت: قرئ على إبراهيم بن منصور أنا أبو بكر بن المقرئ أنا أبو يعلى الموصلي نا علي بن الجعد أنا ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن عمر بن نعيم عن أسامة بن سلمان أن أبا ذر حدثه أن رسول الله(ص)قال إن الله عز وجل يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب قيل يا رسول الله وما الحجاب قال تموت النفس وهي مشركة . وقد أخرجت باقي طرق هذا الحديث في ترجمة أسامة بن سلمان...). وقد روى عنه: الزار:٤٤٤/٩ ، وأحمد:١٧٤/٥ ، والحاكم:٢٥٧/٤ ، وابن الجعد:٤٨٩ ، وابن حبان:٣٩٣/٢ ، والطبراني في مسند الشاميين:١٢٤/١ ، و:٣٦٨/٤ ، وابن عساكر:٨٩/٨ ، و:٣٥١/٤٥ ، وغيرهم . وترجم له: بخاري في الكبير:٢٠٢/٦ ، والرازي في الجرح والتعديل:٢٨٤/٢ ، وابن حبان في الثقات:١٧٩/٧ ، والخطيب في تاريخه:١١٧/٣ ، وابن حجر في تعجيل المنفعة/٢٧ ، والحسيني في الإكمال/٣١٠ ، وغيرهم) .

وختاماً ، إن معاوية الثاني يحتاج الى مزيد من البحث ، فهو ظاهرة بارزة وشاهدٌ من أهلها على فداحة ظلامه أهل البيت(عليه السلام)بيد قريش وأمية ، وشهادةً تحلى بطشهم بمن خالف هواهم ، حتى لو كان ابنهم وخليفتهم ! وتدل من جهة أخرى على أن طغيان بني أمية وخططهم الحديدية لم تمنع عقائد الإسلام وحب أهل البيت(عليه السلام)من النفوذ الى قصورهم وأولادهم !

الفصل الثالث عشر

المؤسس، الثاني، للدولة الأموية: مروان بن الحكم

انهيار الدولة السفينانية وقيام الدولة المروانية

كانت السنوات العشر ، ابتداء من هلاك يزيد سنة ٦٤ هجرية الى انتهاء حركة ابن الزبير سنة ٧٣ ، سنوات اضطراب سياسي واجتماعي وفكري .
ذلك أن شهادة الإمام الحسين عليه السلام والعتره النبوية في كربلاء كانت حدثاً ضخماً هزَّ وجدان الأمة الإسلامية ، وهزَّ نظام الحكم الأموي من أساسه ! وكان أول تداعياته في الأمة ثورة أهل المدينة بقيادة بقية الصحابة وكبار التابعين ، والتي قمعها يزيد ، واستباح المدينة بوحشية أشد من وحشية المغول .
ثم كانت أول تداعياته على النظام الأموي هلاك يزيد فجأةً وهو في أوج عمره وسلطته ، ثم مجئ ابنه الخليفة الجديد وإدانته لكل سياسة أبيه وجده وأسرته ، ومحاولته نقل الخلافة الى عتره النبي ﷺ ! الأمر الذي أدى الى تزلزل النظام الأموي في كافة البلاد حتى في عاصمته دمشق ! وتتابعت أحداثه حتى انتهت دولة آل أبي سفيان وسيطر مروان بن الحكم وأولاده على الحكم !



اعترفوا بأن مروان ملعونٌ ابن ملعونٍ وزعٌ ابن وزعٍ !

أجمعت روايات المسلمين على أن الحكم بن أبي العاص أبا مروان ، كان من أشد مشركي قريش عداوة لله ولرسوله ﷺ ! قال ابن سعد: ٢٠٠/١: (وكان أهل العداوة والمبادأة لرسول الله (ص) وأصحابه الذين يطلبون الخصومة والجدل: أبو جهل بن هشام ، وأبو لهب بن عبد المطلب ، والأسود بن عبد يغوث ، والحارث

بن قيس بن عدي وهو بن الغيطة والغيطة أمه ، والوليد بن المغيرة ، وأميه وأبيؑ
ابنا خلف ، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والنضر بن
الحارث ، ومنبه بن الحجاج ، وزهير بن أبي أمية ، والسائب بن صيفي بن عابد ،
والأسود بن عبد الأسد ، والعاص بن سعيد بن العاص ، والعاص بن هاشم وعقبة
بن أبي معيط ، وابن الاصدى الهذلي وهو الذي نطحته الأروى ، والحكم بن أبي
العاص ، وعدي بن الحمراء . وذلك أنهم كانوا جيرانه .

وكان أحد الخمسة عشر الذين انتدبتهم قبائل قريش لقتل النبي ﷺ ليلة هجرته ،
ففي المنتظم: ٤٩/٣: (وروى الواقدي عن أشياخه أن الذين كانوا ينتظرون رسول
الله تلك الليلة: أبو جهل ، والحكم بن أبي العاص ، وعقبة بن أبي معيط ، والنضر
بن الحارث ، وأميه بن خلف ، وابن العيطة ، وزمعة بن الأسود وطعيمة بن عدي
وأبو لهب ، وأبي بن خلف ونبيه وأبي ابنا الحجاج). وكان الحكم من القلة الذين
هدر النبي ﷺ دمهم فخيؤوا الحكم ولم يقتلوه (شرح الأخبار: ١٥١/٢).

وبعد فتح مكة جاء الى المدينة فواصل أذاه للنبي ﷺ وكان يسخر به ! (كان
الحكم بن أبي العاص يجلس عند النبي (ص) فإذا تكلم النبي اختلج بوجهه ،
فيصر به النبي فقال: أنت كذاك ! فما زال يختلج حتى مات). (الطبراني الكبير: ٢١٤/٣).
وفي لسان العرب: ٢٥٨/٢ ، ونهاية ابن الأثير: ٦٠/٢: (كان يحرك شففيه وذقنه
استهزاء وحكاية لفعل سيدنا رسول الله (ص) فبقي يرتعد إلى أن مات). (والحاكم
وصححه: ٦٢١/٢، وغيره . وفي الخرائج: ١٦٨/١: يحرك كنفه ويكسر يديه) .

وكان يجلس تحت نافذة بيت النبي ﷺ يتجسس عليه ، وذات مرة تسلق
وأطل من النافذة والنبي ﷺ مع إحدى زوجاته ، فأراد أن ينفق عينه بالمشقص

فهرب ! (غوامض الأسماء لابن بشكوال: ٥٨٧/٢ . وراجع في الغدير: ٢٦٠/١)

وعندما لم يرتدع الحكم دعا عليه النبي ﷺ ولعنه ونفاه مع أولاده الى (بطن وج) من بادية الطائف ! (البدء والتاريخ: ١٩٩/٥، وأنساب الأشراف: ١٤١٢) .

وقال في الإستيعاب: ٣٥٩/١: (واختلف في السبب الموجب لنفي رسول الله إياه فقليل كان يتحيل ويستخفي ويتسمع ما يُسرّه رسول الله إلى كبار الصحابه في مشركي قريش وسائر الكفار والمنافقين ، فكان يفشي ذلك عنه حتى ظهر ذلك عليه ، وكان يحكيه في مشيته وبعض حركاته إلى أمور غيرها كرهت ذكرها ! ذكروا أن رسول الله كان إذا مشى يتكفأ وكان الحكم بن العاص يحكيه فالتفت النبي يوماً فرآه يفعل ذلك فقال: فكذلك فلتكن ! فكان الحكم مختلجاً لم يرتعش إلا من يومئذ ، فعيرّه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، فقال في عبد الرحمن بن الحكم يهجوهُ:

إن اللعين أبوك فارم عظامه إن ترم ترم مُخلَجاً مجنوناً
يمسي خميصُ البطن من عمل التقى ويظل من عمل الخبيث بطينا).
وفي البيت الأخير تعريض بشذوذه الجنسي ، وستأتي روايته .

وفي وفيات الأعيان: ٢٢٦/٢: (كان يرعى الغنم ويأوي إلى حبيلة وهي الكرمه ولم يزل كذلك حتى ولي عثمان بن عفان الخلافة فردّه ، وكان الحكم عمه) .

وفي تاريخ اليعقوبي: ١٦٤/٢: (قال بعضهم: رأيت الحكم بن أبي العاص يوم قدم المدينة عليه فزّر خلق (نوب بال متهرئ) وهو يسوق تيساً ، حتى دخل دار عثمان والناس ينظرون إلى سوء حاله وحال من معه ، ثم خرج وعليه جبة خز وطيلسان). وذكر الأميني ﷺ في الغدير: ٢٤١/٨، الملايين التي أعطاهها له عثمان !



أما ابنه مروان فقد ولد في المدينة ، ولما ولد جاؤوا به الى النبي ﷺ ليدعوا له فلما قرّبه منه عائشة قال: (أخرجوا عني الوزغ ابن الوزغ... ولعنه) ! (الكافي: ٣٣٨/٨).

ورواه الحاكم: ٤/٤٧٩ وصححه، ولفظه: (فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال: هو الوزغ ابن الوزغ، الملعون ابن الملعون). (ورواه نعيم في الفتن: ١/١٣١، وسنده صحيح، والدمشقي في جواهر المطالب: ٢/١٩١، والمناوي في فيض القدير: ٢/٧٦، والسيرة الحلبية: ١/٥٠٩، وينايع المودة: ٢/٤٦٩، والنزاع والتخاصم لمعمر بن عقيل: ١٩٩، والملاحم والفتن لابن طاووس: ٨٣/٨٣ وخزانة الأدب: ٩٣٢، ونحوه في نهاية ابن كثير: ٦/٢٧٢ بلفظ: فأبى أن يفعل ثم قال: ابن الزرقاء! هلاك أمتي على يديه ويدي ذريته، وزعم أنه مرسل مع أنه مسند). انتهى.

وفي مستدرك الحاكم: ٤/٤٨٠: قال رسول الله ﷺ: (إني أريت في منامي كأن بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة! قال: فما رأيَ النبي ﷺ مستجعماً ضاحكاً حتى توفي! هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه... كان أبغض الأحياء (القبائل) إلى رسول الله بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه). انتهى.

(قال الشعبي: سمعت ابن الزبير يقول: ورب هذه الكعبة إن الحكم ابن أبي العاص وولده ملعونون على لسان محمد(ص) وقد كان للحكم عشرون ابناً وثمانية بنات). (سير الذهبي: ٢/١٠٨، وتاريخ دمشق: ٥٧/٢٧١، وسنده صحيح عندهم).

وقال في شرح النهج: ٤/٧٠: (كان مجاهراً بالإلحاد هو وأبوه الحكم بن أبي العاص وهما الطريدان اللعينان! كان أبوه عدو رسول الله ﷺ يحكيه في مشيه ويغمز عليه عينه ويدلع له لسانه ويتهكم به ويتهافت عليه (يقهقه رافعاً صوته سخريّة)! هذا وهو في قبضته وتحت يده وفي دار دعوته بالمدينة وهو يعلم أنه قادر على قتله أي وقت شاء من ليل أو نهار! فهل يكون هذا إلا من شأن شديد البغضة ومستحکم العداوة؟ حتى أفضى أمره إلى أن طرده رسول الله عن المدينة وسيره إلى الطائف! وأما مروان ابنه فأخبث عقيدة وأعظم إلحاداً وكفراً). انتهى.

وقد ذكرنا في المجلد الثاني معركة عائشة وأخيها عبد الرحمن مع مروان

الفصل الثالث عشر : المؤسس الثاني للدولة الأموية: مروان بن الحكم..... ٤٤٧

ومعاوية وشهادتها بأن النبي ﷺ لعن الحكم بن العاص وأولاده ، ووقد روى بخاري طرفاً منه في صحيحه : ٤٢/٦ ، والنسائي : ٤٥٩/٦ ، وعامة مصادرهم !
وكان مروان يلقب : (خيظُ باطل) لطول قامته واضطراب خلقه وفيه يقول الشاعر:
لحي الله قوماً أمَّروا خيظُ باطلٍ على الناس يعطي من يشاء ويمنع .
(البدء والتاريخ : ١٩/٦ ، وفي أسد الغابة : ٣٤٨/٤ . والقائل هو أخوه عبد الرحمن ، وكان ظريفاً).

لكن هل يقنعهم كل ذلك؟ كلا ثم كلا ! لأنهم أشربوا في قلوبهم بني أمية !
فالحكم عندهم صحابي ومروان صحابي ! لأن الصحابي من رأى رسول الله ﷺ
وقد رآه مروان عندما ولد وأخذوه له فلعنه وقال أخرجوا عني الوزغ بن الوزغ !
وإذا قلت لهم: يا قوم كيف تشهدون بأنهم أعداء رسول الله ﷺ ملعونون على
لسانه ، ثم تحبونهم وتتولونهم؟! لقالوا لك: لا تعترض وإلا جعلنا اللعن مكرمة
ومنتقة لهم! فانظر ما قاله ابن حجر في الصواعق: ٥٢٧/٢: (ومن أشد الناس بغضاً
لأهل البيت مروان بن الحكم ! وكأن هذا هو سر الحديث الذي صححه الحاكم
أن عبد الرحمن بن عوف قال: كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي فيدعو
له فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال: هذا الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن
الملعون . ثم روى عن عمرو بن مرة الجهني وكانت له صحبة أن الحكم ابن
أبي العاص استأذن على رسول الله فعرف صوته فقال: إنذنوا له عليه لعنة الله
وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم وقليل ما هم ! يُشْرَقُونَ في الدنيا
وَيُصَفَّرُونَ في الآخرة ذوا مكر وخديعة، يُعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة
من خلاق ! قال ابن ظفر: وكان الحكم هذا يرمى بالداء العضال وكذلك أبو
جهل (أي بالأبنة كما تقدم في شعر ابن حسان!) كذا ذكر ذلك كله الدميري في حياة
الحيوان . ولعنته للحكم وابنه لاتضرهما ! لأنه تدارك ذلك بقوله مما بينه في

الحديث الآخر: أنه بشرٌ يغضب كما يغضب البشر ! وأنه سأل ربه أن من سبه أو لعنه أو دعا عليه أن يكون ذلك رحمة له وزكاة وكفارة وطهارة ! وما نقله عن ابن ظفر في أبي جهل لا يلام عليه فيه ، بخلافه في الحكم فإنه صحابي وقبيح أي قبح أن يرمى صحابي بذلك ، فليحمل على أنه إن صح ذلك كان يرمى به قبل الإسلام). (راجع: حياة الحيوان / ١٠٠ و ١٢٣٤). وقال ابن حجر في مقدمة فتح الباري / ٤٤٣: (يقال له رؤية فإن ثبت فلا يُعَرَّجُ على من تكلم فيه) ! انتهى.

فتأمل منطقهم المتهافت السقيم ! فالمأبون الملعون على لسان رسول الله ﷺ لا يضره ذلك بل هو زكاة له ومنقبة !

وقد بحثنا تحايلهم على القرآن والسنة لرفع اللعن عن الذين لعنهم الله تعالى ورسوله ﷺ في تدوين القرآن ، وفي ألف سؤال وإشكال (المسألة ١٤٥) .

على أن بعضهم نص على أن مروان ليس صحابياً ، لأن الصحابي عندهم من رأى أو سمع النبي ﷺ ولم يصح ذلك لمروان. ففي الإstimاع: ٣/ ١٣٨٧: (ولم يره لأنه خرج إلى الطائف طفلاً لا يعقل) وفي المراسيل لابن أبي حاتم: ١٩٨: (سمعت أبا زرعة يقول مروان بن الحكم لم يسمع من النبي شيئاً).

مطروود النبي... يتسلم مقدرات خلافة النبي ﷺ!

كان مروان مع أبيه مطروداً من النبي ﷺ إلى بادية الطائف ! ورفض أبو بكر وعمر أن يلغيا قرار الطرد ، حتى صار عثمان خليفة فبادر إلى إلغائه وأتى بعمة الحكم وأعطاه ملايين من بيت المال فصار من الأثرياء ، وزوج ابنه مروان ابنته وجعله وزيره الخاص ، وأعطاه خاتم الخلافة !

ولا يتسع المجال لتعداد تصرفات مروان في بيت مال المسلمين ومناصب

الدولة ومقداراتها ، فقد كانت السبب في نقمة الصحابة على عثمان !
ونكتفي بالمرسوم الخلافي الذي أصدره مروان باسم عثمان الى الوالي الأموي
في مصر ، نقضاً للمرسوم الذي أصدره عثمان وسلمه الى الوفد المصري !
فقد شكى المصريون واليهام ابن أبي معيط الأموي ، وكتب له عثمان أكثر من
مرة ليصحح سياسته لكن المعيطي أصر على مخالفاته ولم يتراجع عنها ، فجاء
المصريون وفداً من سبع مئة شخص فيهم بعض الصحابة ، وساعدتهم في المدينة
عائشة وطلحة وعلي عليه السلام وطلبوا من عثمان تغيير الحاكم ، فوافق عثمان واتفق
معه على تعيين محمد بن أبي بكر رضي الله عنه والياً على مصر وكتب لهم المرسوم
واصطحبوا معهم الوالي الجديد ، لكنهم تفاجؤوا في الطريق بمبعوث سري من
دار الخلافة الى الوالي الأموي يأمره بقتلهم والبقاء في منصبه ، فرجعوا غاضبين !
روى في تاريخ دمشق: ٤١٥/٣٩: (محمد بن شهاب الزهري قال: قلت لسعيد بن
المسيب: هل أنت مخبري كيف كان قتل عثمان ما كان شأن الناس وشأنه ولم
خذله أصحاب محمد(ص)؟ فقال....فكان يجئ من أمرائه ما ينكره أصحاب
محمد(ص) وكان عثمان يُستعذب فيهم فلا يعزلهم . فلما كان في الست حجج
الأواخر استأثر بني عمه فولاهم وما أشرك معهم وأمرهم بتقوى الله ، ولّى عبد
الله بن أبي سرح مصر فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه
وقد كان قبل ذلك من عثمان هنأت إلى عبد الله بن مسعود وأبي ذر وعمار بن
ياسر فكانت بنو هذيل وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها لحال ابن مسعود ، وكانت
بنو غفار وأحلافها ومن عَصَبَ لأبي ذر في قلوبهم ما فيها ، وكانت بنو مخزوم
قد حنقت على عثمان لحال عمار بن ياسر ، وجاء أهل مصر يشكون ابن أبي
سرح فكتب إليه كتاباً يتهده فيه فأبى ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عنه عثمان

وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان من أهل مصر ممن كان أتى عثمان فقتله ! فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا المسجد وشكوا إلى أصحاب محمد (ص) في مواقيت الصلاة ماصنع ابن أبي سرح بهم ، فقام طلحة بن عبيد الله فكلّم عثمان بن عفان بكلام شديد ، وأرسلت عائشة إليه فقالت تقدم إليك أصحاب محمد(ص)وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت إلا واحدة ، فهذا قد قتل منهم رجلاً فأنصفهم من عاملك! ودخل عليه علي بن أبي طالب وكان متكلم القوم فقال إنما يسألكونك رجلاً مكان رجل وقد ادعوا قبله دماً فأعزله عنهم واقض بينهم ، فإن وجب عليه حق فأنصفهم منه .

فقال لهم: اختاروا رجلاً أوليه عليكم مكانه فأشار الناس عليه بمحمد بن أبي بكر فقال: إستعمل عليه محمد بن أبي بكر فكتب عهده وولاه وخرج معهم عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح ، فخرج محمد ومن معه فلما كان على مسيرة ثلاث من المدينة إذا هم بغلام أسود يخبط البعير خبطاً كأنه رجل يطلب أو يُطلب فقال له أصحاب محمد: ما قصتك وما شأنك هارب أو طالب؟ فقال لهم: أنا غلام أمير المؤمنين وجهني إلى عامل مصر فقال له رجل: هذا عامل مصر ! قال: ليس هذا أريد ! وأخبر بأمره محمد بن أبي بكر فبعث في طلبه رجلاً فأخذه فجئى به فقال: غلامٌ من أنت؟ فأقبل مرة يقول أنا غلام أمير المؤمنين ومرة يقول أنا غلام مروان حتى عرفه رجل أنه لعثمان ، فقال له محمد: إلى من أرسلت؟ قال إلى عامل مصر، قال: بماذا ؟ قال برسالة: قال: معك كتاب؟ قال: لا ، ففتشوه فلم يجدوا معه كتاباً وكانت معه إداوة قد ييست فيها شئ يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الإداوة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح ! فجمع محمد من كان عنده من المهاجرين والأنصار

وغيرهم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه: إذا أتاك فلان ومحمد وفلان فاحتل قتلهم وأبطل كتابه وقرّ على عملك حتى يأتيك رأيي ، واحبس من يجئ إليّ يتظلم منك ليأتيك رأيي في ذلك إن شاء الله !

فلما قرأوا الكتاب فزعوا ، وأزمعوا فرجعوا إلى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتيم نفر كانوا معه ودفع الكتاب إلى رجل منهم ، وقدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير وعلياً وسعداً ومن كان من أصحاب محمد (ص) ثم فضوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصة الغلام وأقرؤوهم الكتاب ، فلم يبق أحد من المدينة إلا حنق على عثمان ، وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وأبي ذر وعمار حنقاً وغيظاً ، وقام أصحاب محمد(ص) فلحقوا بمنازلهم ما منهم أحد إلا وهو مغتم لما قرأوا الكتاب ، وحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمد بن أبي بكر ببني تيم وغيرهم ، فلما رأى ذلك عليّ بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من أصحاب محمد(ص) كلهم بدري ، ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير فقال له علي: هذا الغلام غلامك؟ قال: نعم ، قال: والبعير بعيرك؟ قال: نعم ، قال: فأنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: لا ، وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمر به ولا علم به ! قال له علي: فالخاتم خاتمك؟ قال: نعم . قال: فكيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك لا تعلم به؟! فحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر قط ! وأما الخط فعرفوا أنه خط مروان وشكوا في أمر عثمان وسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى، وكان مروان عنده في الدار ! فخرج أصحاب محمد من عنده غضاباً وشكوا في أمره وعلموا أن عثمان لا يحلف بباطل إلا أن قوماً قالوا: لن يبرأ عثمان من قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نبخته ونعرف حال الكتاب وكيف يأمر بقتل رجال

من أصحاب محمد بغير حق ! فإن يكن عثمان كتبه عزلناه ، وإن يكن مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا مايكون منا في أمر مروان...من رواية طويلة! (رواها أيضاً السيوطي في تاريخ الخلفاء/١٢٣، والبلاذري في أنساب الأشراف/١٤٦٧، والعصامي في سمت النجوم العوالي/٧٣٠، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة:٤٢/١، وابن حجر في الصواعق المحرقة:١/٣٤٢، والحلي في السيرة الحلبية:٢٧١/٢، وناقش الشريف المرتضى في الشافي في الإمامة:٢٥٦/٤ محاولتهم تبرئة عثمان ومروان من وزرها) . وتوجد عدة روايات تدل على ضعف عثمان وإطلاقه يد مروان ، ثم دفاعه عنه حتى عندما يرتكب جريمة !

ومن نوادر الذهبي في الصديق والإنصاف ما قاله في سيره:٤٧٧/٣: (وكان كاتب ابن عمه عثمان وإليه الخاتم فخانه ، وأجلبوا بسببه على عثمان ثم نجا هو . وسار مع طلحة والزبير للطلب بدم عثمان فقتل طلحة يوم الجمل ، ونجا- لانجا- ثم ولي المدينة غير مرة لمعاوية). انتهى.

كان مروان مع عائشة في حرب الجمل

كان من أوائل الذين بايعوا علياً عليه السلام بعد عثمان ، ومن أول الناكثين المتحسين لحربه ، زاعمين الطلب بدم عثمان ، مع أنهم يعرفون براءته عليه السلام من دم عثمان ! واتفق الرواة على أن مروان قتل طلحة في حرب الجمل ، لأنه برأيه أول محرض على قتل عثمان ، ففي مجمع الزوائد:١٥٠/٩: (عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذ بسهم فوق في عين ركبته فما زال يسيح إلى أن مات . رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح). (ورواه في الطبقات: ٣٨/٥ ، والمستدرک:٣٧٠/٣ ، وغيرها) .

وبعد قتله لطلحة خنس مروان في أيام معركة الجمل وكان متسكعاً خلف عائشة ، فهو سياسي وليس مقاتلاً ! وفي اليوم السابع كان في أول المنهزمين:

(أخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكلماه فيه فخلّى سبيله ! فقالا له: يابيعك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أولم يبايعني بعد قتل عثمان؟! لا حاجة لي في بيعته! إنها كف يهودية لو بايعني بكفه لغدر بسبّته (بمقعه)! أما إن له امرأة كلعقة الكلب أنفه ، وهو أبو الأكبش الأربعة وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر). (نهج البلاغة: ١/١٢٣).

وفي كتاب الأم للشافعي: ٢٢٩/٤ أن مرواناً قال لعلي بن الحسين عليه السلام: (ما رأيت أحداً أكرم غلبةً من أهلك ! ما هو إلا أن ولّينا يوم الجمل فنادى مناديه: لا يُقتل مدبر ولا يُذفف على جريح). (ومجموع النووي: ٢٠٢/١٩، وسنن البيهقي: ١/٨٨).

وقالوا إن مروان يومئذٍ شم رائحة الخجل: (لما انهزم الناس يوم الجمل اجتمع معه طائفة من قريش فيهم مروان بن الحكم فقال بعضهم لبعض: والله لقد ظلمنا هذا الرجل ونكثنا بيعته من غير حدّث ! والله لقد ظهر علينا فما رأينا قطُّ أكرم سيرة منه ولا أحسن عفواً بعد رسول الله . تعالوا حتى ندخل عليه ونعتذر إليه فيما صنعناه ! قال: فصرنا إلى بابه فاستأذناه فأذن لنا ، فلما مثلنا بين يديه جعل متكلمنا يتكلم فقال عليه السلام: أنصتوا أكفكم ، إنما أنا بشر مثلكم فإن قلت حقاً فصدقوني وإن قلت باطلاً فردّوا عليّ ، أنشدكم الله أعلمون أن رسول الله ﷺ قبض وأنا أولى الناس به وبالناس من بعده؟ قلنا: اللهم نعم ، قال: فعدلت عني وبايعتم أبا بكر فأمسكت ولم أحب أن أشق عصا المسلمين وأفرق بين جماعاتهم . ثم إن أبا بكر جعلها لعمر من بعده فكففت ولم أهج الناس وقد علمت أنني كنت أولى الناس بالله وبرسوله ﷺ وبمقامه فصبرت حتى قتل وجعلني سادس ستة فكففت ولم أحب أن أفرق بين المسلمين . ثم بايعتم عثمان فطغيتم عليه وقتلتموه وأنا جالسٌ في بيتي وأتيموني وبايعتموني كما بايعتم أبا بكر وعمر

ووفيتم لهما ولم تفوا لي ! فما الذي منعكم من نكث بيعتهما ودعاكم إلى نكث بيعتي؟ فقلنا له: كن يا أمير المؤمنين كالعبد الصالح يوسف إذ قال: لا تُثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فقال: لا تثريب عليكم اليوم ، وإن فيكم رجلاً لو بايعني بيده لنكث بإسته ! يعني مروان بن الحكم). (الجمل للمفيد/ ٢٢٢، وشرح الأخبار: ٣٩٣/١، وأمالى الطوسي/ ٥٠٧) .

أقول: قوله ﷺ (إنما أنا بشر مثلكم) لا يتنافى مع إمامته وعصمته ، فهو كقول النبي ﷺ للكفار إنما أنا بشر مثلكم. كما يلاحظ أنه ﷺ قال لهم: لا تُثْرِبَ عَلَيْكُم ولم يكمل الآية ولم يقل لهم: الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ! لا غفر الله لهم .

وروى في الإحتجاج: ٤١٦/١، طرفاً من مناظرة الإمام الحسن ﷺ مع مروان والمغيرة والوليد بن عقبة في مجلس معاوية ، تدل على أن تكبير مروان وشره لم يتغير رغم ذلته في حرب الجمل ، فعندما دخل الإمام الحسن ﷺ بادروه بالفخر بأنفسهم والخط من بني هاشم: (وذكروا أشياء ساءت الحسن بن علي وبلغت منه فقال ﷺ: أنا شعبة من خير الشعب ، وآبائي أكرم العرب ، لنا الفخر والنسب والسماحة عند الحسب ، ونحن من خير شجرة أنبتت فروعاً نامية وأثماراً زاكية وأبداناً قائمة ، فيها أصل الإسلام وعلم النبوة ، فعلونا حين شمع بنا الفخر واستطلنا حين امتنع بنا العز ، ونحن بحور زاخرة لا تنزف وجبال شامخة لا تقهر ! فقال مروان بن الحكم: مدحت نفسك وشمخت بأنفك ، هيهات هيهات يا حسن نحن والله الملوك السادة والأعزة القادة ، لا تبجحن فليس لك عز مثل عزنا ولا فخر كفخرنا ، ثم أنشأ يقول:

شفينا أنفساً طابت وقوراً فنالت عزها فيمن يلينا

فأبنا بالغنيمة حيث أبنا وأبنا بالملوك مقرّينا

...فتكلم الحسن عليه السلام فقال: يا مروان أَجْبَنًا وَخَوْرًا وَضِعْفًا وَعِجْزًا ! زَعَمَ أَنِي مدحتُ نفسي وأنا ابن رسول الله ، وشمختُ بأنفي وأنا سيد شباب أهل الجنة ، وإنما يبذخ ويتكبر ويلك من يريد رفع نفسه ، ويتبجح من يريد الإستطالة ، فأما نحن فأهل بيت الرحمة ومعدن الكرامة وموضع الخيرة ، وكنز الإيمان ورمح الإسلام وسيف الدين . ألا تصمت ثكلتك أمك قبل أن أرميك بالهوائل وأسمك بميسم تستغني به عن اسمك ، فأما إياك بالنهاب والملوك ! أفي اليوم الذي ولت فيه مهزوماً ، وانجحرت مذعوراً فكانت غنيمتك هزيمتك ، وغدرك بطلحة حين غدرت به فقتلته ! قبحاً لك ما أغلظ جلدة وجهك ! فنكس مروان رأسه وبقي مغيرة مبهوتاً) .

ثم أجاب الإمام عليه السلام المغيرة بن شعبة شبيهاً بجوابه لمروان... فقال معاوية: إرجع يا مغيرة هؤلاء بنو عبد مناف لانقاومهم الصناديد ولا تفاخرهم المذاويد ! ثم أقسم على الحسن بالسكوت فسكت). انتهى.

أقول: وهكذا جعل معاوية بدهائه الفخر لبني عبد مناف ، الجدد المشترك لبني أمية وهاشم ، ليقول لهم بذلك إن الحسن عليه السلام منا نحن بني عبد مناف !

كما ينبغي الإلفات الى حقيقة عظيمة ذكرها الإمام الحسن عليه السلام وهي الغنى الخاص الذي يعطيه اختيار الله تعالى للنبي صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرين عليهم السلام ، فهو حالتهم النفسية وحديثهم عن أنفسهم يختلف عن الآخرين ! قال عليه السلام : (زَعَمَ أَنِي مدحتُ نفسي وأنا ابن رسول الله ، وشمختُ بأنفي وأنا سيد شباب أهل الجنة ، وإنما يبذخ ويتكبر ويلك من يريد رفع نفسه ويتبجح من يريد الإستطالة..الخ).

وقد أوضحت هذه الحقيقة رواية الصدوق في الخصال/٢١٥: (عن محمد بن أبي عمير قال: ما سمعت ولا استفدت من هشام بن الحكم في طول صحبتي له شيئاً

أحسن من هذا الكلام في عصمة الإمام ، فإني سألته يوماً عن الإمام أهو معصوم ؟ فقال: نعم ، فقلت: فما صفة العصمة فيه ؟ وبأي شيء يعرف ؟ فقال: إن جميع الذنوب أربعة أوجه لا خامس لها: الحرص والحسد والغضب والشهوة فهذه منفية عنه ! لا يجوز أن يكون حريصاً على هذه الدنيا وهي تحت خاتمته لأنه خازن المسلمين فعلى ماذا يحرص ، ولا يجوز أن يكون حسوداً لأن الإنسان إنما يحسد من فوقه وليس فوقه أحد فكيف يحسد من هو دونه؟!

ولا يجوز أن يغضب لشئ من أمور الدنيا إلا أن يكون غضبه لله عز وجل ، فإن الله عز وجل قد فرض عليه إقامة الحدود وأن لا تأخذه في الله لومة لائم ولا رافة في دينه حتى يقيم حدود الله عز وجل . ولا يجوز له أن يتبع الشهوات ويؤثر الدنيا على الآخرة لأن الله عز وجل حبب إليه الآخرة كما حبب إلينا الدنيا فهو ينظر إلى الآخرة كما ننظر إلى الدنيا ، فهل رأيت أحداً ترك وجهاً حسناً لوجه قبيح ، وطعاماً طيباً لطعام مر ، وثوباً لينا لثوب خشن ، ونعمة دائمة باقية لدنيا زائلة فانية) ؟! (وأما الصدوق/٧٣١، ومعاني الأخبار/١٣٣).

مطروود النبي ﷺ من المدينة طرده منها المسلمون ثانية

عندما ثار الصحابة وأهل المدينة على يزيد ، طردوا مروان وبني أمية ولم يقتلوهم وأخذوا عليهم (العهود والمواثيق أن لا يدلوا على عورة لهم ولا يظاهروا عليهم عدواً ، فلما لقيهم مسلم بن عقبة بوادي القرى قال مروان لابنه عبد الملك: أدخل عليه قبلي لعله يجتزئ بك مني فدخل عليه عبد الملك فقال له مسلم: هات ما عندك أخبرني خبر الناس وكيف ترى؟ فقال: نعم ثم أخبره بخبر أهل المدينة ودله على عوراتهم وكيف يؤتون ومن أين يدخل عليهم). (الطبقات: ٢٢٥/٥).

وقبل خروجه مطروداً طلب من ابن عمر أن يحمي له نسائه وأطفاله فرفض: (فأتى مروان عبد الله بن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن بلغني أنك تريد الخروج إلى مكة وتغيب عن هذا الأمر فأحب أن أوجه عيالي معك . فقال ابن عمر: إني لا أقدر على مصاحبة النساء ! قال: فتجعلهم في منزلك مع حرمك . قال: لا آمن أن يدخل على حريمي من أجل مكانكم . فكلّم مروان علي بن الحسين فقال: نعم ، فضمهم علي إليه وبعث بهم مع عياله قال: ثم ارتحل القوم من ذي خشب على أقبح إخراج) . (الإمامة والسياسة: ٢٢٩/١) .

ونكث مروان ورجع مع جيش يزيد لاستباحة المدينة !

قال ابن سعد في الطبقات: ٦٦/٥ ، واصفاً ثورة الصحابة في المدينة على يزيد: (فتوآب الناس يومئذ يبايعون من كل النواحي وما كان لعبد الله بن حنظلة تلك الليالي مبيت إلا المسجد ، وما كان يزيد على شربة من سويق يفطر عليها إلى مثلها من الغد يؤتى بها في المسجد يصوم الدهر، وما رئي رافعاً رأسه إلى السماء إخباتاً ، فلما دنا أهل الشام من وادي القرى صلى عبد الله بن حنظلة بالناس الظهر ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنما خرجتم غضباً لدينكم فأبلاؤا الله بلاء حسناً ، ليوجب لكم به مغفرته ويحل به عليكم رضوانه ، قد خبرني من نزل مع القوم السويداء وقد نزل القوم اليوم ذا خشب ومعهم مروان بن الحكم والله إن شاء الله محينه بنقضه العهد والميثاق عند منبر رسول الله(ص) فتصايح الناس وجعلوا ينالون من مروان ويقولون الوزغ بن الوزغ ، وجعل بن حنظلة يهدئهم ويقول إن الشتم ليس بشئ ، ولكن أصدقوهم اللقاء....

ثم وصف المعركة المجزرة وتجوّل مروان على القتلى فقال: فجعل مسرف(وهو مسلم قائد جيش يزيد سموه مسرفاً) يطوف على فرس له في القتلى ومعه مروان بن

الحكم ، فمر على عبد الله بن حنظلة وهو ماذٌ إصبغه السبابة فقال مروان: أما والله لئن نصبته ميتاً لطلالما نصبته حياً...! وقال في: ٧٠/٥ و ١٧١: (فقال مسرف: والله ما أرى هؤلاء إلا أهل الجنة ، لا يسمع هذا منك أهل الشام فتكرههم عن الطاعة ! قال مروان: إنهم بدلوا وغيروا).

كما وصف ابن سعد تحمس مروان لاستباحة مدينة النبي ﷺ ورجوعه مع جيش يزيد فقال في: ٣٨/٥: (فلما وثب أهل المدينة أيام الحرة أخرجوا عثمان بن محمد وبني أمية من المدينة فأجلوهم عنها إلى الشام وفيهم مروان بن الحكم ، وأخذوا عليهم الايمان ألا يرجعوا إليهم وإن قدروا أن يردوا هذا الجيش الذي قد وجه إليهم مع مسلم بن عقبة المري أن يفعلوا ، فلما استقبلوا مسلم بن عقبة سلموا عليه وجعل يسائلهم عن المدينة وأهلها فجعل مروان يخبره ويحرضه عليهم ، فقال له مسلم: ما ترون؟ تمضون إلى أمير المؤمنين أو ترجعون معي؟ فقالوا: بل نمضي إلى أمير المؤمنين ، وقال مروان من بينهم: أما أنا فأرجع معك فرجع معه مؤازراً له معيناً له على أمره حتى ظفر بأهل المدينة وقتلوا وانتهبت المدينة ثلاثاً . وكتب مسلم بن عقبة بذلك إلى يزيد ، وكتب يشكر مروان بن الحكم ويذكر معونته إياه ومناصحته وقيامه معه ، وقدم مروان على يزيد بن معاوية الشام فشكر ذلك له يزيد وقربه وأدانه).

وفي سنن البيهقي: ١٩٨/٥ ، أن مرواناً (خطب الناس فذكر مكة وأهلها وحرمتها فناده رافع بن خديج فقال: مالي أسمعك ذكرت مكة وأهلها وحرمتها ، ولم تذكر المدينة وأهلها وحرمتها وقد حرم رسول الله (ص) ما بين لابتيها وذلك عندنا في أديم حولاني إن شئت أقرأتك ! قال فسكت مروان ثم قال: قد سمعت بعض ذلك رواه مسلم في الصحيح عن القعني). انتهى.

أقول: لاقيمة عند مروان لحرمة مكة والمدينة ، فهو في جيش يزيد الذي استحلَّ حرمتها وقتل أبرارها واستباح أموالها وأعراضها ! وإنما ذكر حرمة مكة ليستغلها ضد ابن الزبير الذي تحصن فيها ، ويساعد جيش يزيد المتوجه إليها !

النظام الأموي على أكف عفاريت !

بعد هلاك يزيد دخلت الأمة في عشر سنوات من الفوضى والاضطراب والحروب: (لما مات يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد وثب أهل خراسان بعمالهم فأخرجوهم ، وغلب كل قوم على ناحية ، ووقعت الفتنة وغلب ابن خازم على خراسان ووقعت الحرب). (تاريخ الطبري: ٤/٤٢٠).

قال الزرقاني في شرحه: ٣٩١/٢: (وذكر أصحاب الأخبار أنه لما مات معاوية بن يزيد بن معاوية ولم يستخلف ، بقي الناس بلا خليفة شهرين وأياماً) .

(وكانت الفتنة من يوم مات معاوية بن يزيد إلى أن استقام الناس لعبد الملك تسع سنين وإحدى وعشرين ليلة). (تاريخ دمشق: ٢٨/٢٥١).

وقد وصل مروان الى الشام بعد هلاك يزيد ، والنظام الأموي يتأرجح على أكف عفاريت فكانت الفرصة التي ينتظرها الوزغ !

قال اليعقوبي: ٢/٢٥٥: (فخرج وأخرج عبد الملك وتعقب ابن الزبير الرأي فعلم أنه قد أخطأ (في نفيه من المدينة) فوجه يردهم فقاتوه . وقدم مروان وقد مات يزيد... وأمر الشام مضطرب). انتهى. وكانت خطة مروان أن يجبر ابن يزيد على جعل الخلافة في شوري من بني أمية ليدخل فيها ، فزجره ابن يزيد ، لأنه يريد موافقة الأمويين لإرجاع الخلافة الى عتره النبي ﷺ بشخص الإمام زين العابدين عليه السلام ! وقد انتقم مروان ورجال القصر من الخليفة الجديد فقتلوه ، وقتلوا صديقه

الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو يصلي على جنازته بوصيته ، ثم قتلوا أستاذه الذي علمه التشيع لعلي وأولاد علي عمر بن نعيم ، ودفنوه حياً .

ومع ذلك فقد أصيب مروان باليأس لأن الضحاك بن قيس الفهري حاكم دمشق اختار أن يدعو الى بيعة ابن الزبير ، فاستجاب له قسم من أهل الشام ، وعارضه مروان والأمويون ورؤساء قبائل الشام الذين لا يريدون أن تنتقل الخلافة من بلدهم الى الحجاز: (لما مات معاوية بن يزيد بايع أهل الشام كلهم ابن الزبير إلا أهل الأردن ، فلما رأى ذلك رؤوس بني أمية وناس من أهل الشام وأشرفهم فيهم رُوْح بن الزنباغ الجذامي قال بعضهم لبعض: إن الملك كان فينا أهل الشام فينتقل إلى الحجاز لانرضى بذلك). (مجمع الزوائد: ٢٥٧/٧ ، والطبراني الكبير: ٨٠/٥).

وقد أفاض الرواة في اختلاف أهل الشام وتأرجح قاداتهم بعد قتلهم لمعاوية بن يزيد عليه السلام وفصل ذلك الطبري: ٣٧٨/٣ ، وابن عساكر: ٢٤٤/٢٩٢ ، ومما قاله الأخير: (ثم خرج الضحاك ذات يوم فصلى بالناس صلاة الصبح ثم ذكر ابن معاوية فشتمه) بقصد خالد بن يزيد المرشح للخلافة من أخواله بني كلب وعمره سبع سنين) فقام إليه رجل من كلب فضربه بعضاً واقتل الناس بالسيف ! ودخل الضحاك دار الإمارة فلم يخرج واقترب الناس ثلاث فرق: فرقة زبيرية ، وفرقة بحدلية (نسبة لابن بحدل الكلبي) هواهم لبني حرب ، والباقون لايبالون لمن كان الأمر من بني أمية ، وأرادوا الوليد بن عتبة بن أبي سفيان على البيعة له فأبى وهلك تلك الليالي ! فأرسل الضحاك بن قيس إلى بني أمية فأثاه مروان بن الحكم وعمرو بن سعيد وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية فاعتذر إليهم ، وذكر حسن بلائهم عنده وأنه لم يرد شيئاً يكرهونه وقال: أكتبوا إلى حسان بن مالك بن بحدل حتى ينزل الجابية ثم نسير إليه فنستخلف رجلاً منكم ، فكتبوا إلى حسان فأقبل حتى نزل الجابية ، وخرج الضحاك بن قيس وبني أمية يريدون الجابية فلما استقلت الرايات متوجهة

قال معن بن ثور السلمي ومن معه من قيس: دعوتنا إلى بيعه رجل أحزم الناس رأياً وفضلاً وبأساً فلما أجنبناك خرجت إلى هذا الأعرابي من كلب تباع لابن أخته؟! قال فتقولون ماذا ؟ قالوا: نصرف الرايات وننزل فنظهر البيعة لابن الزبير ففعل وبايعه الناس) ! انتهى. وقد كانت لعبة من الضحك الفهري ضد قبائل الشام وبني أمية ، ليجمعهم ويجبرهم على بيعه ابن الزبير ! فقد وصف الطبري وابن عساكر انهيار مروان على أثرها ، ويأسه من أن يستطيع ابن بحدل وبني كلب مقاومة الموجة ، فتوجه الى مكة ليبيع ابن الزبير ويأخذ منه الأمان !

(وكتب الضحك إلى أمراء الأجناد ممن دعا إلى ابن الزبير فأثوه ، فلما رأى ذلك مروان خرج يريد ابن الزبير ليباع له ويأخذ منه أماناً لبني أمية ! وخرج معه عمرو بن سعيد فلما كانوا بأذرعات لقيهم عبيد الله بن زياد مقبلاً من العراق فأخبروه بما أرادوا فقال لمروان: سبحان الله أرضيت لنفسك بهذا؟! أتباع لأبي خبيب وأنت سيد قریش وشيخ بني عبد مناف والله لأنت أولى بها منه ! فقال له مروان: فما الرأي؟ قال الرأي أن ترجع وتدعو إلى نفسك وأنا أكفيك قریشاً ومواليها فلا يخالفك منهم أحد ، فرجع مروان وعمرو بن سعيد) ! انتهى

وذكر الطبري: ٢٧٨/٣، أن مروان رجع من حوران بنصيحة ابن زياد: (فسار وهو يقول: ما فات شيء بعد) !

وقال الذهبي في سيره: ٥٣٧/٣: (حسان بن مالك بن بحدل... الكلبي من أمراء معاوية يوم صفين وهو الذي شد من مروان بن الحكم وبايعه . قال الكلبي: سلموا بالخلافة على حسان أربعين ليلة ثم سلم الأمر إلى مروان) ! انتهى.

وذكر الطبري: ٢٨١/٣، فعالية حسان بن بحدل الكلبي في تحريك قبائل الشام الكلبيين والغساسنة ، وانه سيطر على الأردن وفلسطين ، ثم جاء الى الجابية ودعا الى بيعه نفسه ، ثم الى بيعه ابن أخته خالد بن يزيد ، قال: (وافوا حسان بالجابية فصرى بهم حسان أربعين يوماً والناس يتشاورون... وكان الناس بالجابية لهم أهواء

مختلفة ، فأما مالك بن هبيرة السكوني فكان يهوى هوى بني يزيد بن معاوية ويحب أن تكون الخلافة فيهم ، وأما الحصين بن نمير السكوني فكان يهوى أن تكون الخلافة لمروان بن الحكم فقال مالك بن هبيرة لحصين بن نمير: هلمّ فلنبايع لهذا الغلام الذي نحن ولدنا أباه وهو ابن أختنا ، فقد عرف منزلتنا التي كانت من أبيه فإنه يحملنا على رقاب العرب غداً ، يعني خالد بن يزيد . فقال الحصين: لا لعمر الله لا تأتينا العرب بشيخ ونأتيهم بصبي ! فقال مالك: هذا ولم تردي تهامة ولما يبلغ الحزام الطين ، فقالوا مهلاً يا أبا سليمان ! فقال له مالك: والله لئن استخلفت مروان وآل مروان ليحسدنك على سوطك وشارك نعلك وظل شجرة تستظل بها ! إن مروان أبو عشيرة وأخو عشيرة وعم عشيرة فإن بايعتموه كنتم عبيداً لهم ، ولكن عليكم بآبن أختكم خالد . فقال حصين: إني رأيت في المنام قنديلاً معلقاً من السماء وإن من يمد عنقه إلى الخلافة تناوله فلم ينله وتناوله مروان فناله والله لنستخلفنه ! فقال له مالك: ويحك يا حصين أتبايع لمروان

وآل مروان وأنت تعلم أنهم أهل بيت من قيس (أي أولاد حرام أبوهم من قيس عيلان وليسوا من بني أمية) ! وإنا نرى للناس أن يبايعوا الكبير ويستشبهوا الصغير يعني بالكبير مروان بن الحكم وبالصغير خالد بن يزيد بن معاوية ، قال: فأجمع رأي الناس على البيعة لمروان ثم لخالد بن يزيد من بعده ثم لعمر بن سعيد بن العاص من بعد خالد على أن إمارة دمشق لعمر بن سعيد بن العاص وإمارة حمص لخالد بن يزيد بن معاوية...). انتهى.

وقبل مروان كل الشروط وبايعه ابن بحدل الكلبيون بالخلافة ، وخاض بهم ومن معهم من اليمانيين معركة فاصلة مع الضحاك في مرج راهط قرب دمشق .

معركة مرج راهط بين وزراء البلاط الأموي !

من دهاء عبيد الله بن زياد أنه أرسل مرواناً ومن معه من أذرعاً الى تدمر ، وقصد هو الى دمشق وداهن الضحاك وأقنعه أن يعسكر خارج الشام !

قال الطبري: ٣/٣٧٨ ، وابن عساكر: ٢٤/٢٩٢: (فخرج الضحاك فنزل المرج ، وبقي عبيد الله بدمشق ومروان وبنو أمية بتدمر وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية بالجابية عند حسان بن مالك بن بحدل ، فكتب عبيد الله إلى مروان أن أدع الناس إلى بيعتك ثم سر إلى الضحاك فقد أصحر لك ! فدعا مروان بني أمية فبايعوه ، وتزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية وهي ابنة أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة ، واجتمع الناس على بيعه مروان فبايعوه . وخرج عبيد الله حتى نزل المرج وكتب إلى مروان فأقبل في خمسة آلاف وأقبل عباد بن زياد من حواريين في ألفين من مواليه وغيرهم من كلب ويزيد بن أبي التمش بدمشق قد أخرج عامل الضحاك منها وأمد مروان بسلاح ورجال . وكتب الضحاك بن قيس إلى أمراء الأجناد فقدم عليه زفر بن الحارث الكلابي من قنسرين وأمد النعمان بن بشير الأنصاري بشرجيل بن ذي الكلاع في أهل حمص ، فتوافوا عند الضحاك بالمرج فكان الضحاك في ثلاثين ألفاً ومروان في ثلاثة عشر ألفاً أكثرهم رجالة... فأقاموا بالمرج عشرين يوماً يلتقون في كل يوم فيقتلون وعلى ميمنة مروان عبيد الله بن زياد وعلى ميسرته عمرو بن سعيد . وعلى ميمنة الضحاك زياد بن عمرو العقيلي وعلى ميسرته بكر بن أبي بشر الهلالي.... ثم ذكر ابن عساكر تعليم ابن زياد مروان أن يحتال على الضحاك فيخبره أنه قرر أن يبايع ابن الزبير ، ففعل ذلك وترك جيشه من الاستنفار فباغتهم مروان وابن زياد (فأصبح الضحاك والقيسية فأمسكوا عن القتال وهم يطمعون أن مروان يبايع لابن الزبير وقد أعد مروان

أصحابه فلم يشعر الضحاك وأصحابه إلا بالخيال قد شدت عليهم ففزع الناس إلى راياتهم وقد غشوههم وهم على غير عدة فنادى الناس: يا أبا أنيس أعجزاً بعد كيّس؟ فقال الضحاك: نعم أنا أبو أنيس عجزٌ لعمرى بعد كيّس ! فاقتلوا ولزم الناس راياتهم وصبروا وصبر الضحاك... وقتلت قيس بمرج راهط مقتلة لم تقتله في موطن قط ! وكانت وقعة مرج راهط للنصف من ذي الحجة تمام سنة أربع وستين). قال الطبري: ٢٨١/٣: (وقاتل مروان الضحاك عشرين ليلة ، ثم هزم أهل المرج وقُتلوا وقتل الضحاك وقتل يومئذ من أشرف الناس من أهل الشام ممن كان مع الضحاك ثمانون رجلاً كلهم كان يأخذ القטיפه ، والذي كان يأخذ القטיפه يأخذ ألفين في العطاء...مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها قط من القبائل كلها). وبعد معركة مرج راهط تحرك أنصار بني كلب ومروان في حمص فهرب واليها النعمان بن بشير فلحقوا به وقتلوه ! وبذلك استطاع مروان بمساعدة المقادير ورئيس بني كلب وغسان أن ينقذ دولة بني أمية من سقوط محقق ، وينقل الخلافة من آل أبي سفيان الى أبنائه . ولكنه دفع حياته ثمناً لنقل ولاية العهد من أسرة معاوية الى أسرته ، كما يأتي .

إن هذه الحوارات والأحداث تكشف أموراً كثيرة :

منها: أن الخلافة عند هؤلاء رئاسة دنيوية محضة تتبع مصالح رؤساء القبائل وقادة الجيش ، لذلك لا ترى في مناقشاتهم أثراً للإسلام ومصالح المسلمين ! فتفكيرهم دنيوي عادي لا يحكمه دينٌ ولا بُعْدُ نظر ، إلا المصلحة الآنية والعصية الشامية التي تحركوا بها وغذتها إسرائيليات كعب ومعاوية في تفضيل أهل الشام على الأمة ، وأن خلافة الله في بلدهم ! وفي مقابلهم القيسية أو النزارية الذين تعصبوا لابن الزبير وقبائل الحجاز واليمن ، وكان منطقهم قليلاً مادياً أيضاً !

ومنها: أنك تعجب لهذه المقادير التي سمح لها الله عز وجل أن تعمل في مسار

الأمة والتاريخ ، فبعض الشخصيات والأحداث الصغيرة أو الكلمات ، كان لها دورٌ أساسٌ في تغيير مجرى الأحداث ! فلو لم يلتق مروان بابن زياد في حوران مثلاً لذهب الى مكة وبائع ابن الزبير وتمت الموجة العارمة لآل الزبيره ! ولكن الله غالبٌ على أمره ، وهو أرحم بالأمة من أن يسلط عليها ابن الزبير الذي هو أسوأ من بني أمية بمئات الأضعاف !

مروان يسيطر على مصر

قال البعقوبي في تاريخه: ٢٥٥/٢: (ثم خرج مروان يريد مصر ، فلما سار إلى فلسطين وجد ناتل بن قيس الجذامي متغلباً على البلد وأخرج روح بن زنباع فحاربه ، فلما لم يكن لناتل قوة على محاربة مروان هرب فلحق بابن الزبير . وسار مروان يريد مصر حتى دخلها فصالحه أهلها وأعطوه الطاعة ، وأخرج ابن جحدم الفهري عامل ابن الزبير وقيل اغتاله فقتله ، وقتل أكيدر بن حمام اللخمي واستعمل عليها ابنه عبد العزيز بن مروان وانصرف). انتهى.

وهكذا صار عدو الله وابن عدوه بسرعة (خليفة) رسول الله ﷺ ! لكن ذلك كان الخيار الأفضل ! فقد تدهور وضع الأمة الى حد صار أهل البيت ﷺ وشيعتهم يفضلون خلافة الملعون على خلافة الألعن !

مروان تحت المخدة

عندما تَشَفَّعَ الحسن والحسين عليهما السلام في مروان الأسير في معركة الجمل عفا عنه أمير المؤمنين عليه السلام (فقالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: لا حاجة لي في بيعته إنها كف يهودية...أما إن له إمرةً كلِّمة الكلب أنفه وهو أبو الأكبش الأربعة وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر). (نهج البلاغة: ١/١٢٣).

فأي علم هذا ، وأي تعامل ، وأي كلام؟! وأي أئمة ربانيين لهم رؤية واحدة وتعامل واحد، وقد رأيت شيئاً من معاملة الحسين وزين العابدين عليهما السلام لمروان ! وقد رووا كلمة أخرى لأمر المؤمنين عليهما السلام في مروان: (قال علي بن أبي طالب له يوماً ونظر إليه: ليحملن راية ضلالة بعدما يشيب صدغاه، وله إمرة كلحسة الكلب أنفه). (الطبقات: ٤٣/٥ ، وتاريخ دمشق: ٢٦٣/٥٧، وربع الأبرار: ٩٢٨، والآداب السلطانية: ٨٤)

وكانت مدة لحسة الكلب لأنفه حكم بضعة أشهر ، لكن مروان استطاع فيها أن ينقذ دولة آل أبي سفيان ويحوزها الى نفسه وبنيه ، فقد ربح معركة مرج راهط بقبائل بني كلب ومن انضم اليهم من اليمانيين ثم ربح الأردن وفلسطين بدون معركة ، ثم ربح معركة مصر بفضل أنصار معاوية وبني أمية فخضعت له وجاء منها بأموال ، ونصب عليها ولده عبد العزيز حاكماً .

لكنه ما أن عاد الى العاصمة حتى دفع روحه ثمناً لمعركة ولاية العهد مع آل معاوية ! ذلك أنهم بايعوه على شرط أن يكون خالد بن يزيد ولي عهده ، ثم عمرو بن سعيد بن العاص من بعده (مروج الذهب: ٧٣٨) ومروان بطبعه لا يتحمل وفاء بعهد ! فسارع الى خلع وليي عهده خالد وسعيد ، وعهد لولديه عبد الملك وعبد العزيز ! قال في العقد الفريد/ ١١٠١: (ثم أقبل (مروان) إلى دمشق فدخلها ونزل دار

معاوية بن أبي سفيان دار الإمارة ، ثم جاءتهبيعة الأجناد فقال له أصحابه: إنا لا نخوف عليك إلا خالد بن يزيد فتزوج أمه فإنك تكسره بذلك ، وأمه ابنة أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة ، فتزوجها مروان فلما أراد الخروج إلى مصر قال لخالد: أعزني سلاحاً إن كان عندك فأعاره سلاحاً وخرج إلى مصر فقاتل أهلها وسبى بها ناساً كثيراً فافتدوا منه (أي كان جيشه يقبض على الناس مسلمين وغيرهم ، ثم يخيرهم بين القتل والفدية كل واحد بمبلغ كذا ، فحصل على مال كثير) ! ثم قدم الشام فقال له خالد بن يزيد: ردّ عليّ سلاحي فأبى عليه ، فألح عليه خالد فقال له مروان وكان فحاشاً: يا ابن رطبة الإست ! قال: فدخل إلى أمه فبكى عندها وشكا إليها ما قاله مروان على رؤوس أهل الشام . فقالت له: لا عليك فإنه لا يعود إليك بمثلها ! فلبث مروان بعد ما قال لخالد ما قال أياماً ثم جاء إلى أم خالد فرقد عندها ، فأمرت جواريتها فطرحن عليه الوسائد ثم غمته حتى قتلتها ، ثم خرجن فصحن وشققن ثيابهن: يا أمير المؤمنين! يا أمير المؤمنين ! ثم قام عبد الملك بالأمر بعده فقال لفاختة أم خالد: والله لولا أن يقول الناس إني قتلت بأبي امرأة لقتلتك بأمر المؤمنين). (وذلك في هلال شهر رمضان سنة خمس وستين . وكانت ولايته على الشام ومصر ثمانية أشهر ويقال ستة أشهر). (تاريخ دمشق: ٥٧/٢٦٣).

وفي الطبقات: ٤٢/٥: (وكان مروان قد أطمع خالد بن يزيد بن معاوية في بعض الأمر ثم بدا له فعقد لابنيه عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان بالخلافة بعده ، فأراد أن يضع من خالد بن يزيد ويقصر به ويزهّد الناس فيه ، وكان إذا دخل عليه أجلسه معه على سريره ، فدخل عليه يوماً فذهب ليجلس مجلسه الذي كان يجلسه فقال له مروان وزيره: تنح يا ابن رطبة الإست ، والله ما وجدت لك عقلاً ! فانصرف خالد وقتئذ مغضباً حتى دخل على أمه... فقالت له: لا يسمع هذا منك

أحد.... فأني سأكفيكه وانتصر لك منه... فنام عندها فوثبت هي وجواربها فغلقت الأبواب على مروان ثم عمدت إلى وسادة فوضعتها على وجهه فلم تزل هي وجواربها يغممنه حتى مات... ثم قامت فشقت جيها عليه وأمرت جواربها وخدمها فشققت وصحن عليه وقلن: مات أمير المؤمنين فجأة). (والمنتظم: ٥٠/٦).

وفي الاستيعاب: ١٣٨٩/٣: (قسمته ثم قامت إليه مع جواربها فغمته مع حتى مات). وروى القصة الجميع، ومنهم الطبري وقال: ٤٢٣/٣: (ثم إن مروان نام عندها فغطته بالوسادة حتى قتلته). (والأخبار الطوال: ٢٨٥، وكامل ابن الأثير: ٣٦٤/٣، و: ١٤/٤، وسير الذمبي: ٤٧٩/٣). وفي تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢٧٥: (فصبرت له سماً في لبن فلما دخل سقته إياه . وقال بعضهم: بل وضعت على وجهه وسادة حتى قتلته). وانتهى مروان !

الفصل الرابع عشر

الإمام زين العابدين..رقم استعصى على أعدائه

جاذبية الشخصية الربانية

صاحبُ نَمَطٍ سُلوكي فريد.. أخذ بمجامع قلوب المسلمين ! وحَيَّرَ الحكام !
فقد أجمع الناس على الإعجاب بشخصيته ، حتى ابن شهاب الزهري عالم بلاط
بني أمية ، كان يعتقد به ، ويفتخر بالتلمُّذ عليه والرواية عنه ، وببكي لذكراه !
وحتى عبد الملك بن مروان وارث معاوية ، كان يطلب منه أن يدعو له ، وقد
ردَّ اقتراح الحجاج بقتله وكتب له : (جنبي دماء آل أبي طالب فإنني رأيت بني
حرب لما قتلوا الحسين نزع الله ملكهم). (محاسن البيهقي/٣٩) .



وجهٌ نَوْرَانِيٌّ هادئٌ ، يحمل سماتٍ من نور الله تعالى ، وملامحُ ضاربةٌ في
العراق من أبيه الحسين الى جده إبراهيم عليه السلام ، ومن أمه شهزنان بنت يزدجرد
الى أعلى أعراق الفرس ! صَوَّرَهَا الشاعر أبو الأسود الدؤلي بقوله:

وإن وليدأبين كسرى وهاشم لأكرمُ من نبطتْ عليه التائمُ

(وكان يقال لعلي بن الحسين عليه السلام: ابنُ الخِيرَتَيْنِ ، خِيرةُ الله من العرب هاشم
ومن العجم فارس ، وروي أن أبا الأسود الدؤلي قال فيه...). (الكافي:١/٤٦٧ ، ومناقب
آل أبي طالب:٣/٣٠٤ ، ونسبه في الأغاني:٢/٢٥٦ ، الى ابن ميادة).

وقد روى السنة والشيعا أن النبي صلى الله عليه وآله رغب بني هاشم في هذه العراقة العالية
فقال: (يا بني هاشم عليكم بنساء الأعاجم فالتمسوا أولادهن، فإن في أرحامهن
البركة). (مغني ابن قدامة:٧/٤٦٨ ، والكافي:٥/٤٧٤).



صفاءٌ في الذهن ، ونقاءٌ في الفكر ، وشفافيةٌ في الروح.. كَوَّنَتْ شخصية
الإمام زين العابدين عليه السلام وعاش بها بصدق ، فَاتَّحَدَ في شخصيته نمط السلوك

بالعقيدة ، فلا فاصلة عنده بين النظرية والتطبيق ، والقول والعمل !

○ ○

شفافيةً في التسامح مع الناس.. تعلمها من قوله تعالى: فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ،
ففسره بأنه: العفو من غير عتاب ! (أمالى الصدوق/٤١٦).

وقد وصف الطبري: ٢١٧/٥، دهشة والي المدينة هشام بن إسماعيل المخزومي ،
الذي كان يؤذي الإمام عليه السلام أذى شديداً ، فلما غضب عليه الوليد بن عبد الملك
عزله وأراد الانتقام منه فأمر أن يوقف للناس ويدعوا للإقتصاص منه !

(فقال: ما أخاف إلا من علي بن الحسين ! فمرَّ به عليٌّ وقد وقف عند دار مروان
وكان عليٌّ قد تقدم إلى خاصته أن لا يعرض له أحد منهم بكلمة ، فلما مرَّ ناداه
هشام بن إسماعيل: الله أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالته). (واليعقوبي: ٢٨٣/٢).

وقال ابن كثير في النهاية: ١٢٤/٩: (ونال منه رجل يوماً فجعل يتغافل عنه يريه أنه
لم يسمعه ، فقال له الرجل: إياك أعني ! فقال له علي: وعنك أغضي...
وقيل له: من أعظم الناس خطراً؟ فقال: من لم ير الدنيا لنفسه قدراً).

○ ○

وإنسانيةً حنونةً مع كل الناس خاصةً الضعفاء.. قال ابنه الباقر عليه السلام: (لَمَّا
حضرت علي بن الحسين الوفاة ضَمَّنِي إلى صدره ثم قال: يا بني أوصيك بما
أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة ، وبما ذكر أن أباه أوصاه به ، فقال: يا بني
إياك وظلم من لا يجدُ عليك ناصراً إلا الله). (أمالى الصدوق/٢٤٩).

○ ○

وحناناً على الفقراء ولو من غير شيعته.. (كان يعول مائة أهل بيت من فقراء
المدينة). (الخصال/٥١٨) مع أنه كان يقول: (ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا).
(شرح النهج: ١٠٤/٤، والغازات: ٥٧٣/٢).

وقال الأموي ابن كثير في النهاية: ١٢٤/٩: (وذكروا أنه كان كثير الصدقة بالليل

وكان يقول: صدقة الليل تطفئ غضب الرب وتنور القلب والقبر ، وتكشف عن العبد ظلمة يوم القيامة . وقاسم الله تعالى ماله مرتين . وقال محمد بن إسحاق: كان ناس بالمدينة يعيشون لا يدرون من أين يعيشون ومن يعطيهم ، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم في الليل بما يأتيهم به . ولما مات وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب إلى بيوت الأرامل والمساكين في الليل . وقيل إنه كان يعول مائة أهل بيت بالمدينة). انتهى.

وبهذه الإنسانية كان يفهم الدين.. فقد سئل: لِمَ قَرَضَ الله عز وجل الصوم؟ فأجاب: (ليجد الغني مسَّ الجوع فيحنَّ على الفقير). (أمالي الصدوق/٩٧).



عطوفٌ رفيقٌ بالحيوان..قال الإمام الباقر عليه السلام: (كان لعلي بن الحسين عليه السلام ناقة حجَّ عليها اثنتين وعشرين حجة ما قرعها قرعة قط قال: فجاءت بعد موته وما شعرنا بها إلا وقد جاءني بعض خدمننا أو بعض الموالي فقال: إن الناقة قد خرجت (من مرعاها خارج المدينة) فأتت قبر علي بن الحسين عليه السلام فأنبركت عليه فدلكت بجرائنها القبر وهي ترغو ! فقلت: أدركوها أدركوها وجيئوني بها قبل أن يعلموا بها أو يروها ! قال: وما كانت رأَت القبر قط). (الكافي/٤٦٧/١).

وأوصاه أبوه عليه السلام بها: (إِذَا نَفَقَتْ فَادْفَنْهَا لَا يَأْكُلُ لَحْمَهَا السَّبَاعُ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَا مِنْ بَعِيرٍ يُوقَفُ عَلَيْهِ مَوْقِفُ عَرَفَةَ سَبْعَ حُجَجٍ إِلَّا جَعَلَهُ اللَّهُ مِنْ نَعَمِ الْجَنَّةِ وَبَارَكَ فِي نَسْلِهِ ، فَلَمَّا نَفَقَتْ حَفَرُ لَهَا أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام وَدَفَنَهَا). (ثواب الأعمال/٥٠).

لقد استوعب الإمام زين العابدين عليه السلام بشفافيته عالم قوله تعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ). (الأنعام: ٣٨) ، فهو القاتل: (ما بهمت، البهائم عنه ، فلم تبهم عن أربعة: معرفتها بالرب تبارك وتعالى ، ومعرفتها بالموت ، ومعرفتها بالآئني من الذكر ، ومعرفتها بالمرعى الخصب). (الخصال/٢٦٠).



وهو بقیة السیف.. شاء الله أن يكون شاهداً على كربلاء ، ومعه طفله محمد الباقر عليه السلام ، فحضر كل مراحل المعركة وفصول الأسر والترحال . وهياً له الله من يحافظ على حياته في كربلاء: (لما قتل الحسين كان علي بن الحسين عليه السلام نائماً فجعل رجل منهم يدافع عنه كل من أراد به سوءاً) ! (مدينة المعاجز: ٣٨٢/٤).

قال الزهري: (كان علي بن الحسين مع أبيه يوم قتل وهو ابن ثلاث وعشرين سنة). (تهذيب الكمال: ٤٠٢/٢٠ ، وروى عن محمد بن عقيل بأن عمر عليه السلام كان خمساً وعشرين).



وهو زَيْنُ العابدين..(كان الزهري إذا حدث عن علي بن الحسين قال: حدثني زين العابدين علي بن الحسين ، فقال له سفيان بن عيينة: ولم تقول زين العابدين؟ قال: لأني سمعت سعيد بن المسيب يحدث عن ابن عباس أن رسول الله قال: إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين زين العابدين؟ فكأنني أنظر إلى ولدي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يخطر بين الصفوف). (علل الشرائع: ٢٣٠/١، ومناقب آل أبي طالب: ٣٠٤/٣، وأمالى الصدوق: ٤١٠/١، ومدينة المعاجز: ٢٤٢/٤).

(زين العابدين ثقةٌ ثبتٌ عابدٌ فقيهٌ فاضلٌ مشهور . قال ابن عيينة عن الزهري: ما رأيت قرشياً أفضل منه). (تقريب التهذيب: ٦٩٢/١، وفيض القدير: ٤٥٤/٦)

وقال الأموي ابن كثير في النهاية: ١٢٣/٩: (وذكروا أنه احترق البيت الذي هو فيه وهو قائم يصلي ، فلما انصرف قالوا له: مالك لم تنصرف؟ فقال: إني اشتغلت عن هذه النار بالنار الأخرى ! وكان إذا توضأ يصفر لونه فإذا قام إلى الصلاة ارتعد من الفرق ، فقيل له في ذلك فقال: ألا تدرون بين يدي من أقوم ولمن أناجي ؟ ولما حج أراد أن يلي فارتعد وقال: أخشى أن أقول ليك اللهم ليك ، فيقال لي: لا ليك ! فشجعه على التلبية فلما لبى غشي عليه حتى سقط عن الراحلة....

وقال طاووس: سمعته وهو ساجد عند الحجر يقول: عُبِّدُكَ بِفَنائِكَ . سائلكَ

بفنائك . فقيرك بفنائك.. فوالله ما دعوت بها في كرب قط إلا كشف عني).



وهو الإمام السَّجَّاد..(ما ذكر الله نعمة عليه إلا سجد ، ولا قرأ آية من كتاب الله فيها سجدة إلا سجد ، ولا دفع الله عنه شراً يخشاه أو كيد كائد إلا سجد ، ولا فرغ من صلاته مفروضة إلا سجد ، ولا وفق لإصلاح بين اثنين إلا سجد ، وكان كثير السجود في جميع مواضع سجوده فَسُمِّيَ السَّجَّادَ لذلك). (المناقب: ٣/٣٠٤).

قال الزهري: (دخلت مع علي بن الحسين على عبد الملك بن مروان ، قال فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السجود بين عيني علي بن الحسين فقال: يا أبا محمد لقد بان عليك الاجتهاد ولقد سبق لك من الله الحسنى وأنت بضعة من رسول الله(ص)وقريب النسب وكيد السبب ، وإنك لذو فضل عظيم على أهل بيتك وذوي عصرك ، ولقد أوتيت من العلم والفضل والورع ما لم يؤته أحد مثلك ولا قبلك إلا من مضى من سلفك ، وأقبل يشني عليه ويطره قال فقال علي بن الحسين: كلُّ ما ذكرته ووصفته من فضل الله وتأيدته وتوفيقه فأين شكره على ما أنعم ؟ إلى أن قال: والله لو تقطعت أعضائي وسالت مقلتي على صدري لن أقوم لله جل جلاله بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا يحصيها العادون ولا يبلغ حد نعمة منها عليَّ جميع حمد الحامدين لا والله أو يراني الله لا يشغلني شئ عن شكره وذكره في ليل ولانهار ولاسر ولا علانية. لولا أن لأهلي علي حقاً ولسائر الناس من خاصهم علي حقواً لايسعني إلا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى أؤديها إليهم ، لرميتُ بطرفي إلى السماء وبقلبي إلى الله ، ثم لم أردْهما حتى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين ! وبكى ، وبكى عبد الملك). (فتح الأبواب لابن طاووس/١٦٩).

فأي معرفة هذه ؟ وأي حبُّ لله هذا ، الذي يمكن صاحبه أن يرمي بطرفه الى

السماء ويرمي بقلبه الى الله طول حياته ، فيكون عمره تسبيحةً واحدة؟!!

هذه قمة المعرفة والعبادة ، لا ما يدعيه المدعون ويُلقلقون به ألسنتهم !

○ ○

وهو شاعر الله.. فلهُ عز وجل كل مدائحه وقصائده ، وجهه وفكره وذكره ، وخشوعه ودموعه.. بل كل وجوده وحياته ، في يومه وليله ، وحله وترحاله .

وهو مع ربه عز وجل في غاية الأدب ، ينتقي في تصرفاته الحركة والسكون ، لأنه في محضره سبحانه . وينتقي للحديث عنه أحسن الكلمات وأبلغ المعاني . أما حديثه معه فيخصه بأعلى الكلام وأروع !

الصحيفة السجادية.. زبور آل محمد ﷺ كتابٌ لم يعرفه الناس !

وأول ما تبهرك فيه قدرة معماره على بناء العبارة العربية ، فهو أقدر من أيِّ بليغ تصفه بأنه متمكن من اللغة ، آخذ بناصية مفرداتها وتراكيبها ، فمفردات العربية تدور حول إمامها ﷺ كالنجوم حول قطبها ، تعرض أنفسها على أنامل فكره أفعالاً وأسماءً وحروفاً وصيغَ تعبير ، طائعة متواضعة ، عسى أن يشرفها فيجعلها . آجرةً في صروحه ، أو لُحمةً في لوحاته .

الكلمة عند الإمام ﷺ موجود حيويٌ.. بنفسها ، لأنه ينتقيها من أسفاط اللغة كما ينتقي الخبير جواهره ليصوغها ويصوغ بها . وبمحيطها ، الذي يضعها فيه فتحية ويحييها .

وبخيوط ارتباطها ، التي يشدها بها بالكلمات والحروف .

وبأشعتها ، التي يمنحها لها ، فتشرق في جدلية خاصة في فقراته ومقطوعاته . والفكرة عنده.. روحٌ تنبض في الكلمة ، وتنبض بها ، تجئ من أفق أعلى ، غنيّ غزير ، ينساب في الروح ، ويلدُّ للعقل ، ويناغي أوتار النفس .

أفقٌ جمالي.. ينحدر منه كلام الإمام ﷺ بأروع من جمال الورد والنسائم

والملكات والهوريات ، فهو آت من معدن الجمال الأعلى ومنبعه .
جمالاً ، تُفيضه روحٌ علوية لا ترى في الوجود إلا جميلاً ! فهذا الوجود عندها
له ربٌ جميل لا يصدر عنه إلا الجميل ، وهي ترى الأشياء بجماله وكماله ، ولا
ترى ما يعكر جماله حتى خطايا الإنسان ، وحتى القوانين والمقادير .
روحٌ جمالية.. ترى النصف الفارغ من الكأس جميلاً كالملء ، وتتحير في
أيهما الأجل: ما يفقده الإنسان في مرضه من صحته ، أو ما يبقى له منها !
إستمع إليه كيف يتكلم مع ربه: (إذا مرض أو نزل به كرب أو بلية: اللهم لك
الحمد على ما لم أزل أتصرف فيه من سلامة بدني ، ولك الحمد على ما
أحدثت بي من علة في جسدي ! فما أدري يا إلهي أيّ الحالين أحقُّ بالشكر
لك ، وأيّ الوقتين أولى بالحمد لك ، أوقت الصحة التي هأتني فيها طيبات
رزقك ، ونشطتني بها لا تبغاء مرضاتك وفضلك ، وقويتني معها على ما وفقتني
له من طاعتك ؟ أم وقت العلة التي محصتني بها ، والنعم التي أتحتتني بها
تخفيفاً لما ثقل على ظهري من الخطيئات) (الصحيفة السجادية/ الدعاء الخامس عشر) .
وانظر الى جدلية الكلمات بين أنامل فكره حيث يقول: (عند الصباح والمساء:
الحمد لله الذي خلق الليل والنهار بقوته ، وميز بينهما بقدرته ، وجعل لكل
واحد منهما حداً محدوداً ، وأمدأ ممدوداً ، يولج كل واحد منهما في صاحبه ،
ويولج صاحبه فيه ، بتقدير منه للعباد فيما يغذوهم به وينشئهم عليه ، فخلق
لهم الليل ليسكنوا فيه من حركات التعب ونهضات النصب ، وجعله لباساً
يلبسوا من راحته ومناحه ، فيكون ذلك لهم جماماً وقوة ولينالوا به لذة وشهوة ،
وخلق لهم النهار مبصراً ليتفتخوا فيه من فضله ، وليتسببوا إلى رزقه ويسرحوا
في أرضه ، طلباً لما فيه نيل العاجل من دنياهم ، ودرك الأجل في آخرهم ،

بكل ذلك يصلح شأنهم ويبلو أخبارهم ، وينظر كيف هم في أوقات طاعته ومنازل فروضه ومواقع أحكامه لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى). (الصحيفة السجادية/الدعاء السادس)

أرأيت الخلق بالقوة ، والتميز بالقدرة ، والحدّ والأمد ، وتناوب الزحف بين الليل والنهار ، والفرق بين التغذية والتنشئة ، والحركات والنهضات ، والتعب والنصب.. والريشة التي تفتح أبواب فكرك على الوجود ، وروحك على الخالق ، وتملاً حياتك بالحياة ، فيما لا يتسع المجال لدراسة فقرة واحدة منه ؟!



ومسؤولية الكلمة عند الإمام (عليه السلام) كعمقها.. فهو يقول: (لا يزال العبد المؤمن يكتب محسناً مادام ساكناً فإذا تكلم كتب محسناً أو مسيئاً). (نواب الأعمال/١٦٤).

ويقول: (إن لسان ابن آدم يشرف كل يوم على جوارحه فيقول: كيف أصبحت؟ فيقولون: بخير إن تركتنا ! ويقولون: الله الله فينا ، ويناشدونه ويقولون: إنما نثاب بك ونعاقبك !). (الخصال/٦).



ولم تمنعه أشواق الروح من عمق العقل.. فالمروي عنه في ذلك كثير ، منه أنه سئل عن التوحيد فقال: (إن الله عز وجل علم أنه يكون في آخر الزمان أقوامٌ متعمقون فأنزل: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، والآيات من سورة الحديد: سَبَّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ . يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي

الفصل الرابع عشر : الإمام زين العابدين...رقم استعصى على أعدائه..... ٤٧٩

اللَّيْلَ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . فمن رام ما وراء هنالك هلك). (التوحيد للصدوق/٢٨٣).
وروى عن أبيه الحسين عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (من الدليل على أن
الأجسام محدثة: أن الأجسام لا تخلو من أن تكون مجتمعة أو مفترقة ومنحركة
أو ساكنة ، والإجتماع والإفتراق والحركة والسكون محدثة ، فعلمنا أن الجسم
محدث لحدوث ما لا ينفك منه ولا يتقدمه..الخ. وهو حديث طويل في الإستدلال
العقلي على حدوث العالم وتموين الخالق عز وجل له بالحياة). (التوحيد للصدوق/٣٠٠).



عندنا إمامٌ معصوم عليه السلام وعندهم وليٌّ يملك الاسم الأعظم

والإمام زين العابدين عليه السلام عنده إسم الله الأعظم..بذلك شهد مخالفوه وفسروا
به معجزاته عليه السلام ! قال ابن حجر في فتح الباري: ١٩١/١١: (نقل الفخر الرازي عن
زين العابدين أنه سأل الله أن يعلمه الاسم الأعظم فرأى في النوم: هو الله الله الله ،
الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم) . وقال في إثبات وجود من يحمل الاسم
الأعظم: ١٩١/١١: (ونقل معنى هذا عن جعفر الصادق وعن الجنيد وعن غيرهما).
وبحث ابن حجر أقوال علمائهم العديدة في معنى إسم الله الأعظم ، وبحثه بتفصيل
أكثر المناوي في فيض القدير: ٦٥٢/١ .

وأكثر ما أدهشهم من معجزاته عليه السلام عندما ألحَّ الحجاج على عبد الملك أن
يقتله ، لأنه برأيه المرجع الروحي للهاشميين الثائرين ، فأمر عبد الملك بالقبض
عليه وتقييده بالحديد وإرساله إليه ! قال ابن شهاب الزهري: (شهدت علي بن
الحسين يوم حمله عبد الملك بن مروان من المدينة إلى الشام ، فأثقله حديداً
ووكَّل به حُفَظًا في عِدَّةٍ وَجَمَعَ ، فاستأذنتهم في التسليم عليه والتوديع له
فأذنوا لي فدخلت عليه وهو في قبة (هودج كالقفص) والأقياد في رجليه والغل

في يديه ، فبكيت وقلت: وددتُ أني في مكانك وأنت سالم ! فقال لي: يا زهري أوتَظُنُّ هذا مما ترى عليّ وفي عنقي مما يكرهني؟ أما لو شئتُ ما كان وأنه إن بلغ بك وبأمثالك غمراً ليذكر عذاب الله ، ثم أخرج يده من الغل ورجليه من القيد ثم قال: يا زهري لا جُرْتُ معهم ذا منزلتين من المدينة(مكان في طريق الشام)! قال: فما لبثنا إلا أربع ليال حتى قدم الموكلون به يطلبونه من المدينة فما وجدوه ! فكنت فيمن سألتهم عنه فقال لي بعضهم: إنا نراه متبوعاً(أي معه جن!) إنه لنازل ونحن حوله لاننام نرصده ، إذ أصبحنا فما وجدنا بين محمله إلا حديدة ! قال الزهري: فقدمت بعد ذلك على عبد الملك بن مروان فسألني عن علي بن الحسين فأخبرته فقال لي: إنه جاءني في يوم فَقَدَهُ الأعوان فدخل عليّ فقال: ما أنا وأنت؟! فقلت: أقم عندي فقال: لا أحب ثم خرج ، فوالله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة . قال الزهري: فقلت: يا أمير المؤمنين ليس علي بن الحسين حيث تظن ! إنه مشغول بربه فقال: حبذا شغلٌ مثله فنعم ما شغل به ! قال وكان الزهري إذا ذكر علي بن الحسين يبكي ويقول: زين العابدين).(تاريخ دمشق: ٣٧٢/٤١، وحقية الأولياء: ١٣٥/٣، ومناقب آل أبي طالب: ٢٧٥/٣، وغيرها من مصادر الطرفين).

أقول: تدل هذه المعجزة المتفق عليها على أن أئمة المذاهب الأخرى وعلماءهم يعتقدون بصدور المعجزات من الأولياء ، وقد ذكروا في بحثهم معنى الاسم الأعظم الذي لا تردُّ به دعوة ، أنه كان عند عدد من رجالهم !

وروى المناوي في فيض القدير: ٦٥٣/١ أن أبي بن كعب طلب من النبي ﷺ أن يعلمه الاسم الأعظم فأرشده الى مطلع آية الكرسي ، وقال في: ٥٢٤/١: (فقد ابتليَ بعض عظماء الأولياء بالجذام وكان يحفظ الاسم الأعظم ف قيل له: ألا تدعو؟

فقال ما كنت لأطلب الإقالة من أمر اختاره لي).

وقال ابن حجر في الإصابة: ٤٩١/٥: (أن كرزاً سأل الله تعالى أن يعلمه الإسم الأعظم على أن لا يسأل به شيئاً من الدنيا فأعطاه ، فسأل الله أن يقويه على تلاوة القرآن ، فكان يختمه في اليوم والليلة ثلاث مرات) !

وفي إعانة الطالبين: ١٦/١ ، أن عبد القادر الجيلاني كان عنده الإسم الأعظم !
وقال الذهبي في سيره: ٣٨٨/٧ ، في ترجمة ابراهيم بن أدهم: (ورأى في البادية رجلاً علمه الإسم الأعظم فدعا به ، فرأى الخضر وقال: إنما علمك أخي داود . رواها علي بن محمد المصري الواعظ) .

وقال الذهبي أيضاً: ٨٦/١٣ في ترجمة أبي يزيد البسطامي: (وقيل له: علمنا الإسم الأعظم قال: ليس له حدٌ إنما هو فراغ قلبك لوحدانيتيه ، فإذا كنت كذلك فارفع له أي إسم شئت من أسمائه إليه) .

وقال في: ٢٦٦/١٣: (إن أبا حاتم كان يعرف الإسم الأعظم فمرض ابنه فاجتهد أن لا يدعو به فإنه لا ينال به الدنيا ، فلما اشتدت العلة حزن ودعا به فعوفي ، فرأى أبو حاتم في نومه: استجبتُ لك ولكن لا يعقب ابنك . فكان عبد الرحمن مع زوجته سبعين سنة فلم يرزق ولداً ، وقيل: إنه ما مسّها) !

وقال في ترجمة السلمي: ٢٤٩/١٤: (قلت: هو صاحب حكاية الفأرة مع ذي النون لما سأله الإسم الأعظم). (وسير الذهبي: ٢٥١/١٤، و: ٥١١/١٦ ، وميزان الاعتدال: ٣٩٨/١ ، و: ٣٦/٢) .

○ ○

أما عندنا فأمر الإمامة ومقام الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم ، أوسع من الإسم الأعظم ، فإن بعض مواليتهم كانوا يعرفونه ! (عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: سلمان علّم الإسم الأعظم) . (اختيار معرفة الرجال: ٥٦/١).

بينما لم يعلمه الإمام الباقر عليه السلام لعمر بن حنظلة ، لأنه لا يطيقه ! (قال: قلت لأبي

جعفر عليه السلام: إني أظن أن لي عندك منزلة؟ قال: أجل ، قال قلت: فإن لي إليك حاجة ، قال: وما هي؟ قال قلت تعلمني الإسم الأعظم ! قال: وتطبيقه؟ قلت: نعم ، قال: فادخل البيت ، قال فدخل البيت فوضع أبو جعفر يده على الأرض فأظلم البيت فأرعدت فرايص عمر ! فقال: ما تقول ، أعلمك ؟ فقال: لا . قال: فرفع يده فرجع البيت كما كان . (بصائر الدرجات/٢٣٠) .

وقد تعرضنا في المجلد الأول الى علم أمير المؤمنين عليه السلام بأجله ، وفي هذا المجلد الى علم الإمام الحسن عليه السلام بأجله ، وأن الله تعالى خصَّ نبينا صلى الله عليه وآله وعترته المعصومين عليهم السلام بالكثير الكثير فعندهم عليهم السلام علم الظاهر والباطن. وأن من يعطيه الله هذه العلوم يجعل معه ملائكة يحفظونها ويحفظونه ، ليعيش حياته الطبيعية بالعلم الظاهري ، ويستعمل طرفاً من العلم اللدني في وقته المناسب ! وهذا معنى قوله تعالى: **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا .** (سورة الجن: ٢٦-٢٧) .

وقد صرح الإمام زين العابدين عليه السلام بذلك عندما جاءه رجل مهموم وشكى له قرضه الذي أثقله ، فلم يكن عند الإمام عليه السلام مال لأن الوليد كان صادر أمواله ، فأعطاه قرصيه قوت يومه وأمره أن يذهب الى السوق ويشتري بهما شيئاً ، فوجد سمكتين غير مرغوبتين فاشترهما فوجد في جوفها لؤلؤتين ثمينتين: (وباع الرجل اللؤلؤتين بمال عظيم قضى منه دينه وحسنت بعد ذلك حاله . فقال بعض المخالفين: ما أشد هذا التفاوت ! بينا علي بن الحسين لا يقدر أن يسد منه فاقة إذ أغناه هذا الغناء العظيم كيف يكون هذا وكيف يعجز عن سد الفاقة من يقدر على هذا الغناء العظيم؟ فقال علي بن الحسين عليه السلام: هكذا قالت قريش للنبي صلى الله عليه وآله: كيف يمضي إلى بيت المقدس ويشاهد ما فيه من آثار الأنبياء عليهم السلام من مكة

ويرجع إليها في ليلة واحدة ، من لا يقدر أن يبلغ من مكة إلى المدينة إلا في اثني عشر يوماً ، وذلك حين هاجر منها ؟! ثم قال عليه السلام: جهلوا والله أمر الله وأمر أوليائه معه ، إن المراتب الرفيعة لاتنال إلا بالتسليم لله جل ثناؤه وترك الإقتراح عليه والرضا بما يدبرهم به ، إن أولياء الله صبروا على المحن والمكاره صبراً لمّا يساوهم فيه غيرهم ، فجازاهم الله عز وجل عن ذلك بأن أوجب لهم نجح جميع طلباتهم، لكنهم مع ذلك لا يريدون منه إلا مايريده لهم) ! (أمالى الصدوق/٥٣٩).

وفي هذا الموضوع بحوث مهمة ، نشير منها الى أن قوله عليه السلام(أوجب لهم نجح جميع طلباتهم لكنهم مع ذلك لا يريدون منه إلا مايريده لهم): يدل على أن المعصوم عليه السلام لا يطلب المعجزة ولا يستعمل ولايته التكوينية إلا بإذن أو أمر من الله تعالى ! فالأصل عنده أن يعمل ويعيش بالأسباب العادية ، إلا إذا أبلغه الله تعالى بهاتف أو إلهام أو أي طريق ، أن يعمل شيئاً آخر أو يدعوه بشئ ! وهذا معنى تفوق النبي ﷺ وعترته على غيرهم ، بأنهم لم يقترحوا على ربهم عز وجل شيئاً .

كيف واجه الإمام زين العابدين عليه السلام خطط بني أمية ؟

كان المشروع الأموي كما أوضحنا في المجلد الثاني مشروعاً مادياً يهودياً يهدد وجود الإسلام كدين ، ويهدد أهل البيت النبوي عليه السلام بالإبادة ! لهذا كان للإمام زين العابدين عليه السلام هدفان واضحا في حياته الشريفة:

الأول، تثبيت الإسلام وترسيخه كدين ، في نفوس المسلمين وشعوب البلاد المفتوحة . ولذلك كانت حياته عليه السلام ثورة فكرية وروحية على الفكر المادي الجاهلي ، وعلى روحية الطاغوت الأموي اليهودي .

كان هدفه عليه السلام أن يعمل وينشر كل ما بُنِيَتْ أصول الإسلام وعقائده ، ابتداءً من وجود الله تعالى وعلمه وقدرته وعدله المطلق ، وبقية أسمائه وصفاته الحسنی ، الى نبوة نبيائهم عليهم السلام ومقامه عند ربه ، الى الآخرة وعدلها ، الى أركان الإسلام العملية من الصلاة والصوم والحج والزكاة ، فكلها تعرض لخطط التحريف الأموي وتأثير الثقافة اليهودية !

والهدف الثاني، نشر ظلامة أبيه الحسين وأهل البيت عليهم السلام وربط الأمة بهم ، ومقاومة خطة معاوية في تربية أجيال الأمة على أن علي بن أبي طالب عليه السلام سفاكٌ للدماء ، قتل صنديد قريش ، وأن النبي صلى الله عليه وآله كان يكرهه لأنه عصاه وكفر به ، فيجب فصله عن النبي صلى الله عليه وآله ولعنه على المنابر ، هو وأبناؤه !

أما الثورة السياسية العسكرية على الأمويين فكان الإمام زين العابدين عليه السلام يبعد نفسه عنها ، لكنه لم يقف ضدها عندما كانت طلباً بثأر الإمام الحسين عليه السلام.

وبسبب ذلك كان عليه السلام رقماً صعباً على السلطة ، فلا هو ثائر يعطي على نفسه الحجة لقتله ، ولا هو مطيع للسلطة كعلماء البلاط !

عندما يكتب الحجاج السفاك الى عبد الملك بن مروان: (إن أردت أن يثبت ملكك فاقتل علي بن الحسين) ! (الصرط المستقيم: ١٨٠/٢). فمعناه أن حاكم العراق والحجاز المعتمد بامتياز عند الخليفة الأموي ، يرى أن المرجع الروحي لكل تحركات الهاشميين والشيعية ضد بني أمية ومنها حركة التوابين والمختار ، هو علي بن الحسين الذي يمثل أمجاد أبيه وعتره النبي ﷺ ، وأنه مادام حياً فستنشأ الحركات بشعار بالثارات الحسين ، وتكون بتبريكة مع سلب مسؤوليته عنها !

وعندما يبادر عبد الملك فيكتب سراً الى الحجاج: (جنبي دماء آل أبي طالب فإني رأيت بني حرب لما قتلوا الحسين نزع الله ملكهم). (محاسن البيهقي/ ٣٩) فمعناه أن عبد الملك قرر من أجل الإبقاء على ملكه أن يفصل حساب الإمام زين العابدين عليه السلام ومحمد بن الحنفية وعبدالله بن عباس وأبنائهم ، عن حساب التوابين والمختار ، وبقية الثائرين بإسمهم .

وقد استفاد الإمام زين العابدين عليه السلام من هذا الهامش الأموي الجديد فنشط في تحقيق هدفه الأساسيين ، في الخطوط التالية التي تنظم كل حياته وفعالياته:

الأول: سلوك التأله والتعبد ، وتعميقه في المسلمين وتعليمه للجادين منهم .
الثاني: مواجهة خطط معاوية ضد علي وأهل البيت عليه السلام وخطة يزيد لإبادتهم وتوعية الأمة على مكائدهم في الإسلام وقرآنه وسنة نبيه ﷺ .

الثالث: الدبلوماسية مع النظام الأموي ، بعد أن انتقل من آل أبي سفيان الى آل مروان ، ولم شمل الهاشميين ورعايتهم وتقوية روحياتهم ، والإبتعاد بنفسه وبهم عن الانخراط في الثورات العاطفية المتأرجحة ، أو تلك الطامعة في السلطة باسم أهل البيت عليه السلام . ولكل واحد من هذه الخطوط مفردات كثيرة في حياة الإمام عليه السلام لا يتسع لها المجال ، فنكتفي منها بنقاط:

الإمام زين العابدين عليه السلام ومروان

روت المصادر أن مرواناً كان يذكر للإمام زين العابدين عليه السلام عفو جده أمير المؤمنين عليه السلام عنهم يوم الجمل ، قال له: (ما رأيت أحداً أكرم غلبةً من أبيك ! ما هو إلا أن وليّنا يوم الجمل فنادى مناديه: لا يُقتل مدبر ولا يُذَفَّف على جريح) .
(الأم للشافعي: ٢٢٩/٤، وسنن البيهقي: ٨/ ١٨١، ومجموع النووي: ٢٠٣/١٩).

واعترف له بأن علياً عليه السلام كان أكثر الصحابة دفعا للناس عن عثمان قال: (ما كان في القوم أحداً أدفع عن صاحبنا من صاحبكم ، يعني علياً عن عثمان . قال قلت: فما لكم تسبون على المنابر؟! قال: لا يستقيم الأمر إلا بذلك!) (تاريخ دمشق: ٤٣٨/٤٢ وأنساب الأشراف ، هامش / ١٨٤، وشرح النهج: ٢٢٠/١٣، والعثمانية للجاحظ/ ٢٨٣، وسمت النجوم العوالي/ ٧٣٧، وقال: رواه ابن خيثمة بإسناد قوي عن عمر (بن علي) .

وأخبره أنه هو قتل طلحة يوم الجمل: (قال لي مروان بن الحكم: لما رأيت الناس يوم الجمل قد كُشفوا قلت: والله لأدركن ثأري ولأفوزن منه الآن ! فرميت طلحة فأصبت نساءه ، فجعل الدم ينزف فرميته ثانية فجاءت به ، فأخذه حتى وضعوه تحت شجرة فبقي تحتها ينزف منه الدم حتى مات) . (الجمل للمفيد/ ٢٠٤) .

وروى الطبري: ٣٧٩/٤ ، أن جيش يزيد بعد أن استباح المدينة في وقعة الحرة ، وأجبر أهلها البيعة على أنهم عبيد قنّ ليزيد ، سأل قائده عن الإمام زين العابدين عليه السلام فجاءه مع مروان وابنه عبد الملك وكانهما شفيعان له ، لأنه كان أوى عائلتهما عندما طردهم أهل المدينة ، قال: (لما أتى بعلي بن الحسين إلى سلم قال: من هذا ؟ قالوا: هذا علي بن الحسين ، قال: مرحباً وأهلاً ، ثم أجلسه معه على السرير والطنفسة ثم قال: إن أمير المؤمنين أوصاني بك قبلاً وهو يقول

الفصل الرابع عشر : الإمام زين العابدين..رقم استعصى على أعدائه..... ٤٨٧

إن هؤلاء الخبثاء شغلوني عنك وعن وصلتك ، ثم قال لعلي: لعل أهلك فزعوا ! قال: إي والله ، فأمر بدابته فأسرجت ثم حملة فرده عليها). انتهى. وأكرمه واستثناه من البيعة على أنه عبد قنٌ ليزيد (ورواه الطبري في: ٣٧٢/٤، وغيره بألفاظ أخرى ، وروت مصادرنا أنه لم يأت اليه مع مروان وابنه بل مع اثنين من بني هاشم).

ونقل المؤرخون والمحدثون شهادة الزهري بأن الإمام زين العابدين عليه السلام كان أحب أهل بيته الى مروان وعبد الملك ، قال (كان أقصد أهل بيته وأحسنهم طاعة وأحبهم إلى مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان). (الطبقات: ٥/٢١٥، وتاريخ بخاري الصغير: ٢٤٦/١، والتعديل والتجريح: ١٠٧٩/٣، وتاريخ دمشق: ٣٧١/٤١، وتهذيب الكمال: ٢٠/٣٨٦، وسير الذهبي: ٣٨٩/٤، وتاريخ أبي زرعة/١٠٣).

واهتم ابن كثير كثيراً بأن يمدح مروان وابنه عبد الملك لعلاقتهما الحسنة مع الإمام زين العابدين عليه السلام فزعم في النهاية: ٢٨٣/٨، و: ١٢٢/٩، أن مرواناً شجع الإمام زين العابدين عليه السلام على تكثير نسله بعد أن لم يبق غيره من ذرية الحسين عليه السلام وأقرضه مئة ألف درهم ليشتري جوارى ! ثم أوصى مروان ابنه عبد الملك أن لا يأخذها منه . وقال ابن كثير: (فجميع الحسينيين من نسله رحمه الله). انتهى.

وكان ابن كثير يقول إن السادة الحسينيين كلهم من أموال مروان ! فهم مدينون بوجودهم لأسياده بني أمية العظماء ! ثم ذكر ابن كثير أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا يصليان خلف مروان ولا يعيدان الصلاة إذا رجعا الى البيت ! وكأنه كان معهما ، وكأن الصلاة خلف الوالي شهادة له بشرعية سلطته !

جيش مروان بعد الحرة الى المدينة !

بعد هلاك يزيد سيطر ابن الزبير على المدينة وعين عليها والياً ، وعندما صار مروان خليفة أرسل جيشاً الى المدينة بقيادة ابن دلجة التميمي وهو أحد قادة

مجزرة الحرّة: (وكان قبل هلاكه قد بعث بعثين أحدهما إلى المدينة عليهم حبش بن دلجة القيني، والآخر منهما إلى العراق عليهم عبيد الله بن زياد). (الطبري: ٤٧٥/٤). وكان ذلك في رجب سنة خمس وستين فهرب منها والي ابن الزبير ، واحتل ابن دلجة المدينة وأخذ البيعة من أهلها لعبد الملك ، وجلس على منبر النبي ﷺ (يأكل من مكلته تمرأً ويطرح نواه في وجوه القوم ! وقال: والله إني لأعلم إنه ليس بموضع أكل ولكني أحببت أن أذلكم لخذلانكم لأمير المؤمنين) (تاريخ دمشق: ٨٧/١٢). فدعا بخبز ولحم فأكل على المنبر ، ثم أتى بماء فتوضأ على المنبر). (الإمامة والسياسة: ١٤/٢)، وتوضأ هنا بمعنى غسل يديه . ثم توجه ابن دلجة الى مكة ، فأرسل له ابن الزبير جيشاً والتقوا في الريدة في شهر رمضان أيام هلاك مروان ، فقتل ابن دلجة ومعه عبدالله بن مروان وعبيدالله أخ مروان ، وهُزم جيشه في غرة شهر رمضان سنة ٦٥ (النجوم الزاهرة: ١٦٨/١) وتشرد جنوده وتخطفهم الأعراب وأسر منهم خمس مئة وذبح خمس مئة دفعة واحدة ! ففرح أهل المدينة واستقبلوا قاتل ابن دلجة: (يزيد بن سياه الأسواري رماه بنشابة فقتله (أي رمى ابن دلجة) فلما دخل المدينة وقف يزيد بن سياه على برذون أشهب وعليه ثياب بياض فما لبث أن اسودت ثيابه ودابته مما مسح الناس به ومما صبوا عليه من الطيب). (تاريخ دمشق: ٨٧/١٢ ، والطبري: ٤٧٦ / ٤). وكان الحجاج وأبوه ممن هربوا ، فكان يصف هزيمتهم القبيحة فيقول: (ما أقبح الهزيمة ! لقد كنت ورجل آخر يعني أباه في جيش حبش بن دلجة فانهزمنا ، فركضنا ثلاثين ميلاً حتى قام الفرس ! وإنه ليخيل إلينا أن رماح القوم في أكتافنا ! قالوا: ولم يقتل رجل من أصحاب ابن دلجة إلا كان أقل ما وجد معه مائة دينار). (أنساب الأشراف: ١٥٣٥ ، وراجع تاريخ البعوي: ٢٥٦/٢). والظاهر أن الإمام علي عليه السلام كان في تلك الفترة في البادية ، وستعرف أنه أمضى سنوات في البادية بعد كربلاء .

عهد عبد الملك بن مروان

بعد هلاك مروان تولى ولي عهده ابنه عبد الملك ، فواصل حربه لإخضاع أهل المدينة مجدداً وقاتل ابن الزبير في مكة ، ومواجهة حركة التوابين المطالبين بئثار الإمام الحسين عليه السلام الذين توجهوا من العراق الى الشام بقيادة صحابي عمره ٩٣ سنة هو سليمان بن صرد الخزاعي:

(فأما عبيد الله بن زياد فسار حتى نزل الجزيرة فأتاه الخبر بها بموت مروان ، وخرج إليه التوابون من أهل الكوفة طالبين بدم الحسين). (الطبري: ٤٧٥/٤).

ووقعت المعركة بينهم في عين الوردية عند الحدود السورية فقتل أكثر التوابين ولم ينج منهم القليل ! لكن العراق لم يخضع لبني أمية ، فقامت حركة المختار وابن الأشتر مطالبين أيضاً بئثار الإمام الحسين عليه السلام ، وتمكنوا من السيطرة على العراق من سنة خمس وستين الى سبع وستين .

وفي السنة التالية سنة ٦٦ ، أرسل عبد الملك جيشاً كثيفاً الى العراق بقيادة عبيد الله بن زياد ، لكنه تلقى هزيمة فاحشة عند الموصل على يد إبراهيم بن مالك الأشتر رضي الله عنه ، وقتل أكثر جيشه ، ومنهم قائده ابن زياد .



من جهة أخرى انحسرت حركة عبدالله بن الزبير عن الشام وفلسطين ومصر أمام مروان وعبد الملك ، لكنها بقيت قوية في الحجاز واليمن والبصرة ، فاستطاع أخوه مصعب أن يسيطر على العراق ويقضي على حركة المختار ويقتله في ١٤ رمضان سنة ٦٨ (الطليقات: ١٠٥/٥ ، وتاريخ دمشق: ٣٤٩/٥٤ ، وفي الطبري: ٥٧٨/٤ أن ذلك في سنة ٦٧).

وقد ارتكب مصعب في العراق فظائع كفظائع يزيد بأهل المدينة في وقعة

الحرّة ! وبقي مسيطراً عليه نحو أربع سنوات .

وفي المقابل واصل عبد الملك غزوه للعراق في كل سنة ، حتى استطاع أن يخضعه ويقتل مصعب بن الزبير في ١٥ جمادى الأولى سنة ٧٢ . (الطبقات: ١٨٣/٥) .

وفي النجوم الزاهرة: ١٨٣/١: (وتجهز مصعب) وخرج يريد الشام لقتال عبد الملك بن مروان وخرج عبد الملك أيضاً من الشام يريد مصعب بن الزبير ، فسار كل منهما إلى آخر ولايته ، وهجم عليهما الشتاء فرجع كل منهما إلى ولايته . قال خليفة: وكانا يفعلان ذلك في كل سنة حتى قتل مصعب). انتهى.

وفي إحدى هذه المرات سنة ٦٩ ، كان عبد الملك في طريقه الى العراق وكان معه أحد قادته عمرو بن سعيد الذي كان أبوه مروان جعله ولي عهد ثم عزله ! (فقال له عمرو بن سعيد بن العاص إنك تخرج إلى العراق وقد كان أبوك وعدني هذا الأمر من بعده وعلى ذلك جاهدت معه ، وقد كان من بلائي معه ما لم يخف عليك ، فاجعل لي هذا الأمر من بعدك فلم يجبه عبد الملك إلى شيء ، فانصرف عنه عمرو راجعاً إلى دمشق فرجع عبد الملك في أثره حتى انتهى إلى دمشق.... واجتمع الناس وصعد المنبر (عمرو) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنه لم يقم أحدٌ من قريش قبلي على هذا المنبر إلا زعم أن له جنة وناراً يدخل الجنة من أطاعه والنار من عصاه ! وإني أخبركم أن الجنة والنار بيد الله وأنه ليس إليّ من ذلك شيء، غير أن لكم عليّ حسنُ المؤاساة والعطية، ونزل.

وأصبح عبد الملك ففقد عمرو بن سعيد فسأل عنه فأخبر خبره ، فرجع عبد الملك إلى دمشق فإذا عمرو قد جلل دمشق المسوح فقاتله بها أياماً... فلما طال قتالهم جاء نساء كلب وصبيانهم فبكين وقلن لسفیان بن الأبرد ولابن بحدل الكلبي علام تقتلون أنفسكم لسلطان قريش ؟! ... ثم إن عبد الملك وعمراً

الفصل الرابع عشر : الإمام زين العابدين...رقم استعصى على أعدائه..... ٤٩١

اصطلحا وكتبا بينهما كتابا وآمنه عبد الملك...ودخل عبد الملك دمشق يوم الخميس فبعث إلى عمرو أن أعط الناس أرزاقهم فأرسل إليه عمرو إن هذا لك ليس ببلد فاشخص عنه فلما كان يوم الاثنين وذلك بعد دخول عبد الملك دمشق بأربع بعث إلى عمرو أن ائتنى وهو عند امرأته الكلبية (تاريخ الطبري: ٥٩٦/٤).

وقد نصحوا عمراً أن لا يذهب إلى عبد الملك ، ولكنه كان مغروراً فذهب إليه للتفاوض ، فقيده عبد الملك وذبحه بيده !

وبعد ثلاث سنوات غزا عبد الملك العراق ، وانتصر على مصعب وقتله ، ودخل الكوفة فبايعه الناس . (مآثر الإنافة: ١٢٩/١).

وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي/١٦٢: (عن عبد الملك بن عمير الليثي قال: رأيت في هذا القصر وأشار إلى قصر الإمارة بالكوفة رأس الحسين بن علي بين يدي عبيد الله بن زياد على ترس . ثم رأيت رأس عبيد الله بن زياد بين يدي المختار بن أبي عبيد . ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير . ثم رأيت رأس مصعب بين يدي عبد الملك . فحدث بهذا الحديث عبد الملك فتطير منه وفارق مكانه!) (والطبراني في الكبير: ١٢٥/٣ ، والزوائد: ١٩٦/٩ ووثقه ، وأبي يعلى: ٥٤/٥ ، و: ٧٣/٧ ، واليعقوبي: ٢/٢٦٥ ، وذكر أنه أمر بهدم تلك الصالة في القصر) !

وبعد انتصار عبد الملك على مصعب وقتله ، أرسل جيشاً بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي لحرب عبد الله بن الزبير ، فحاصره في مكة وضرب الكعبة بالمنجنيق حتى قُتلَ ابن الزبير وصلبه في ١٥ جمادى الثانية سنة ٧٣. (الطبقات: ١٦٣/٣).

نماذج من طغيان عبد الملك !

(والله لا يأمرني أحد بتقوى الله إلا ضربت عنقه) !

كان دور مروان بن الحكم في الوصول الى السلطة شبيهاً بدور أبي سفيان ،

وقد كان مروان حكم كل الدولة الإسلامية باسم عثمان ، ثم حكم المدينة بضع سنوات من قبل معاوية ، ثم حكم الدولة الإسلامية كخليفة بضعة شهور .
 لكن ولده عبد الملك حكم نحو عشرين سنة ، قضى منها تسع سنوات في حربه مع حركتين شيعيتين، حركة التوابين وحركة المختار ، ومع أبناء الزبير حتى انتصر على مصعب في العراق وقتل عبدالله في مكة ثم صلبه .

وكان عبد الملك أشجع من أبيه ، لكنه كان جباراً كأبيه ! فقد افتتح خلافته بإعلانه أنه لا يتحمل من أحد نصيحة شرعية ، بل يعاقب صاحبها بالقتل ! وذم ابن عم أبيه عثمان بن عفان لأنه ضعيف الشخصية ، مع أنه هو الذي جاء بجده الحَكَم وأبيه مروان من منقاهم في بادية الطائف ، ودخل جده الحَكَم دار الخلافة وهو أعرابي يجر تيساً ويلبس ثياباً خلقه ، وخرج منها بطيلسان ومئة ألف كل أربعة دراهم منها تشتري تيساً ! ثم زوج عثمان ابنته لابنه مروان وسلمه مقادير الخلافة ، فصار مروان مرواناً ، وصار ابنه: عبد الملك بن مروان !

ثم طعن عبد الملك في آل معاوية آل حرب ، الذين كان هو وأبوه الى الأُمس يتدللان لهم ويتملقان ، فوصف معاوية بأنه مداهن مرائي من أجل الدنيا ! ووصف يزيداً بأنه مأبون شاذ جنسياً ، وفي رواية: مأفون أي ضعيف العقل ! وهذا من عبد الملك حَمَقٌ وغرور ، وإن كان كلامه فيهم صحيحاً !

وقد نصت المصادر على أنه كرر هذا التهديد خمس مرات: في خطبة التتويج في الشام، وبعد أن قتل ابن عمه عمرو بن سعيد ، وفي المدينة ، ومكة ، والعراق ! قال الجصاص وهو من أكابر علمائهم: (ولم يكن في العرب ولا آل مروان أظلم ولا أكفر ولا أفجر من عبد الملك ، ولم يكن في عماله أكفر ولا أظلم ولا أفجر من الحجاج ! وكان عبد الملك أول من قطع ألسنة الناس في الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر ، صعد المنبر فقال: إني والله ما أنا بالخليفة المستضعف يعني عثمان ، ولا بالخليفة المصانع يعني معاوية ! وإنكم تأمروننا بأشياء تنسونها منه في أنفسكم ، والله لا يأمرني أحد بعد مقامي هذا بتقوى الله إلا ضربت عنقه ! (أحكام القرآن: ٨٦/١) وحذف الجصاص (المأبون) وذكرها ابن خياط/٢١٠، وابن عساکر: ١٣٥/٣٧، والنهاية: ٧٨/٩، والبيان والتبيين/٢٩٤ ونثر الدرر/٣٨٥، وبعضهم جعلها: المأفون). وقال البلاذري في أنساب الأشراف/١٧٧٤: (وحدثني المدائني عن مسلمة بن محارب قال: لما مات مروان صلى عليه عبد الملك ودفته ، ثم صعد المنبر فقال: إني والله ما أنا بالخليفة المصانع ولا الخليفة المستضعف ولا الخليفة المطعون عليه ! إنكم تأمروننا بتقوى الله وتنسون ذلك من أنفسكم ، والله لا يأمرني أحد بعد يومي هذا بتقوى الله عز وجل إلا ضربت عنقه ! ثم نزل). انتهى.

وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء/١٧٠: (وأول خليفة بَخِلَ عبد الملك ، وكان يسمى رشح الحجارة لبخله ، ويكنى أبا الذِّبَان لبخره (رائحة فمه الكريهة) قال: وهو أول من غدر في الإسلام ، وأول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء... كان لمروان بن الحكم وليُّ العهد عمرو بن سعيد بن العاص بعد ابنه قتلته...خطبنا عبد الملك بين مروان فقال..أما بعد فلست بالخليفة المستضعف يعني عثمان ولا الخليفة المداهن يعين معاوية ولا الخليفة المأفون يعني يزيد ! ألا وإن من كان قبلي من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الأموال ، ألا وإني لا أداوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم. تكلفونا أعمال المهاجرين ولا تعملون مثل أعمالهم فلن تزدادوا إلا عقوبة حتى يحكم السيف بيننا وبينكم ! هذا عمرو بن سعيد قرابته قرابته وموضعه موضعه قال برأسه هكذا فقلنا بأسيا فانا هكذا !... والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه. ثم نزل). (ونحوه تاريخ دمشق: ١٣٥/٣٧ والنهاية: ٧٧/٩ ، وابن خياط/٢٠٩ ، وشرح النهج: ١٧/٦ و: ٢٥٧/١٥ ،

وراجع: الأوائل للعسكري/١٤٢، وفيه: أخذ الناس مأخذ ملوك الأعاجم فنهاهم عن الكلام بحضرته ! ونهاية الإرب/٤٨٦، وكامل ابن الأثير: ١٥٠/٤، و: ٢٠/٤، وفيه: وكان عبد الملك أول من غدر في الإسلام... وأول من نهى عن الكلام في حضرة الخلفاء... وتاريخ الخلفاء/ ١٧١، وفوات الوفيات/ ٥٢٦، المناقب والمثالب/ ٣٢٥، والنزاع والتخاصم/ ٤١، وجمهرة خطب العرب: ١٩٢/٢، والأوائل/ ١٤٢، ونهاية الإرب/ ٤٨٦، والبيان والتبيين/ ٢٩٤، وفيه: قال أبو إسحاق: والله لولا نسبك من هذا المستضعف وسببك من هذا المداهن لكنت منها أبعد من الميوق ! والله ما أخذتها من جهة الميراث ، ولا من جهة السابقة ، ولا من جهة القرابة ، ولا تدعي شوري ولا وصية) !

وروى البلاذري في أنساب الأشراف/ ١٧٧٨، أنه كان يهدد بني أمية لثلاثين عاماً عليه قال: (وكان عبد الملك يتهدد أهل بيته بمثل ما صنع بعمر بن سعد، فكتب إليه عبد الله بن عمرو بن عثمان: إنك قد عرفت بلاء عثمان عندك وعند أهل بيتك ورفع أقدارك وما أوصاك به مروان من قضاء دين عمرو بن عثمان ، وتأخيرك ذلك ! فإن تؤثر ما أوصاك به أبوك فأهله نحن ، وإلا تفعل فسيغني الله عنك والسلام... فكتب إليه عبد الملك: قد أتاني كتابك ، وعمر بن سعد كان أقرب منك رحماً وأوجب علي حقاً ، فأخطأ موضع قدمه ففرقت بين رأسه وجسده وقد هممت بأن ألحقك به) !!

وكذلك كانت معاملته لآل معاوية ، ففي تاريخ دمشق: ٢٧٢/٤٦: (قطع عبد الملك بن مروان عن آل أبي سفيان ما كان يجريه عليهم لما غضب على خالد بن يزيد بن معاوية... فبلغ ذلك خالداً فقال بألحرمان يهددني عبد الملك!؟ يد الله فوقه مانعة وعطاؤه دونه مبذول). انتهى. فهذه أخلاقه مع أولياء نعمته فكيف بغيرهم !!

ودَّع لقلقة لسانه بالقرآن ورَحَّب بشرب الخمر والدماء !

اتفق المؤرخون على أن عبد الملك بن مروان كان يعترف بأنه شارب للخمر

سفأك للدماء ! قال الذهبي في ميزان الاعتدال: ٦٦٤/٢: (عبد الملك بن مروان بن الحكم . أتى له العدالة وقد سفك الدماء وفعل الأفاعيل) ؟!

وفي أنساب الأشراف/١٧٩٧: (قال سعيد بن المسيب لعبد الملك: بلغني يا أمير المؤمنين أنك شربت الطلاء؟ قال: والدماء يا أبا محمد فنستغفر الله !..)

دخل الأخطل على عبد الملك وهو سكران فقال له: يا أبا مالك مالك؟ قال: إن أبا نسطور وضع في جمجمتي ثلاثاً) !

وفي نثر الدرر للأبي/٣٨٥: (وقال عبد الملك: لقد كنت أمشي في الزرع فأتقي الجندب أن أقتله ، وإن الحجاج يكتب إليّ في قتل فئام(جماعات)من الناس فما أحفل بذلك !... وقالت له حُبيّ المدينة: أقتلتَ عَمراً ؟ فقال: قتلته وهو أعز عليّ من دم ناظري ، ولكن لا يجتمع فحلان في شَوْل). أي قطع .

وفي محاضرات الأدباء/١٧٢: (كان عبد الملك بن مروان يُسمى حمامة المسجد للزومه المسجد الحرام ، فلما أتاه الخبر بخلافته كان المصحف في حجره فوضعه وقال: هذا فراق بيني وبينك ! وقال: إني كنت أتحرج أن أطأ نملة ، وإن الحجاج يكتب إليّ في قتل فئام من الناس فما أحفل بذلك ! وقال له الزهري يوماً: بلغني أنك شربت الطلاء ! فقال: أي والله والدماء ! وقال: عجباً للسلطان كيف يحسن وإذا أساء وجد من يزيكه ويمدحه) ! (والتذكرة الحمدونية/٦١٢). ومعناه أن الخليفة مهما ارتكب من جرائم ، وجد حوله علماء بلاط يبررون فعله !.

وقال الذهبي في سيره: ٢٤٨/٤: (أفضى الأمر إلى عبد الملك والمصحف بين يديه ، فأطبقه وقال: هذا آخر العهد بك...كان من رجال الدهر ودعاة الرجال ، وكان الحجاج من ذنوبه). ثم ذكر الذهبي اعترافه بالخمير وسفك الدماء! (ونحوه تاريخ دمشق: ١٥١/٣٧، ونهاية الإرب/٨٩٠، و تاريخ الخلفاء/١٦٩).

وفي المناقب والمثالب للقاضي النعمان/٣٢٩: (وكانت ولايته من يوم بوع إلى يوم توفي إحدى وعشرين سنة وشهراً ونصفاً ، أقام منها تسع سنين يقاتل عبد الله بن الزبير ... ومات وهو ابن ستين سنة ، وقيل ابن ثلاث وستين سنة). انتهى.

أقول: فاعجب للذين يتولون هذه الشخصيات الفاقدة لأدنى درجة من القيم ، ويقصدونها ويغالون فيها ، فيُعَدُّون يزيداً ومروان وأولاده من الأئمة الربانيين الإثني عشر الذين بشر بهم النبي ﷺ في حجة الوداع ! ويجعلون ولايتهم جزءاً من الدين ، ويكفرون من يتبرأ منهم ويلعنهم ! راجع من باب المثل كلام ابن حبان المأساة في صحيحه: ٣٥/١٥ ، وتطبيقه بشاره النبي ﷺ لأئمة باثني عشر إماماً ربانياً ﷺ ، على معاوية ويزيد ومروان وعبد الملك وأولاده !

من مروان الوزغ الى مروان الحمار مقلدون لآل أبي سفيان

بدأ المروانيون بمروان الوزغ ، وانتهوا بمروان الحمار ! ولم يكن فيهم أحد مثل أبي سفيان ومعاوية ويزيد في الذكاء والعمق ، حتى عمر بن عبد العزيز الذي كبروه وضخموه ! روي لهم قصصاً في السطحية والبطش والحق ! وهذا عبد الملك شخصيتهم ومرسي دولتهم يفتتح خلافته بالتهديد بالقتل ، يعلن أنه لن يعطي المال كمعاوية أو يزيد ! (أما بعد فإنه كان من قبلي من الخلفاء يأكلون من المال ويؤكّلون، وإني والله لا أدأوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف). (تاريخ دمشق: ١٣٥/٣٧) فهو يعلن بُخله وبطشه بلا حياء ! ثم يوبخ ولاته على تبذيرهم لكنهم يفحمونه فيسكت ! قال يوماً لولاته: (أما أنت يا خالد (بن أسيد الأموي) فاستعملتك على البصرة وهي تُهدم بالأموال (ملوءة) فاستعملت كل ذئب فاجر ! تحمل من العشرة درهماً وتحتجن (تخبي) التسعة لنفسك ! وأما أنت يا أمية

فإني وليتك خراسان وسجستان وهما يقلسان الذهب والفضة ، فبعثت إلي بيرذون حَظِمَ (مرم) وحريرتين (نوبي حرير) ومفتاح فيه رطل من ذهب زعمت أنه مفتاح مدينة الفيل ، وما مدينة الفيل قبحها الله ! فإذا استعملناكم أسأتم وقصرتم ، وإذا استعملنا غيركم قلتم حرمانا وقطع أرحامنا وآثر علينا غيرنا) !

وقال يوماً: (إنا لنولي الرجل فيخون ويعجز كأنه يعرض بخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال خالد: أما العجز فإنه لم يعجز من وطأ لك مجلسك هذا ، وأما الخيانة فما طُلب العمل إلا لاصطناع المعروف وما زال الناس من لدن عثمان يصيبون من هذا المال: أنت وغيرك! فسكت عبد الملك). (أنساب الأشراف / ١٤٠٩) !
فسكت عبد الملك ، لأن هذه سياستهم المالية التي أسسها عثمان ومعاوية ! أما فلسفتها ودليلها (الشرعي) فهو كما تقدم ادعاء معاوية أنه خليفة الله في أرضه ، فالمال ماله وليس مال المسلمين !

قال المزي في تهذيب الكمال: ١٧٩/٧: (عن سعيد بن المسيب قال: كان ابن برصاء الليثي من جلساء مروان بن الحكم ومحدثيه ، وكان يَسْمَرُ معه فذكروا عند مروان الفئ فقالوا: مال الله... فقال مروان: المال مال أمير المؤمنين معاوية يقسمه فيمن شاء ويمنعه ممن شاء ، وما أمضى فيه من شيء فهو مصيب فيه . فخرج ابن البرصاء فلقني سعد بن أبي وقاص فأخبره بقول مروان ، قال سعيد بن المسيب: فلقيني سعد بن أبي وقاص وأنا أريد المسجد فضرب عضدي ثم قال: إلحقتني تربت يداك ، فخرجت معه لا أدري أين يريد حتى دخلنا على مروان بن الحكم داره فلم أهب شيئاً هيئتي له وجلست لثلا يعلم مروان أنني كنت مع سعد فقال له سعد لما دخل عليه قبل أن يسلم: يا مري أنت الذي يزعم أن المال مال معاوية؟! فقال مروان: ما قلتُ ومن أخبرك؟ قال: أنت الذي يزعم أن المال مال

معاوية؟ قال مروان: وقلت ذاك فمة؟ قال: فردد ذلك عليه قال: فقلت ذاك فمة؟ قال: فرددها عليه الثالثة قال: فقلت ذلك فمة؟ فرفع يديه إلى الله يدعو وزال رداؤه عنه وكان أشعر بعيد ما بين المنكبين فوثب إليه مروان فأمسك يديه ، وقال: أكفف عني يدك أيها الشيخ إنك حملتنا على أمر فركنناه ، فليس الأمر كذلك). (وتاريخ دمشق: ١١٥/١٥، و: ٢٥٠/٣٨، وجمهرة نسب قريش/ ١٣١)

ثم ما قيمة المال أمام ادعاءات الأمويين ، فقد ذكرنا تفضيل الحجاج لعبد الملك على النبي ﷺ بدعوى أن محمداً رسول الله وعبد الملك خليفة الله ، وخليفة الرجل في بيته وأهله أفضل من رسوله في حاجته ! وعلى هذه الأفكار والإدعاءات التي تهدم أصول الإسلام ، سار عبد الملك وأولاده وولاته في الأمصار أكثر من أربعين سنة ! ولهذه الأفكار الكفرية الإستعلائية واجههم أئمة أهل البيت ﷺ ومن أطاعهم وتأثر بهم من الأمة ، حتى تراكم غضب الأمة على الأمويين وأطاحت بهم في ثورة العباسيين .

عبد الملك يُحوّل الحجّ من مكة الى بيت المقدس !

نص على ذلك عامة المؤرخين ، ومنهم المحبّ لبني أمية ابن كثير ! قال في النهاية: ٣٠٨/٨: (قال صاحب مرآة الزمان: وفيها ابتدأ عبد الملك بن مروان ببناء القبة على صخرة بيت المقدس وعمارة الجامع الأقصى ، وكملت عمارته في سنة ثلاث وسبعين ، وكان السبب في ذلك أن عبد الله بن الزبير كان قد استولى على مكة وكان يخطب في أيام منى وعرفة ومقام الناس بمكة وينال من عبد الملك ويذكر مساوئ بني مروان ويقول: إن النبي(ص)لعن الحكم وما نسل وأنه طريد رسول الله ولعينه . وكان(ابن الزبير)يدعو إلى نفسه وكان فصيحاً فمال معظم أهل الشام إليه ، وبلغ ذلك عبد الملك فمنع الناس من الحج فضجوا ، فبنى القبة على الصخرة والجامع الأقصى ليشغلهم بذلك عن الحج ويستعطف قلوبهم ! وكانوا يقفون عند الصخرة ويطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة وينحرون يوم العيد ويحلقون رؤوسهم....

ولما أراد عبد الملك عمارة بيت المقدس وجه إليه بالأموال والعمال ، ووكل بالعمل رجاء بن حياة ويزيد بن سلام مولاه ، وجمع الصنائع من أطراف البلاد وأرسلهم إلى بيت المقدس ، وأرسل إليه بالأموال الجزيلة الكثيرة وأمر رجاء بن حياة ويزيد أن يفرغا الأموال إفراغاً ولا يتوقفا فيها ، فبثوا النفقات وأكثروا فبنوا القبة فجاءت من أحسن البناء ، وفرشاها بالرخام الملون وعملا للقبة جلالين أحدهما من الیود الأحمر للشتاء وآخر من آدم للصيف ، وحفّا القبة بأنواع الستور ، وأقاما لها سدة وخداماً بأنواع الطيب والمسك والعنبر والماورد والزعفران ، ويعملون منه غالبية ويبخرون القبة والمسجد من الليل ، وجعل فيها

من قناديل الذهب والفضة والسلاسل الذهب والفضة شيئاً كثيراً ، وجعل فيها العود القماري المغلف بالمسك ، وفرشاها والمسجد بأنواع البسط الملونة ، وكانوا إذا أطلقوا البخور شم من مسافة بعيدة ، وكان إذا رجع الرجل من بيت المقدس إلى بلاده توجد منه رائحة المسك والطيب والبخور أياماً ويعرف أنه قد أقبل من بيت المقدس وأنه دخل الصخرة . وكان فيه من السدنة والقوم القائمين بأمره خلق كثير ، ولم يكن يومئذ على وجه الأرض بناء أحسن ولا أبهى من قبة صخرة بيت المقدس ، بحيث إن الناس التهبوا بها عن الكعبة والحج ! وبحيث كانوا لا يلتفتون في موسم الحج وغيره إلى غير المسير إلى بيت المقدس ، وافتتن الناس بذلك افتتانا عظيماً وأتوه من كل مكان وقد عملوا فيه من الإشارات والعلامات المكذوبة شيئاً كثيراً مما في الآخرة فصوروا فيه صورة الصراط وباب الجنة ، وقدم رسول الله (ص) ووادي جهنم وكذلك في أبوابه ومواضع منه ، فاغتر الناس بذلك وإلى زماننا !

وفي النجوم الزاهرة: ١٨٣/١: (وقيل بل كان شروعه في ذلك سنة سبعين).

وقال ابن خلدون: ٢٢٦/١ق٢: (وفي سنة خمس وستين من الهجرة زاد عبد الملك في المسجد الأقصى وأدخل الصخرة في الحرم) .

وفي الروض المعطار: ١١٩: (بنى عبد الملك بن مروان مسجد بيت المقدس سنة سبعين ، وحمل إلى بنيانه خراج مصر سبع سنين ، وبنى القبة على الصخرة وجعل على أعلى القبة ثمانية آلاف صفيحة من نحاس مطلية بالذهب ، في كل صفيحة سبعة مثاقيل ونصف من ذهب ، وأفرغ على رؤوس الأعمدة مائة ألف مثقال ذهباً وخارج القبة كلها ملئس بصفائح الرصاص ، وطول مسجد بيت المقدس بالذراع الملكي ويقال إنه ذراع سليمان عليه السلام وهو ثلاثة أشبار سبعمائة

الفصل الرابع عشر : الإمام زين العابدين..رقم استعصى على أعدائه..... ٥٠١

وخمس وخمسون ذراعاً ، وفيه من الأساطين ستمائة وأربع وثمانون أسطوانة ، والعمد التي في قبة الصخرة ثلاثون عموداً ، وفيه خمسة آلاف قنديل).

وفي النجوم الزاهرة: ١/١٨٨: (وسبب بناء عبد الملك أن عبد الله بن الزبير لما دعا لنفسه بمكة فكان يخطب في أيام منى وعرفة وينال من عبد الملك ، ويذكر مثالب بني أمية ويذكر أن جده الحكم كان طريد رسول الله ولعيته ، فمال أكثر أهل الشام إلى ابن الزبير فمنع عبد الملك الناس من الحج فضجوا ، فبنى لهم القبة على الصخرة والجامع الأقصى ليصرفهم بذلك عن الحج والعمرة فصاروا يطوفون حول الصخرة كما يطوفون حول الكعبة وينحرون يوم العيد ضحاياهم وصار أخوه عبد العزيز بن مروان صاحب مصر يُعرّف بالناس بمصر ويقف بهم يوم عرفة.... وقد بنى عبد الملك قباً للحج في الأمصار) !

وفي سمت النجوم/١٠٠١:(فبنى عبد الملك قبة على صخرة بيت المقدس ومساجد الأمصار). وربما كان يحج هو الى الصخرة (تاريخ دمشق: ١٣٧/١٣٧، و١٦٤/٧٠٠).

واستمر منع المسلمين من الحج الى مكة وتوجيههم الى القدس الى أن قتل عبدالله بن الزبير سنة ٧٣ وربما بعده ، ففي أخبار الدولة العباسية/١٠٧: (وحج الناس في تلك السنة وهي سنة ست وستين على ثلاثة منازل: محمد بن علي في أصحابه على حدة ، وعبد الله بن الزبير في أصحابه على حدة ، ونجدة بن عامر الحنظلي في أصحابه على حدة). انتهى . ولم يذكر أهل الشام ومصر !

وشاعت إسرائيليات كعب وتلاميذه !

فزعم كعب الأخبار أن الله تعالى وضع رجله على صخرة بيت المقدس !
روى الطبري في تفسيره: ١٦/٢٦٢: (عن عروة قال: كنا قعوداً عند عبد الملك حين(قال)قال كعب: إن الصخرة موضع قدم الرحمن يوم القيامة ، فقال(...):

كذب كعب إنما الصخرة جبل من الجبال ، إن الله يقول: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا . فسكت عبد الملك (. انتهى. وقد وضعنا(قال)بين قوسين لأن القائل لا يمكن أن يكون كعب الذي مات سنة ٣٤ ، بل القائل عبد الملك نقل قول كعب وتبناه ، فرده أحد الجالسين فسكت خوفاً من اتهامه باليهودية !

وفي حلية الأولياء: ٢٠/٦: (عن كعب قال: إن الله تعالى نظر إلى الأرض فقال إني واط على بعضك ، فاستعلت إليه الجبال وتضعضت له الصخرة فشكر لها ذلك فوضع عليها قدمه ! فقال: هذا مقامي ومحشر خلقي وهذه جنتي وهذه ناري وهذا موضع ميزاني وأنا ديان الدين). (وفضائل بيت المقدس/٥٩).

وفي توحيد الصدوق: ١٧٩: (عن جابر بن يزيد الجعفي قال: قال محمد بن علي الباقر عليه السلام: يا جابر ما أعظم فربة أهل الشام على الله عز وجل ! يزعمون أن الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس ! ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حجر فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتخذه مصلى . يا جابر إن الله تبارك وتعالى لا نظير له ولا شبيه ، تعالى عن صفة الواصفين وجل عن أوهام المتوهمين ، واحتجب عن أعين الناظرين ، لا يزول مع الزائلين ، ولا يأفل مع الآفلين ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).

وزعم كعب أن من صلى عند الصخرة فله ثواب الحج !

أخذ كعب التعبير النبوي لمن حج البيت وجعله للصخرة ! ففي نهاية الإرب/٢٢٥: (قال: من أتى بيت المقدس فصلى عن يمين الصخرة وشمالها ودعا عند موضع السلسلة وتصدق بما قل أو كثر استجيب دعاؤه وكشف الله حزنه وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وإن سأل الله الزيادة أعطاه). (وفضائل القدس/٢٣).

وفي تاريخ دمشق: ٢٥٠/٥٩، عن كعب أيضاً: (قام سليمان بن داود على هذه

الصخرة ثم استقبل القدس كله ودعا الله بثلاث ، فأراه الله تعجيل إجابته إياه في دعوتين وأرجو أن يستجيب له في الآخرة فقال: اللهم هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب فأعطاه الله ذلك ، وقال اللهم هب لي ملكاً وحكماً يوافق حكمك ففعل الله ذلك به ، ثم قال: اللهم لا يأتي هذا المسجد أحد يريد الصلاة فيه إلا أخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه). (ونهاية الإرب/٢٢٥) .

ولم يورد كعب الآية كما هي ، لأنه لا يحفظها أو يعتمد التغير في ألفاظها !

وزعم كعب أن الكعبة تسجد لبيت المقدس

ففي الدر المنثور: ١٣٦/١: (عن كعب قال: لا تقوم الساعة حتى يزفُ البيت الحرام إلى بيت المقدس ، فينقادان إلى الجنة وفيهما أهلهما ، والعرض والحساب بيت المقدس) ! وفي الكافي: ٢٣٩/٤: (عن زرارة قال: كنت قاعداً إلى جنب أبي جعفر (الإمام الباقر عليه السلام) وهو مُحْتَبٍ مستقبلَ الكعبة فقال: أما إن النظر إليها عبادة ، فجاءه رجل من بجيلة يقال له عاصم بن عمر فقال لأبي جعفر: إن كعب الأخبار كان يقول: إن الكعبة تسجد لبيت المقدس في كل غداة ، فقال أبو جعفر: فما تقول فيما قال كعب؟ فقال: صدق، القولُ ما قال كعب ! فقال أبو جعفر: كذبت وكذب كعب الأخبار معك ! وغضب ! قال زرارة: ما رأيته استقبل أحداً بقول كذبت غيره ثم قال: ما خلق الله عز وجل بقعة في الأرض أحب إليه منها ثم أوماً بيده نحو الكعبة ولا أكرم على الله عز وجل منها ، لها حرّم الله الأشهر الحرم في كتابه يوم خلق السماوات والأرض، ثلاثة متوالية للحج: شوال وذو العقدة وذو الحجة ، وشهر مفرد للعمرة وهو رجب) . انتهى.

وزعم كعب أن كل مياه الأرض تنبع من تحت الصخرة !

في تاريخ دمشق: ١٥٢/١: (وقال كعب: ما شرب ماء عذب قط إلا ما يخرج من

تحت هذه الصخرة ! حتى أن العين التي بدارين ليخرج ماؤها من تحت هذه الصخرة ! (وتفسير القرطبي: ٣٠٥/١١ ، وأبي السعود: ٥/٦ ، والسيرة الحلبية: ٨٢/٢).

دلالات تحجيج المسلمين الى بيت المقدس !

١- يدل ذلك على أنه بعد مضي نصف قرن على وفاة النبي ﷺ كان الإسلام كدين ، ما زال هشاً في نفس أوساط كثيرة من الناس ، لم يترسخ بعد ، وإلا لما قبلوا أن يحجوا الى القدس بدل مكة ، أو معها !

٢- أن عبد الملك واصل خط معاوية وعمر في تبني إسرائيليات كعب الأخبار والحاخامات الذين تبنتهم الخلافة وأطلقت أيديهم في نشر ثقافتهم ! وساعدهم على ذلك أنها ثقافة تفضل صخرة القدس وأرض الشام على مكة والبيت الحرام ، ولها أرضية في الثقافة المسيحية واليهودية لأهل المنطقة !

٣- من المتفق عليه أن عبد الملك كان بخيلاً جداً ، فما هو السبب في سخائه المفرط على بناء قبة الصخرة لمضاهاة الكعبة ؟ فلعل اليهود كانوا وراء تمويل المشروع لأهداف كانت لهم في القدس ، لكنهم فشلوا !

٤- أن موج عقائد الإسلام بقي عصياً على أمثال هذه الأعمال التحريفية ، بسبب جهود أهل البيت ﷺ ، وثقافة الإسلام المحددة بالنص القرآني ، وما نشره من النص النبوي ، ولذلك غلب تقديس مكة وعاد الحج إليها بعد انتهاء حكم ابن الزبير ، وبقيت في النفوس والكتب رواسب عمل عبد الملك واليهود !

٥- أنه يجب الحذر من أحاديث مدح بلاد الشام وفلسطين وبيت المقدس ، إلا ما ثبت من مباركتها في القرآن الكريم ، وما روي بطرق صحيحة عن غير طريق الرواة الموالين للخلافة الأموية والقرشية . وهنا تظهر قيمة مواقف أهل

البيت عليه السلام في وجه ثقافة الحاخامات وتلاميذهم رواة الخلافة ، ومن ذلك تكذيب أمير المؤمنين عليه السلام لكعب في مجلس عمر عندما قال كعب: (إن الله تبارك وتعالى كان قديماً قبل خلق العرش وكان على صخرة بيت المقدس في الهواء ، فلما أراد أن يخلق عرشه تفل تفلة كانت منها البحار الغامرة واللجج الدائرة . فقال له عليه السلام: غلط أصحابك وحرفوا كتب الله وفتحوا القرية عليه ! يا كعب ويحك ! إن الصخرة التي زعمت لانهوي جلاله ولا تنسع عظمته، والهواء الذي ذكرت لايحوز أقطاره، ولو كانت الصخرة والهواء قديمين معه لكان لهما قدمته ، وعز الله وجل أن يقال له مكان يومى إليه). (البحار: ٣٦/١٩٤)

وسأله كعب يوماً: (يا أبا الحسن أخبرني عن أول عين جرت على وجه الأرض؟ فقال عليه السلام: تزعم أنت وأصحابك أنها العين التي عليه صخرة بيت المقدس ، قال كعب: كذلك نقول ، قال: كذبتُم يا كعب ولكنها عين الحيوان وهي التي شرب منها الخضر فبقي في الدنيا). (خصائص الأئمة للشريف الرضي/ ٩٠). وقد تقدم غضب الإمام الباقر عليه السلام وتكذيبه كعباً وصاحبه في تفضيل الصخرة .

٦- دافع ابن تيمية على طريقته عن عبد الملك بأنه أراد أن يصرف الناس عن ابن الزبير ، وأغرض عن منعه المسلمين من الحج وتحجيجهم الى بيت المقدس وجعل قبة الصخرة مقابل الكعبة ! قال في اقتضاء الصراط/ ٤٣٥ ، ومجموع الفتاوى: ١٢/٢٧: (وأما الصخرة فلم يصلَّ عندها عمر ولا الصحابة ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قبة ، بل كانت مكشوفة في خلافة عمر وعثمان وعلي ومعاوية ويزيد ومروان . ولكن لما تولى ابنه عبد الملك الشام ووقع بينه وبين ابن الزبير الفتنة كان الناس يحجون فيجتمعون بابن الزبير ، فأراد عبد الملك أن يصرف الناس عن ابن الزبير فبنى القبة على الصخرة وكساها في الشتاء والصيف

ليرغب الناس في زيارة بيت المقدس ويستغلوا بذلك عن اجتماعهم بابين الزبير). وهو دفاع مبطن بالهروب من ذكر بدعة عبد الملك وتحريفه للإسلام !

٧- يحترم أهل البيت عليه السلام مسجد بيت المقدس وصخرته ولكن بدون مبالغة ولا تفضيل ولا مساواة له بالحرمين والمشاهد المشرفة ، ويفتي فقهاء مذهبنا في يمين المتلاعنين: (فإنه يلاعن بينهما في أشرف البقاع ، فإن كان بمكة فبين الركن والمقام ، وإن كان بالمدينة فعلى منبر رسول الله ﷺ وإن كان في بيت المقدس فعند الصخرة ، وإن كان بغير هذه البلاد ففي أشرف موضع فيه وأشرف بقاع البلاد الجوامع والمشاهد عندنا). (المبسوط للشيخ الطوسي: ١٩٧/٥ و ٢٠٣/٨ وقواعد الأحكام للعلامة الحلبي: ١٩٠/٣ ، والدروس: ٩٦/٢ ، وغيرها).



مواجهة الإمام زين العابدين عليه السلام لكعبة عبد الملك

نشط عبد الملك في الدعاية للحج الى بيت المقدس ، ومنع أهل الشام وفلسطين ومصر وغيرهم من الحج الى الكعبة الشريفة ، حتى لا تؤثر عليهم دعاية ابن الزبير.. وأطاعه رعاع الناس فحجوا الى القدس وطافوا وذبحوا هناك !!

وقد واجه الإمام زين العابدين عليه السلام هذا الوضع الخطير الذي يهدد ركناً من أركان الإسلام بتوعية المسلمين على مقام الكعبة الشريفة وفريضة الحج إليها ، وكان ذلك كان معروفاً عنه عليه السلام فأشاعوا أنه يفضل الحج على الجهاد والفتوحات ، وقد أجابهم عليه السلام تارة ببيان فضل الحج: (قال رجل لعلي بن الحسين عليه السلام تركت الجهاد وخشونته ولزمت الحج ولينته ؟ قال: وكان متكياً فجلس فقال: ويحك ما بلغك ما قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع إنه لما همت الشمس أن تغيب قال رسول

الله ﷺ: يا بلال قل للناس فلينصتوا ، فلما أنصتوا قال رسول الله: إن ربكم تطول عليكم في هذا اليوم فغفر لمحسنكم وشفع محسنكم في مسيئكم ، فأفيضوا مغفوراً لكم ، وضمن لأهل التبعات من عنده الرضا .

وتارة كان يطلب من المعترض أن يكمل قراءة آيات الجهاد ، ففي الكافي: ٢٢/٥ تحت عنوان: (الجهاد الواجب مع من يكون؟) عن الإمام الصادق عليه السلام: (لقي عبّاد البصري علي بن الحسين عليه السلام في طريق مكة فقال له: يا علي بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته وأقبلت على الحج ولينته إن الله عز وجل يقول: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . (التوبة: ١١١) فقال له علي بن الحسين عليه السلام: أتم الآية فقال: النَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ. (التوبة: ١١٢) فقال علي بن الحسين عليه السلام: إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج .) (ومن لا يحضره الفقيه: ٢/٢١٩).



ولابد أن يكون الإمام عليه السلام قام بفعاليات واسعة لمواجهة التحريف الأموي اليهودي للحج ومقام الكعبة الشريفة ، والقليل الذي وصل إلينا يكفي ، مثل قوله: قال رسول الله ﷺ: الحج ثوابه الجنة والعمرة كفارة كل ذنب . (الجعفریات: ٣٣). وقوله عليه السلام: (تسبيحة بمكة أفضل من خراج العراقيين ينفق في سبيل الله). (القواعد والفوائد: ٢/١٢٣).

وقوله عليه السلام: (النائم بمكة كالمتشحط في البلدان..من خلف حاجاً في أهله وماله كان له كأجره حتى كأنه يستلم الأحجار.. يامعشر من لم يحج استبشروا

بالحاج وصافحهم وعظموهم، فإن ذلك يجب عليكم لتشاركوهم في الأجر).
(المحاسن: ٦٨/١-٧١).

وقوله عليه السلام: (حجوا واعتمروا تصحّ أجسامكم وتتسع أرزاقكم وينصلح إيمانكم ، وتكفوا مؤونة عيالكم). (ثواب الأعمال/٤٧).

وقوله عليه السلام: (وحق الحج أن تعلم أنه وفادة إلى ربك ، وفرار إليه من ذنوبك ، وبه قبول توبتك ، وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك). (رسالة الحقوق/٣١١).

كما وصل إلينا أنه عليه السلام كان يحمل معه أطيب الزاد ويوزعه على الذاهين الى الحج أو العمرة: (كان علي بن الحسين عليه السلام إذا سافر إلى الحج والعمرة تزود من أطيب الزاد ، من اللوز والسكر والسويق المحمص والمحلى). (الكافي: ٣٠٣/٨).

(قال سفيان: أراد علي بن الحسين الخروج إلى الحج فاتخذت له سكينه بنت الحسين أخته زاداً أنفقت عليه ألف درهم ، فلما كان بظهر الحرة سّيرت ذلك إليه ، فلما نزل فرقه على المساكين). (مطالب السؤل/٤١٥ ، صفة الصفة: ٩٦/٢).

(وكان يمشي إلى الحج ودابته تقاد وراءه). (الجواهر: ٣١١/١٧). ويقول: (لو حج رجل ماشياً قرأ إنا أنزلناه في ليلة القدر ما وجد ألم المشي). (وسائل الشيعة: ١١/٣٩٦ ، والمنتظم: ٣٤٩/٥).



تحير عبد الملك في قتل الإمام زين العابدين عليه السلام!

بادر عبد الملك بالكتابة الى واليه الحجاج أن لا يمسّ الإمام زين العابدين عليه السلام بسوء ، خوفاً على ملكه من دماء آل محمد عليهم السلام! ولكنه مع ذلك بقي متحيراً فيه لأن تقارير الحجاج والجواسيس الخاصين تقول إنه المرجع الروحي لحركات الهاشميين ضد النظام ، فأمر عبد الملك بالقبض عليه وإحضاره مقيداً كما مر!

وعندما فاجأه الإمام عليه السلام بأن خرج من قيوده بعد مسير يومين من المدينة ، ووصل في نفس الساعة الى الشام ودخل على عبد الملك بلا استئذان وخاطبه غاضباً: مالك ومالي تحبسنى ظلماً؟! قال عبد الملك للزهري: (إنه جاءني في يوم فَقَدَهُ الأعوان (الشرطة المرافقين للإمام عليه السلام) فدخل عليّ فقال: ما أنا وأنت؟ افقلت: أقم عندي فقال: لأحبّ ثم خرج ، فوالله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة ! قال الزهري: فقلت: يا أمير المؤمنين ليس علي بن الحسين حيث تظن (وتتهمه بالتحضير لثورة) إنه مشغول بربه، فقال: حبذا شغلٌ مثله فنعم ما شغل به) ! (تاريخ دمشق: ٤١/٣٧٢).

ثم رأى عبد الملك من الإمام عليه السلام حادثة زادت دهشته حتى نسي فكَّ الإمام لقيوده ومفاجأته له في قصره بالشام ! فقد روى ابن حمزة في الثاقب/٣٦٥، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (كان عبد الملك بن مروان يطوف بالبيت وعلي بن الحسين يطوف بين يديه ولا يلتفت إليه ، ولم يكن عبد الملك يبصر وجهه فقال: من هذا الذي يطوف بين يدينا ولا يلتفت إلينا ؟ ف قيل له: هذا علي بن الحسين ، فجلس مكانه فقال ردوه إليّ فردوه ، فقال له: يا علي بن الحسين إني لست قاتل أبيك فما يمنعك من المصير إليّ؟ فقال علي بن الحسين: إن قاتل أبي أفسد بما فعله دنياه عليه وأفسد أبي عليه بذلك آخرته ، فإن أحببت أن تكون كهو فكن . فقال: كلا ، ولكن تصير إلينا لتنال من دنيانا . فجلس زين العابدين وبسط رداءه فقال: اللهم أره حرمة أوليائك عندك ! فإذا رداؤه مملوء درراً يكاد شعاعها يخطف بالأبصار ! فقال: من يكون هذه حرمة عند ربه كيف يحتاج إلى دنياك؟! ثم قال: اللهم خذها فلا حاجة لي فيها). (والخرائج: ١/٢٥٥ ، والصراط المستقيم: ٢/١٨٠) !

ولعل الإمام عليه السلام ترك عبد الملك مشدوهاً يقلب جواهره ويجمعها فرحاً بها ، وتابع هو طوافه وعبادته وفرحه بفضل الله ورحمته !

ومع ذلك ، كان الإمام عليه السلام يقبل بعض عطاءات عبد الملك التي قد لا تزيد كلها عن ثمن جوهرة واحدة مما أعطاه ! وقد سافر عليه السلام ذات مرة الى الشام مع الزهري شقيقاً لبعض من غضب عليهم عبد الملك من الهاشمين ، فحبسهم أو وضعهم على قائمة القتل ! وتأثر عبد الملك بكلامه وبكى كما مر ثم قال: (شتان بين عبد طلب الآخرة وسعى لها سعيها وبين من طلب الدنيا من أين أجابته وماله في الآخرة من خلاق ، ثم أقبل يسأله عن حاجاته وعما قصد له فشَقَّعَهُ فيمن شفع ووصله بمال). (فتح الأبواب لابن طاووس/١٦٩).

ومع كل ذلك فقد كان قلب عبد الملك وهواه مع رأي الحجاج في ضرورة قتل الإمام زين العابدين عليه السلام لخطورته على ملكه وملك أولاده ، فهو صاحب نشاط عميق ضد أفكارهم وسياساتهم ، وإن لم يجمع حوله أنصاراً وسيفاً ! لكنه كان يتذكر لعنة يزيد التي لحقته بسبب قتل الحسين عليه السلام ، فبقي الغالب عليه تخوفه من قتل الإمام عليه السلام حتى قام ابنه الوليد الطاغية أكثر من أبيه بقتله عليه السلام.

وسياتي الحديث عن مدى تدين عبد الملك وابنه الوليد ، وأن القدر المتيقن أنه كان يعتقد بوقوع الأحداث التي أخبر بها النبي ﷺ ! فعندما خرج عليه عبد الرحمن بن الأشعث في إيران تخوف أن يكون هو صاحب رايات خراسان التي أخبر النبي ﷺ أن زوال ملك الأمويين على يدها ! فاهتم و(أرسل عبد الملك إلى خالد بن يزيد فأخبره فقال: أما إذا كان الفتق من سجستان فليس عليك بأس ، إنما كنا نتخوف لو كان من خراسان) ! (تاريخ الطبري: ٧٨/٦).

فهرس الموضوعات

الفصل الأول: خلافة الإمام الحسن عليه السلام وانهايار الأمة !

- ٧.....بيعة المهاجرين والأنصار للإمام الحسن عليه السلام
- ٩.....أهداف الإمام الحسن عليه السلام من خلافته
- ١٠.....الإمام الحسن عليه السلام يؤكد الحجة على معاوية والأمة
- ١٢.....معاوية يتحرك بجيشه نحو العراق
- ١٣.....الإمام الحسن عليه السلام يحرك في الأمة ثمالة شعلتها
- ١٥.....الإمام الحسن عليه السلام بين المعادلة الإسلامية والجاهلية
- ١٦.....الإمام الحسن عليه السلام يمتحن جمهوره
- ١٧.....الإمام الحسن عليه السلام يمتحن جيشه
- ٢٠.....الملاحظة الأولى: في حركة الجيش ومكان المعركة
- ٢٢.....الملاحظة الثانية: شخصية قيس بن سعد بن عباد
- ٢٥.....الملاحظة الثالثة: لاختيار شرعياً للإمام عليه السلام إلا التنازل عن الحكم
- ٢٦.....آخر مراحل انهايار الأمة في عهد الإمام الحسن عليه السلام
- ٢٩.....ثلاث محاولات لاغتيال الإمام الحسن عليه السلام في يوم واحد!
- ٣٥.....ما روي عن خيانة بعض قادة الجيش ورؤساء القبائل
- ٤١.....حكم أهل البيت عليه السلام استثناءً من السياق الطبيعي للتاريخ
- ٤٥.....مفاوضات الصلح بين المدائن وحلب!

الفصل الثاني: شروط الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية

- ٤٩.....الزعيمان الأمويان الضامنان لتنفيذ معاوية لشروط للصلح

- الزعماء الأربعة الذين أرسلهم الإمام الحسن عليه السلام ٥١
- نصوص عهد الصلح من أهم المصادر..... ٥٤
- رواية البلاذري..... ٥٤
- رواية ابن الأعمش..... ٥٥
- رواية ابن المطهر المقدسي..... ٥٧
- رواية ابن حجر وابن طلحة الشافعي..... ٥٧
- رواية ابن شهر آشوب ٥٨
- رواية هامش نهاية ابن كثير..... ٥٨
- تصنيف لشروط عهد الصلح..... ٦٠
- الشرط الأول: أن يعمل معاوية بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ..... ٦٠
- الشرط الثاني: أن لا يعهد معاوية بالخلافة بعده الى أحد بل تكون بعده للحسن عليه السلام..... ٦٢
- الشرط الثالث: إعلان العفو العام ، خاصة لشعبة علي عليه السلام..... ٦٤
- الشرط الرابع: أن يترك سب أمير المؤمنين عليه السلام..... ٦٥
- الشرط الخامس: أن لا يقتال الإمام الحسن أو الحسين عليه السلام وألهما..... ٦٦
- الشرط السادس: أربعة بنود مالية..... ٦٧
- الشرط السابع: أن لا يسميه أمير المؤمنين ولا يقيم عنده شهادة..... ٦٧

ملاحظات على نصوص عهد الصلح

- ١- السبب في تفاوت الشروط وتعارضها..... ٦٩
- ٢- النسخ المروية لا يمكن أن تكون نسخة الرق..... ٧٠
- ٣- لماذا لم ينشر معاوية نسخة عهد الصلح؟..... ٧١
- ٤- حاكم إيران من قبل الإمام الحسن عليه السلام يستفيد من شروط الصلح!..... ٧٣
- بدعة معاوية في استلحاق زياد وجعله ابن أبي سفيان!..... ٧٥

الفصل الثالث: تسلط معاوية وعودة الإمام الحسن عليه السلام الى مدينة جده ﷺ

- الإمام الحسن عليه السلام يعود من المدائن الى الكوفة..... ٨١
- الإمام الحسن عليه السلام يخطب في الكوفة قبل أن يغادرها الى المدينة..... ٨١

الفصل الرابع عشر : الإمام زين العابدين..رقم استعصى على أعدائه..... ٥١٣

- ٨٢..... معاوية يدخل الكوفة فاتحاً فيأثر لفتح مكة !
- ٨٣..... معاوية يَهْتَكُ ويكشف نوابه عند وصوله الكوفة !
- ٨٥..... إذا امتلأ القلب بالزيف فاض على اللسان !
- ٨٦..... لايفي بعهده للمسلمين لكن يفى للروم ويدفع لهم الجزية !
- ٨٧..... عائلة عثمان تعترض على كذب معاوية !
- ٨٨..... الإمام الحسن عليه السلام يسجل مطالباته بتنفيذ الشروط.....
- ٩٠..... معاوية يدخل مسجد الكوفة.....
- ٩٨..... شموخ الإمام الحسن عليه السلام أمام غطسة معاوية !
- ١١٠..... حادثة أخرى سجلت شموخ الإمام الحسن عليه السلام.....
- ١١٢..... معاوية يعلن في النخيلة انتهاء الدولة الإسلامية وقيام الإمبراطورية الأموية !
- ١١٤..... خطبة معاوية الثانية الأسوأ !
- ١١٦..... معجزة لأمر المؤمنين عليه السلام ظهرت عند دخول معاوية الى الكوفة.....
- ١١٩..... معاوية المريض بالشك بالنبي صلى الله عليه وآله يمتحن علم الإمام الحسن عليه السلام.....
- ١٢٢..... رجوع الإمام الحسن عليه السلام وأهل البيت عليه السلام الى المدينة.....
- ١٢٢..... معاوية يعرض على الإمام الحسن عليه السلام أن يكون قائد جيش عنده !

الفصل الرابع: ظلم مصادر الحكومات للإمام الحسن عليه السلام وتلميذها لمعاوية

- ١٢٥..... عملهم لتشويه شخصية الإمام الحسن عليه السلام وتلميح شخصية معاوية !
- ١٢٥..... ١- بخاري يمدح معاوية ويطن ذمَّ الإمام الحسن عليه السلام !
- ١٣١..... ٢- طعنهم في أمير المؤمنين عليه السلام على لسان ولده الإمام الحسن عليه السلام !
- ١٣٢..... ٣- كذبهم عليه بأنه كان ضد نهضة أخيه الحسين عليه السلام !
- ١٣٧..... ٤- زعمهم أن الإمام الحسن يشبه النبي صلى الله عليه وآله ولا يشبه علياً عليه السلام.....
- ١٣٩..... ٥- روايات السلطة حول قبر النبي صلى الله عليه وآله على لسان الإمام الحسن عليه السلام.....

الفصل الخامس: برنامج الإمام الحسن عليه السلام في المدينة بعد الصلح

- ١٤٣..... ١- الإنسحاب من المسرح السياسي ولا الدور السئ !

- ٢- العالم الأعلى الذي يعيش فيه المعصوم عليه السلام..... ١٤٤
- ٣- برنامج الإمام الحسن عليه السلام في المدينة بعد الصلح..... ١٤٥
- أ- جعل الإمام عليه السلام المسجد النبوي منبراً لرد الأفكار الأموية:..... ١٤٨
- ب- كشف الإمام عليه السلام ضحالة قصاصي الدولة وثافتها:..... ١٤٩
- ج- هل عطل الإمام الحسن عليه السلام بدعة التراويح:..... ١٥٠
- د- مكانة الإمام الحسن عليه السلام عند محبيه وأعدائه:..... ١٥٢
- هـ- دعوة ابن الزبير للإمام عليه السلام الى مائدته وإعجابه به:..... ١٥٢
- و- إعجاب أبي هريرة بالإمام عليه السلام وبكاؤه عليه!..... ١٥٥
- ز- إعجاب مروان بن الحكم بالإمام عليه السلام وبكاؤه عليه!..... ١٥٦
- ح- عائشة تروي عن الإمام الحسن عليه السلام قنوت النبي ﷺ!..... ١٥٧
- ط- إعجاب معاوية بشخصية الإمام عليه السلام وفرحه بقتله!..... ١٥٧
- ي- جابر بن عبد الله يرى الإمام عليه السلام فيفرح ويجهر بفضلته!..... ١٥٨
- ك- المسلمون يتذكرون مكانة الحسين عليه السلام عند النبي ﷺ!..... ١٥٩
- ٤- خط الإمام الحسن عليه السلام: الوفاء بالصلح والعمل ضد معاوية..... ١٦٠
- ٥- الإمام الحسن عليه السلام في زيارات معاوية للمدينة ومكة..... ١٦٢
- أ- موكب معاوية بـ(سيارات المارسيديس)..... ١٦٢
- ب- موكب أحد رفقاء معاوية بـ(الشاحنات)!..... ١٦٢
- ج- معاوية يذهب بدون دعوة الى مائدة عبدالله بن جعفر..... ١٦٣
- د- لم يستطع معاوية إخفاء حقه على بني هاشم والأنصار:..... ١٦٤
- هـ- ردّتها عليك وأنا ابن فاطمة عليها السلام!..... ١٦٥
- الإمام الحسن عليه السلام يواجه خطط معاوية ضد الإسلام..... ١٦٦
- ١- ألا إن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية!..... ١٦٦
- ٢- لم يجزؤ معاوية على شتم علي عليه السلام في حياة الحسن عليه السلام وابن وقاص!..... ١٦٨
- ٣- هبة الإمام الحسن عليه السلام تفرض نفسها على معاوية ووزيره!..... ١٦٩
- ٤- الإمام الحسن عليه السلام يبعث برسالة شديدة الى ابن العاص!..... ١٧١
- ٥- خوف معاوية من تعاطف شعبية الإمام الحسن عليه السلام..... ١٧٢

الفصل الرابع عشر : الإمام زين العابدين..رقم استعصى على أعدائه..... ٥١٥

- ٦- معاوية يحاول الحط من مكانة الإمام الحسن عليه السلام..... ١٧٤
- ٧- معاوية يتراجع في مشادة بين بني هاشم وبني أمية..... ١٧٤
- ٨- الإمام الحسن عليه السلام يرد جبرية معاوية ويؤكد حرية الإنسان..... ١٧٦
- ٩- الإمام عليه السلام يردُّ على معاوية والطلاق ويؤكد قرآنية البسمة..... ١٧٧

الإمام الحسن عليه السلام يجاهر بمذهب أهل البيت عليه السلام ويفضح الإنحراف !

- ١- يروي مناقب علي عليه السلام لمواجهة اللعن الأموي..... ١٨١
- ٢- ويجهر بفضائل أهل البيت عليه السلام وفريضة ولايتهم..... ١٨٢
- ٣- ويجهر بحديث جده عليه السلام أن مبغض العترة يهودي أو..... ١٨٢
- ٤- ويجاهر برأيه في سقيفة قرش !..... ١٨٣
- ٥- ويصارع معاوية بالأئمة الإثني عشر والطغاة الإثني عشر !..... ١٨٤
- ٦- ويبشر بالإمام المهدي ودولة أهل البيت عليه السلام..... ١٨٩
- مناظرات الإمام الحسن عليه السلام في المدينة ودمشق..... ١٩٢
- ١- المناظرات مادة مهمة لدراسة التاريخ والسيرة..... ١٩٢
- ٢- ندم معاوية على طلبه من الإمام عليه السلام أن يخطب !..... ١٩٦
- ٣- أكثر المناظرات في الإسلام ضجيجاً وتحدياً وصراحة !..... ١٩٧
- ٤- مناظرات ابن عباس مع معاوية..... ٢٠١
- من كرامات الإمام الحسن عليه السلام ومعجزاته..... ٢٠٣

الفصل السادس: قتل معاوية للسبط الأول للنبي ﷺ !

- ١- محاولات معاوية المستمرة لقتل الإمام عليه السلام..... ٢٠٧
- ٢- أبو سفيان حليف اليهود المتخصصين في القتل بالسُّم !..... ٢٠٩
- ٣- معاوية صاحب الرقم القياسي في قتل معارضيه بالسُّم وغيره !..... ٢١٠
- ٤- النبي ﷺ أخبر والإمام الحسن عليه السلام أخبر بما يجري عليه !..... ٢١٢
- المعصوم عليه السلام يعلم أجله !..... ٢١٣
- معنى قوله عليه السلام أموت بالسُّم كما مات رسول الله ﷺ..... ٢١٥
- معنى قولهم عليه السلام: ما منا إلا مسمومٌ أو مقتول !..... ٢١٦
- نفاق الأشعث وأسرته وتعامل النبي ﷺ وآله عليه السلام معهم !..... ٢١٨

- ٥- طال مرض الإمام عليه السلام من السُّم نحو أربعين يوماً!..... ٢١٩
- ٦- ورَّتَب معاوية يريدن يوماً عن حالة الإمام الحسن عليه السلام..... ٢٢٠
- ٧- معاوية يدير المعركة.. ويهاُ مروان أنت لها!..... ٢٢٢
- ٨- قبلت عائشة بدفن الإمام عليه السلام جنب جده عليه السلام ثم تراجعت!..... ٢٢٣

وقائع شهادة الإمام الحسن السبط عليه السلام ومراسم دفنه

- ١- الإمام الحسن عليه السلام: لا يومٌ كيومك يا أبا عبد الله!..... ٢٢٥
- ٢- وصية الإمام الحسن لأخيه الإمام الحسين عليه السلام..... ٢٢٦
- ٣- الإمام الحسن عليه السلام يوصي أخاه محمد بن الحنفية..... ٢٣١
- ٤- ما رآه الإمام عليه السلام قرب موته..... ٢٣٤
- ٥- أخرجوني الى صحن الدار حتى أنظر في ملكوت السماوات!..... ٢٣٤
- ٦- ارتجَّت المدينة لموت الإمام الحسن عليه السلام وضجَّت بالبكاء..... ٢٣٥
- ٧- دعوة ضواحي المدينة الى تشيع الإمام عليه السلام..... ٢٣٥
- ٨- حاكم المدينة سعيد بن العاص وقف على الحياد..... ٢٣٥
- ٩- الإمام الحسين يتولى مراسم جنازة أخيه الإمام الحسن عليه السلام..... ٢٣٦
- ١٠- الإمام الحسين عليه السلام يخرج بالجنازة الى قبر النبي عليه السلام..... ٢٣٧
- ١١- مروان يركض الى عائشة مستجداً ويأتي بها على بغل!..... ٢٤١
- ١٢- محاولتهم نفي ركوب عائشة البغلة..... ٢٤٥
- ١٣- أبو هريرة وأبو سعيد الخدري يواجهان مروان وعائشة!..... ٢٤٨
- ١٤- الإمام الحسين عليه السلام يستنفر حلفاء بني هاشم يحلف الفضول!..... ٢٥١
- ١٥- هدف الإمام الحسين عليه السلام من إحياء حلف الفضول..... ٢٥٤
- ١٦- وساطات عدد من الصحابة والشخصيات..... ٢٥٧
- ١٧- وصفهم احتشاد المسلمين في تشيع الإمام الحسن عليه السلام..... ٢٦٠
- ١٨- صلاة والي المدينة على جنازة الإمام الحسن عليه السلام..... ٢٦١
- ١٩- سجلوا (انتصارهم) على بني هاشم فرموا الجنازة بالسهم!..... ٢٦٢
- ٢٠- تأييد الإمام الحسين عليه السلام ومحمد بن الحنفية لأخيها..... ٢٦٤
- ٢١- العزاء في المدينة ومكة أسبوعاً ، وحداد بني هاشم سنة!..... ٢٦٥

الفصل الرابع عشر : الإمام زين العابدين..رقم استعصى على أعدائه..... ٥١٧

- ٢٢- العزاء على الإمام الحسن عليه السلام في البصرة..... ٢٦٧
- ٢٣- فرح معاوية بقتله للإمام الحسن عليه السلام !..... ٢٦٨
- ٢٤- أقام ابن عباس مجلس العزاء في الشام..... ٢٧١
- ٢٥- رثاء الشعراء للإمام الحسن عليه السلام..... ٢٧٢
- ٢٦- جريمة سُم الإمام الحسن عليه السلام ثابتة في رقبة معاوية..... ٢٧٢
- ٢٧- من تحريفات أتباع معاوية للتغطية على جريمته !..... ٢٧٦
- ٢٨ - معاوية يكافئ مروان بولاية المدينة !..... ٢٨٠

الفصل السابع: خمس مسائل حول الحجرة النبوية الشريفة

- المسألة الأولى: قداسة الحجرة النبوية الشريفة وأهميتها !..... ٢٨٦
- المسألة الثانية: ادعائهم ورائة عائشة أو ولايتها على الحجرة النبوية..... ٢٨٩
- المسألة الثالثة: ردُّ ادعائهم بأن الحجرة النبوية ملك لعائشة ؟!..... ٢٩٠
- المسألة الرابعة: تناقضات أقوال عائشة في الحجرة النبوية الشريفة !..... ٢٩٨
- المسألة الخامسة: أين دفن النبي صلى الله عليه وآله ؟..... ٣٠٢

الفصل الثامن: معاوية يستमित لأخذ البيعة ليزيد !

- لولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي !..... ٣١٧
- نَصَحَةُ الصحابة والمشفقون على أمة النبي صلى الله عليه وآله وعليه..... ٣١٨
- تلمع معاوية ليزيد بتأثيره على الحج !..... ٣٢١
- تزوير معاوية (غزوة القسطنطينية) من أجل يزيد !..... ٣٢٣
- غزوة معاوية لقبرص مكذوبة كغزوة ابنه يزيد !..... ٣٣١
- قائمة بفعاليات معاوية لبيعة يزيد وقمع المعارضين..... ٣٤١

الفصل التاسع: مواقف الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة معاوية

- خط الإمامين الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام واحد لا يتجزأ !..... ٣٦٥
- ٤- موقفه الثابت مع أخيه عليه السلام في عدم نقض الصلح..... ٣٦٦
- ٥- غضبه على مروان عندما لعن أمير المؤمنين عليه السلام..... ٣٦٩

- ٦- مواجهته مرسوم معاوية بلعن علي بالتسمية باسم علي عليه السلام..... ٣٧٠
- ٧- معاوية يطلب من الإمام الحسين عليه السلام أن يخطب..... ٣٧٠
- ٨- جوابه لمعاوية عن يقين علي عليه السلام وشجاعته..... ٣٧١
- ٩- رأي الإمام الحسين عليه السلام في تصنع معاوية وإظهاره الحلم..... ٣٧٢
- ١٠- كلمه معاوية بدون احترام فلم يجبه الإمام عليه السلام..... ٣٧٢
- ١١- موقفه عليه السلام عندما خطب معاوية بنت أخته ليزيد!..... ٣٧٢
- ١٢- قصة أرنب أو زينب بنت إسحاق..... ٣٧٤
- ١٣- مواجهته الحرب الإقتصادية على أهل البيت عليه السلام..... ٣٧٧
- ١٤- الإمام الحسين عليه السلام يصادر قافلة من بيت المال لمعاوية..... ٣٨١
- ١٥- رده لمئة معاوية في العطاء من بيت المال..... ٣٨٢
- ١٦- جوابه لمعاوية عندما افتخر بقتل حجر بن عدي عليه السلام..... ٣٨٢
- ١٧- رسالة معاوية الى الإمام الحسين عليه السلام وجوابه..... ٣٨٣
- ١٨- تحير معاوية في سياسته مع الحسين عليه السلام..... ٣٨٧
- ١٩- حثه الشيعة على النهوض بمسؤوليتهم وعدم التخاذل..... ٣٨٧
- ٢٠- إعدادة عليه السلام لبني هاشم والأنصار لكربلاء في حياة معاوية..... ٣٨٨

الفصل العاشر: معاوية يهوي..ويسلم أمبراطوريته الى غلام أهوج

- آمال معاوية بيزيد ومستقبل إمبراطوريته!..... ٣٩٣
- هلاك الطاغية وانتقال السلطة بسهولة الى ابنه..... ٣٩٣
- وصية الأمبراطور الطاغية الى ولده المدلل..... ٣٩٦
- خطبة العرش: تعجيل المخصصات وتخفيض الفتوحات..... ٣٩٨

الهوية الشخصية ليزيد بن معاوية

- ١- الأم والخولة والشكل..... ٣٩٩
- ٢- هوايات يزيد الشاذة واستهتاره..... ٤٠٢
- ٣- أهلك الأمة جوزه، وأهلكه فسقه..... ٤٠٦
- ٤- عشق يزيد حواريين فجعلها عاصمته!..... ٤٠٨

الفصل الرابع عشر : الإمام زين العابدين..رقم استعصى على أعدائه..... ٥١٩

٥- لا قبر ليزيد في دمشق ولا حواريين ولا جنمان!..... ٤٠٩

الفصل الحادي عشر: لمحة عن جرائم يزيد الكبرى

كربلاء..ملحمة الهدى الإلهي مع الضلال البشري ٤١٣

حفيد قائد المشركين ينتقم من أنصار النبي ﷺ بموقعة الحرّة ! ٤١٧

الملك عقيم.. ولامقدمات عند صاحبه حتى الكعبة !..... ٤٢٥

الفصل الثاني عشر: انهيار الدولة الأموية الأولى

هلاك يزيد وتزلزل الدولة الأموية..... ٤٢٩

ابن يزيد يكشف جرائم جده وأبيه ويعلن تشيعه !..... ٤٢٩

قتلهم الوحشي لأستاذه يكشف عن قتلهم له !..... ٤٣١

تناقض الأمويين والرواة في أمر معاوية الثاني !..... ٤٣٢

معاوية الثاني شتم مروان بن الحكم وطردته..... ٤٣٣

شاب في مقتبل العمر ضحى بأمبراطوريته وبدمه !..... ٤٣٦

الدميري والدمشقي يرويان تشيع معاوية..... ٤٣٧

أستاذه عالم شامي يروي عن أبي ذر رضي الله عنه..... ٤٣٩

الفصل الثالث عشر: المؤسس الثاني للدولة الأموية: مروان بن الحكم

انهيار الدولة السفينانية وقيام الدولة المروانية ٤٤٣

اعترفوا بأن مروان ملعون ابن ملعون وزع ابن وزع !..... ٤٤٣

مطروود النبي ﷺ يتسلم مقدرات خلافة النبي ﷺ !..... ٤٤٨

كان مروان مع عائشة في حرب الجمل ٤٥٢

مطروود النبي ﷺ من المدينة طرده منها المسلمون ثانية..... ٤٥٦

ونكت مروان ورجع مع جيش يزيد لاستباحة المدينة !..... ٤٥٧

النظام الأموي على أكف عفاريت !..... ٤٥٩

معركة مرج راهط بين وزراء البلاط الأموي !..... ٤٦٣

٥٢٠.....جواهر التاريخ ج ٣

٤٦٥..... مروان يسيطر على مصر

٤٦٦..... مروان تحت المخدة

الفصل الرابع عشر: الإمام زين العابدين عليه السلام..رقم استعصى على أعدائه

٤٧١.....جاذبية الشخصية الربانية

٤٧٩.....عندنا إمام معصوم عليه السلام وعندهم ولي يملك الاسم الأعظم

٤٨٤.....كيف واجه الإمام زين العابدين عليه السلام خطط بني أمية؟

٤٨٦.....الإمام زين العابدين عليه السلام ومروان

٤٨٧.....جيش مروان بعد الحرة الى المدينة!

٤٨٩.....عهد عبد الملك بن مروان

٤٩١.....نماذج من طغيان عبد الملك!

٤٩١.....(والله لا يأمرني أحد بتقوى الله إلا ضربت عنقه)!

٤٩٤.....ودّع لقلقة لسانه بالقرآن ورحب بشرب الخمر والدماء!

٤٩٦.....من مروان الوزغ الى مروان الحمار مقلدون لآل أبي سفيان

٤٩٩.....عبد الملك يُحوّل الحجّ من مكة الى بيت المقدس!

٥٠٤.....دلالات تحجيج المسلمين الى بيت المقدس!

٥٠٦.....مواجهة الإمام زين العابدين عليه السلام لكعبة عبد الملك

٥٠٨.....تحرير عبد الملك في قتل الإمام زين العابدين عليه السلام!

تمّ بحمد الله المجلد الثالث من كتاب: جواهر التاريخ

ويليه المجلد الرابع إن شاء الله تعالى



هذا الكتاب..

خلاصة لصمود خط أهل البيت النبوي عليهم السلام
في مواجهة الظلم والجور ، من بعد
النبي صلى الله عليه وآله إلى عصرنا هذا.
وهو عرض تاريخي لفعاليات الحكام ،
ومواجهة أهل البيت عليهم السلام لها بالصبر والتحمل
والنبل ، وجهودهم لتثبيت معالم الإسلام وقيمته
السامية .

دار الهدى
للطباعة والنشر